الصحافة السياسية

في مصر منذ نشأتها إلى الحرب العالمية الثانية

أنور الجندي

تطور الصحافة العربيـــة

وأثرها فى الأدب العربى المعاصر

(تصدر فى ثلاثة كتب)

(الأول) الصحافة السياسية فى مصر منذ نشأتها إلى الحرب العالمية الثانية .

(الثانى) تطور الصحافة العربية بين الحربين (١٩١٩ — ١٩٣٩)
فى العالم العربى .

(الثالث) تطور الصحافة فى العالم العربى بعد الحرب الثانية إلى اليوم .

مطبعة الرسالة
٣ شارع حسونه المقاول ، عابدين

تطور الصحافة العربية[1]

منذ صدورها إلى أوائل الحرب العالمية الثانية

---

(١) سيصدر بحث مستقل عن الصحافة العربية فى مائة عام .

وفيات الصحافة

مصطفى كامل	١٠ فبراير ١٩٠٨
على يوسف	٢٥ أكتوبر ١٩١٣
أمين الرافعى	٢٩ ديسمبر ١٩٢٧
عبد العزيز شاويش	٢٥ ينـاير ١٩٢٩
داود بركات	٥ نوفـبر ١٩٣٣
عبد القادر حمزة	٦ يونيه ١٩٤١
جبرائيل تقلا	٦ يوليو ١٩٤٣
أنطون الجميل	١٢ يناير ١٩٤٧
إبراهيم عبد القادر المازنى	١٢ يوليو ١٩٤٩
حافظ عوض	٢٩ ديسمبر ١٩٥٠
فارس نمر	١٧ ديسمبر ١٩٥١
محمود عزمى	٣ نوفبر ١١٥٤
محمد حسين هيكل	ديسمبر ١٩٥٦

الكتاب والصحف

عباس محمود العقاد :	١٩٢٣ — ١٩٢٩ البلاغ
	١٩٢٩ — ١٩٣١ كوكب الشرق
	١٩٣٢ — ١٩٣٤ الجهاد
	١٩٣٥ — روز اليوسف اليومية
	١٩٣٦ — الضياء
	١٩٣٧ — ١٩٣٨ البلاغ
	١٩٣٨ — الدستور
طه حسين :	١٩٢٢ — ١٩٢٦ السياسة
	١٩٢٥/٥ — الاتحاد
	١٩٢٧ — ١٩٢٨ السياسة
	١٩٣٣ — كوكب الشرق
	١٩٣٤ — الوادي
توفيق دياب :	١٩٢١ — ١٩٢٢ الأهرام
	١٩٢٢ — ١٩٢٦ السياسة
	١٩٣٠ — اليوم
	١٩٣١ — ١٩٤٧ الجهاد
إبراهيم عبد القادر المازني :	١٩٢١ — ١٩٢٦ الأخبار
	١٩٢٥ — الكشاف
	١٩٢٦ — الاتحاد
	١٩٣٠ — ١٩٣٣ السياسة
	١٩٣٤ — ١٩٥٠ البلاغ

١ — أبرز الصحف قبل الحرب العالمية الأولى

الأهرام — ٥ أغسطس ١٨٧٦ : دواد بركات — أنطون الجميل
المقطم — ١٨ إبريل ١٨٨٨ : فارس نمر — خليل ثابت
المؤيد — أول ديسمبر ١٨٨٩ : على يوسف
اللواء — ٢ ينـــاير ١٩٠٠ : مصطفى كامل — عبد العزيز شاويش
الجريدة — ٩ مارس ١٩٠٨ : (توقفت ٣٠ يوليو ١٩١٥) : أحمد لطفى السيد
العلم — أول مارس ١٩١٠ : (توقفت فى ٧ نوفبر ١٩١٢) : عبد العزيز شاويش
الشعب — ٢٠ ديسمبر ١٩١١ : (توقفت ٢٧ نوفبر ١٩١٤) : أمين الرافعى

٢ — أبرز الصحف ما بين الحربين (١٩ — ١٩٣٩)

الأخبار	:	أمين الرافعى	٢٢ فبراير ١٩٢٠
الكشكول	:	سليمان فوزى	٢٤ مايو ١٩٢١
السياسة	:	الدكتور هيكل	٣١ أكتوبر ١٩٢٢
البلاغ	:	عبد القادر حمزه	٢٥ يناير ١٩٢٣
كوكب الشرق	:	أحمد حافظ عوض	٢١ سبتمبر ١٩٢٤
روز اليوسف	:	محمد التابعى	١ ابريل ١٩٢٦
اليوم	:	توفيق دياب	٢١ يناير ١٩٣٠
الجهاد	:	توفيق دياب	١٧ سبتمبر ١٩٣١
آخر ساعة	:	محمد التابعى	١٤ يوليو ١٩٣٤
روز اليوسف اليومية	:	العقاد ومحمود عزمى	٢٥ مارس ١٩٣٦
المصرى	:	التابعى وكريم ثابت ومحمود أبو الفتح	١ يناير ١٩٣٦

وانا لنرجو أن نبذل أضعاف هذا الجهد من أجل دراسة مماثلة للصحافة السياسية فى العالم العربى كله من المحيط إلى الخليج لنكشف الصورة الحقيقية للفكر العربى من خلال هذا الجانب السياسى التى غلب عليه الزيف أحيانا ورسمت فيه بطولات خادعة وأقصيت بطولات صادقة مجاهدة .

واعتقد أن الدراسة التى نقدمها اليوم هى وثيقة تاريخية هامة فى سبيل الكشف عن الحقائق الفكرية والأدبية فى هذه الفترة مع الاعتراف بالجميل للدارسين الذين سبقوا على الطريق : الدكتور ابراهيم عبده والدكتور عبد اللطيف حمزة والفيكونت فيليب دى طرازى وأديب مروه .

والله الموفق ،

أنور الجندى

أغسطس ١٩٦٢
شارع الهرم

حامية ممتدة وليس شك كانت هناك صحافة : حرة وصحافة عمية ، وقد قاست الأولى وتعددت الثانية ، واضطرت تحت ضغط الوعى ، أن تجرى مع تيار الحرية ، وكانت الصحافة فى العالم العربى كله بعد الحرب العالمية الأولى صحافة حزبية ، مرتبطة بالأحزاب التى تحكم ، ولذلك لم تمش طويلا ، ولقد كان لابد لنا — جريا مع اتجاهنا فى مسح الحياة الأدبية والفكرية فى العالم العربى خلال هذه المرحلة أن نؤرخ للصحافة وأن نتناولها بالدراسة ، ممهدين لذلك بعرض سريع للقضايا التى يتناولها الصحافة العربية فى هذه الفترة كاطار للصورة الكبرى .

وقد عنينا فى هذا الكتاب عن « الصحافة السياسية فى مصر » دراسة هذه المرحلة الدقيقة من النضال منذ نشأتها حتى الحرب العالميه الثانيه ، وهى لا شك صورة لصحافه العالم العربى كله ، فقد تشابهت المشاكل والقضايا فى خلال فترتى الاحتلال والاستقلال الذاتى فى ظل النفوذ الأجنبى . وأرجئنا الدراسة المطولة عن صحافة العالم العربى كله فى هذه الفترة حتى تتيسر لنا المراجعة الوافية لصحف هذه الفترة فى أجزاء العالم العربى ودراسة تياراتها وأهدافها والقضايا التى تناولتها ، وهو جهد ضخم ، يتطلب جولة عريضة وسفراً طويلا ، قوامهما البحث والتفرغ ، وهو ما نرجو أن يعيننا الله عليه فى السنوات القادمة حتى نستكمل هذه الدراسة النافعة .

وأننا لنستطيع أن نتصور كيف يكون الجهد من أجل ذلك إذا ذكرنا أننا فى صدد دراسة هذه الحلقة عن الصحافة السياسية فى مصر ، قرأنا الوف الصفحات من عشرات الصحف . وأننا قرأنا قراءة استيعاب كاملة (جريدة الأهرام منذ عام ١٩٣٠ — ١٩٣٩) وأعددنا فهرسا موضوعيا للانتفاع به فى بحث هذه الفترة بلغ أكثر من ألف صفحة ، وإنا من أجل البحث عن صحف فترة (١٨٨٠ — ١٩٣٩) قد صعدنا إلى مكتبه دار الكتب بالقلعة يوميا لمدة عام كامل .

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

دراسة « الصحافة العربية » فى العالم العربى منذ نشأتها هى جزء من دراستنا للأدب العربى المعاصر .

فقد كانت الصحافة ولا شك عاملا هاما فى تطور الأدب خلال هذه المرحلة التى نؤرخها . وإليها يعزى ذلك التطور الخطير فى الأدب : من ناحيتى الأسلوب والمضمون ، فقد حررته من السجع والزخرف والأسهاب ، وأمدته بالموضوعية والقضايا وفتحت أمامه الآفاق ، فأذاعته ونشرته على نحو لم يكن يتحقق عن طريق الكتاب المطبوع ، وكان لها أثرها فى إبراز عدد من كبير من الأدباء لمعت أسماؤهم من طريق الصحف ، وكذلك كان للصحف أثرها فى معالجة وتطوير قضايا الفكر والسياسة والاجتماع والاقتصاد .

وقد ارتبطت الصحافة بالأدب والفكر إرتباطا بعيد المدى ، عميق الأثر فى التطور الثقافى الذى شهده العالم العربى خلال هذه المرحلة :

وكان للصحافة أثرها فى القضية الكبرى التى شغلت الأمة العربية فى هذه المرحلة ، وهى قضية الحرية والوحدة ومقاومة الاستعمار والاستبداد، وفى وضع قواعد الأساس للفكر العربى المعاصر ، وليس شك كانت الصحافة فى أول أمرها خادمة للحكام والولاة والنفوذ الأجنبى ، ولكنها استطاعت أن تفلت وأن تقوم بأيدى الأحرار ، وأن تحتمل الظلم والاضطهاد وأن تسقط لتقوم مرة أخرى ، فى معركة

بين التبعية والحرية

كانت الصحافة العربية فنا جديدا من فنون الفكر والإعلام الجديدة التى عرفها العالم العربى فى العصر الحديث :

وقد مرت الصحافة العربية منذ نشوئها إلى الحرب العالمية الثانية فى ثلاث مراحل (١) صحف صدرت فى عهد العثمانيين (٢) صحف صدرت فى عهد الحماية البريطانية أو الفرنسية (٣) صحف صدرت فى عهد الاستقلال .

وقد كانت تمثل ثلاث جبهات :

(١) صحف موالية للحاكم (٢) صحف موالية للاستعمار (٣) صحف وطنية

وقد عاشت الصحف الموالية للحكام وللاستعمار — وهى ما أطلق عليها « الصحف المحايدة » أو المعتدلة أو « المستقلة » — واستطاعت أن تسيطر وتستمر وتنمو ، بينما قاست الصحف الوطنية : الاضطهاد والمصادرة والالغاء وواجه محرروها السجن والنفى والاضطهاد .

وقد فرضت فى كل بلاد العالم العربى القوانين المصادرة للحريات .

وكان الحكم العثمانى يقاوم كلمات : الحرية والشورى والاغتيال ويمنع الحديث عن القومية العربية .

وفى عهد الحماية قاوم الاستعمار دعوة الاستقلال والحرية ، وحاول بث آرائه ومذاهبه فى التغريب والتجزئة والانفصال وإذاعة الدعوات المتضاربة لخلق جو من البلبلة والقلق ، وفى عهد الاستقلال تابعت الحكومات الموالية للاحتلال سياسته التى رسمها ، وفى ظل عهود الاستقلال عملت الصحف لحساب الاحزاب وكانت الحكومات تؤيد الصحافة الموالية لها وتقاوم الصحف المعارضة .

وكان للاستعمار صحافته الموالية له فى مختلف أنحاء العالم العربى وكتـّابه الذين دأبوا على نشر نظريات الولاء للاستعمار ومحاولة خلق صداقة معه ونشر كلمات: الاعتدال والحيـاد والتجزئة ، وتأييد نزعات الفرعونية فى مصر والأشورية فى العراق والفينيقية فى لبنان والبربرية فى المغرب .

كما أيدت الصحف المحايدة المعتدلة الموالية للاستعمار نظرياته فى التعليم وجعله وسيلة لتخريج الموظفين وتحريمه على الطبقات الفقيرة ، والدعوة إلى اللغة العامية واللهجات المحلية ، وتمجيد الآثار والحفريات المرتبطة بالحضارات البائدة والتاريخ الاقليمى ودعمه ومحاربة اللغة العربية من أطراف خفية ومحاولة بلبلة الخواطر بنظريات متعددة كالمحلية والإسلامية والعربية والشرقية . وتمجيد آراء الغرب وكتابه وزعمائه وثقافته ، والتهوين من أمجاد العرب والإسلام واللغة العربية والتاريخ والتشكيك فى هذا التراث عن طريق إذاعة النظريات العلمية المتعصبة وإثارة أسباب الخلاف المذهبى بين الطوائف المختلفة للدين الواحد (السنة والشيعة فى العراق) وبين الأديان المختلفة (المسلمون والنصارى فى مصر) ثم بين المذاهب المختلفة (البربر والعرب فى المغرب) .

وقد استخدم الاستعمار بعض الانتهازيين فى العمل الصحفى ووجههم إلى خدمة نظرياته وأهدافه وأمدهم بالمساعدات السخية واصطنع كتاباً معدومى الضمير وأبرزهم وسلط عليهم الأضواء ، فمضوا يتلونون مع كل عهد وظرف ويحتفظون بهدفهم الأساسى خفياً وراء مظاهر الوطنيه والدعوة إلى الحرية . كما أغرى الاستعمار الكتاب الأحرار بالمال وأرهبهم وهددهم بالقتل ليحطم تصميمهم أو يشترى كراماتهم أو يبعدهم عن الصحف بالحبس والتشريد والمصادره .

* * *

غير أن الصحافة العربية استطاعت رغم هذه القيود أن تشق طريقها إلى هدف

الحرية والدستور والوحدة ووضع أسس جديدة ؛ سياسة اجتماعية للحياة الفكرية في العالم العربي .

واستطاعت الصحف في فترات الحرية أن تقاوم الاستعمار ومذاهبه ودعواته وأن تؤيد الحرية ، وأن تكشف عن كثير من آثام الاحتلال وأن تعالج مشاكل الأقطار التي تصدر فيها ، وكلها مشاكل متضاربة تتعلق بالسياسة والمجتمع واللغة العربية وبالتعليم والنزعات الاقليمية والتفرقة الجنسية والبغاء ؛ كما استطاعت الصحافة أن تتطور من البدائية إلى الطباعة الفنية ، وتحولت من الاحجام الصغيرة إلى الأحجام الكبيرة ، وتطورت من صحافة الرأى إلى صحافة الصورة والخبر وتحولت المقالات من الصفحات المطولة إلى الأعمدة وأنصافها ومن البلاغيات والزخارف اللفظية والاسهاب إلى الأسلوب التلغرافي والبعد عن المقدمات .

وكانت الصحافة المصرية في مقدمة الصحف العربية وأكثرها توزيعاً في العالم العربي . وقد حملت لواء خدمة كل الدعوات التي عرفت في الشرق من حرية ووطنية ودستور وقومية عربية وجامعة إسلامية وتجزئة دعوات الفرعونية والصهيونية .

وكانت الصحافة المصريه تحت سيطرة الاستعمار البريطاني منذ سنة ١٨٨٢ حتى عام ١٩٢١ ثم وقعت في ظل الحكم الدستورى تحت سيطرة الوزارات المتوالية التي كانت تصادر الصحف المعارضة وتحاكم محرريها .

وقد نعمت الصحافة اللبنانية بحرية واسعة بالنسبة لصحف سوريا التي كانت خاضعة للمكتوبجى (الرقيب العثمانى) ثم خضعت الصحافة في سوريا بعد الحرب إلى سلطة الاستعمار الفرنسي ، وكان الفرنسيون يعطلون كل صحيفة لها طابع وطني أو عربي أو مناهضة للانتداب .

وفي العراق : ظلت الصحافة خاضعة لأحكام قانون المطبوعات العثماني حتى

سنة ١٩٣١ ، ولقيت الصحافة فى العراق ما لقيت الصحافة فى مصر من تعطيل واضطهاد ومحاكمة ، وقاوم نورى السعيد طوال فترات حكمة الصحافة الوطنية وعطلها وحاكم محرريها .

وقد صدرت أوائل الصحف فى العالم العربى على الترتيب التالى :

عام ١٨٢٨	صدرت	الوقائع المصرية	(مصر)
عام ١٨٤٧	»	المبشر	(الجزائر)
عام ١٨٥٨	»	حديقة الأخبار	(لبنان)
عام ١٨٦٠	»	الرائد التونسى	(تونس)
عام ١٨٦٥	»	سورية	(سورية)
عام ١٨٦٦	»	طرابلس الغرب	(ليبيا)
عام ١٨٦٩	»	الزوراء	(العراق)
عام ١٨٧٩	»	صنعاء	(اليمن)
عام ١٨٨٩	»	المغرب	(مراكش)
عام ١٨٩٩	»	الغازيتة السودانية	(السودان)
عام ١٩٠٨	»	حجاز	(الحجاز)

ومعظم هذه الصحف الأولى كانت صحفاً رسمية أميرية ، ثم ظهرت بعد ذلك صحف يملكها أفراد ، وانقسمت الصحف بين صحف الدولة والصحف المحايدة وصحف الرأى ، وقد مثلت الصحف فى أول الأمر اتجاهات وتيارات مختلفة ثم لم تلبث بعد أن أعلن الحكم الذاتى فى كل دولة أن ارتبطت بالأحزاب السياسية .

وقد واجهت الصحافة العربية مسائل هامة كبرى مواجهة متشابهة :



(١) الاستبداد العثمانى (٢) الاحتلال والنفوذ الأجنبى

(٣) الدستور والحياة النيابية والأحزاب

(٤) المفاوضات فى سبيل الاستقلال

(٥) قضايا البناء الاجتماعى والاقتصادى والفكرى للدولة .

وفى المغرب العربى: ليبيا وتونس ومراكش والجزائر قاست الصحافة طويلا من سيطرة الاستعمار على كل ما يتصل بالفكر ولم تستطع أن تشق طريقها إلا بعسر شديد .

وفى أمريكا قامت صحافة عربية كانت حرة استطاعت أن تعبر عن آمال الشرق والأمة ، واكتسبت ميزات الصحافة الأمريكية — كما يقول جرجى زيدان — من حيث طرق الإعلان وأساليب التركيب والتعبير وترتيب الأبواب والعناوين كذكرهم خلاصة المقالة فى صدرها بصيغة المضارع .

وقد صدرت أول صحيفة فى المهجر (كوكب أمريكا) فى نيويورك سنة ١٨٩١ يحررها نجيب عربيلى . وصدرت صحف عربية فى الولايات المتحدة والمكسيك والبرازيل وكولومبيا والارجنتين وقد بلغت خمسين صحيفة بينها صحف يومية فى ٨ صفحات كبيرة .

وقد ربطت الصحافة المهجرية بين الجاليات العربية بها وبين الوطن العربى وحملت لواء أدب المهجر وطابع الحرية وحب الوطن وإيقاظ الروح القومية .

كما صدرت صحف عربية متعددة خارج العالم العربى : فأصدر رزق الله حسون (مرآة الأحوال) فى انجلترا ١٨٧٦ تندد فيها بمبادىء السلطنة العثمانية وعمل معه جبرائيل دلال وأمين الشميل وعبد الله مراش وخليل غانم وكانت دعوتهم هى إعادة الخلافة إلى العرب .

كما صدرت صحف عربية أخرى فى فرنسا وإيطاليا .

الصحافة العربية فى سورية

لم يكن الصحافة فى سوريه فى الدرجة الأولى بالنسبة للصحف التى إنشأها السوريون فى مصر وتونس وأوربا والاستانة . فقد بدأت فى الشام عام ١٨٦٥ وكان للرقابة العثمانية أثرها فى ضغط الصحافة وعدم ازدهارها ، وكان عبد الرحمن الكواكبى مثلا عاليا من أمثلة الصحفيين الأحرار الذين قاسوا الاضطهاد وصودرت صحفهم واحده بعد الأخرى .

ومع ذلك فإن الصحافة السوريه هى التى حملت بذور دعوات الحرية والوحدة، وكان لمدحت باشا فى سوريا أثره فى إطلاق الدعوة إلى الحرية وتشجيع التعليم والدعوة إلى إقامة الحكم على أساس دستورى .

وقد صور كرد على (ج ٤ — ص ٩٠ — خطط الشام) كيف عرفت الحكومات التى أستولت على سوريا منذ نشأة الصحافة الشامية أن تستفيد من هذه القوة، فكانت « تحتال فى أول دور أن تشرف صاحب الجريدة برتبه لها ووسام ومن خالف الصدع بأمرها تكسر قلمه وتشرده وتسجنه وتنزل به غضبها

فلما جاءت الحكومات المتمدنه جمعت بين الرغبة والرهبة والعطاء والمنع ، ولم تخل الشام فى كل دور من أناس باعوا فى خدمة القوة ضمائرهم » وقال كرد على : أن الاستعمار قد سمح فى التوسع بانشاء الصحف ليثير البلبلة وأقلاق الخواطر وتوزيع الأفكار فى جهات متعددة — كما فعل الاستعمار البريطانى فى مصر — ومن ذلك كان فى سوريا مائه صحيفة .

وأشار كرد على إلى أن ذلك دفع الكثيرين إلى التجرؤ على أصدار الصحف بدون حساب وكانت العامة اجرأ من الخاصة ، مما خلق جوا من اشمئزاز الناس منها إذ توهموها آلة للتكسب والتدجيل لا أداة للارشاد والتنوير .

ومن أجل هذا إجتوت الأمة الصحافة لمارأت من ضعف بعض أدعيائها في أخلاقهم ومعارفهم ١٠.هـ

* * *

ومما يتصل بتطور الصحافه فى الشام أنه لا يمكن الفصل بين صحافة دمشق وصحافة بيروت ألا بعد الحرب العالمية الأولى ، فقد خرّجت الشام أصحاب الأهرام والمقطم والهلال والمنار ، كما تأثر كثير من صحفيو الشام (سوريا ولبنان) فى هذه الفترة بالثورة الفرنسية: كفرنسيس مراش ورزق الله حسون وأديب اسحق والكواكبي وشبلى شميل وفرح انطون وأمين الريحانى ومن ذلك قول أديب اسحق :

ايتها الحرية : ياممصدر كل أمر جليل على الأرض ، لقد علمنا أنه لا نجاح بدونك ، ولا سعادة على البعد عنك . فأن الأمة الحرة تكون كفرس غير مقيد يسير رافعا رأسه ويستنشق ملء صدره الهواء النقى ويسرح فى المرعى النضير . أما الشعب المستعبد فهو كفرس مستعبد يدور حول الرحى منخفض العينين يسير السنة بتمامها ولا ينتقل من مكانه .

وكانت الصحافة السورية قبل الحرب العالمية الأولى تلاقى قسوة العثمانيين فالاتحاديين الذين كانوا يحولون بين الصحافة وبين الكشف عن أخطاءهم وبث دعوة الحرية للعرب ، ثم واجهت قسوة الاستعمار الفرنسى الذى كان حريصا على التجزئة والاقليمية والقضاء على اللغة والتراث العربى والتاريخ وبث مفاهيم الصداقة الفرنسية ونظريات البحر الأبيض المتوسط والفنيقية ،ولذلك قاوم الحكم السورى فى المهدين كل قلم حر ، غير أن الصحافة السوريه لم تلبث أن شقت طريقها بعد أعلان الاستقلال إلى دعوة الحريه والوحدة وتصحيح المفاهيم الفكرية والسياسية والاجتماعية وبحثت الصحف هذه القضايا .



وكشفت الصحف السورية فى هذه الفترة عن القوة الوطنية الحقيقية : «لا قوة حقيقية لبلادنا إلا بطبقة التحرر الوطنى ، لأنها الطبقة الوطنية الحقيقية الوحيدة ، فليست هى عدوة الاستعمار وحده ، وإنما هى عدوة الرجعية الاجتماعية ، أفظع جرثومة تفتك بكيان وطننا المجاهد[1] ».

كما صورت المفهوم الحقيقى لعبارة « التطرف والاعتدال» التى أذاعها الاستعمار وأدعى أنها كلمة شريفة : قال : التطرف والاعتدال كلمتان سياستان تبعث بهما فئتان من أبناء البلاد . أما فئة المتطرفين فكانت فى تعريف رجال الانتداب فئة طائشة تقود الشعب إلى هلاكه بإثارة حماسه ؛ وكانت بحسب لغة الشعب فئة الزعماء الاشداء الذين عجز الاجنبى من استلانة عودهم وغمز جانبهم . أما فئة المعتدلين فكانت بحسب لغة رجال الانتداب تضم من الناس من يقدرون ضعف أمتهم وقوة الدولة المنتدبة عليها، لايغررون فى سبيل أمانة طائشة ومبادىء ثقيلة لم تخلق لها . أما فئة المعتدلين بلغة الشعب فهى فئة الرجعيين مطايا المستعمرين الذين ذلت نفوسهم فرغوا على الاعتاب جباههم واراقوا ماء كرامتهم فى سبيل كرسى وراتب ونخامة[2] .

وعرضت صحف سوريا لفكرة «الاقليات» التى اثارها الاستعمار : قال: وضعت لفظة (أقليات) فى هذا العصر لتكون وسيلة يتذرع بها المسيطر على شعب صغير ليستعبده بحجة انسانية ، فيدعى أنه وجد على رأس هذا الشعب ليمنع التعدى من مجموعه على بعض أفراد يسكنون عنده من شعب آخر حجة لم يرد بها شرع الهى ولا قانون وضعى[3]

(١) جريدة الجزيرة : ١٨ نيسان ١٩٣٦ .
(٢) نفس المصدر : ٢٤ نيسان ١٩٣٦ .
(١) الجزيرة — ٢٧ نيسان ١٩٣٦ .

وفى حلب قامت صحافة منذ منتصف القرن التاسع عشر : وأول جريدة رسمية صدرت بها هى (غدير الفرات — ١٨٦٧) ثم صدرت باسم الفرات ، أسسها المؤرخ أحمد جودت عند ما كان واليا على حلب ، وكان يحرر المقالات الرئيسة فتعرض لسياسة الدولة واتجاهاتها فى الاصلاح، وقد رأس تحريرها : عبدالرحمن الكواكبى وكامل الغزى ومحمد الحنيفى ، وظلت تصدر حتى عام ١٩١١ وأصدر هاشم العطار عام ١٨٧٧ جريدة الشهباء بالاشتراك مع الكواكبى وكان من محرريها مخائيل الصقال وصدر الأمر باغلاقها فى العدد الثانى . وأصدر الكواكبى جريدة أخرى باسم (الاعتدال) .

كما صدرت صحف : حلب الشهباء (نافع طلس) وصدى الشهداء (حكمت ناظم وكامل الغزى) والتقدم (شكرى كنيدر) والخطيب (عبد القادرجنباز) والشعب (ليون حمص) .

الصحافة العربية فى لبنان

كان للبنان دورها الهام فى الصحافة — ليس فقط فى لبنان بل وفى مصر أيضاً وبعض بلاد العالم العربى . فقد هاجر عدد كبير من كتابه تحت ضغط تقييد السلطات إلى القاهرة — كما أنشأ اللبنانيون صحفا فى أمريكا والبرازيل وباريس ، وقد عرف لبنان بأنه أكثر بلاد العالم العربى إقبالا على قراءة الصحف مما أدى إلى إنتشارها وإزدياد عددها، وفى بيروت وحدها أربعون جريدة ومجلة .

كما كانت المرأة اللبنانية أول المنشئات للصحف النسائية فى العالم العربى وكانت «هند نوفل» أول لبنانة أنشئت بالاسكندرية مجلة (الفتاة) ١٨٩٢ وغلب على الصحافة اللبنانية الطابع العلمى : حررها أمثال البستانى وسركيس واليازجى وصروف وزيدان وشميل .



وقد حملت الصحافة اللبنانية لواء مقاومة السلطة العثمانية ، ومثلت الصحف اللبنانية مختلف الطوائف الدينية ، وأخذت كل طائفة تنافس الأخرى، وتدافع عن مصالحها وغلب عليها الطابع الطائفى المذهبى ، ثم تحولت إلى جرائد وطنية جامعة وأن لم تتحرر من صبغتها الطائفية ، وفى سبيل مقاومة السلطنة العثمانية حملت الصحافة اللبنانية لواء الدعوة إلى القومية العربية .

وقد صور الصحافة اللبنانية جورج إسكاف فى كتابه (نحو لبنان أفضل) فقال أن الصحافة فى لبنان على صورة السياسيين وعلى صورة المجتمع لا تزال تخضع لمشيئة أفراد ، تتكيف بأهوائهم ونزواتهم وعواطفهم ، وقال محيى الدين النصولى : أن إنعدام الأحزاب فى لبنان بالمعنى الأوربى والأمريكى قد جعل الصحافة اللبنانية خاضعة لأهواء أصحابها .

وقال النصولى : إذا سألتنى : هل لهذه الصحف عقائد ثابتة تدافع عنها لترددت فى الجواب ؛ ذلك لأن الصحف اللبنانية يملكها أفراد يسيرونها حسب أهوائهم فنها الرصين وهذه قلة ، ومنها ما يندفع فى ضوء المصلحة الخاصة أو حسب الظروف أو تعصف به الشهوات » .

* * *

وقد تطورت الصحافة اللبنانية كما تطورت الصحافة المصرية : فكانت فى أول أمرها تحمل الأخبار والأوامر الرسمية وشئون التجارة والدواوين ، ثم تحولت إلى النقد السياسى والاجتماعى .

وكان أسلوبها فى أول الأمر ركيكا، وكان لفارس الشدياق وابراهيم اليازجى أثرهما فى تطوير لغة الجرائد وتصحيح تعبيراتها ، وكانت الصحف تصدر بالعربية والتركية ثم صدرت بالعربية والفرنسية وأدخلت التعبيرات الجديدة مكان الكلمات الأجنبية .

وكان محررو الصحف فى أول الأمر كتاب بلغاء وليسوا صحفيين بمفهوم الحصول على الاخبار .

وكان أول قانون للصحافة قد أصدرته السلطة العثمانية ١٨٦٤ ثم صدر القانون العثمانى ١٩٠٩ . وقد منعت السلطة العثمانية نشر أبحاث مطولة يكتب تحتها « يتبع » أو وضع نقاط بين الكلمات وقالت أن ذلك « مما يسبب التشويش ويترك المجال للتأويلات والافتراضات » كما منع نشر ظلامات الأفراد وحوادث الاغتيال كما حرمت كلمتى « دستور أو شورى » .

الصحافة العراقية

واجهت الصحافة العراقية — كما واجهت الصحافة الشامية — ثلاثة مراحل :

١ — فى ظل السلطان العثمانى .

٢ — فى ظل الحماية البريطانية .

٣ — فى ظل الاستقلال .

وقد قاست الصحف الوطنية منها فى الأطوار الثلاث قيود السلطات الحاكمة التى حالت دون دعوتى الحرية والوحدة .

كانت « الزوراء » الرسمية ، التى أصدرها مدحت باشا حاكم العراق (١٥ حزيران ١٨٦٩) هى أول صحيفة — وقد اشترك فيها الزهاوى والرصافى ، ثم صدرت صحف الموصل والبصرة . وفى عام ١٩٠٨ (٢٣ تموز) بعد صدور الدستور العثمانى صدرت ٥٠ صحيفة فى العراق فى خلال ثلاث سنوات ، بينما لم يكن فى العراق قبل إعلان الدستور غير ثلاث صحف كانت تنشرها الحكومة العثمانية باللغتين التركية والعربية

مرة كل أسبوع فى: البصرة وبغداد والموصل . ثم عاد الاتحاديون إلى تكميم الأفواه.

وعندما أصدر ابراهيم حلمى العمر ومزاحم الباجهجى عام ١٩١٣ جريدة النهضة لسانا للقومية العربية عطلتها الحكومة العثمانية ، وبعد الاحتلال البريطانى ١٩١٧ أصدر الانجليز فى العراق جريدة العرب باشراف « جون فيلبى » صدرت فى ٤ تموز ١٩١٧ باللغة العربية وقد نشرت الدعوة البريطانية إلى إذاعة فضل البيت الهاشمى بزعامة الملك حسين بن على وبيانات قيادة جيش الاحتلال التى كانت تواصل الزحف فى الأراضى العراقية ، وكان يحررها — على حد تعبير روفائيل بطى فى كتابه الصحافة فى العراق — نخبة من رجال العلم والأدب : ألفت قلوبهم سلطة الاحتلال وأغرتهم بأنها جريدتهم لبث الفكرة العربية وخدمة اللغة وتثقيف الشعب وأجزلت لهم أجور الكتابة، وقد حرر فيها شكرى الفضيلى وكاظم الدجيلى ومحمد مهدى البصير وعطا أمين ونجيب الأرمنازى ونشر فيها جميل الزهاوى بعض شعره .

وعندما تألفت الحكومة العربية فى عهد الانتداب فى ٢٣ آب ١٩٢١ أقبل الناس على إصدار الصحف ، فصدرت صحف مواليه (تساير كل وزارة) وصحف حزبيه تؤيد حزبا معينا وصحف شخصية (تؤيد بعض الأشخاص) .

وأصدرت الحكومات الموالية للاستعمار فى عهد الانتداب قوانين المطبوعات المضيقة للحريات على نفس النسق المعروف فى مصر وسوريا .

وفى خلال ١٩١٥ — ١٩٢٠ (عهد الإحتلال) أصدرت بريطانيا ثمانية صحف فى السليمانية والبصرة وكركوك والموصل وبغداد .

* * *

ويتميز العراق بصدور صحف أبان ثورته سنة ١٩٢٠ وهو ما لم يحدث فى مصر ١٩١٩ وكانت أهم هذه الصحف: جريده الاستقلال التى صدرت فى ٢٨

إيلول ١٩٢٠ : جريدة يومية عربية حرة سجلت خطتها فى أول عدد فقالت :

« الاستقلال » منشور وطنى حر يخدم أفكار العرب عامة والعراقيين خاصة ويدافع عما يدافعون ويطلب ما يطلبون ولا يبالى إذا ما انزعج منه الخائنون . لا ينتسب إلا إلى الوطنية الصادقة ، ولا يتكلم إلا بما يطابق أفكار الشعب ، وقد جمل خطته : الاعتدال والتبسط فى حالتى العسر واليسر ومعالجة القضايا الوطنية وإعداد الشعب للاستقلال . وقد ردت « الاستقلال » على أراجيف صحف الخارج ضد ثورة العراق التى حاولت بريطانيا أن تشوه صورتها ، كما دعت إلى التسامح والأخاء بين أهل العراق على إختلاف أديانهم وعقائدهم وتوثيق عرى الاتحاد الوطنى وطالبت باطلاق حرية الاجتماعات وإصدار العفو العام عن المسجونين ورفع الإدارة العسكرية والمحاكم العسكرية .

وكان يحررها : محمد المهدى البصير وقاسم العلوى وقد عطلت سلطات الاحتلال هذه الصحيفة وسجنت مديرها وعدد من كتابها .

× كما صدرت فى النجف الاشرف أبان الثورة « صحفية الفرات » يحررها باقر الشبيبى فى ١٥ أيلول ١٩٢٠ التى وصفت نفسها بأنها لسان حال الثوار وقد عنيت بشرح تعاليم الحركة الاستقلالية وعرفت بلهجتها العنيفة وقد سجلت خطب الثورة وتعليمات الحركة ومواقع القتال ؛ ومما جاء فيها :

أن الوطن الذى ألزم كل فرد منكم بالدفاع عنه يلزمكم أن تراعوا الشروط الآتية : يجب على كل رئيس قبيلة أن يفهم كافة أفردها بأن المقصود من النهضة هو (١) طلب الاستقلال التام (٢) ان يهتف بالاستقلال كل من فى ميادين القتال (٣) التمسك بالنظام وتدبير الحركات ومنع الاعتداءات فلا نهب ولا سلب ولا ضغائن ولا أحقاد (٤) الاعتناء بالاسرى والمحافظة على الرصاص وحفظ الذخيرة (٥) ارفعوا

بحرص خصومكم الساقطين فى الحرب (٦) حافظوا على المستشفيات فلا تهدموا محلات الحكومة (٧) إذا أسقطتم مدينة أوقرية فالواجب ترتيب حكومتها المؤقتة».

وكان لهذه الصحف دورها فى تغذية الشعور الوطنى بنشر وقائع الثوار العراقيين وتذيع التعاليم إليهم وتنقل الخطب والكلمات الثورية مما اضطر الانجليز تحت ضغط المد الثورى أن يستجيبوا لبعض مطالب الشعب وتأليف الحكومة العراقية .

* * *

وظلت الصحافة العراقية طوال السنوات العشر الأولى من الحكم الوطنى خاضعة لقانون المطبوعات العثمانى الصادر ١٩٠٩ وفى عام ١٩٣١ أصدر نورى السعيد قانونا عراقيا للمطبوعات ، أغلب موارد مستقاه من القانون القديم .

ثم عدل هذا القانون تحت تأثير المعارضة عام ١٩٣٢ ثم ألغى عام ١٩٣٣ فى عهد حكومة رشيد الكيلانى . وقام القانون الجديد ، الذى لم يلبث أن ألغى فى عهد جميل المدفعى عام ١٩٣٤ .

وقد أعطت كل هذه القوانين الحق لمجلس الوزراء أو وزير الداخلية فى تعطيل الصحف أو الغائها أو مصادرتها ، كما اعتبرت المطبعة أداة جريمة يمكن مصادرتها .

وقد أدت الصحافة العراقية دوراً هاما فى الحركة الوطنية والتوجيه الشعبى ، وكانت لها مواقف شريفة فى أحلك الأوقات ، وفى مقدمة ذلك جريدة «الأهالى» كبرى الصحف العراقية التى عطلت وقدم محررها للمحاكمة عدة مرات ووصفها روفائيل بطى بأنها ربت جيلا من الشباب .

وبالرغم من هذا فان المؤرخون يشهدون بأن الصحافة العراقية لم يتح لها المجال لكى تقوم برسالتها على الوجه الصحيح كما أتيح للصحافة اللبنانية مثلا ، التى لعبت دوراً هاما فى إصلاح اللغة العربية .

وقد نشرت الأهرام نقلا عن جريدة الثبات (فى بغداد ١/٢/١٩٣٢) تحت عنوان «الصحافة العراقية وما تعانيه من إرهاق»: يؤلمنا جدا أن نرى الوزارة (وزارة نورى السعيد) تطارد الصحف الوطنية دون ماذنب سوى اصاختها لنداء الضمير واتباعها لصوت الواجب . فهى منذ أن تبوأت مقاعد الحكم فى البلاد أخذت تطارد هاته الصحف فعدلت قانون المطبوعات العثمانى الذى ضج العراق من مادته الثالثة عشرة المعدلة بقانون جديد أحكم أصفاد الصحافة واغلالها به ، بواسطة أن يقضى على الصحف المعارضة بجرة قلم من وزير» .

وترجع الأزمة الصحفية فى العراق إلى نفس العوامل فى العالم العربى :

× استغل الناصبون من لا كفاية لهم وشجعوهم على الاشتغال بالصحافة

× قامت الصحافة على عاتق الأفراد .

وسيطر على الصحافة العراقية ما سمى (١) « مزاج السلطات الحكومية »
(٢) ظهور الصحف اليومية وكأنها مطبوعة فى مطبعة واحدة ومحرره بقلم واحد
(٣) طغيان الصحافة الأدبية وسيطرتها على السوق العراقية .

قدصورالدكتور زكى مبارك الصحافة العراقية (١٤ ابريل ١٩٤١ — الرسالة) بأنهاترزح تحت أثقالمن القيود بسببالعواصف السياسية ، وان الصحافة الحزبية فى العراق سياسية ليس ممها زاد على أو أدنى وانها تغلب عليها (١) الأخبار الرسمية (٢) وتوحيد الجهود للجانب السياسى (٣) محاكاة الصحافة المصرية ؛ وقال مبارك : لو أن صحافة العراق جملت أحوال المجتمع العراقى همها الأصيل لكان لها من ذلك نتائج طيبة .

* * *

وقد أتيح للصحافة العراقية فى بعض الفترات أن تعرض لكثيرمن المشاكل

فتحدثت جريدة الزمان (٤ تموز ١٩٣٨) عن «الوصوليون» : ووصف ظهورهم بأنه نتيجة لطغيان الاستعمار المادى ، قالت : الحزبية فى الدول الناهضة مبدأ وفكرة ، يتخذ كل حزب مبدأه وطريقته فى العمل لغايته المنشودة ، فينسى كل من ينتسب إلى حزب من الأحزاب ليذوب فى عمل الحزب وتذوب منفعته الشخصية فى للنفعة العامة ·

ثم قال : إن مفهومنا للحزبية غير مفهوم تلك الدول ، فقد تأسست فى هذه البلاد أحزاب وأحزاب، منذ تأسيس الحكم الوطنى إلى اليوم، فأين تلك الأحزاب وأين مبادئهم التى أعلنوها · أحزاب خلق أكثرها أنانيات جامحة ، صيحات فى الوطنية ، لحماس شديد فنظام عتيد وصحف طنانة ، فلف ودوران فمحادثات ومفاوضات فإذا برجال الحزب قد تسلموا مقاليد الحكم واقرأ على ذلك الحزب سورة الفاتحة ·

٢ — وقالت جريدة الزمان العراقية فى ٨ تموز ١٩٣٨ :

لقد ابتلى هذا البلد من جملة ما ابتلى به بطبقة من الناس خلقتهم الظروف الشاذة المختلفة التى درجت على هذه البلاد فبوأتهم منازل ومناصب هم دونها بكثير . ولكن الطرق المختلفة التى سلكوها وضروب المحسوبية والزلفى والنفاق والتمرغ على الأعتاب رفعهم إلى حيث غدوا يمنون على الناس بمظاهرهم المزيفة خيلاء وعجرفة ويتسامون إلى أن يجعلوا أنفسهم أولياء النعمة على الناس .

وقالت جريدة الزمان عن « التعليم » : ان سياسة التعليم فى البلاد كانت منحطة حتى الآن، وان مناهجها لم يأتنا بالغايات المطلوبة والنتائج المنشودة .

وقالت : إن الوضع المؤسف الذى لابس حياتنا الوطنية منذ بضعة أعوام هو وقفتنا حيارى نلتمس طريقا نسير عليه بين مواكب الأمم المسرعة نحو اهدافها العليا

وتحدثت جريدة الزمان عن « الإصلاح » فقالت : إذا كنا نريد اصلاحا رصين الأساس قوى الدعائم يسير سيراً مطرداً نحو غايتنا السامية فى الحياة فيجب أن نكـوّن عقيدتنا الاجتماعية أولا، ونغرسها فى الأنفس، حتى إذا ما اقتحمناميدان الإصلاح وقامت بوجوهنا الصعاب ذللناها بسواعد المؤمنين بمبادئنا، القانعين باحقيتها المستبسلين فى سبيل تحقيقها . ثم قالت : كان لفقدان القيادة بل الزعامة الصالحة أثرها الفعال فيما ساد مجتمعنا من فوضى العقائد ، وكذلك للفردية وما اكتنفها من إحساسات وعواطف هى والمصلحة القومية على طرفى نقيض .

وقالت جريدة الزمان (١٣ آب ١٩٣٨) ان مناهج التربية والتعليم فى بلادنا تساير الأساليب المتبعة فى الخارج أكثر مما تساير ظروفنا وتستهدف تطمين أغراضنا القومية.

لذلك نرى أنها عجزت عن مكافحة الأمية رغم ما صرف من أموال طائلة فى سبيلها طيلة ١٧ سنة مضت من الحكم الوطنى . وعدا ذلك نرى محيط المدرسة غير صالح لايجاد الجيل الذى تنتظره البلاد ، لأننا لا نجد فيه ما يساعد اعلاء وحدة الاعتقاد فى الناشئة ، ونرى المدرسة أمست سببا لرواج الآراء المتناقضة الضارة والنافعه جنبا إلى جنب ، وإلى حصول حالة بين الناشئة سيئة العواقب ورغبة ملحة فى الحصول على الوظيفة .

وتحدثت جريدة الزمان : عن مشكلة البغاء (٢٠ آب ١٩٣٨) قالت : لابد للحكومة المصلحة من رفع عار البغاء عن البلاد لأن البغاء لا يفتك بالأخلاق فقط ، وإنما يفتك بالصحة ويوجد نوعا من الاسترقاق لفريق من بنات الهوى .

* * *

ومن هذه النماذج نرى أن صحف العراق تعالج فى هذه الفترة نفس المشاكل التى كانت تقاسيها مصر وسورية والمغرب .

غير أن الصحف العراقية تمتاز فى هذه الفترة بالحديث عن الوحدة العربية وتحرير كافة اجراء الوطن العربى من القيود الأجنبية وببحث وسائل الوحدة العربية الكبرى : وقالت : نحن نقول بوحدة الجزيرة العربية والهلال الخصيب أولا :

وقد تحدثت جريدة الزمان عن مهمة الصحافة فقالت: انها اذ اندفعت وراء المصالح الخاصة وراحت تتقرب إلى هذه الجهة أو تلك ، تكون بذلك قد داست أمانتها بالأقدام فيما تخلقه أقلامها من قلق وتشويش فى الرأى العام وتبلبل وتزعزع فى الثقة والخواطر .

الصحافة العربية فى السودان

ظهرت الصحافة السودانية عام ١٩٠٣ بصدور جريدة السودان التى أنشأها «المقطم» فى الخرطوم وقام بتحريرها خليل ثابت ولبيب الجريديني ؛ كانت تحرر بالعربية والانجليزية وكانت «صورة[1]» ثانية للمقطم فى تحريره وامتداداً لنظريته السياسية مصطبغة بالصبغة المحلية مطبوعة بالطابع الاقليمى مع الاهتمام بالشئون الاقتصادية وقد توقفت سنة ١٩٢٥ .

ثم أصدر (أسمديس) ١٩٠٩ جريدة الخرطوم . ثم صدرت ١٩١٩ «حضارة السودان» شركة مساهمة من الميرغنى والمهدى ويوسف الهندى .

ثم صدرت (رائد السودان) حسن شريف ١٩٢٢ . ثم كانت أول جريدة يومية هى (النيل) صدرت ١٩٣٤ رأس تحريرها حسن صبحى المصرى بالاشتراك مع يوسف هاشم ثم توالت صحف : صوت السودان والاشقاء والأمة والسودان والصراحة والمستقبل والشعب والتلغراف والأسبوع :

---

(١) مجلة الشباب (مجلد ١٩٣٦) : حسين منصور .

وقد أبرزت الصحافة السودانية أسماء عديد من الصحفيين : والـكتاب أحمد يوسف هاشم ومحمد عشرى الصديق ومحمود الفضلى ومحمد أحمد محجوب .

وكان لصحف : النيل والفجر والسودان والحضارة أثرها البارز فى الثقافة العربية ،وقدعاشت الصحافة السودانية دورها بين صحافة خاضعة للاستعمار أوصادرة باشرافه، أو تحت إشراف الهيئات الـكبرى التى تخضع لقيادة السيدين المرغنى والمهدى . غير أنه بعد إنشاء نادى الخريجين وظهور الأحزاب السودانية بدأت الصحافة تخضع لهذه الأحزاب . وقد كانت جريدة السودان التى أصدرها المقطم تعمل على فصل السودان عن مصر وإيقاع العداوة والخلاف بين شقى الوادى كما أنها كانت تردد نظريات الاستعمار التى رددها المقطم بعد ذلك ، مثال ماورد فى المقطم ٣/٩/٩٣٦ من قوله أن الناس فى السودان ينقسمون قسمين : عرب الشمال وسكان الجنوب وان سكان الجنوب على الفطرة لا يفرقون بين المصرى والانجليزى فهم فى نظرهم قوم بيض لافارق بينهم « والمقصود من هذا الـكلام واضح » .

ولذلك كان لابد أن تنشر جريدة « حضارة السودان » صورة كبرى لصاحب الجلالة الملك جورج الخامس بمناسبة زيارته للسودان عام ١٩١٢ وان تحتفل به حفلا اشترك فى امتيازها السيدين المرغنى والمهدى .

ويصور يحيى عبد القادر المحرر بجريدة حضارة السودان: حدود النقد الصحفى (١٦ مارس ١٩٣٦) .

فيقول : مهمة الـكاتب فى الصحف السودانية أن يتلمس فى نقده الجوانب التى تستحق الاصلاح على أن يكون نقده لايمس فرد أولا يجرح احساس انسان ولا ينال أحداً بمكروه . ويرى الـكاتب أن «الدافع للناقد فى أغلب الأحيان يكون حقيراً يريد به أن يشفى غلة حقد وأن يصفى على رأس الرأسماليين حساباً لم يستطع

تصفيته بالوسائل المشرفة» وعنده أنه لا يكفى أن نقرأ ما تكتبه الصحف المصرية والانجليزية لنقلدها تقليداً أعمى غير حاسبين حساباً لظروف السودان ومبلغ ما يكون لأمثال هذه الكتابات فيه من مفعول » .

وينعى محرر حضارة السودان (٢٢ يولية ١٩٣٦) على السودانيين عدم توافر صفة الابتكار ، وأن ذلك يرجع إلى أن « معظمنا إما يقلد أو فان فى شخصية غيره، وفى كلا الحالتين لا تجد قوته المبتدعة مجالا لإظهار نفسها » .

ويصور يوسف التنى فى ٢٩ يولية ١٩٣٦ «مشاكل التفرقة الجنسية» فيقول: أنها دخلت إلى بلادنا يوم دخلتها الفرق الصوفية وتمددت ، والواجب على صحافتنا أن نقف موقف الحزم ونتناول هذه الدائرة الدقيقة الحرجة بشىء من الاصلاح .

واستطرد يقول « قد شهد على شر هذه الفوارق الدينية عند أحد قضاتنا الشرعيين بأنها (أى الفرق الصوفية) بقيت منتصبة فى وجه كل إصلاح تدافع أيدى المصلحين فتدفعها عن أن تسير خطواتها الجيدة ولا أعرف أداة للاصلاح أقوى من الصحف . إذن فهذه الطرق الدينية أعدى أعداء الصحافة .

ثم قال : لقد خرج كثير من رؤساء الطرق الصوفية عما وصفت له وصيروها طريقة احتيال المال فإذا هى بذرة الارستقراطية وغذاؤها .

وقال : إن الإصلاح الذى يستطيع أن تؤديه الصحافة هو أن يطلبوا إليهم أن يقدروا ظروف العصر وكيف أن مطالب الحياة أصبحت كثيرة وصعبة المنال . فلا يغنون فى الآخرة ويبغون نصيبهم فى الدنيا .

× وتحدثت جريدة حضارة السودان عن «التفرقة الجنسية» : فقالت : إن أول ما نشأت الأجناس والقبائل إنما كان نتيجة لحالات اقتصادية قبل أن تكون نتيجة لأى شىء آخر . « وأرى أن أول ما تقوم به صحافتنا لسحق هذه النعرة القبلية

المتفشية أن تخلق بيننا شعوراً عاماً بأن صالح كل فرد مرتبط بصالح الآخر ».

وأجرت صحيفة حضارة السودان أبحاثاً عن الأنساب العربية والخلافات حول الدم العربي في قبائل السودان : ثم تستطرد فتقول : ومع علمنا بأن من يبحثون وينقبون في أنسابنا القبلية رائدهم الحقيقة التاريخية والمتعة التي يجدها الباحث عند ما يكشف غامضاً إلا أن الكتابة المستمرة في هذا الموضوع تلقى في روع الشبيبة أن هذا الأمر من الأهمية بمكان، فتصرف أذهانهم إليه وتترك الأمور التي تهم البلاد ،وكثيراً ما يجد دعاة القومية والاتحاد مبرراً لحذف بعض صفحات من تاريخ البلاد يرون بها ذكريات شقاق وخلاف .

ورغماً من التعاريف المختلفة للقومية نجدها كلها تجمع لك الشعور باشتراك المصالح والذكريات التاريخية أقوى رابط لأوامر الشعوب وأن وجود القبائل والنعرات المنيفة مدعاة للانحلال القوى » .

ولقد حاولت جريدة حضارة السودان أن تعترض على بعض النظريات التي يبثها المستشرقون ودعاة التغريب حينما يعلق محمد صالح ضرار (١ / ١١ / ٣٦) على محاضرة العروبة في السودان التي ألقاها عيد عبد الرحيم فتقول : أنه اتفق أثر المستشرقين الذين يعتبرون كل أمة أو قبيلة تتكلم البجاوية هي بجاوية وهذا خطأ.

ومما يتصل بهذا ما عالجته الصحف السودانية بشأن القومية السودانية ؛ يقول يحيى عبد القادر « أن من أهم ما ينبغي لإحياء قوميتنا وتنميتها وازدهارها هو ترك التعصب للقبيلة والانحياز إلى جماعة دون أخرى فتلك خطة توزع بيننا الأنانية وتخلق في نفوسنا الأثرة » .

وهكذا صورت الصحافة السودانية مشاكل السياسة والاجتماع والفكر وحاولت معالجتها .

الصحافة التونسية

كان للصحافة التونسية دورها الضخم فى حمل لواء الحركة الوطنية ومقاومة مؤامرات الاستعمار فى التجنيس والتغريب . بل إن الصحافة التونسية كانت هى بذرة الحركة الوطنية الأولى — كما كانت الصحافة الوطنية فى مصر التى أنشأها مصطفى كامل بعد الاحتلال البريطانى لمصر بعشر سنوات .

وكانت جريدة «الحاضرة» سنه ١٨٨٨ أول جريدة عربية وطنية — غيررسمية فى تونس أصدرها على بوشوشه من خريجى الصادقية ، وكانت أولى الصحف هى (الرائد التونسى) الجريدة الرسمية التى أصدرها باى تونس صادق باشا ١٨٦٠ ، وعهد بتحريرها إلى المستشرق الفرنسى منصور كرلتى وقد خصصت فرنسا هذه الجريدة للشئون الرسمية ونشر قراراتها فى بسط الحماية .

وقد ظلت جريدة الحاضرة تصدر حتى أوائل الحرب العالمية الأولى وقد كونت مدرسة كبيرة من مثقفى الزيتونة ، واتصل كتابها بالشيخ محمد عبده ومحمد فريد فى زيارتهما لتونس ، ومن أبرز من خرجتهم الحاضرة « البشير صفر » المدعو بحق أبو النهضة الثقافية التونسية وقد عرف بمقالاته العديدة فى الدفاع عن استقلال المغرب .

كما صدرت «الزهرة» لعبد الرحمن الصنادلى ١٨٨٩ وفى عام ١٨٩٥ أصدر الزعيم التونسى الشيخ عبد العزيز الثعالبى جريدة « سبيل الرشاد » وتوقفت عندما هاجر إلى خارج البلاد .

وقد ضربت تونس فى أوائل هذا القرن الرقم القياسى فى إصدار الصحف فقد صدر منها فى الفترة من ١٩٠٣ إلى ١٩١٢ أكثر من صحيفة وكانت هذه الصحف وطنية ولذلك سرعان ما صادرتها السلطات الفرنسية .

صدرت جريدة التونسي ١٩٠٨ بالفرنسية لسان الحزب تونس الفتاة الذي أسسه «علي باش حمبة» من أبرز زعماء الحرية في تونس وكان الشيخ الثعالبي يصدر منها طبعة عربية .

وكانت آراء «علي باش حمبة» قريبة من اتجاه مصطفى كامل وهو أول زعيم فكر في ضرورة توحيد المغرب العربي في ميدان الكفاح ، وكان قد درس في الزيتونة ثم في المدارس الفرنسية وسافر إلى باريس وأحرز الحقوق .

وأسس السيد الشاذلي جريدة العلم التونسي ١٩٢٧ وأوقفتها الحماية ١٩٢٩ ثم أصدر بعدها صوت التونسي ثم العمل التونسي يحررها الحبيب بورقيبة وصوت الشعب لسان حال الحزب الدستوري ثم صدرت جريدة العمل باللغة العربية .

• • •

وقد صور مصطفى شعبان في جريدة الجهاد التونسية (١١ اغسطس ١٩٣٤) محنة الصحافة في تونس فقال :

صحافتنا العربية العريقة في المظالم والاضطهادات والمتفوقة على غيرها في الضيق والانتقام لا لشيء سوى كونها تنطق باسم الأمة وتحرره باللسان العربي المبين .

الصحافة العربية اليوم يصح أن نقول أنها لا تتمتع بشيء من الحرية ، وفي كل مكان حتى الصحافة الطليانية الفاشستية .

فالحرية الصحافية ، نحن أرباب الأقلام العربية محرومون منها فقط وحتى الصحافة اليهودية تتمتع بكامل حريتها .

فقانون ١٩٢٢ الذي صدر للتطبيق على الصحافة العربية فيه ما يجعل للحكومة انحياز في الترخيص وعدمه . وفيه ما يجعل حياة الصحف وعدمها بيد الحكومة بواسطة جرة قلم ، ومنها ما يجعل كتابة الكاتب مسؤلة كما تفهم الحكومة .

وبهذه التضييقات تضاءل عدد الصحف التي تصدر باللسان العربي ويراد بالتضييق قتل روح المعارضة والقضاء على المكافحة وقطع دابر المقاومة » .

* * *

وقد كان الاحتلال الفرنسي أشد قسوة في مقاومة الصحافة الوطنية والتضييق عليها ، غير أنها بالرغم من ذلك استطاعت أن تقضي على أكبر مؤامرة لسحق كيان تونس الإسلامي العربي ، وذلك في معركتها مع مؤامرة التجنيس، وكانت فرنسا قد حاولت «فرنسة» تونس عن طريق المسيحية فبدأت تنشر الدعوة لتجنيس المسلمين بصفة فردية ، ثم عمدت إلى إصدار قانون أقره البرلمان الفرنسي ١٩١٤ وبذلك انتقلت محاولة التجنيس إلى عمل جماعي رسمي .

وقد انفجرت المقاومة التونسية لهـــذا العمل وكان للصحافة الوطنيـة دورها الضخم الواضح في هذا الصدد ، فقد وضعت المسألة على بساط النقد الجدي وتناولتها أقلام جميع الكتاب التونسيين على نحو كشف زيفها وصرف الشعب عنها، ومن أبرز الكتاب الذين قاوموا هذه المؤامرة: الطيب بن عيسى (جريدة الوزير) وسليمان الحادوي (جريدة مرشد الأمة) وحسين الجزيري (جريدة النديم) وعلي كاهيه (جريدة الفجر) .

كما قاومت الصحف التونسية الدعوة البربرية ومحاولة التفرقة بين البربر والعرب، ومن كتاب الصحف الذين حملوا لواء مقاومة الاستعمار محمد الخضر حسين وطاهر عاشور وعبد الرحمن الصنادلي .

كما قاومت الصحف الوطنية الدعوة إلى القضاء على اللغة العربية واحلال اللغة الفرنسية محلها ، وهاجمت نظريات التغريب والاندماج ودعت إلى إصلاح

القضاء فى نطاق أحكام الإسلام وتعليم الفتاة التونسية ونشر التعليم باللغة العربية وإنشاء جامعة تونسية ، كما صدرت صحف سياسية فى تونس تدعو إلى المبادىء الاشتراكية وتتحدث عن الحرية والعدل .

ويعد «عبد العزيز الثعالبى» من أبرز كتاب تونس الذين كتبوا فى صحف العالم العربى كله : مصر والعراق وسورية مقالات نارية فى مهاجمة الاستعمار الفرنسى والدعوة إلى تحرير تونس والوحدة العربية ومعالجة مشاكل العالم العربى وكان قد أعلن برنامجه الفكرى الإصلاحى فى مجلة الفجر ١٩٢٠ قبل هجرته إلى العالم العربى (١٩٢٣ — ١٩٣٧) .

وفى تونس عمل كثير من الصحفيين اللبنانين وكان فى مقدمتهم فارس الشدياق الذى تولى فترة تحرير جريدة (الرائد التونسى) وهى الصحيفة الموالية للباى .

الصحافة فى المغرب

وكان المغرب (مراكش) صحافة عربية لها وزنها فى معركة الأمة العربية مع الاستعمار ، ووضع أسس لبناء المجتمع — وقد صدرت أول صحيفة باللغة العربية سنة ١٨٨٦ (المغرب) فى مراكش ثم صدرت (لسان المغرب) فى طنجة التى كانت ملتقى الصراع بين الوطنية والدعوة الاستعمارية التى تعمل على تقويض دعائم الاستقلال . وقد حملت هذه الصحف الوطنية الدعوة إلى الإصلاح القضائى والمالى والعسكرى والدستور والتعليم وساعدت السلطات الفرنسية على صدور صحف ذات ميول إسرائيلية أو ذات طابع استعمارى كصحيفة السعادة التى أصدرها الفرنسيون عام ١٩٠٤ « لتبشر بحسن نية الفرنسيين وسمو أغراضهم وعظمتهم فى عالم الحضارة » .

وكان للصحافة المغربية دورها فى الثورة المراكشية سنة ١٩٣٠ حيث

صدرت صحف سرية بها مقالات عنيفة ضاقت بها السلطات ، وأنتشر الصحفيون المرا كشيون فى فرنسا ينشرون فى صحفها فضائح الاستعمار • وقد أصدروا صحيفة فرنسية فى باريس باسم (المغرب) •

وبعد عام ١٩٣٠ صدر عديد من الصحف العربية فى المغرب ، كما أصدر فى باريس « أحمد بلافريج » صحيفة السكتلة بالفرنسية وكانت تترجم المقالات التى تـكتبها الصحافة المغربية عن الحركة الوطنية ومهاجمة الحماية .

وفى « فاس » صدرت جريدة عمل الشعب بالفرنسية ، حيث ضيق الاستعمار الفرنسى على الصحافة العربية وحرمها من الصدور فى ذلك الحين •

ثم بدأت الصحافة العربية فى الصدور فصدرت السلام والحياة باللغة العربية وكانت تتناول المسائل المغربية .

وصدرت : الريف والحرية وظهرت أسماء : عبد الخالق الطريس والتهامى الوزانى ومحمد المكى الناصرى وعبد المجيد بن جلون وعبد الله كنون .

وكانت الصحف المغربية تدعو إلى الاستقلال والوحدة المغربية .

ومن نماذج كتابات جريدة (الوحدة المغربية) : بقلم محمد المكى الناصرى دعوتها (١٩٣٧/٢/٣) إلى حماية الوحدة المغربية وتقويتها وتعميق الشعور بها ، وإزالة كل العراقيل الاستعمارية التى وضعت فى سبيل استمرارها وسلامتها يقول (١٩٣٧/٢/٧) تحت عنوان « لا نريد وطنية مناطق وإنما نريد وطنية الأمة بأسرها » : لقد ابتلى الشعب المغربى بعده بلايا ورزايا فقسمت أجزاؤه ووزعت أشلاؤه ، ونشأت على أنقاض المملكة المغربية الموحدة عدة ممالك يستقل بعضها عن الآخر إداريا وسياسيا وقضائياً واقتصاديا تمام الاستقلال ، وأن كانت لغة الأستعمار لا تسميها بهذا الاسم الواقعى (ممالك) وإنما تسميها (مناطق

نفوذ) لفرنسا وأسبانيا أو الدول الغربية على العموم . وكان مرمى المركة الوطنية هو إعادة الوحدة المغربية إلى أصلها ، ومحاربة جميع الفوارق الصناعية ، وتعميق الشعور بالجامعة الدينية والوطنية فى نفوس كافة المواطنين المغاربة .

وتحدثت فى ١٧ مارس ١٩٣٧ عن أزمة الوطنية المغربية (من تطوآن إلى فاس) قالت : مستقبل المغاربه لابد أن يبنى على قواعد صحيحة وأسس قوية مستمدة من الماضى الغابر ومناسبة للوقت الحاضر .

وذلك البناء والتشييد إن لم يكن مرتـكزا على دعائم راسخة فلا مناص من تداعيه إلى السقوط (٢) الدعامة الثانية هى التى تـكون قائمة على التعليم الشعبى والتهذيب الاجتماعى والتربية القومية الخالصة من شوائب المبادىء السقيمة والآراء العقيمة والتعليم الذى نريده هو ما كان دينياً أخلاقياً أجتماعياً فنياً أقتصادياً فى آن واحد .

ودعت جريدة الوحدة المغربية فى ١٩٣٧/٥/٢ رجال الحماية الفرنسية إلى الإعتراف للمواطنين المسلمين المغاربة جميعا بحق التحاكم إلى شريعتهم المطهرة والتعليم بواسطة لغتهم المقدسة وإلغاء المحاكم العرفية ومنع التبشير بين المسلمين والحيلولة دون قيام فتياننا وفتياتنا فى المؤسسات النصرانية .

وهاجم السياسة البربرية التى عنانها (ليوطى) الحاكم الفرنسى للمغرب : وقال هذه السياسة التى خدمت حاجات الإستعمار والتى كانت ولا تزال صدمة عنيفة الحقت بأقدس حقوق الأمة المغربية وهى السياسة البربرية التى تقصد إلى تطبيق سياسة الحـكم المباشر ، وليوطى هو الذى وضع فى ١١ سبتمبر سنة ١٩١٤ القاعدة القاضية بتجريد القبائل البربرية عن الطابع الإسلامى وإفلاتها من القانون الشرعى وكتبت فى ٢١ يونية ١٩٣٧ تحت عنوان (المغرب للمغاربة) : أن المغرب يجب

أن يظل مغربياً — وتساءلت فى ٥ يوليو ١٩٣٧ : هل نحن أمام حرب صليبية ضد الثقافةالعربية : قالت « أن الثقافة العربية الإسلامية تكون بسبب هذه الحرب الصليبية الجديدة مهددة بشر الأخطار ، وأشار إلى ظاهرة أضمحلال المدارس الحرة وقال : إنها لا تستطيع أن تعلم اللغة القومية وتثقف بالثقافة الإسلامية .

الصحافة الجزائرية

وفى الجزائر فرض الاستعمار الفرنسى سلطانه على الصحف فأصدرت سلطاته جريدة المبشر الرسمية : ١٨٤٧ لتكون الجريدة الرسمية لحكومة الجزائر :

وقد ظلت الصحيفة الوحيدة حتى نهاية القرن التاسع عشر .

ثم أصدر فرنسى مستعرب جريدة النصيح عام ١٨٩٦ وأصدر فرنسى آخر (فكتور باوركان) جريدة الأخبار ١٩٠٢ وهى صحف فرنسية الطابع والاتجاه والهدف ،وظل أصدار الصحف العربية وقفا على الفرنسيين نصف المستشرقين على حد تعبير (أديب مروه فى كتابة : الصحافة العربية ص ٢٢٣) حتى عام ١٩٠٧ عندما أصدر (محمود كحول) الجزائرى العربى جريدة(كوكب أفريقيا)وهى أول جريدة عربية فى الجزائر . غير أنه لم يصدر ألا عدد قليل من الصحف حتى الحرب العالمية الأولى : وكان أقدر الصحفين عمر بن قدور ومحمد عز الدين القلال . وعمر راسم .

وبعد الحرب العالمية الأولى كانت أبرز الصحف البشائر ١٩٣٣ التى أصدرتها جمعية علماء الجزائر وكانت قد اصدرت مجلة (الشهاب) التى حررها عبد الحميد بن باديس منذ عام ١٩٢٤ .

وقد ظلت الصحف العربية الجزائرية قليلة وأغلبها يصدرها الفرنسيون والمستغربون ولم يسمح لها بأن تشق طريقها إلى معارك الوطنيه، ذلك أن الاستعمار

الفرنسى كان يفترض أن الجزائر جزء من فرنسا وأنها ليست قطراً مستقلا .

وقد ترسمت صحف جمعية علماء الجزائر وفى مقدمتها الشهاب والبشائر خطة مجلة المنار . وكانت هذه الصحف وهذه الجمعية نواة الثورة الجزائرية .

الصحافة العربية فى ليبيا

أما الصحافة فى ليبيا فلم يكن لها دور واضح فى خلال هذه الفترة . فقد لقيت من الاحتلال الايطالى عنتا وعسفا واضطهاداً كبيراً .

أول صحيفة رسمية صدرت فى طرابلس الغرب هى «طرابلس الغرب» ١٨٦٦ باللغتين العربية والتركية . ولما احتل الايطاليون طرابلس ١٩١٢ صدرت صحيفة رسمية باسم إيطاليا الجديدة بالعربية والايطالية

كما أصدر محمد البوصيرى ١٨٩٧ جريدة الترقى . وفى ١٩٠٩ صدرت جريدة العصر الجديد (محمد على البارودى) .

وقد أصدر الاستعمار الايطالى عدداً من الصحف - بواسطة أعوانه والمحررين الأجانب واليهود — تدعو إلى أهدافه وتحطم الروح المعنوية للشعب .

وفيما بعد الحرب العالمية الأولى صدرت اللواء الطرابلسى (عثمان القيزانى) ١٩١٩ لسانا لحزب الاصلاح الوطنى وقد عطلت وحوكم صاحبها أكثر من مرة ، وكانت من الصحف الوطنية التى ساهمت فى الإصلاح والثقافة ، وجريدة الوطن (بنغازى ١٩٢٠) التى أيدت الحركة الوطنية وعززت مقاومة المجاهدين .

و(البلاغ) أصدرها المجاهدون ١٩٢١ حرر بها: بشير السعداوى وعثمان القيزانى و (بريد طرابلس) أصدرها الاستعمار الايطالى فى طرابلس الغرب سنة ١٩١٢ وحررها أرتوناموس وجبران ابراهيم نعوم صدرت باللغتين العربية والايطالية .

ولا شك كان للصحافة الليبية جهد واضح فى تحرير البلاد « فقد أزكت الوعى الوطنى وأثارت الرأى العام ونبهت الأذهان إلى ما يحاك من أغلال تربطها إلى دول الاستعمار وألهبت مشاعر الشعراء وأظهرت لنا طائفة من الشباب المتحمس كانت منهم شاعرية فلما وجد المحك وانقدح الشعر صاغوها عقوداً تفيض بالوطنية » .

الصحافة فى الحجاز

أول الصحف صدرت فى الحجاز جريدة (حجاز) الرسمية ١٩٠٨ على أثر إعلان الدستور العثمانى . كما صدرت صحف : شمس الحقيقة — محمد توفيق وعبدالله قاسم ١٩٠٦ فى مكة و (الرقيب) : ابراهيم خطاب وأبو بكر الداغستانى فى المدينة المنورة و (الإصلاح الحجازى) لاديب هراوى فى جده — وفى عام ١٩١٦ أسس الملك حسين بن على جريدة « القبلة » أثر إعلان الثورة العربية ثم أصدر الملك عبد العزيز بن سعود بعد الاستيلاء على الحجاز جريدة «أم القرى» فى مكة ١٩٢٥ وقد ظلت الصحافة السعودية صحافة رسمية تنشر الأخبار وأعمال الحكومة والاشادة بحكم الأسرة المالكة .

* * *

وقد عنيت الصحافة فى الحجاز بموسم الحج والحديث مع كبار زوار للموسم والحديث عن حكمة الحج ، وقالت جريدة صوت الحجاز ١٩٣٥ أن الغرض من الحج هو «أن ينتظم المسلمون فى وحدة منسجمة متماسكة لا تقوى أشد العواصف السياسية ولا أخبث المحن الاجتماعية على تبديدها» .

وقال محمد حسن فقى : حكمة الحج السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى هذا العصر الذى تمزقت فيه بلاد المسلمين وضعف فيه شأن الاسلام يجب أن تقفز إلى أذهان جميع المسلمين قبل أى شىء آخر .

× كما بحثت صحيفه صوت الحجاز (٢١ ابريل ١٩٣٦) برامج التعليم ومناهجه فقالت :

أن درجة ثقافتنا الحالية بالنسبة إلى مجاورينا من الأمم العربية والاسلامية لا تـكاد تذكر ، فقد مرت القرون الأخيرة على هذه وقت دون أن تنتج مدارسها وجوامعها إنتاجا خصبا ممتازاً ، وبقيت الثقافة فيه مضطربة لم تتـكيف بكيفية خاصة ولم تصطبغ بصبغة حية ، تجعل لها قيمتها المقدرة بين ثقافات البلاد العربية والاسلامية المجاورة ولقد كانت فى مجموعها متجهة إتجاها دينيا بحتا ولـكنه لم تـكن بالقوة التى تخلق العلماء البارزين .

× وأشارت صوت الحجاز (١٩٣٦/٤/٧) إلى أن إضطراب الحياة الفـكرية — حتى لا يكاد يتبين لها منهاج معين — مصدره : ضعف روح العصبية بين أبناء هذه البلاد ضعفا ، أول أسبابه وآخرها فتح باب الهجرة إلى الحجاز على مصراعيه لـكل وافد من أمم الاسلام دون حواجز أو قيود حتى كاد العنصر الحجازى يتلاشى فى غمار هذه الهجرات المتدفقة .

× وقالت فى ١٩٣٦/٩/٢٩ عن القومية : لا معدى فى الوقت الحاضر لأى شعب طامح فى الحياة العالية عن نشر الإيمان بالشعور القومى بين جميع الأفراد .

ثم دعا الـكاتب : إلى العمل لتثبيت الشعور القومى والحماس له مع التقـدير الدقيق لمركز البلاد الدينى .

ثلاث مراحل للصحافة العربية في مصر

- فترة ما قبل الاحتلال البريطاني (١٨٨٢ — ١٩١٤) .
- من الاحتلال إلى الحرب العالمية الأولى .
- ما بين الحرب العالمية الأولى (١٩١٩ –١٩٣٩) إلى الحرب العالمية الثانية

— ١ —

ما قبل الاحتلال البريطانى

كانت فترة ماقبل الاحتلال البريطانى لمصر مرحلة مضطربة غاية الاضطراب ، وكان عهد اسماعيل بالذات قمة هذا الاضطراب وتمهيد لما تلى ذلك من احداث . فى ظل عهد اسماعيل بدأ النفوذ الغربى الاستعمارى يتغلغل تغلغلا ضخما فى صورة البعثات والارساليات الأجنبية التى حملت لواء التعليم . وهجرة الصحفيين السوريين إلى مصر ، وتوسع الشركات والهيئات الأجنبية فى السيطرة على أوجه النشاط الاقتصادى والاجتماعى لافى مصر ، وحدها بل فى العالم العربى كله حيث كانت دولة الخلافة العثمانية تمر بأدق مراحلها .

وفى خلال هذه الفترة بدأت الدعوة للدستور والحرية والحد من سلطان الملوك والأمراء والحكام ، وحمل لواء هذه الدعوات الفكرية مدحت فى تركيا وجمال الدين الأفغانى فى مصر والهند وخير الدين فى تونس ونشأت تلك المدارس الفكرية التى تمثلت فى جمعيات الترقى للاصلاح الدستورى فى تركيا وتخفيف استبداد السلطان . والحزب الوطنى الأول فى مصر بزعامة الأفغانى وما تلاه من حركة أحمد عرابى . وما يتصل بذلك من حركات متعددة فى إيران والسودان وتونس .

كما برزت الدعوة إلى تحرر العرب من سلطان الأتراك ، وتحرر الأوطان من النفوذ الأجنبى .

وفى ظل عبد الحميد سلطان الامبراطورية العثمانيه التى تضم العالم العربى فى نطاقها . (١٨٧٦ — ١٩٠٩) وفى حكم اسماعيل لمصر (١٨٦٣ — ١٨٨٠)

حيث تطورت ديون اسماعيل وترفه وإسرافه حتى بلغت حداً غير متوقعاً ، كان الموقف كله يمهد لاحداث ضخمه بعيدة المدى هى : الاحتلال البريطانى الذى وقع عام ١٨٨٢ ، فى هذا الجو المضطرب الملبد بالغيوم والسحب حيث تتصارع قوتان غير متكافئين ،هى قوة الوطنيين فى ظل يقظة متطلعه إلى الحرية ، وقوة الاستعمار المندفع لتقسيم تركة الرجل المريض فى تركيا والسيطرة عليها سيطرة كاملة صريحة بعد التسلل المقنع الذى استمر أكثر من نصف قرن؛ فى هذا الجو ماذا كان موقف الصحافة .

صحافة الرأى وصحافة الحياد

لم تكن هناك صحافة بالمعنى القوى الواضح الذى يمكن معه أن يقال أنها سلاح بتار . وكل الرواد الذين حاولوا أن يقفوا موقف امتلاك حرية الكلمة وإعلان الرأى الصريح ومقارعة القوتين المسيطرين إذ ذاك : وهما الاستبداد الملكى والأميرى والنفوذ الأجنبي ، كل هؤلاء تحطموا واستشهدوا ولم يحققوا شيئاً . لذلك كان لابد أن يجنح دعاة الفكر الحر إلى جانب الاعتدال ومماشة جانب على جانب — كما فعل مصطفى كامل ومدرسته — وكان لابد أن تظهر طائفة أخرى من العملاء ؛ أصحاب الأقلام المباعة لكل مشترى ، وكانت بريطانيا وفرنسا والخليفة والخديو يشترون الأقلام لتؤيدهم أو لتتوقف عن معارضتهم على الأقل .

لذلك فان هناك خطين واضحين متوازين ساراً جنباً إلى جنب ، خط الصحافة « الوطنية » التى اعتصمت بالأحزاب والشعب والزعماء الأحرار . وخط الصحافة « المحايدة » التى سارت طريق تأييد القوة والسلطان أيا كانت ، ممثلة فى الاستعمار أو الحاكم .

ومن الأسف أن نقول أن الصحافه الوطنيه سقطت فى الطريق فلم تتحقق لإحداها أن تواصل ، وانها كانت تصادر أو تحاكم أو يسجن كتابها أو ينفون ،

ثم لا تلبث أن تقوم مره أخرى لتواصل المركة فتجد من التضييق المادى عليها ومقاومتها فى مصادرها ما يحملها تسقط مرة أخرى وثالثة .

أما الصحافة المحايدة فقد واصلت وعاشت واتسعت آفاقها ، ووجدت من السلطات الحاكمة مزيدا من الرعاية المادية والأدبية ، وكسبت بحكم الزمن قراءاً وثقة .

ولقد كانت الصحافة المحايدة معقلا من معاقل الاستعمار والاستبدادوالتغريب وفرض الآراء والمذاهب والاتجاهات ، وكان لقوة هذه الصحف واستمرارها وضخامة حجمها واتساع توزيعها سلطانا فى فرض هذه الآراء المسمومه فى مجال الوطنية والاجتماع والثقافة .

وقد اتسمت الصحافة الوطنية بالعاطفة والثورة ، وذلك لايمانهابالحريةوالجلاء ورغبتها فى إيقاظ الوعى وبث روح الإيمان بالحق ،إذكانت تقاوم الاستعمارفى عنف وتتحمل المصادرة والاغلاق فى سبيل الهدف .

أما الصحافة المحايده فهى تواجه الظروف فى حذر ولباقة وتجرى مع مختلف التيارات لاتصطدم ولا تتشدد . تناصر الرأى الوسط ، وهى لذلك تعيش ويمتد بها العمر، وتكبر وتنمو وتزداد على الأيام قوة وصولة .

ولا شك أن جمال الدين الأفغانى فى مصر والعالم العربى كان هو رائد اتجاه صحافة الرأى الوطنية الحره التى تحمل لواء الدعوة إلى مهاجمة الاستعماروالاستبداد معا ، وكانت له مدرسة على رأسها : أديب اسحق ويعقوب صنوع وإبراهيم اللقانى .

بدأت الصحافة العربية « رسميه » تصدرها الحكومات باسم الملوك والأمراء وتوقفها على نشر ما ترغب فى إذاعته من تحركات الحكام أو ما يصدر من مراسيم ، ثم تطورت حينما اتسع نطاق النفوذ الأجنبى وصدرت صحف لخدمة

أغراضهم . ثم صدرت صحف لخدمة الطوائف والمذاهب . وكانت كل الصحف في تلك الفترة تابعة لجهة ما .

ففي مصر كانت الصحف — تسبح باسم الحكام وتترنم بأعمالهم ، وإذا بحثت فأكثر أبحاثها عن الدول البعيدة . كما يرى جورجي زيدان الذي يقول ان الصحافة الشرقية قد وضعت في الأصل لخدمة أغراض الحكومة أو موظفيها . وإن أصحاب الصحف كانوا يستعينون في نشر صحفهم بنفوذ الحكومة وفي عصر إسماعيل كانت الحكومة تشترك بمئات النسخ في الجرائد(١) .

ويرى الدكتور هيكل(٢) أن الصحف نشأت في مصر بعد تغلغل النفوذ الأجنبي وأدى إلى ظهورها تعارض المصالح المصرية والمصالح الأجنبية واحتاج كل فريق إلى أن يدافع عن مصالحه . وأن بعض هذه الجرائد كان جاد اللهجة إلى حد أدى إلى تعطيلها كما أصاب ابراهيم المويلحي وعثمان جلال (نزهة الأفكار) وأبو نضاره التي أصدرها يعقوب صنوع .

والواقع أنه قد سيطرت على الصحافة العربية ثلاث تيارات خارجية واضحة : هي: العثماني والفرنسي والانجليزي .

تأييد النفوذ الاستعماري

وقد صدرت الأهرام في هذه الفترة (١٨٧٥) عثمانيه فرنسية وقد عارضت بريطانيا بعد الاحتلال . كما أصدر الفرنسيون صحفاً عربية في باريس واستخدموا لها بعض الكتاب العرب . ومن هؤلاء فضل الله دباس (البصير) وعبد الله مراش (كوكب المشرق) .

---

(١) مجلد ١٦ الهلال (١٩٠٧)

(٢) ٢٣ ابريل ١٩٣٥ السياسة اليومية .

× وكان فارس الشدياق صديقا للانجليز، وكان يمهد لسياستهم فى الشرق · وقد حملت جريدته الجوائب تأييد الخليفة فى تركيا والخديو فى مصر والباى فى تونس ·

وقد شهد المؤرخون بأن فارس الشدياق كان يعمل من أجل خدمة أفكارهم وترويج مصالح بلادهم . وكان يحرز كل عام خمسمائة ليرة عثمانية من الخليفة .

وقد طبع المنشور الذى صدر من الباب العالى باعلان عصيان عرابى والذى كان بعض ما أدى إلى هزيمته وسقوطه فى نظر المسلمين .

وقبض من سفارة بريطانيا ثمنا لهذا المنشور ألف ليرة انجليزية وكان الشدياق قد حصل على الحماية الانجليزية · وعرف بسلاطه لسانه واقزاعه فى الهجاء والمهاترة فى النقد ·

× وكان لويس صابونجى من أصدقاء بريطانيا : أصدر فى لندن صحيفة (النخلة — ١٨٧٧) باللغتين العربية والانجليزية . كما أنشأ جريدة الاتحاد العربى وجريدة الخلافة .

ومثل بين يدى فيكتوريا ملكة بريطانيا وخدم مصالح الدول البريطانية فى مصر أثناء الثوره العرابية ·

وكانت صحيفة (الخلافة) التى أصدرها بمساعده أحد المولين البريطانيين برأس مال قدره عشره آلاف جنيه تهاجم الدول العثمانية والإسلام والسلطان عبد الحميد ووزرائه ، وكانت تترجم إلى التركية والفارسية والهندية · ثم أغراه السلطان فعاد إلى تركيا ١٨٩٠ وعمل فى معيته ·

× وفارس نمر : أحد أصحاب المقطم ورئيس تحريره (١٨٩٩ — ١٩١٤) . والمشرف عليه حتى وفاته ١٩٥١ ·

كان من أعنف خصوم الحرية والوطنية وتأييد مركز بريطانيا فى العالم

العربى وقد هاجم الخلافة العثمانية ودعا إلى القومية العربية فى ظل بريطانيا . وقد سافر إلى بريطانيا ١٨٩٠ واجتمع بكبار السياسيين فيها .

٢ — تأييد نفوذ السلطان

• كان السلطان عبد الحميد خلال فترة حكمه التى انتهت عام ١٩٠٩ يغدق على الصحف لتقف فى صفة . وكان يغرى بالمال لايقاف الصحف التى تحاربه . وقد أوقف صحيفة (الخلافة) التى أصدرها ابراهيم المويلحى فى إيطاليا (١٨٧٩) بالعربية والتركية وأصدر فى فرنسا جرائد الاتحاد والأنباء والرجاء وقدوصف (احمد فؤاد صاحب الصاعقة) ابراهيم المويلحى وجرائده قال : « كل جريدة بينهما من إختلاف الرأى مابين الروافض . ومن البعد فى الفكر مابين المسجد الحرام والمسجد الأقصى » .

وسافر كثير من خصوم عبد الحميد إلى ، باريس وأصدروا بها صحفا لمقاومة السلطان العثمانى . وأرسل عبد الحميد إلى هؤلاء المال والنياشين لردهم عما كانوا يكتبون . وقد رفض بعضهم أوسمة عبد الحميد وقبل بعضهم أوسمة فرنسا وتزوجوا منها مثل خليل غانم .

ومما يذكر أن ابراهيم المويلحى بعد أن هاجم السلطان عاد إلى الاستانة ١٣٠٣ وعينه السلطان وقربه . وأنشأ مصباح الشرق فى مصر لخدمة السلطان . وظل يتردد على الاستانة ويعود منها مشحونا بالنعم السلطانية من العطايا والرتب ، وقد وصف بالنقد اللاذع حتى قيل أنه لم ينج من فوارض كلمة إلا الذى لم يعرفه ، كما أصدر السلطان عبد الحميد صحفا للدفاع عن رأيه فى بعض الأقطار : ومن ذلك جريدة (السلطة) فى مصر عن طريق الصحافى اليهودى إسكندر شلهوب .

صحافة الخديوى

وأصدر الخديوى إسماعيل صحفا لتأييد مركزه — وكانت جريدة وادى النيل هى أولى هذه الصحف أصدرها عبد الله أبو السعود عام ١٨٦٦ — كما

أصدر (باى تونس) ومدحت فى العراق وغيره من الولاة صحفا تنطق باسمهم

وقد أعطى الخديو اسماعيل للصحافة أهمية كبرى فى خلال فترة دقيقة كانت تضطرم فيها التيارات ويتنازعها نفوذ بريطانيا وفرنسا وتركيا .

ولعل أهم مواقف إسماعيل فى هذا الصدد موقفه بالنسبة لصاحب الأهرام حين أشار إلى أن هناك مال صرف من الخزانة ولم يعرف مصيره . فقد تعرض للقتل من جانب الخديو لولا مناصرة فرنسا له . وكان ذلك إيذاناً بارتباط الأهرام بفرنسا وكانت جريدة الجوائب مؤيدة له ، بعدها بالمعونة لمناصرة رأيه لدى السلطان والباب العالى وفى إبان حكم إسماعيل ورد مصر عدد كبير من الصحفيين السوريين وظهر الكوكب الشرقى للحموى والأهرام لتقلا كما ظهر الوطن لميخائيل عبد السيد ومصر « لأديب إسحق » — وفى أواخر عهد إسماعيل بدأت النهضة الفكرية الصحفية التى بلغت أكبر مدى بفضل توجيه جمال الدين الأفغانى .

وفى هذه الفترة كان أكبر أرباب الصحف فى مصر وكتابها من السوريين وقد رعا الوزير رياض باشا هذا النوع من الصحافة .

الشام والصحافة

وليس شك أن الشام كانت مركز هاماً من مراكز « إبراز » الصحفيين والكتاب الذى قلما عملوا فى بلادهم نظراً لظروف الاستبداد التى كانت تحيط الشام تحت حكم السلطان عبد الحميد . فلك هاجر ذلك العدد ، وتركز عدد كبير منه فى القاهرة فأقام بها . وأتيح لبعضهم حرية الكتابة بعد صدور الدستور العثمانى سنة ١٩٠٨ ولكن إلى فترة قصيرة . كان أغلبهم من لبنان ومن المسيحيين الموازنة وكان مصدر ذلك : السبق فى مجال التعليم وتقبل الحضارة بالنسبة لهذا الجزء من العالم وقد أدى هذا إلى أن معظم هؤلاء الصحفيين كانوا يحملون لواء مهاجمة الإمبراطورية العثمانية والخلافة الإسلامية والدعوة إلى الوحدة العربية والتحرر

من استبداد العثمانيين . غير أن عدداً كبير من هؤلاء الصحفيين ما لئوا بريطانيا والقوى الاستعمارية فى سبيل ما أطلق عليه « تفكيس الدولة العثمانية » ومن هؤلاء لويس صابونجى وفارس الشدياق ورزق الله حسون وفارس نمر .

وقدظهرت فى بيروت فى هذه الفترة صحف الجنان للبستانى والمقتطف لصروف ولسان الحال لسركيس وثمرات الفنون للقبانى والتقدم لشلفون ، فضلا عن صحف المرسلين الأمريكان والبشير لليسوعيين. ويمكن القول أن عدداً كبيراً من الصحفيين الشاميين كانوا من العملاء ولم يكونوا مخلصين لأهداف وطنية واضحة وأن أكثرهم كان ظهيراً للاستعمار فى خصومته للعرب والإسلام واللغة العربية .

ولقد كان اتجاه الصحفيين والكتاب الشاميين إلى مصر راجعا إلى الفترة الاستبدادية التى مر بها العالم العربى خلال عهد عبد الحميد — حتى عام ١٩٠٨ حيث صدر الدستور العثمانى والى نهاية حكم عبد الحميد عام ١٩٠٩ .

وكان راجعا أيضاً إلى أن مصر فى ظل الاستعمار البريطانى كانت تفتح صدرها للمهاجرين للخلافة العثمانية . وقد سمحت صحفها لهذا الهجوم على العثمانيين لحساب بريطانيا . وبذلك كان هؤلاء فى الأغلب — أداة بريطانيا فى هدم الامبراطورية العثمانية

وفى سوريا صادر السلطان فى كل الصحف الوطنية ولم يبق مسموحا إلا بدخول السائرة فى ركب السلطان كالجوائب . وبعد الدستور العثمانى بدأت الصحف العربية تأخذ طريقها غير أنها لم تلبث أن واجهت حالة أشد من العنف على يد الاتحاديين .

وفى هذه الفترة توقفت الصحف الوطنية فى سوريا والعراق ولم تبق إلا مصر الخاضعة لحكم بريطانيا مفتوحة أمام كل من يهاجم تركيا العثمانية أو استبداد عبد الحميد .

أما فى لبنان فقد كانت الصحف دينية مسيحية تبشيرية قامت بها الارساليات (الأمريكية البروتستانتيه) أو (الفرنسية اليسوعية) وكان كتابها ينقسمون إلى

معسكرات بعضها تحارب الاسلام أو الخلافة العثمانية أو القومية العربية أو الأمجاد العربية والتراث العربي ويتجهون إلى الغرب اتجاها كاملا وإلى فرنسا إتجاها واضحا.

وكان رزق الله حسون (جريدة الأحوال) وفارس الشدياق (الجوائب) مع السلطان وكان الخازن (الأخبار) في صف أصحاب المقطم يقاوم الوطنية والحرية .

وكانت الجنان لبطرس البستاني تدعو إلى الاتجاه إلى الغرب .

٣ — التيار الوطني

أما التيار الوطني فقد كان رائده « جمال الدين الأفغاني » حيث صدر بتوجيهه وأشرافه عدد من الصحف الحره، وبرز كتاب يحملون لواء دعوة الحرية خالصا مبرئا من العماله للاستعمار : من هؤلاء أديب أسحق مع سليم نقاش موسس جريدة مصر والتجاره وهو أبرز تلاميذ الافغاني[1] . وعبد الرحمن الكواكبي صاحب الشهباء ١٨٧٧ والاعتدال ١٨٧٩ ويعقوب صنوع اليهودي الذي تتلمذ على جمال الدين[2] وحمل لواء الصحافة الهزليه ١٨٧٧ حيث قاوم الاستعمار البريطاني والخديو إسماعيل وكان أول من رسم الكاريكاتير وكتب النكتة الساخرة وكان يطلق على الخديو (شيخ الحارة) وقد نفاه إسماعيل (لأن جريدته كان شديدة اللهجة) فلجأ إلى باريس حيث أصدر جريدته (أبو نضارة) باللغة العامية . وكان هدفه الصحفي الطعن في الاحتلال البريطاني والمناداه بـ « مصر للمصريين » وتأييد نفوذ فرنسا الثقافي .

ويتصل بهذا صدور العروة الوثقى في (١٣ أزار ١٨٨٤) وهي الصحيفة الجريئة التي حررها جمال الدين الافغاني ومحمد عبده في باريس : لرفع لواء الجامعة الإسلامية وتنكيس أعلام بريطانيا في الهند ومصر ، وقد أصدرت ١٨ عددا وصادرتها بريطانيا وحالت دون دخولها إلى الهند ومصر والسودان .

وقد كشف أديب أسحق في العدد الأول من جريدة (مصر القاهرة) ٢٤

---

(١) انحرف (أديب اسحق) بعد خروج جمال وانضم للخديو

(٢) هناك من الأدلة مايشكك في تلمذة يعقوب صنوع على جمال الدين

كانون الأول (ديسمبر) ١٨٧٩ عن خطة الصحيفة : مسلكي أن أكشف حقائق الأمور ملتزما جانب التصريح متجافيا عن التعريض والتلميح . وأن أجلو مبادىء الحرية وآراء ذوى النقد . وأن أبين مايظهره البحث من عواقب الحوادث ومقاصد أهل الحل والعقد . وأن أوضح معايب اللصوص الذين نسميهم أصطلاحا (أولى الأمر) ومثالب الخونة الذين ندعوهم وهما : (أمناء الأمة) ومفاسد الظلمه الذين نلقبهم جهلا (ولاة النظام) .

ومقصدى أن أثير بقية الحمية الشرقية . واهيج فضالة الدم العربي ، وأرفع الغشاوة عن أعين الساذجين وأحيي الغيرة فى قلوب العارفين . ليعلم قومى أن لهم حقا مسلوباً فيلتمسوه . ومالا منهوبا فيطلبوه وليخرجوا عن خطة الخسف . وينبذوا عنهم كل مولس يشترى بحقوقهم ثمنا قليلا ، ويذيقوا الخائنين عذابا وبيلا . وليستميتوا فى مجاهدة الذين يبيعون أبدانهم وأموالهم وأوطانهم وأممهم من الأجانب بما يطمعون فيه من رفعة المقام . فمن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد . . » .

وقد ندد بسياسة رياض باشا . وحمل على سياسه الدول الأوربية حملات عنيفة فلما ضاق به المجال فى مصر هاجر إلى باريس حيث واصل حملته .

× ويعقوب صنوع : ، رائد الصحافة الهزلية والكاريكاتيرية الموجهة والمهاجمة للاستبداد والنفوذ البريطانى . كان يطعن فى بريطانيا عام ١٨٧٧ فى صحيفة (أبو نضارة) حتى نفاه إسماعيل فاصدر بها صحيفة ١٨٧٧ وكان يدسها فى الرسائل الواردة إلى مصر . ودفعه التأثير بدعـــوة جمال الدين الأفغانى إلى إنشاء هذا اللون من الصحافة (الهزلية العامية) لانتقاد أعمال الخديوى . وهو أول من استعمل القلم الدارج فى الكتابة وقد أحتضنت فرنسا هذا الحملات

فآوت جريدة العروة الوثقى وصحف أديب أسحق ويعقوب صنوع ثم من بعد ذلك آوت حملات مصطفى كامل .

× من الصحف الهامة فى هذا الاتجاه : ثمرات الفنون (١٨٧٥ — ١٩٠٨) التى كانت تصدر فى بيروت وتحمل لواء الدعوة إلى الجامعة الإسلامية · وقد جرت بينها وبين الجوانب والبشير اليسوعية مساجلات كشفت عن ما وصف بسفاهة الجوائب وتعصب البشير .

وصاحبها عبد القادر قبانى الذى أعلن بعد صدور الدستور العثمانى (١٩٠٨) بأن مسئولية أصحاب الصحف فى زمن الدستور أعظم منها فى دور الاستبداد · « ولذلك يلزم أن يقوم بتحرير كل جريدة نخبة من جميع العناصر للمحافظة على تأليف وحدة عثمانيه من عناصر الوطن ·

× وعبد الرحمن الكواكبى صاحب الشهباء ١٨٧٧ والاعتدال ١٨٧٩ والتى صودرت صحفه وحوكم وشرد وكاد أن يفقد حياته . هو واحد من الصحفيين الأحرار فى هذه الفترة ، قال فى تصدير صحيفة الشهباء : أخذت على نفسى القيام بكل وظائف الجرائد الأهليه من نشر حسنات الاجراءات وأعلان سيئات المأمورين وعرض احتياجات البلاد إلى مسامع أولى الأمر ونشر كل ما يقتضيه تهذيب الأخلاق وتوسيع دائرة المعارف من أبحاث علمية وسياسية .

وانتهى عهد إسماعيل فى ظل هذا الصراع وبدأ توفيق عهده بنفى جمال الدين الأفغانى وأخراجه من البلاد بعدما كان يقول له قبل أن يلى الأريكة « أنت موضع أملى فى مصر أيها السيد » وأصدرت الحكومة « بيانا » بالنفى اتهمت فيه جمال الدين بأنه رأس جمعية سرية من ذوى البطش مجتمعة على فساد الدين ، والدنيا ، وأنه من المهيجين وكان أخراج الأفغانى بايعاز من قنصل انجلترا كما أشار

« بلنت » فى مذكراته · وتألب حاشية الخديو التى كان قد نصحه بتغييرها . وقد ألزمت الصحف بنشر خبر نفيه على النحو الذى أورده البيان الرسمى . ولم تجرؤ أى الصحف أن تحتج على نفيه · غير أن جريدة « مرآة الشرق » خلت من خبر النفى وذكرت جمال الدين بعبارات التقدير فامر الخديو بتعطيلها خمسة أشهر ، كما أنذرت جريدة التجارة التى كان يصدرها تلميذه أديب أسحق ·

وفى أبان الثورة العرابية حمل عبد الله نديم لواء صحافة المعركة ، فأصدر جريدة الطائف من الميدان الحربى (معسكر كفنج عثمان) وقد حملت مقالاتها لواء الحملة على بريطانيا واستثاره الهمم لتأييد عرابى ·

كما هاجمت توفيق فى لهجة قاسية فيها تعريض وطعنت عليه وأوردت نقائص إسماعيل وحياته الخليعة الماجنة فى أسلوب ملىء بالنقمة ، كما دعت صحف الثورة العرابية للاقتصاد الوطنى وإنشاء مصرف مصرى ·

ثم كان لهزيمة الثورة العرابية أثرها فى انهيار الصحافة الوطنية وتوقف حركتها إلى ما بعد سنوات عديدة .

وكان للصحافة موقف من عرابى والحركة العرابية فى المرحلة التالية اتسمت فيه الاهرام والمقطم واللواء بالعداوة الصارمة والاتهام الظالم .

وكانت أبرز موضوعات الصحافة فى هذه الفترة ·

* مهاجمة النفوذ الأجنبى ·
* مهاجمة الاستبداد الممثل فى الخديو والوزراء والحكام .
* المطالبة بالدستور والمجلس النيابى المنتخب .
* مهاجمة الاستبداد العثمانى .
* محاولة خلق رأى عام مستنير .
* الدعوة إلى الحرية وإنشاء الجمعيات الحرية .
* الدعوة إلى التوسيع فى التعليم ·

من الاحتلال إلى الحرب الأولى

١٨٨٢ - ١٩١٤

كان للصحافة فى ظل الاحتلال البريطانى دوراً جديداً يختلف اختلافا واضحا عن المرحلة التى سبقته . فنى ظل الاحتلال وجدت تيارات مختلفة :

* تيار وطنى جرىء عاطنى : يقوده «اللواء» .
* تيار التعقيل ورعاية المصالح ومحاسنة الاستعمار : تقوده «الجريدة» .
* تيار التاييدالسافر للانجليز : ويقوده « المقطم » .
* تيار تاييد الخديو : ويقوده «المؤيد» .
* تيار فرنسا باعتبارها مؤيل طلاب الحرية ويقوده «الأهرام» ·
* تيار الطائفية المسيحية : وتقوده جريدة « الوطن » «وجريدة» « مصر » .

وكانت جريدة الأهرام قد عادت إلى الصدور فى ٢٩ سبتمبر ١٨٨٢ تحمل على عرابى وتناصر الاحتلال وتمتدح سلطان باشا والجنرال ولسلى وظلت على هذه الـ[illegible] ١٨٨٤ حينما تحولت لى [illegible] مهاجمة الانجليز فى موضوع « إخلاء السودان » و[illegible] حملت وحدها لواء المعارضة عشر سنوات ، ومهدت للحزب الوطنى . مؤيدة حركة مصطفى كامل . وكانت فرنسا قدفتحت جبهة لمقاومة الاستعمار البريطانى والامبر[illegible]ورية العثمانية واحتضنت كل حركات التحرير وقد أداها موقفها من فرنسا إلى مقاومة الاستعمار الانجليزى ·

ومن مواقف فرنسا ضد بريطانيا :

(١) لجأ اليها جمال الدين ومحمد عبده وبها أصدرا العروة الوثق ١٨٨٣ ·

(٢) تأييدحركة مصطفى كامل وبها نشرالمقالات الرنانة وعقدالمؤتمرات ١٨٩٨ ،

(٣) احتضان الحركة العربية وبها عقد أول مؤتمر عربي عام ١٩١٤ .

وفي مصر مرت الصحافة بدورين هامين : (الأول) عهد كرومر وفيه سمح للصحافة بحرية الكلمة على أوسع نطاق (والثاني) عهد الدن غورست (من عام ١٩٠٧) وفيها بعث قانون المطبوعات الجديد وضيق على الصحافة . ومرت الفترة العصبية في الصراع بين الصحف الوطنية والصحف الطائفية، وعقد المؤتمر القبطي والمؤتمر المصري واغتيل بطرس غالي ، وكانت بريطانيا قد ركزت على (١) عقد اتفاقية ١٨٩٩ بشأن السودان مع مصر (٢) حاولت مد امتياز قناة السويس أربعين سنة (٣) وحكمت بالاعدام والسجن المؤبد والأشغال الشاقة على المواطنين في حادث دنشواي .

وكان للصحف الوطنية موقفها المشرف من هذه الاحداث الثلاث الكبرى.

موقف كرومر من الصحافة

وفي خلال الفترة الأولى من الاحتلال (١٨٨٢ — ١٩٠٧) إلى نهاية حكم كرومر اتيحت للصحافة حرية بعيدة المدى .

كان كرومر يقول: إذا وضعت الصمام على المرجل انفجر ، أما إذا تركت البخار كان سلامة المرجل مضمونة . ولذلك أطلق حرية الصحافة وخلق جبهة من الصحف المؤازرة لسياسة بلاده، وذلك وفق خطة ترى أن يواجه الصحافة الوطنية بالصحافة المنحازة إليه ، وقد أوعز إلى أصحاب المقتطف أن ينشئوا صحيفة يومية سياسية تنافس الأهرام وتعارضها وتحمى المصالح البريطانية . وأشار بلنت في مذكراته : ان وزارتي الحربية والداخلية دفعتا لصحيفة المقطم مبلغاً عظيما من المال للدفاع عن تصرفات الانجليز فيهما. وعجز الخديو أن يقدم جريدة «المقطم» للمحاكمة وقد أشار «كرومر» في تقريره ١٩٠٣ إلى خطته بالنسبة للصحافة فقال: رأى البعض إعطاء الحرية

التامة للجرائد فى مصر موجب للضرر . وقد ظهر لنا لأول وهله أن منح الحرية التامة للصحافة قد لا يخلو من الضرر ، على أن هناك اعتراضين على تقييد حرية الصحافة : الأول ان وجود حامية انجليزية فى القطر تضمن أن الكتابات المهيجة لا تفضى إلى الاخلال بالأمن اخلالا عظيما — والثانى : ان من العبث سن قانون يخصص للصحف الوطنية مالم يمشى ذلك القانون على الجرائد الأوربية أيضا ، ذلك لأن كل صاحب جريدة وطنية يخشى طائله القانون يستطيع أن ينقل حقوقه وامتيازه إلى رجل أوربى فعلا أو اسما ، ثم ان الدول الأوربية والحكومة الانجليزية فى مقدمتها تعترض على كل قانون يقصد به تقييد حرية الصحافة حقيقة .

أما أنا فكنت مخالفا لتقييد حرية الصحافة من أول الأمر .

* * *

وقد أتاحت هذه الحرية صدور عدد من الصحف المعارضة للاحتلال البريطانى مثل صحف الحزب الوطنى كما أصدر عبد الله نديم مجلة الأستاذ (٢٣ أغسطس ١٨٩٢) مهاجما الاستعمار البريطانى ، وقد أغلقها كرومر بعد تسعة شهور من صدورها (١٣ يونيه ١٨٩٣) وفرض على صاحبها مغادرة مصر . ولا شك أن نديم كان بعيد الأثر فى حركة مصطفى كامل فهو أستاذه الروحى وكانت المؤيد واللواء تعارضان الاحتلال .

وفى المعسكر الآخر كانت (المقطم) تؤازر الاحتلال و (الجريدة) تحاسنه و (الوطن) تؤيده ، كما أصدر حمزه فتح الله بعد الثورة العرابية صحيفتين هما النزاهة والاعتدال أيد فيهما بريطانيا . ولطخ تاريخه السابق فى خدمة اللغة العربية بالوحل .

موقف الدوق غورست

غير أن هذا الموقف لم يلبث أن تغير إلى النقيض بعد نهاية حكم كرومر

فما أن بدأ عهد غورست حتى اتجه إلى تقييد الصحافة ، إذ قرر مجلس النظار برئاسة بطرس غالى فى ٢٥ مارس ١٩٠٩ إعادة قانون المطبوعات الصادر عام ١٨٨١ وهو مقيد لأقلام الكتاب ، ومعنى هذا على حد تعليق أحد المؤرخين أن مصر قد نالت حرية الصحافة فى مصر بإدارة شخص اللورد كرومر فهى حرة عرفا لا قانونا — وقد تجدد النص الذى يشير إلى أنه « يجوز للجهة الإدارية مصادرة أى صحيفة من الصحف إذا قدرت أنها ارتكبت جريمة ما ، ولا يجوز إصدار صحيفة بدون ترخيص وفرض تأمين مالى ضخم ولم تمنح تراخيص الصحف فى هذه الفترة إلا لأنصار الاحتلال وبذلك قيد الترخيص للصحف بعد أن كان مطلقا . وفرضت قيود على صدورها . والهدف من ذلك الحيلولة دون قيام صحف وطنية حرة ذات أقلام جريئة كما أصبح من حق السلطة الإدارية حق تعطيل الصحف وإلغائها إداريا . وقد هدف الإنجليز من ذلك ألا يبقى فى السوق سوى الصحف المعتدلة فى إدارتها . الغنية فى رأس مالها وهى صحافة لا بد أن تكون تابعة لدولة محتلة وكان أغلب الصحف الوطنية ذات موارد ضئيلة ولا شك أثرت المصادرة فى مواردها وأعجزتها عن الاستمرار .

وقد تصدى سعد زغلول — وزير الحقانية إذ ذاك — إلى محاربة الصحافة الوطنية واحياء قانون المطبوعات وصدّق على سجن محمد فريد وعبد العزيز شاويش وعلى الغاياتى .

والواقع أن سياسة كرومر كانت ماكرة ، فهو لم يقصد الى الحرية بقدر ما قصد إلى استنزاف القوى الوطنية فى عبارات رنانة وصيحات عاطفية

* * *

ويهمنا هنا أن نذكر أنه فى الفترة الأولى — عهد كرومر — صدر عدد كبير من الصحف واتسع نطاق الدخلاء إلى الصحافة وصدرت صحف تهدف إلى الطعن

فى الأفراد والجماعات أو تهديد ذوى الثراء لابتزاز أموالهم ، والذين قاموا بإصدار هذه الصحف جماعة من الأفاقين الذين لا هدف لهم ولا رسالة ، وقد اتخذوا من الصحافة لونا من التجارة واستكتبوا سواهم وحصلوا على كثير من الأتاوات واستغلوا الحوادث الشخصية والفضائح .

وقد كان لاتساع حرية الصحافة أن أصبح لكل هيئة فى مصر صحيفة وقد صدرت مجلة الطائف لساناً للماسونية .

أما فى فترة ما بعد كرومر فقد تأزم موقف الصحافة ودخل فى المرحلة الحرجة : مرحلة الصراع الطائفى . الذى أوقدته بريطانيا باسم الصحافة المسيحية . وأبرز ملامح فترة ما بعد كرومر (١٩٠٧ — ١٩١٤) كانت تتمثل فى عنصرين رئيسيين :

١ — عنف المقاومة للتيار الوطنى ومصادرة الصحف الحرة : مما أدى إلى تناقص الصحف الوطنية وزيادة الصحف التى تجرى فى تيار المصانعة والاعتدال ومحاسنة المستعمر وهى الصحف التى وصفتها جريدة الشعب عام ١٩١٢ بأنها « حملة المباخر أمام رجال السلطة » .

٢ — تأريث الاستعمار للخلاف الطائفى بين المسيحيين والمسلمين . وقد حملت لواء هذه الحملة (جريدة الوطن) التى طالبت بريطانيا بضم مصر إلى المستعمرات وطالبت الأقباط بالتخلى عن جنسيتهم ، وقد توالت الحملة من الجانبين وكان لها أثر بعيد فى تفرق الصحف .

وقد صور هذا الموقف (صالح حمدى صالح) فى محاضرته بالمؤتمر المصرى المنعقد فى ٩ / ٤ إلى ٥٤ / ١٩١٣ فقال : كانت الصحف القبطية والصحف الإسلامية من أكبر عوامل التفريق . فالصحف القبطية ترمى فى أقوالها إلى الطعن الشديد على المسلمين وتشويه سمعتهم وبث الدسائس ضدهم . والصحف

الإسلاميـة تشبهها فى كيل المطاعن فى معرض الدفاع عن مجموع الأمـة . ثم إن هناك الصحف الهزلية فهذه تخرج فى هزلياتها عن حد الذوق السليم فى انتقاداتها على الأقباط مما هو فى حقارته وزهادة شأنه مثير للاحقاد» . ودعا صاحب البحث — إلى أن تعمل صحافتنا لجمع الـكلمة والمصلحة العامة والرد بالتى هى أحسن عن مصالح الفريقين معا . ومما يجب أن يلاحظ ويعمل على تلافيه الدسائس التى تدس فى حق الأمة من وقت لآخر فى الصحف الأجنبية .

مراحل التطور الصحفى

توقفت الصحافة الوطنية التى كانت تنـاصر الحزب الوطنى الأول ودعوة الأفغانى وثورة عرابى بعد الاحتلال . ومرت مصر بفترة قاسية من التشـاؤم واليأس . ولم يكن بمصر فى هذه الفترة إلا جريدتى : الأهرام والوطن :

عادت (الأهرام) إلى الظهور بعد الاحتلال ٢٩ سبتمبر ١٨٨٢ وفى صدرها صورة للجنرال «ولسلى» قائد الحملة الانجليزية على مصر ومديح لسلطان باشا عميل الاحتلال وحملات على « العاصى » عرابى ورفاقه .

أما جريدة الوطن فقد استقبلت الإحتـلال استقبال الفـاتحين ، ثم لم يلبث الاستعمار أن أصدر المقطم (١٨٨٩) وصدر المؤيد مواجها له ، ثم صدر اللواء (١٩٠٠) وصدرت الجريدة (١٩٠٦) معارضة له . وفى خلال هذه الفترة كان موقف الصحف على هذ النحو :

● تحولت الأهرام إلى مقاومة الاستعمار البريطانى عام ١٨٨٤ مؤيدة للسياسة العثمانية الفرنسية ومؤازرة للحركة الوطنية وعرفت بطابع الحيدة والمجاملة معاً ازاء الأحزاب وكانت تقاوم بريطانيا لحساب فرنسا .

● واصلت جريدة الوطن ومصر حملاتهـا الطائفية ومؤازرة الاستعمار البريطانى ، وعارضت الدعوة إلى الدستور . ودعت إلى ضم مصر إلى ممتلـكات

التاج ودعت الأقباط إلى استبدال جنسيتهم المصرية بجنسية أجنبية . ومعاداة الحركة الوطنية .

● دعت «المقطم» إلى تأييد الاستعمار البريطاني صراحة . وعملت على توسيع شقة الخلاف بين المسلمين والمسيحيين. والجرأة في مقاومة الصحف المقاومة للاستعمار ومعاداة الحركة الوطنية ومهاجمة اللواء والمؤيد والأهرام .

● دعت «الجريدة» إلى محاسنة الاستعمار . وأطلقت على كروس صاحب السلطة الفعلية ، والخديو صاحب الدولة الشرعيــة . وقد هاجمت الحركة الوطنية ومصطفى كامل واتهمتهم بالاندفاع والعاطفية ودعت إلى التعقيل والمصرية الخالصة .

● دعا المؤيد إلى مؤازرة الخديو وفق سياسة عثمانية خديوية وطنية . وهو أول صوت ارتفع بعد الاحتلال بإثارة مسألة الجلاء . دارت بينها وبين المقطم معارك ومساجلات .وقد سار «المؤيد» في اتجاه الحركة الوطنية ثم اختلف معها بعد اتفاق الخديو عباس مع الدن غورست . وقصد إلى انجلترا وأعلن أن لندن كعبة السياسيين المصريين وفي خلال هذه الفترة ١٨٨٢ — ١٩١٤ سارت الصحافة في خطين واضحين : خط الصحافة الوطنية وخط الصحافة المعتدلة .

وقد استطاعت الصحافة الوطنية في هذه الفترة أن تهاجم الأسرة المالـكة والاستعمار وكروس وطالبت بالدستور والبرلمان والجلاء . ودعت إلى إنشاء الجامعة وأيدت قصة تحرير المرأة . وردت على هجوم «هانوتو» على مصر ومعارضات أمثال فرح أنطون ومضت في طريق النقد والإصلاح الاجتماعي .

وحققت عدداً من الانتصارات . فقد اضطرت الحـكومة إلى عرض مشروع قناة السويس على الجمعية العمومية وحطمت صلف كروس بعد مأساة دنشواى حيث اتخذت منها الصحـافة مادة هامة لمقاومة الاستعمار البريطاني . وسارت

الصحافة أمام الأحزاب فأنشأت وصدرت قبل تشكيلها فأنشأ المؤيد حزب الإصلاح واللواء الحزب الوطني والجريدة حزب الأمة .

وكان أبرز مواقف الصحافة تعطيل « أمين الرافعي » جريدة «الشعب» وهي في أوج قوتها حتى لا تنشر قرارات إعلان الحماية على مصر .

أما في خلال الحرب العالمية فقد ركدت الصحافة وتقلصت تدريجيا ولم يبق منها حتى نهاية الحرب غير الصحف المعتدلة : المقطم والاهرام والوطن وقد خفضت صفحاتها .

وحققت الصحافة تطوراً هاما للأسلوب فقد انتقل من الصنعة الركيكة إلى الأسلوب التلغرافي ، كما تطور المضمون من طريقة المقدمات والاسهاب والاستطراد إلى الكتابة الواضحة البعيدة عن الإنشائيات .

الصحافة بعد الحرب العالمية الأولى

توقفت الصحافة خلال الحرب العالمية ١٩١٤ — ١٩١٨ عن مهمتها الوطنية، واقتصرت على نشر أخبار الحرب فى مختلف معاركها من الزواية البريطانية . فقد أعلنت الحماية على مصر (١٨ يوليو ١٩١٤) ومن قبلها أوقف أمين الرافعى جريدة «الشعب» التى كان يصدرها حتى لا ينشر بلاغات الحماية .

ودخلت الصحافة تحت سيطرة بريطانيا التى وجهت أخبارها وفق اتجاهها فى الحرب العالمية . ومن ثم فقد منعت(*) نشر أخبار ثورة ١٩١٩ على النحو الصحيح لها وحاربت الرقابة تسجيل حقائقها . ولعله ليس من المصادفات أن تكون أول صحيفة تصدر بعد الهدنة وإطلاق الحريات هى : جريدة الأخبار لأمين الرافعى ٢٢ فبراير ١٩٢٠) وتوالت من بعد الصحف

— ١٣ سبتمبر ١٩٢١ : الأهالى : (الوفد ـ عبد القادر حمزه)
— ٣٠ أكتوبر ١٩٢٢ : جريدة السياسة (الاحرار الدستوريين — محمد حسين هيكل)
— ٢٨ يناير ١٩٢٣ : البلاغ (الوفد ـ عبد القادر حمزة)
— ٢١ سبتمبر ١٩٢٤ : كوكب الشرق (الوفد ـ أحمد حافظ عوض)
— ١٩٢٦ : الاتحاد (حزب الأتحاد ـ طه حسين)

ثم توالت الصحف وكان أهمها فى هذه الفترة (ما بين الحربين) :

— الشعب ١٧ نوفمبر ١٩٣٠ : حزب الشعب
— { اليوم ٢١ / يناير ١٩٣٠ ، الجهاد ١٧ / سبتمبر ١٩٣١ } (توفيق دياب ـ الوفد)
— روز اليوسف (اليومية) ٢٥ مارس ٩٣٥ محمود عزمى ـ الوفد)
— ١٩٤٧ — الأساس (الحزب السعدى)
— ١٩٣٦ — المصرى — (الوفد ـ محمود أبو الفتح)

(*) اقرأ ثورة ١٩١٩ فى الصحافة المصرية ص ٥٩

هذا مع استمرار صدور بعض صحف المرحلة الأولى مثل : الأهرام والمقطم ومصر؛وذلك بعد أن توقفت الجريدة واللواء والمؤيد والعلم والشعب قبل الحرب أوخلالها .

* * *

وهكذا بدأت مرحلة صحفية تتشمل فى ضوء الصورة التى تبلورت بعد الحرب : ذلك أنه لم تكد الحرب العالمية تنتهى ، حتى تطلع المصريون إلى الحرية وبدأت مقدمات ثورة ١٩١٩ بمقابلة الباشوات الثلاثة للمعتمد البريطانى فى (١٣ نوفبر ١٩١٨) ثم انتهت بتشكيل وفد رسمى للمطالبة والسعى فى سبيل الاستقلال ونفى سعد زغلول واندلعت الثورة فى ٨ مارس ١٩١٨ فكان لها دورها فى تطور الاحداث .

وقد وقفت الصحف صفا واحدا وراء الثورة والوفد ، غير أن هذا لم يستمر طويلا فقد حدث انقسام فى صفوف الوفد وخرج فريق على زعامة سعد زغلول وبذلك انقسمت الصحف وصدرت جريدة السياسة لسانا لحال الاحرارالدستوريين لذين انفصلوا عن الوفد .

وفى خلال فترة ما بين عام ١٩١٨ و ١٩٢٢ واجهت الصحافة دوراً وطنياً موحداً اتجه إلى مواجهة الاستعمار ومحاولة « بناء الأساس السياسى للامة » ثم بدأت على أثر أنشاء جريدة السياسة (٣٠ أكتوبر ١٩٢٢) معركة الصراع الحزبى وتحولت الحركة الوطنية إلى معركة حزبية : قوامها التناحر والخلاف والخصومة الشخصية . ثم اتسمت هذه المعركة وتطورت بانقسام الوفد مره ثانية وثالثة وإنشاء حزب الاتحاد (١٩٢٦) وحزب الشعب (١٦٣٠) وحزب السعديين (١٩٣٧) .

وجوهو التطور الذى وقع فى الصحافة المصرية بعد الحرب هو انقسامها مع معسكرات الأحزاب واتجاه معارك الصحافة إلى الداخل . وذلك على أثر أعلان تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢، وقيام حزب الأحرار الدستورين (٣٠ أكتوبر ١٩٢٢) وإعلان الدستور وإجراء الانتخابات الاولى واجتماع البرلمان الأول (مارس ١٩٢٤) وتولى الوفد الحكم بعد أحرازه الأغلبية الساحقة .

الصحافة وثورة ١٩١٩

منعت السلطة العسكرية نشر أخبار ثورة ١٩١٩ . ولم تستطع الأهرام أن تنشر يوم ١٠ مارس أكثر من هذا الخبر :

«اعتقل أول أمس حضرة صاحب الدولة سعد زغلول باشا وإسماعيل صدقى ومحمد محمود ومحمد باشا الباسل . وأرسلوا إلى مالطه» .

وذلك بعد مرور ٢٤ ساعة من وقوعه . وقد منع نشر أى خبر من أخبار اجتماعات الزعماء أو تأليف الوفد المصرى أو نشر خطاب سعد فى جمعية الاقتصاد والتشريع الذى حمل فيه على الحماية .

غير أن السلطة اضطرت إلى السماح بنشر أخبار قصيرة على التوالى مع إتساع الثورة عن مظاهرات طلبة الأزهر والمدارس .

ويوم ١٣ مارس نشرت الأهرام خبر قيام مظاهرة كبيرة فى القاهرة ومظاهرة فى طنطا لطلبة الجامع الأزهرى .

(اقرأ أخبار ثورة ١٩١٩ من وجه نظر المقطم فى الفصل الخاص بجريدة المقطم)

صحافة الوفد وصحافة الأحرار

كانت هناك صحافة الوفد وصحافة الأحرار الدستوريين .

× نفى سعد يوم ٨ مارس ١٩١٩

× سافر الوفد المصرى إلى اوربا يوم ١١ ابريل ١٩١٩ .

وذلك باستثناء صحيفة « الأخبار » التى أصدرها أمين الرافعى — وهو أحد أقطاب الحزب الوطنى بعد الحرب مباشرة ، وهى الصحيفة التى جعلت هدفها « الدفاع عن القضية المصرية على أساس الاستقلال التام » معلنة بأنها « لا تخدم هيئة خاصة ولا تعبر عن رأى طائفة بالذات وإنما تخدم أمة وتدافع عن مبدأ واحد هو الاستقلال التام للبلاد المصرية » وكان لها دور واضح فى المفاوضات الأولى وحماية وحدة الأمة وقد سارت ثمة فى طريق الوفد — حيث كان الرافعى هو السكرتير السكرتير العام له — وتفوقت على الأهرام والمقطم حتى وقع الخلاف بين أمين الرافعى وسعد زغلول بشأن « تعديل الأساس » الذى تقوم عليه المفاوضات على ضوء تصريحات سعد زغلول الأولى والتى تخلى عنها بعد ذلك . وهو : إلغاء الحماية البريطانية ورفع الأحكام العرفية وقبول الانجليز للتحفظات المصرية .

فلما وقع هذا الخلاف أعلن سعد زغلول تصريحه المعروف « أنا أقرأ جريدة الأخبار بالنيابة عنكم » . عندئذ هبط توزيعها من ٣٠ ألف إلى ٣ آلاف ثم سلط عليها المظاهرات التى رجمت دارها بالحجارة .

على أثر هذا الخلاف صدرت جريدتى البلاغ وكوكب الشرق ممثلتين للوفد وبهما كتب عبدالقادر حمزة وحافظ عوض وعباس العقاد وهم أبرز كتاب الوفد فى المرحلة الأولى . وقد أضيف إليهم من بعد محمد التابعى (١٩٢٧) توفيق دياب (١٩٢٩) ثم طه حسين (١٩٣٤) ثم انفصل عن الوفد عبد القادر حمزة (١٩٣٢) وعباس العقاد (١٩٣٥) .

* * *

اختلفت صحافة الوفد عن صحافة الأحرار الدستوريين . فقد مثلت « السياسة » اخر مراحل التطور الصحفى من ناحية الطباعة والاخراج والمادة الصحفية

ورفعت أجور الصحفيين ؛ وعنيت بتجنيد أكبر عدد من المثقفين وحملة ارقى الاجازات العلمية وخريجى جامعات أوربا وفرنسا بالذات للعمل بها .

فكان من كبار محرريها : محمد حسين هيكل وطه حسين والمازنى ومحمود عزمى وسيد كامل وتوفيق دياب .

وهم خيره كتاب مصر المجددين الذين حملوا لواء مهاجمة جبهة التقليد والدعوة إلى حرية الفكر ؛ وفى مجال السياسة الفكر ظهرت لها دعوات جرئية وكتب آثارت ضجة مثل كتاب الاسلام وأصول الحكم لعلى عبد الرازق و كتاب الشعر الجاهلى لطه حسين .

وهكذا اشترت الصحافة الحزبية — وصحافة الأقلية والاقطاع والبيوتات بالذات أقلام الكتاب المثقفين الذين حملوا أرقى الدرجات حيث عملوا خدما للاقطاعيين والساسة المحترفين انصار الانجليز وجروا فى ركابهم وقاوموا التيار الوطنى وغايظوا الجماهير، ثم عادوا مع أحزابهم من بعد إلى مماثلة الجماهير بالكتابة عن الاسلاميات لتحصل الأحزاب على أكبر عدد من قراء صحف الأحزاب الأخرى .

أما الوفد فقد كانت صحفه تعتمد على الأغلبية الشعبية الساحقة ، ولذلك كان كتابه يهاجمون حزب الأحرار ويتهمون زعامته بخيانة قضية الوطن .

وكان الانقسام فى جبهة الوفد بعيد الخطر فى السياسة والصحافة والحكم جميعاً .

وكانت أكبر معركة باشرتها الصحف فى هذه الفترة هى معركة الدستور والاستقلال — و(الاستقلال) حكمه مستجدته لم تظهر إلا بعد الحرب العالمية الأولى على لسان سعد زغلول بعد أن كان مصطفى كامل والحزب الوطنى يستعمل كلمة (الجلاء) .

ذور الصحف المتدلة : الأهرام والمقطم

وقد قاست الصحافة فى هذه الفترة (١٩١٩ — ١٩٣٩) الأحكام العرفية فى أغلب الأوقات ومرت بمرحلتين عنيفتين : هما حكم محمد محمود ١٩٢٩ باسم اليد الحديدية وحكم صدقى (١٩٣٠ — ١٩٣٣) .

وفى الأولى: عطل الدستور وفرضت الرقابة على الصحف وفى الثانية ألغى دستور ١٩٢٣ وأصدر دستور استبدادى هو دستور صدقى ١٩٣٠ ثم ألغى هذا الدستور واعيد دستور ١٩٢٣ مرة أخرى .

وقد قاست الصحافة فى هذا الفترة كثيرا من عنت المصادره .

وقاست صحف الوفد الاضطهاد فى خلال فتره المعارضة للوفد .

وقاست صحف الأحرار الدستوريين المصادرة فى خلال فترة حكم الوفد .

ومن أمثلة ذلك إن عبد القادر حمزة أصدر ١٤ صحيفة فى الفترة من عام ١٩٢٠ إلى ١٩٣٠ بينما لم تصادر صحيفة الأهرام والمقطم خلال هذه الفترة مرة واحده ، وبينما استنزف أمين الرافعى كل ثروته وبلغ غاية العنت ، اشترى أصحاب المقطم العمارات وكونوا الثروات وتوسعت الأهرام فى شراء أضخم وأحدث ما كينات الطباعة .

وفى الوقت الذى كانت صحف الوفد تصارع صحف الأحرار بشأن الخلافات الداخلية تاركين القضية الكبرى ـ قضية الجلاء والحرية والتخلص من الاحتلال وراء ظهورهم ـ كانت المقطم تكتب كل يوم مقالا فى فوائد الاحتلال وجهل المصريين وتسب كل كتاب الوطنية فى مصر .

وقد أدى الصراع بين الصحف الحزبية إلى مصادرتها وتعطيلها وتعددها

وقصر عمرها ، وكل هذا صرف الناس عن الصحف الحزبية إلى الصحف المحايدة الراسخة التي اتسعت نفوذا وزادت قوة واتقانا وتوسعا في المادة ، وكلما عطل محمد محمود أو صدقي صحف البلاغ وكوكب الشرق واليوم والجهاد كان هذا كسبا للصحف غير الوطنية والمحايدة ·

× وكان سعد زغلول هو رئيس التحرير الحقيقي لكل صحف الوفد ، يجتمع كل يوم بعبد القادر حمزة ويتفق معه على المقال الرئيسي ويرسل بتوجهاته إلى مختلف الصحف ويكتب بنفسه مقالات وتعليقات بامضاء (س · ع) أو بدون توقيع ·

وقد رأى الوفد مدى ما بلغته الصحف المحايدة كالأهرام أو جريدة السياسة لسان حال خصومه من قوة ففكر في شراء جريدة الأهرام عام ١٩٢٦ بمبلغ ٣٠ ألف جنيه فلما لم يوفق طلب إلى أحمد عبود إصدار جريدة كبرى فأصدر «الكشاف» التي لم تعمر طويلا ·

وجملة القول أن الوفد لم ينشيء صحافة قوية كما نشأت في الجبهة المعارضة وعندما عجز سعد زغلول عن إنشاء صحافة قوية قال لاتباعه : إني انصحكم إلا تقرأوا صحف المعارضة ؛ أنني أقرأها بالنيابة عنكم ·

وبذلك كانت صحيفة السياسة وهي أقوى الصحف فنا وتحريرا أقل الصحف توزيعا في مصر ·

× وعندما اختلف عبد القادر حمزة (البلاغ) مع الوفد عام ١٩٤٢ كان قد حل (الجهاد — توفيق دياب) محل البلاغ ، ثم لم يلبث الوفد أن أصدر (روزاليوسف اليومية — ١٩٣٥) التي لم تلبث أن اختلفت معه بعد أن اختلت

الصف الأول فهوت عندما أعلن الوفد أنه لايعترف بها،وتوقفت بعد أن خسرت ٣٠ ألف جنيه .

وعندما أصدر الوفد عام ١٩٣٨ قراراً بفصل جريدة الجهاد إذا قاطعها الشعب فهوت هى الأخرى ثم توقفت عن الصدور .

وفى نفس العام صدرت المصرى (التابعى وكريم ثابت ومحمود أبو الفتح) ولم يلبث الوفد أن اشترى حصتى التابعى وكريم ثابت، وأصبحت وفدية بعد أن خرجت مجلة آخر ساعة (التابعى) عن الوفد فى هذه الفترة .

وكان عباس العقاد — كما ذكر الجزيرى سكرتير سعد زغلول فى مذكراته — معول الهدم الذى يسلطه الوفد على خصومه ؛ وعندما تحول طه حسين إلى الوفد ١٩٣٤ كان ذلك مقدمة لتحول العقاد عن الوفد بعد ذلك بعام (١٩٣٥) وقد كان القضايا أهم نظر الصحف فى هذه الفترة (١) حل القضية المصرية (٢) الدستور (٣) الحياة النيابية .

وكان لكل صحيفة وجهة نظر . وقد تابعت الصحف المفاوضات المتعددة التى جرت بعد أن تألف الوفد المصرى وسافر إلى أوربا (١١ أبريل ١٩١٩) حتى عقدت معاهدة ١٩٣٦ التى وصفتها صحف الوفد بأنها معاهدة الشرف والاستقلال ووقعها جميع زعماء الأحزاب : (الوفد — الأحرار الدستوريين — الاتحاد — الشعب) ووقعها الزعماء المستقلون .

وأبرز مظاهر التحول فى الصحافة خلال هذه الفترة هو :

— السخرية العنيفة التى حملت لواءها الصحف الوفدية للحزب الوطنى ودعاويه وقادته .

— قبول الوفد المفاوضة والالتقاء مع الانجليز فى منتصف الطريق .

— كان حزب الأحرار الدستوريين هو امتداد طبيعى لحزب الأمة يضم (أصحاب المصالح الحقيقة من الاقطاعيين والثراء .
— حلت كلمة الاستقلال محل كلمة الجلاء .
— حلت كلمةالسياسة بدلا من كلمة الوطنية .
— أنشأ الملك حزبين : الاتحاد ١٩٢٦ والشعب ١٩٣١ .
— تطاحنت الصحف لحساب مطامع الزعماء لا مصالح الأمة .
— اتسع نطاق الهجاء السياسى : وتحول إلى عبارات غاية فى العنف .
— ارهبت الأحزاب فى الحكم الصحف المعارضة بضربها بالحجارة ومصادرتها وإغلاقها ومحا كمة رؤساء تحريرها والحكم عليهم بالسجن .
— كانت كتابات الصحف تصدر من خلال النظرة الحزبية الضيقة .

وقد وصفت جريدة الأجبشيان جازيت(سبتمبر ١٩٣٢) هذا التطور فقالت :
الصحف المصرية تنظر فى جميع ماتكتبه من خلال النزاع الحزبى وصحف المعارضة تهاجم الوزارة وجرائد الوزارة تهاجم المعارضة ولا يبقى بعد ذلك مجال للدرس والتمحيص للاقتصاد والاجتماع

وأفاض فى تصوير هذا المعنى الدكتور زكى مبارك فقال: ان نصف ماأنتجه شعراؤنا وكتابنا وخطباؤنا قد وقع فى هاوية النزاع والشقاق . ولو ذهبنا نستقرى الجيد الممتع لرأينا أظهر جوانبه ما إنشأه منشؤه فى ايقاد الأحقاد والحزبيه والدعوة إلى تمزيق الوحدة وتفريق الصفوف . ومعظم الأعمال الأدبية كانت تجريحا لأعمال مصطفى كامل وسعد زغلول . وذلك دليل على أن فريقا من المصريين وقعوا فريسة لألاعيب

(١) البلاغ — ١٦ سبتمبر ١٩٣٢

المحتلين . ولا يمكن أن ننسى أن الإنجليز كانت لهم يد خفيه فيا ثار فى مصر من المناوشات الأدبية فى غير جو السياسة كالمناوشات الدينية والاجتماعية » .

* * *

ومما يلاحظ فى هذه الفترة أن الصحافة تطورت تطوراً واسعاً من حيث الطباعة والتبويب . وحفلت بالابحاث الاجتماعية والاقتصادية والأدبية .

وكانت الأهرام فى مقدمة الصحف التى فتحت صدرها بعد الحرب مباشرة لجميع الأقلام وفق منهجها الحيادى، فكتب فيها عشرات من الصاحفين[1] . حيث نوقشت موضوعات: حرية المرأة والتعليم والأخلاق والبغاء والمخدرات والدين والحضارة والعروبة والفرعونية والاسلامية والشرقية والروابط بين الشرق والغرب وبيننا وبين فرنسا وبريطانيا وعشرات الموضوعات .

وقد صور اميل زيدان هذا المعنى حيث قال: أن الصحافة بعد الحرب قد اتجهت إلى توسيع مدى الموضوعات التى تطرقها . كانت الصحيفة فيما مضى تقتصر على بعض مقالات سياسية وأهم الأخبار والحوادث الجارية ؛ ثم أصبحت كالسوق تجتمع فيها جميع الاصناف والألوان : ما يهم الرجل والولد والمرأة والمباحث العمرانيه والصور والرسوم من علم ومن رياضة وأدب وفكاهة[2] .

وكانت تهدف إلى أن تعكس فى صفحاتها الاجتماعية جميع صورها .

* * *

ولقيت الصحافة فى عهد الدستور ما لقيت فى عهد الاحتلال من العنت

---

(١) الصاحف هو الكاتب الذى يوافى الصحفية بمقالاته دون أن يعمل محرراً بها

(٢) الهلال — ديسمبر ١٩٣٢ .

والمصادرة ، وقد نص الدستور على كفالة حرية الصحافة ــ غير أنه أضيف إلى المادة الخاصة بها نص خاص بالنظام الاجتماعي كان سلاحا في يد بعض الحكومات لمصادرة الصحف .

وفي أول وزارة دستورية ــ وهي وزارة سعد زغلول — واجهت الصحافة المعارضة بأشد فنون العنف والقسوة ؛ وهاجمت صحف : الأخبار والسياسة وصادرتها مرات وقدمت أمين الرافعي وهيكل إلى المحاكمة .

وفي عهد محمد محمود (١٩٢٩) عطلت الصحافة وكمت أفواهها فقد ، عطلت المادة ١٥ من الدستور وبعث قانون المطبوعات — وأصدر محمد محمود في ٢٩ يناير سنة ١٩٢٩ بلاغا رسميا أنذر فيه الصحافة جاء به :

« أما التحقير والتشهير والرمي بالباطل بل القذف بحوادث يجهلها هؤلاء النقاد . أما ذلك والطعن في وطنية الوزارة فإنها لا تقبلها بحال من الأحوال وتحظرها على كل جريدة من الجرائد ومن يفعل ذلك من الصحف فلا مناص من تعطيله تعطيلا نهائياً » .

وفي عهد إسماعيل صدقي استمرت هذه الاجراءات في تحكيم الصحافة وشراء بعض الاقلام ، وكانت الاعلانات الحكومية وللمصاريف السرية سلاحاً بتاراً حال بين بعض الصحف والصحفيين من قول كلمة الحق ، وقدم للمحاكمة في خلال ذلك عدد كبير من الكتاب أمثال عباس محمود العقاد وتوفيق دياب ومحمود التابعي وعبد القادر حمزه وأحمد وفيق وأحمد حافظ عوض واقتصر تطبيق هذه الاساليب على الصحف والصحفيين المصريين وحدهم دون الصحف والصحفيين الأوربين .

وقد أشارت الأهرام إلى أن هذه الأساليب من النقد التي تقوم بها الصحافة المصرية تستهجن سلوكها وتعاب سيرتها ويذم ماتتناوله باقلامها لم تبتكر

هذه الفنون، ولم تخترع تلك الأساليب الكتابية والتصويرية، وإنما نقلتها من صحافة أوربا »ثم أشارت الأهرام إلى أن هذا الذى تنقله الصحف المصرية من صحافة أوربا لايلائم عاداتنا ولا يوافق تقاليدنا[1] .

ولا شك انه كان للصحافة المصرية فى هذا التضارب بين ألوانها الحزبية وألوانها المتدلة المحايدة أثرا واضحا قد خلقت لونا من خداع الشعب وتضليله عن الحقائق .

الصحافة المتدلة : الأهرام والمقطم

وفى خلال هذه المرحلة استمرت الصحافة المتدلة المحايدة فى طريقها وهى : الأهرام والمقطم [الأهرام فى اتجاهه الواضح الذى يرضى كل الأحزاب ويواجه جميع الحكومات بالتأييد أو النقد تبعا للعهد فى مراحل قوته وضعفه · مع اتساع نطاقها وافساحها المجال لمختلف الأقلام والدراسات والتيارات بحيث يمكن القول أنها كانت سجلا لكل الاتجاهات .

أما المقطم فقد سار فى اتجاهه الانجليزى الواضح ممثلا وجهه نظر بريطانيا فى مختلف المسائل معنيا بشئون الزراعة والتجارة والاصلاح الاجتماعى وافساح الصفحات أمام مقالات الصاحفين فى هذه المسائل .

وقد حمل المقطم طابع الدفاع عن الوحدة العربية السائرة فى ركب بريطانيا .

وفى هذه الفترة كانت الصحف قد استطاعت فرض سيطرتها على الكتاب وتوجيهم إلى ماتريد من موضوعات واتجاهات حسب سياستها .

---

(١) الاهرام ١٩٣٤/٩/١٩

وبذلك لم يعد يكتب الكتاب مايريدون بقدر ما يكتبون مايطلب اليهم وفق اتجاه الجريدة ولونها وطريقتها .

* * *

أما أسلوب الصحافة فقد تحول عن الفترة السالفة : تغير الأسلوب العاطفى الوجدانى ، أسلوب الصراخ والصيحات التى انتهى عهدها بتصريح ٢٨ فبراير وقيام الاستقلال الذاتى والدستور والبرلمان .

وظلت المسائل السياسية من مفاوضات لتسوية المسائل المعلقة بين مصر وبريطانيا هى أبرز ماعنيت به الصحافة . ودارت حوله المعارك والمساجلات واختلفت وجهات النظر .

صحف أثرت فى تيارات الصحافة

الصحف المعتدلة :

الأهرام . . . . : داود بركات وأنطون الجميل
المقطم . . . . : فارس نمر

الصحف الوطنية :

المؤيد (١٨٩٨) . . . : على يوسف
اللواء (١٩٠٠) . . . : مصطفى كامل وعبدالعزيز شاويش
الجريدة (١٩٠٧) . . . : لطفى السيد

الصحف الطائفية :

مصر . . . . : تادرس المنقبادى
الوطن . . . . : ميخائيل عبد السيد

الأهرام

صدرت في ٥ أغسطس ١٨٧٦

(١) داود بركات :	١٨٩٩ – نوفمبر ١٩٣٣
(٢) جبرائيل تقلا :	١٩٣٣ – يناير ١٩٤٩
(٣) أنطون الجميل :	١٩١٢ – يوليو ١٩٤٣

* الصحيفة المعتدلة المحايدة المرنة التي سارت على إتجاه إرضاء جميع الأحزاب والحكومات .
* نادت جريدة الأهرام ١٩١٩ بأنها « مصرية المصرية » وكتبت هذا الشعار على صدرها .
* حملت على عرابي بعد هزيمة الثورة العرابية (٢٩ سبتمبر ١٨٨٢) .
* غيرت خطتها عام ١٨٨٤ فحملت على الاحتلال وبريطانيا لحساب فرنسا .
* أقامت خمس سنوات تحمل لواء المعارضة للاحتلال وحدها حتى صدر المؤيد (١٨٨٩) .
* أدخلت الطباعة الحديثة عام ١٩٣٠

الأهرام

تغطى جريدة « الأهرام » كل الفترة الصحفية التى ندرسها — حتى نهاية الحرب العالمية الثانية — فقد شهدت المراحل الثلاث :

الأولى : منذ صدورها ١٨٧٦ إلى الاحتلال ١٨٨٢ — والثانية من الاحتلال إلى الحرب العالمية الأولى وثورة ١٩١٩ ، والمرحلة الثالثة بين الحربين . وأشرف عليها فى المراحل الثلاث ثلاث رجال : هم : داود بركات وجبرائيل تقلا (وهو صحفى لم يكتب) وأنطون الجميل .

× صاحبا صحيفة الأهرام من لبنان (سليم وبشاره تقلا) قدما إلى مصر فى أواخر عهد اسماعيل وأصدرا الأهرام أسبوعية فى الاسكندرية عام ١٨٧٦

ثم أصبحت جريدة يومية فى (٣ يناير ١٨٨١) وانتقلت إلى القاهرة فى أول نوفبر ١٨٩٩ ، وقد صدرت بعد الثورة العرابية مهاجمة لعرابى وأعوانه مؤيدة للاحتلال مدافعة عن حقوق مصر معارضة لتصرفات بريطانيا لحساب فرنسا، واستمرت على سياستها هذه حتى تحولت عام ١٨٨٤ حيث بدأت تسير فى الطريق الوطنى .

وقد واجهت فى المرحلة الأولى من حياتها خصومة مع القصر عندما كتبت مقالها (ظلم الفلاح) وحملت فيه على تصرفات الخديوى المالية ، وقد جاء فى مقالها: أن الخديو احتجز مائة ألف جنيه استرلينى وقد قبض على (بشارة تقلا) وتدخل القنصل الفرنسى بشأن الافراج عنه (مايو ١٨٨٩) .

وكان هذا علامة على طريق الأهرام فيما بعد .

وهكذا سارت (الأهرام) فى مرحلة مابعد الاحتلال : وطنية عثمانية . وهو عكس الاتجاه الذى اختطته « المقطم » وهو محاربة الوطنية والعثمانية معاً .

وقد أيدت الأهرام النفوذ الفرنسى الثقافى والاقتصادى ، ولم يلق هذا الاتجاه معارضة إذ ذاك ،حيث كانت فرنسا تحتضن كل الحركات المعادية لبريطانيا فى الشرق . وقد اتخذها مصطفى كامل — أى فرنسا — موئلا له للدفاع عن القضية الوطنية، كما اتخذ من جريدة الأهرام لسانا لدعوته فى الفترة الباكرة قبل صدور المؤيد ١٨٨٩ واللواء ١٩٠٠ .

كما كان الوطنيون يتطلعون الى كل جبهة تساعدهم فى نضالهم ضد الاحتلال البريطانى .

× استوعبت الأهرام تاريخ مصر والعالم العربى واحداثه كما استوعبت كتابه، فندر من كتاب الأمة العربية من لم يكتب فى الأهرام . كما كانت مجالا لجميع الزعماء السياسيين وجميع الحركات والدعوات والمذاهب ، فقد أتيح لها أن تفتح صدر صفحاتها بعد نهاية الحرب العالمية الأولى وثورة ١٩١٩ لجميع الأقلام والآراء،فالتقت على صفحاتها جميع الآراء ، وعدت بحق سجلا جامعا لتطور مصر والأمة العربية الثقافى والسياسى والاجتماعى والاقتصادى على نحو لم يحدث فى أى صحيفة أخرى فى العالم العربى :

ومن ثم نشأت لها تقاليد واضحة سارت عليها لاتتخطاها فى جميع العهود والحكومات وقد منحها هذا الاتجاه الاعتراف بقدرها والثقة بآرائها وزيادة التوزيع وارتفاع المكانة .

وأتاح لها وضعها هذا أن تدعو الى الاتحاد فى ابان الخصومات بين الاحزاب والزعماء . وان تتحدث عن جميع القضايا على نحو معتدل وفق أسلوب هادىء

بعيد عن نزعات العاطفية والعنف والتحدى والهجاء . مختلفة فى ذلك من أسلوب الصحف الوطنية والحزبية .

ولذلك كانت الصحف تغلق أو تصادر ويحاكم كتابها أو يسجنون ، وتعود الصحف إلى الصدور مرة أخرى بأسماء أخرى ، وجريدة الأهرام فى كل هذه المراحل تزداد قوة على البقاء والحياة والاستمرار . وهى باتجاهها وطابعها أصبحت مكانا لكل من لا يجد مكانا لكلمته . حتى رؤساء الأحزاب الذين اختلفوا مع أحزابهم وصحفهم لجأوا اليها . ولعلها كانت لسان حال الصحافة المصرية فى هذه الفترة أيضا . فقد كانت تعلن عن الصحف عند صدورها . ثم ترصد محاكماتها وقضاياها والتحقيقات التى تجرى فيها ، ثم تسجل مواقف كتابها حين يتركونها أو يتحولون عنها . ثم تواصل الاشارة إلى الصحف حين تتوقف وحين تعاود الصدور مرة أخرى .

وقد أحرزت الأهرام نجاحا فى التوزيع وثقة فى السوق وتقدما يرجع الفضل الاكبر فيه إلى (جبرائيل تقلا) التى وجه كل أرباح الأهرام إلى ترقية الأهرام وشراء أحدث ماكينات الطباعة .

لم يكن للأهرام كتاب دائمون ، وإن كتب بها جميع الكتاب . وكان للصحافيين دور واضح ضخم فى الفترة ما بين ١٩٢٠ — ١٩٤٠ وهناك عدد كبير منهم ظل يواصل الكتابة سنوات وسنوات باستمرار دون توقف .

من هؤلاء : أحمد زكى باشا ومحجوب ثابت ومحمد مسعود وفريد وجدى وشكيب ارسلان ومحمود أبو العيون ومنصور فهمى .

أما الصحفيون البارزون فى هذه الفترة فقد كتبوا بلا استثناء فى الأهرام : العقاد وطه حسين وهيكل وتوفيق دياب ومحمود عزمى (الذى ارتبط بالأهرام

حتى نهاية حياته) وفكرى أباظة وعبد القادر حمزة وأمين الرفعى وحافظ عوض ولطفى السيد وعزيز خانكى .

ومن الزعماء كتب كثيرون منهم بها : جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وسعد زغلول وطلعت حرب ومكرم لطفى .

× وأبرز الأهرام عدداً من الصحفيين والكتاب البارزين : أمثال خليل مطران وعبد الله حسين ومحمود أبو الفتح وأحمد الصاوى ونجيب كنعان وعزيز مرزا وزكى عبد القادر .

× وكتبت فى الأهرام : نبويه موسى وزينب فواز وباحثة البادية وكان للكاتبة (مى) دور ضخم فى كتابة افتتاحيات الأهرام أمداً طويلا — وبنت الشاطىء .

وكان للأهرام دورها فى تطوير اللغة الصحفية والانشائيه . وقد مرت لغة الأهرام فى ثلاث مراحل : لغة القرن التاسع عشر ذات السجع والمترادفات . ولغة ما بين الاحتلال والحرب العالمية المرونة بالازدواج والمقدمات والنتائج ، ثم لغة الكتابة الحديثة الموصوفة بالأسلوب التلغرافى .

(دور الأهرام فى الصحافة العربية)

بدأت الأهرام فى (٣ يناير ١٨٨٤) تهاجم الانجليز ووقفت ضد ترك السودان ، وعطلت شهراً فى نفس العام لأنها عارضت الاتجاه البريطانى لإخلاء السودان وأشادت بشريف باشا الذى استقال ورفض الخروج من السودان .

وقد سئل صاحب الأهرام فى لندن عام ١٨٨٤ عن حال مصر فقال : أنها سيئة بفعال الانجليز . عارضا رسالتى الإدارة المالية الانجليزية فى مصر ، وكتبت عن مساوى الادارة المالية الإنجليزية فى مصر وحملت لواء المعارضة لهم .

وكانت قد اغلقت (عام ١٨٨٠) بعد أربع سنوات من انشائها لأنها نشرت مقالات دافعت فيها عن الفلاح وارهاقه بالضرائب .

كما أنذرت عام ١٩٢٣ لأنها نشرت قصيده عنوانها « دمعة جزع على رفات الأمير عبد القادر » .

وناصرت الأهرام مصطفى كامل قبل أن يصدر الالوية الثلاثة . ودعت إلى الجلاء وداومت على دعوتها ووصفت وعود بريطانيا بالجلاء بأنها وعود عرقوب .

وحاربت الانجليز فى خططهم فى قناة السويس والسودان والتعليم وكان لها أثر فى رفض أعضاء مجلس شورى القوانين لميزانية الدولة ١٨٩٣ .

ونادت الأهرام فى ثورة ١٩١٩ بأنها مصرية المصريين ، وفتحت صفحاتها للكتابات الوطنية ، ووقفت فى وجه لجنة (ملنر) ودعت إلى وحدة الزعماء ورجال الأحزاب عندما اتسع الخلاف ، ومقالات داود بركات (تعالوا إلى كلمة سواء) مشهورة .

ووقفت فى صف الشعب فى معركة دنشواى .

وأنشأت الأحاديث الصحيفية ولم تكن معروفة فى الصحافة العربية من قبل وفى مقدمة ذلك أحاديث داود بركات (٧ يناير ١٩١٥) وبشارة تقلا (١٥ سبتمبر ١٩١٥) كما أجرى جبرائيل تقلا أحاديث مع الزعماء الأوربيين الذين قابلهم .

وأجرى أحاديث أخرى مع سعد زغلول عن شروع ملنر فى مارس (٢٢ أغسطس ١٩٢٠) .

وبعد أن انتهت الحرب العالمية زادت صفحات الأهرام وبدأت فى معالجة مختلف الموضوعات ثم ظلت ترقى حتى بلغت ١٤ صفحة ثم غيرت ثوبها كله .

وبينما بلغ توزيع اللواء فى يوم وفاة مصطفى كامل ٤٠ الفا بلغ توزيع الأهرام يوم وفاة سعد زغلول ١٢٠ الفا .

وقد طورت الأهرام لغة الصحف افقيا ورأسيا : أولا بتحررها من الألفاظ القديمة والسجع والعبارات الانشائية وثانيا : من الألفاظ الجارحة وعبارات الهجاء والعنف .

ونقلت الكتابة من التطويل إلى الايجاز . ونقلت الفن الصحفى من المقالة إلى الخبر .

وكانت الأهرام أولى الصحف التى ادخلت الصور إلى صفحاتها ثم عملت لأول مرة تاريخ الصحافة ١٩١٤ على أنشاء شبكة مراسلين ضخمة فى جميع انحاء العالم ، بلغت من بومباى فى الهند إلى نيويورك ، وكانت تنشر البرقيات المسهبة فى صفحتها الأولى ولم يكن ذلك مألوفا من قبل فى أى جريدة مصرية ثم هاجمت الأهرام ١٦٠٩ قانون المطبوعات القديم وكتب أنطون الجميل بها مقالا نعى فيه مصرع الحرية .

× ودافعت الأهرام عن حرية الصحافة عام ١٩٠٢ وهاجمت أعضاء مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ومن يرى رأيهم القائل بالحد من حرية الصحف والضغط على الأقلام . فلما عادت فكرة سن تشريع يكمم أفواه الصحف عام ١٩٠٦ حملت الأهرام على الفكرة ودعاتها .

كما استقبلت الأهرام المنطادزبلن بمندوب لها يحمل تحية مصر واستضافت موتمر الصحافة اللاتينية العاشر حيث انعقد فى مصر عام ١٩٣١ وقد مثل ٢٥ أمة .

كما شاركت فى جميع المؤتمرات الصحفية العالمية ومن بينها مؤتمر كولونيا ١٩٢٨

وأبدت الأهرام اهتمامها بالأدب والثقافة العلمية وأفسحت صفحاتها وأعمدتها للأبحاث المختلفة فيها .

كان عدد محرريها عندما نشبت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ أربعة ، وعمالها ٣٠ عاملا ثم وصل عدد المحررين إلى أربعين وعمالها ٣٤٠ عند نهاية الحرب .

وتولى جبرائيل تقلا مراسلة الأهرام فى إبان رحلاته ، وله أحاديث صحفية هامة مع الكبراء والعظماء كما كان يفعل أبوه بشارة تقلا وتولى ذلك فى مؤتمر مونترية وحمل الهر « اكنر » على تنظيم رحلة زبلن ووضع تصميم الاحرف الجديدة للطباعة وهو أول من أسس قسم الزنكوغراف والتصوير فى الصحف .

وعاونت الأهرام القضية المصرية وقضية تحرر تركيا وحركات التحرر فى كل البلاد التى يحتلها الانجليز .

وقد سبقت الأهرام الصحف جميعا باستعمال ما كينات « اللينوتيب » فى جمع الحروف وقد دخلت مطابع الأهرام ١٩٢٠ .

وكافحت الأهرام دعوة مصطفى كامل فى الوطنية، حملت لواء دعوة طلعت حرب فى الاقتصاد ، وقاسم أمين فى الاصلاح الاجتماعى .

فقد عنيت بنشر أراء قاسم أمين قبل أن يصدر كتابه تحرير المرأة، ثم أفسحت المجال للرأى بعد نشره هذه المقالات فى جريدة المؤيد وصدورها فى كتاب مستقل (١٨٩٨) . ووقفت إلى جوار قاسم أمين ، ثم عادت بعد الحرب العالمية الاولى فافسحت صفحاتها للاراء حول قضية المرأة ، لكلا المدرستين مدرسة المحافظين ومدرسة المجددين .

وجعلت « مسألة المرأة » موضوع افتتاحيتها فى كل مناسبة . كلما حققت المرأة نصرا . كما حفلت محلياتها بأخبار النشاط النسوى وكل ما يتصل بتأييد مطالب المرأة المصرية وتعليم البنت والنهضة بالمرأة ، ومن ذلك مقالات نبوية موسى ومى زيادة وهدى شعراوى .

وأفسحت الأهرام صدرها للشعر والشعراء فنشرت معظم انتاج : خليل مطران وشوقى وحافظ واسماعيل صبرى، وهى التى منحت شوقى لقب أمير الشعراء واقترح داود بركات اسم الشوقيات لديوانه ، وذكرته أبان نفيه واستقبلته مكرمة أياه بعد عودته كما اسبغت لقب شاعر النيل على حافظ ابراهيم (١٩٠٩) وشاعر القطرين على خليل مطران ١٩١٣ .

واحتفلت بالادباء والمفكرين فى مناسبات تكريمهم ووفياتهم . فاحتفلت بحافظ ابراهيم والمنفلوطى وفتحى زغلول .

وكرمت واصف غالى عند اصدار كتاب جواهر الأدب (١٩١٤) ورفيق العظم وأبو شادى .

وكرمت عبد العزيز فهمى وعزيز المصرى وجعلت مشروع طلعت حرب فى إنشاء بنك وطنى موضوع افتتاحية لها .

وعلى الجملة فأن الأهرام أدخلت فن الحديث الصحفى ١٨٧٦ والطباعة الحديثة ١٩٣٠ وأرسلت أول مندوب إلى لندن ١٨٨٤ وحملت على اتفاقية السودان ١٨٩٩ وغيرت شكل الأهرام تغييرا كاملا ١٩٣١ وزادت صفحاتها إلى ١٦ صفحة وأدخلت الصورة، وحققت أول اتصال تلفونى بين مصر وأوربا مع برلين ١٩٣٢ ويمكن القول بأنها عارضت الاستعمار البريطانى وأفسحت المجال للاراء المختلفة وعرفت بعناصر ثلاث هى : عدم التجريح ، واحترام التقاليد ، وتحرى الدقة .

موقف الأهرام من المذاهب والأفكار والأحداث

تنقلت « الأهرام » فى مراحل متعددة خلال تاريخها الطويل . وكان لها مواقف واضحة من بعض الاحداث . فهى فى مجموع اتجاهاتها : عصرية غربية فرنسية الثقافة ، وسليم بشارة تقلا وداود بركات وانطون الجميل وجبرائيل نقلا ؛ وهم أبرز رجالها وأعلامها والقائمين عليها والراسمين لسياستها لبنانيو الأصل ، تثقفوا فى مطلع حياتهم ثقافة فرنسية واتجهوا إلى الغرب ، ولذلك فقد كانت فى نظرتهم إلى الحركة الوطنية نظرة محايده . ونظرتهم إلى الإنجليز هى نظرة الخصومة لتأييدهم لنفوذ فرنسا وثقافتها .

الصراع بين الثقافيين

وقد كانوا من أهم المدافعين عن النفوذ الفرنسى والثقافة الفرنسية خلال فترة الصراع الطويلة بين الثقافتين الإنجليزية والفرنسية مؤازرين الثقافة الفرنسية والتعليم الفرنسى .

وقف الأهرام فى صف التطور الذى قام به مصطفى كمال بالنسبة لسقوط الخلافة وتأييد الاتجاه الغربى الذى سارت فيه تركيا ، وقد أوفدت إليها بعثات صحفية متوالية ونشرت عشرات المقالات فى تصوير عظمة تركيا الكمالية .

وفى المجال القوى ناصر الأهرام « القومية الضيقة » . وقد كتب داود بركات عشرات الافتتاحيات عن عظمة مصر بنيلها وأهرامها وتاريخها الفرعونى وفتحت الاهرام الباب واسعا أمام الدراسات الخاصة بالتاريخ الفرعونى بينما لم تقف من « القومية العربية » موقفا صريحا .

وكتب داود بركات مرات متعددة عن رحلته إلى سوريا ولبنان فكانت آراءه لا تحمل طابع الدعوة إلى الوحده .

ما الحديث عن مصر — عنده — يحمل طابع التذكير بماضى مصر الفرعونى وبسيادة مصر

وترأسها على الأمه العربيه ، وهذا كله ليس مما يوحى بالتقارب أو التلاقى، بل يؤدى إلى الوقيعة والـكراهيه — يقول الأهرام فى افتتاحيته (١٩٢١/١/٣) « أية حضارة لم يكن لمصر اليد الطولى فيها، وموسى الـكليم تلقى شريعته فى أرضها . وعيسى بن مريم كانت نشأته تحت سمائها وعلماء مصر كانوا كما يفهم الباحثون المدققون « دماغ » النصرانية . والاسلام وجد فى مصر لخدمة الصالحين من العلماء والفقهاء . وبناة الأهرام علموا الناس أساس فن البناء . وأصحاب الهيروغليفة ابتدعوا حروف الهجاء ، وكذلك قل عن الطب والتنجيم والتشريع والموسيقى » .

ويقول داود بركات فى مقالات (مارأت عيناى)[1] : إن مصر الموجودة الآن فى كل مكان ذات صورتين فى عيون العالم جميلتين ، الصورة القديمة وقد خلد فيها المجد الذى لا يفنى ، والمجد الذى لم تقو أعاصير الدهر وإن تقوى عليه ، وهو إرث حق لمصر أن تستثمره كما استثمرت اليونان ارثها عن الآباء والأجداد . والصورة الحديثة وهى لاتقل عن الصورة الأولى جمالا ورواء . وقد تعب الحساد فى تشويهها فباءوا بالخيبة والفشل والخسران » .

وفى مقال آخر[2] :

« كانت مصر منذ عهد بعيد ولا تزال ملتقى الحضارات ومتوسط المراكز التجارية وواسطة عقد البلاد الشرقية بالبلاد الغربية . وكان لمصر من موقفها مزايا كبيرة هامة جعلتها مطمح أنظار طلاب العلم والتجارة والهجرة ومطمعا لدعاة الفتح وأنصار التوسع والاستعمار .

وعلاقات مصر بجيرانها لاتفتأ تتجدد تجدد العصور فى مصر ، وحاجة مصر إلى الاستفادة من عامل الزعامة التى تقلدتها فى البلاد العربية .. الخ » .

---

(١) ١٩٢٥/٩/١ الأهرام
(٢) ١٩٣٠/٩/٣٠ الأهرام

الثورة العرابية

٢ — وقفت « الأهرام » من الثورة العرابية موقفا معارضا للتيار الوطنى فقد كتبت عدداً من المقالات عن « العاصى عرابى » وزملائه وتأييد موقف سلطان باشا وولسلى قائد الجيش البريطانى ومن نماذج ذلك ما كتبه فى (٢٩ أغسطس (آب) ١٨٨٢) وفى مقالها الافتتاحى عن الذين حرضوا عرابى وتخلوا عنه فى ثورته . وكيف أنه كان ينبغى أن يلحق بهم عقاب حتى ولو امتد إلى أبنائهم وأحفادهم إذا كانوا هم أنفسهم قدماتوا » .

وفى مقال للاهرام (٣١ أغسطس ١٨٨٢) قالت عن عرابى : « رجل ساقه الغرور إلى التمتع بدناءة الطبع وجره الطمع الفاضح إلى التعدى على حكم الوضع فتمثل له السراب شرابا والوادى جبلا . والظلام نوراً . فخطا بقدم الاحنف . وظن أنه جواد . ولكن فضل من جعل له مقاما بين العباد . وأخذ فى ناصرة الجهل المركب معتقدا أن أبناء عن العلم براحل فامتهنهم وأذلهم وعمل على خراب ديارهم وتعطيل أعمالهم وجنح إلى الشر غير مبال من كان الغرور له قائدا فلا تسل عن العقبى . أقدم على عمل جلل ولكن جهل انه ممن لم تخصهم العناية الا برسالة الشر والويل وساءت آخرة الظالمين .

تصور انه سينال على صفحات التاريخ ذكر يدوم له فلا يكون دون أولئك الرجال الذين دوخوا البلدان بفتوحاتهم وأنقذوا بنى أوطانهم من مخالب الظلم والاستبداد ولكنه نسى أن التاريخ لا يحفظ له الأسوء الذكر » .

ثم عادت الأهرام فكتبت بقلم داود بركات مقالات عن الثورة العرابية حاولت فيها أن تتنصل فيها من رأيها القديم .

العصاة

ووصفت الأهرام مجاهدى سوريا فى ثوراتها ضد فرنسا بالعصاه .

وعرضت مواقفهم البطولية بصورة فيها استهانة مقلله من شأنها :

ومن ذلك ما ذكرته فى ٣٠ مايو ١٩٢١ : « أخذ العصاة يجتمعون فى قرية اسمها بثانا مقابلة لمحطة الحمدانية وهم عبارة عن عرب الموالى وعصابات ابراهيم هنانو وقد جرت بينهم وبين الجنود معركتان خسر الثائرون منها نحو ٣٠٠ قتيل .

وفى ٢٧ يونيو ١٩٢١ ، قالت : « أطلق خمســـة من الفرسان السوريين الرصاص على الجنرال غورو المندوب السامى الفرنسى فى سوريا وهو ذاهب من دمشق إلى القنطرة لزيارة محمد الفاغور » .

وعزت الأهرام المعركة إلى الخلاف بين فرنسا وانجلترا فى الشرق .

غردون

وداومت الأهرام عن ذكرى غردون عدة مرات وبالغت فى الاهتمام به فى مناسبة مرور مائة سنة على مولده فى يناير ١٩٣٣ ، وقال رئيس تحرير الأهرام فى مقاله الافتتاحى : أن غردون بطل من أبطال الأمة الانجليزية قدم نفسه (ضحية) وقربانا للامبراطورية لتملكها السودان المصرى .

وينبىء هذا الاتجاه إلى تحولها فى هذه الفترة عن فرنسا محاولة استمالة الاستعمار البريطانى .

محمد عبده

وهاجمت الأهرام الشيخ محمد عبده بعد وفاته (٧ فبراير ١٩٠٦) فقالت : اشتهر الشيخ محمد عبده فى أخريات أيامه بممالأة المحتلين ، وكان يسمى تلك المالأة (مسالمة) وكنا نسميها (إستسلاما) وهو الذى علم مجلس الشورى الاستسلام حتى بات ذلك المجلس بعد الصوفانى والشيخ محمد عبده على ما نراه الآن بعين الأسف والحسرة .

« وكان رحمه الله على ثقة بأن سياسته مع المحتلين تنيله النجح فيما يريد فكانت هذه السياسة شخصية ذهب نفعها — إذا كان لها نفع — بذهاب صاحبها وبقى بعدها

الاستسلام لما يريد الحكام بلا جدال ولا كلام، وأبى الله أن يظل فكر الشيخ عبده وآراؤه في الاحتلال وسياسة المحتلين تحت طى الخفاء حتى أبرز ذلك الفكر مسيو غرفيل في كتاب ظهر باسم (مصر الحديثة) .

وقد أشار الدكتور «أنيس صايغ» مؤلف كتاب الفكرة العربية إلى دور الأهرام في هذه فترة فقال (ص ١١٤) ان جريدة الأهرام آزرت الاستعمار مدة طويلة فعملت لحساب المصالح الفرنسية ورحبت بالنفوذ الفرنسى في البلاد . وقد روى أحمد عرابى في مذكراته أن بشارة تقلا شمت به وهو في سجنه لأنه قام ضد المصالح الفرنسية وقد أتهمه عرابى بالخيانة .

وأشار الدكتور « عبد اللطيف حمزة » في كتابه « الصحافة المصرية في مائة عام » إلى دور جريدة الأهرام في المرحلة الأولى من تاريخها فقال : أنها عرفت بالاعتدال والمرونة . وقال « غير أن الخطأ الذى ارتكبته الأهرام في هذا الطور من أطوارها أنها بالغت في ذكر مثالب الباب العالى وبالغت في ذكر محاسن الأوربيين وخاصة الفرنسيين ووقفت موقفا يوشك أن يكون معاديا للثورة العرابية فأخذت تنذر العرابيين بالويل والثبور وعواقب الأمور .. » .

أبرز الصاحفين

ومن أبرز الصاحفين[1] في جريدة الأهرام (١) محمود أبو العيون بسلاسل مقالاته الثلاث : عن الصفحة السوداء في تاريخ الانجليز ، ومذابح الأعراض (عن البغاء) ومقالات « ياضيمة الأخلاق في عهد الحرية » .

(٢) أحمد زكى باشا بمقالاته في التحقيق اللغوى والتاريخى . (٣) فكرى أباظه بأسلوبه الفريد في نوعه . .

---

(١) اقرأ فصل (الصاحفين) في نهاية هذا الكتاب .

أسلوب الأهرام

تطور أسلوب الأهرام فانتقل من السجع إلى الرسل إلى الأسلوب الحديث وهذا نموزج منه عام ١٩٢١ فى أول المرحلة الثانية لتطوره :

● إستقبال الورد اللنبي : اصطف حضرات المستقبلين يتقدمهم موظفو دار الحماية ثم ضباط الجيش البريطانى ، ثم الأباء الروحيين فقناصـل الدول فمندوبو الصحف العربية الأفرنجية ثم حضرات مديرى الأقاليم ثم حضرات أصحاب الفضيلة (المفتى والبـكرى والخضرى والمهدى) وأقبل بعد ذلك أصحاب الدولة والمعالى يتقدمهم (نسيم وثروت وصدقى وصبرى وابراهيم فتحى وحشمت ومدحت يكن) فـكبار الموظفين من موظفى الحـكومة .

وفى الساعة ١٢ والدقيقة ٤٥ وصـل القطار ووقفت القاطرة أمام (الحلمية الانجليزية) فصدحت الموسيقى بالسلام وهتف الانجليز هتافهم المعتاد . ولمانزل من القطار ومعه الـكونتيس اللنبي ، وبيدها باقة ورد لطيفة تقدم سعيد ذوالفقار كبير الأمناء ومندوب عظمة السلطان فسلم على فخامته وأبلغه تحية عظمته ، ومرت السيارة تتلوها سيارات كثيرة إلى قصر الدوبارة وكانت بعض الشوارع غاصـة بالناس وطارت خمس طيارات من المحطة إلى دار الحماية » .

وهذا أسلوب كتابة الخبر فى هذه الفترة تحت عنوان (مدرسة الحقوق : لماذا تظل مغلقة) قالت الأهرام : آمنا وسلمنا بأن المدارس أضربت وبأن نظارها أقفلوها بسبب الأضراب، ثم رأينا المدارس تفتح أبوابها وتدعو الطلبة إلى العودة إلا مدرسة الحقوق فانها ظلت مغلقة ولم توجه دعوة إلى طلبتها بالعودة فلم نفهم السبب ولم ندر الداعى إليه » .

وكانت عناوين مقالات الأهرام مثيرة تمثل مختلف الظروف : لحادث مقتل السردار ٢٠/١١/١٩٢٤ نشرته الأهرام على هذا النحو :

[عصابة إجرام تلق قنبلة وتطلق النار على مردار الجيش] .

وعندما ائتلف الوفد والأحرار الدستوريون في يونيو ١٩٢٦ وشكلت الوزارة برئاسة أحمد قطبي الأحرار الدستوريين نشرت الأهرام مقالا تحت هذا العنوان المثير :

[بناء من الوفديين وواجهه من الأحرار الدستوريين] .

ووصفت جريدة الشعب (٨/٥/١٩١٢) جريدة الأهرام بأنها (عثمانية مصرية) وأنها لا تتأخر عن مناصرة فرنسا والدفاع عن مصالحها سواء اكانت اقتصادية أم سياسية ، غير أنها مع ذلك لا تهمل المصلحة المصرية غالباً وهى فى حيدة مع الاحزاب السياسية وتجاملها كلها أو بعضها.

مقالات عن الصحافة

نشرتها جريدة الأهرام

١٩٣٢ — مؤتمر الصحافة اللاتينية فى مصر ١٠/١ ، لجم الصحافة ٧/٦ حرية الصحافة ٦/٩ جرائم النشر ١٨ / ٦ مذكرة الصحفيين ٣ / ٧ سيد على صاحب النظام ١٩/٩ المكتوبجى (هامش) ٢١/١٠ و ٢٢ / ١٠ تادرس المنقبادى ٢/١٢ و ١٤/١٢ و ٧/١٢ الفيليب دى كنت طرازى ٣/١٢ .

١٩٣٣ — الصحافة وحريتها فى مجلس النواب ١٨ / ٥ صاحب المؤيد وأصحاب المقطم ٤/٩ ذكرى صاحب المؤيد ٢٥ / ١٠ وفاة داود بركات ٥ / ١١ و٦ و٧ و١١ و١٥ و٢١ / ١١ و١٦ / ١٢ — الصحيفة الأدبية فى الأهرام بدأت ١٥/٧ قوة الصحافة من قوة الأمة ١٨/١٢ دراسة عن الصحافى العجوز ٢٢/١٢ فى الصحافة ٢٧/١٢ .

١٩٣٤ — الشيخ الخازن وجريدة الأخبار (هامش) ١٤ / ١ اللونيتيب وتاريخه ١٢/٢ صحيفة الاكسبريس ٣٢ عاما ١ / ٣ تاريخ الصحافة المصرية ودورها فى الشرق ٣/٥ الصحافة والصحف الانجليزية ١٢ / ٤ وفاة صاحب الوادى ٣٠ / ٤ بعثة الاهرام فى صحراء ليبيا ٧/٥ الاهرام ١٦ صفحة (الصفحة الأخيرة صور) ١/٦ هامش الصحفى العجوز ١ / ٦ فارس الشدياق ٣٠ / ٦ سليم مكاريوس ورجال

المقتطف ١٩ / ٧ نجيب هاشم (هامش) ٢١ / ٧ سليم مكاريوس ٢٢/٧ سليم بشارة تقلا ٤/ ١/٣٤ على حسن شيخ من شيوخ الصحافة ٨/٧ جريدة الاهرام وتعطيلها ٨/٢١ الصحافة بين أزمتين ٣٠ / ٨ الصحافة والتاريخ ١ / ٩ قانون تنظيم الصحافة ١٠ / ٩ تشريع الصحافة ٩/١٢ حرية الصحافة ٩/١٧ مطلوب قانون يعاقب على الهزء والسخرية ١٢ / ٩ الصحافة المصرية ١٩ / ٩ الهامش : فارس نمر ٩/٢٦ الصحافة المصرية ١٠/٧ و١٨ / ١٠ داود بركات ٤ / ١١ الصحافة بين عهدين (هامش) ١٢/٢٤ .

١٩٣٥ — الصحافة وحريتها ٩ / ١ الصحافة العربية فى أمريكا ١/١٩ مجلاتنا النسائية (هامش) ٢٨ / ٢ محمد حسن نائل المرصفى ٣١ / ٢ إبراهيم اليازجى ٣/ ٤ أحمد فؤاد صاحب الصاعقة ٣/٤ (اهرام ١٥/٥/٣٥ من ٦٤ صفحة-١٠ مليم) دين العلم والأدب على الصحافة ١١/١٨ أصحاب الصحف ١١/٢١ .

١٩٣٦ — الطباعة وتاريخها ٤ / ٣ رجال الصحافة لهم كلمات ٢٥ / ٣ الصحافة المصرية (عبد القادر حمزة) ٣/٣١ إسماعيل باشا والصحافة ٤/١ مقام الصحافة العربية فى بلاد العرب ٣/٤ نواة الصحافة العربية فى مصر ٤/٤ المنقبادى ٤/٥ رسالة الصحافة (محمود عزمى) ٨ / ٤ حسين رمزى هامش ٨ / ٤ اتجاهات الصحافة الجديد ١٠ / ٤ صانعو الجريدة ١٧ / ٤ الصحافة (هامش) ١٩ / ٤ الصور الهزلية والصحف ٢١ / ٤ المخترعات الجديدة فى الصحافة ٤/٢٤ تطور الصحف الأسبوعية ٨/٥ الصحافة الإقليمية (توفيق حبيب) ٧/٢٥ و١٢/١٩ .

١٩٣٧ — العفو عن العقاد ٢ / ٣ تعطيل الضياء ونشرة مصر الفتاة ٩ / ٣ قضية جريدة الضياء ١٤ / ٣ الصحافة وأثرها فى النهضات العامة ٢٠ / ٣ الشدياق ٩/٢٧ مهمة الصحافة فى العالم ٩/٢٩ مستقبل الصحافة فى مصر ١٢/١١ الصحافة مرآة الأمة ٢/١٥ .

١٩٣٨ — الصحافة الانجليزية ٢/٢٧ أحمد حافظ عوض ٢ / ٦ كمال الدين جلال : دكتوراه فى الصحافة ٢٤ / ٦ مشكلة الصحافة فى مصر ٦/٢٨ و٧/٣ الصحافة السوداء ٧/٤ نشأة الصحافة اليوم ٧/٦ مشكلة الصحافة ٧/٨ و ٧/١٠ تطور الصحافة فى مصر والشرق ٧/١٣ قضية التلغرافات على يوسف (هامش) ١٢/٨ .

١٩٣٩ — تاريخ الاهرام (هامش) ١/١ و١/٣ الصحافة بين أصدقائها وأعدائها ٢/٧ حرية الصحافة وما تحققه ٢/١٨ الصحافة المصرية اليوم شأنها وتطورها ٥/٢٥ الحارة (هامش) ٧/٢٩ .

داود بركات

يعد داود بركات من أبعد الكتاب أثرا فى الصحافة المصرية العربية وفى حياة جريدة الأهرام ، فقد عمل فى الصحافة أربعين عاماً ١٨٩٣ — ١٩٣٣ وامضى فى الأهرام محرراً ورئيساً لتحريرها ٣٥ عاماً (١٨٩٨ — ١٩٣٣) صور مطالع حياته فى الصحافة فقال : كتبت فى جريده المحروسة بمناسبة حريق بلدة زفتى فارسل إلى صاحبها (عزيز زند) يطلب إلى أن أتولى التحرير (ثم حرر فى جريدة النيل التى كان يصدرها حسن حسنى الطويرانى ، والقاهرة : للشيخ جمال الدين (أحد أتباع أبو الهدى) ثم اتفقت مع يوسف الخازن على أصدار الأخبار اليومية ١٨٩٦ ومكثت ثلاثة سنين فى رئاسة تحريرها ثم تركتها للاشتغال بالتجارة. ولكن أبى القدر ألا أن أعود إلى الصحافة بعد أن اتخذت المدة لذلك السبيل . ذلك أن صديقى خليل مطران كان يراسل الأهرام من القاهرة أيام كانت إدارتها بالاسكندرية ، ثم أخذ أجازة من صاحب الأهرام يقضيها فى سورية فطلب منى أن أقوم بمراسلتها إلى أن يعود من أجازته ، ولما كانت عزيمتى مقصورة على ترك الصحافة قبلت من صديقى أن أقوم مقامه على شرط ألا يكون لى صلة بادارة الأهرام من أى وجه غير المراسلة ، وسارت الأمور على هذا إلى أن عزم المرحوم بشارة باشا تقلا للسفر إلى أوربا فكتب إلى يطلب منى أن أزيد على الرسائل بعض مقالات افتتاحية حتى يعود هو من أوربا وخليل من سورية ، ولما اهتم صاحب الأهرام بنقل جريدته إلى القاهرة طلب منى أن أتولى رئاسة التحرير فترددت فى أول الأمر ولكن ألح على كثيرا فلم أريد بدا من الانقياد إلى رغبته[1] »

---

(١) الأهرام — مايو ١٩٣٠ .

ثم لم يلبث أن رأس تحرير الأهرام وأدار سياستها ١٨٩٩ وكان داود بركات مرجعا لكل حادث في مصر منذ احتلال انجلترا لمصر إلى آخر أيامه معززا بالتواريخ والأرقام والأدلة، وكان يكتب المقالات ويصحح الرسائل ويترجم التلغرافات ويراجع البروفات ويشرف على كيفية توضيب الصفحات .

وقال داود بركات أنه عام ١٨٩٣ لم تكن في مصر من الصحف سوى « المحروسة والأهرام » وهما يقولان[1] « أن تركيا هي الدولة صاحبة الحق في مصر ويستندان إلى تأييد فرنسا وروسيا في مكافحة الإنجليز وكان المقطم ومصر يؤيدان انجلترا . وكان حزب الخديو يؤيد الصحف الوطنية » .

وقد تطلع داود بركات منذ مطالع شبابه إلى الأدب والشعر والكتابة في الصحف ، وكان العالم اللغوي عبد الله البستاني استاذه يقول انه « تثقف بالكتب التاريخية أعني بالكتب التي تبحث في فلسفة التاريخ » ويقول عنه صديقه خليل مطران أنه لم يدع كتابا الاطالة ولا وثيقة الأوقف عليها من كل ماله صلة بالمسألة المصرية أو المسألة الشرقية التي كان همه منصرف إليها . » كما وصفه بأنه رزق سلامة الحكم على المسائل وما أفضى به الران والارتياض من سهولة التركيب وفصاحة الأسلوب وبلاغة التعبير . كما وصفه بقوة الخلق والتعالي من الأحقاد والوهنة للعزم » وقد وصفت جريدة المقتطف أسلوبه[2] بالمقدرة على الأشارة إلى مرام خفيه وأغراض خاصه . مقصودة بأسلوب واضح ولكنه غير صريح جلي ، مبهم لا يخفى على عين الرقيب وهو ما يوصف بالأسلوب الماكر » وأشارت جريدة الأهرام في نعي داود بركات[3] إلى أنه أوقف حياته مدى ثلاثين سنة على (١) المطالبة بالجلاء (٢) وحق

---

(١) من حديث لدواد بركات مع الهلال .
(٢) المقتطف (ديسمبر ١٩٢٢) .
(٣) الأهرام ١٩٣٣/١١/٥ .

مصر فى السودان

وقد عمل محرراً ومترجماً ومصححاً لبروفاته وجامع أخبار .

وقد أدلى داود بركات بعديد من الأحاديث عن الصحافة المصرية والعربية فى تطورها من خلال تجربته ، ومن هذه الآراء نكشف تطور الصحافة عامة والأهرام خاصة ، ففى عام ١٩١٧ قال: أنه بعد أن كان الصحفى البارع يدبج الفصل الطويل المسجع يملا به صفحات جريدته ، وأن خلا من المعنى ، بات الصحفى يعالج موضوعه معالجة المصور يرسم ما يريد تصويره وبعد أن كان يكتب ليرضى فقط صار يكتب ليفهم ويقول أن الصحافة قوتان : هى الرأى والمادة وهى عندنا ضعيفة إذا قيست بقوة الصحافة الأوربية(١) .

ثم عاد عام ١٩٢٣ فصور تطور الصحافة من ناحية الأسلوب فقال : أنه دخل على لغة المحررين شىء كان مستنكراً عند القدماء كالالفاظ الجارحة والعبارات القاسية . كان القدماء يبحثون عن العبارة اللينة والكلمة الملطفة ليؤدوا بها المعنى الشديد الجارح ، ويتجامون الألفاظ الخشنة وكان من المتداول فى وصف العبارة الشديدة قولنا : الكلام انثى والمعنى ذكر .

ثم أشار إلى التطور فى استعداد القارىء فقال أنه أصبح أقل عمقا من الماضى . فهو ملول يريد أن يصل من الجريدة إلى معرفة ما يهم باقصر وقت . وأن الكاتب الذى كان منذ عشرين عاما يشرح فكرة واحدة فى ثلاثة أعمدة أو أكثر أصبح يبسطها فى نصف ذلك . وأن العبارات الانشائية قد ترك منها السجع والمترادفات .

---

(١) الهلال أكتوبر ١٩١٧ .
(٢) الهلال نوفبر ١٩٢٣ .

وقال : أن أكبر مرتب منذ عشرين عاما — أى إلى عام ١٩٠٣ — لاتتجاوز ١٢ جنيه .

ثم عاد (داود بركات) فصور تطور الصحافة عام ١٩٢٩ فقال :

كان[1] المؤيد فى أحسن أيامه يطبع على الاكثر ٨ آلاف نسخـــــة ، أما فى عام (١٩٢٨) فأن أصغر جريدة توزع ١٥ ألفاً . والجرائد الكبرى تطبع ضعف ذلك العدد أو ثلاثة أمثاله (أى أن توزيع الأهرام فى ذلك الوقت بين ٣٠ و ٤٥ ألف) .

وفى يوم وفاة سعد زغلول بلغ مطبوع الأهرام ١٢٠ ألفاً ، وكان يمكن أن يبلغ أكثر من هذا العدد، ولكن الآلات حميت فاضطررنا إلى وقفها . وأقصى عدد بلغته الصحافة القديمة كان فى وفاة مصطفى كامل (اللواء) ٤٠ ألفا وكان هذا العدد يعد من معجزات الصحف .

وتمتاز الصحف القديمة بمقالات يكتبها رجال من ذوى المقامات العالية يكتبون فيها مستترين ويكافحون الاحتلال الإنجليزى من هؤلاء : حسن عاصم ، وسعد زغلول ، وابراهيم اللقانى ، وفتحى زغلول ، وشفيق منصور ، ومحمد عبده وكانت الصحافة قديماً محترمة ومهيبه تحسب لها الحكومة حسابا كبيرا ولكن الصحفى لم يكن محترماً . كنا ننقد مشاريع الحكومة وكان الوطنيون من الموظفين يزودونها بالأخبار . كانت الحكومة تحاول منعنا استقاء أخبارها فلا تقدر .

وقرر مجلس الوزراء برئاسة مصطفى فهمى منع مكاتبى الأهرام والمؤيد من الدخول فى مصالح الحكومة . وأخرج خليل مطران — مندوب الأهرام — من

---

(١) الهلال (أكتوبر ١٩١٧) .
(٢) الهلال: يناير ١٩٢٧ .

الدواوين بقوة البوليس وهى ترغى وتزبد وتقول لمدير المطبوعات : سأهز أسس الحكومة؛ وقال أنه بعد ٣٤ سنة من الاشتغال بالصحافة يرى أن تطور الصحافة تابع لتطور الأمة ، كان الكاتب يعد عظيما بنسبة قدرته على التطويل وابتكاره للسجعات واستشهاده بالأشعار والأمثال .

وقال أنه مما كانت تمتاز به الصحف القديمة استطاعتها جلب الأخبار من الوكالات السياسية فى القاهرة فقد كانت المنافسة بين الدول عظيمة فكنا نظفر بالأخبار منها .

وقال ان الصحافة الآن — ١٩٢٨ — تسير فى الطريق الأوربى وتبتعد عن الأسلوب القديم وتعرف بمرونة اللفظ ودقة المعنى والتلميح إلى الغرض والملاينة فى المناظرة والاكثار من الأخبار ما لم نجده فى الصحف القديمة .

* * *

وقال داوود بركات : إن أحب رجال التاريخ إليه هو نابليون بونابرت وقال : إنه إذا كان غزو نابليون لمصر سبباً لما تمانيه من الأثر السياسى لاحتلال الانجليز لها فإنه مما لا شك فيه ان مصر استفادت من حملة نابليون من الوجهة العلمية والعمرانية .

وتحدث داود بركات عن (الصحافة وسر المهنة) قال ليس هناك قانون يحتم على الصحافى أن يحفظ بسر مهنته ولكن المسألة مسألة مهنة ، فالصحافى يجب أن يعتقد أنه محل ثقة الجمهور فإذا أؤتمن على سر يتعلق بمهنته فليس له أن يبوح به إلا إذا سمح صاحب السر .

وقال : حدث أن إسماعيل باشا أباظة كتب عدة مقالات فى الاهرام ضد سعد باشا فقدم سعد باشا بلاغا إلى النيابة يطلب معرفة كاتب المقالات ويخلى جريدة الاهرام من التبعة فاستدعتنى النيابة إليها ، وسألتنى عن الكاتب فأبيت أن أبوح باسمه وقلت إذا كانت هناك تبعة فأنا المسئول ولكن سعد باشا لم يرد أن يلقى التبعة على الاهرام وكان يريد أن يعرف كاتب المقالات وبعد أيام نشر إسماعيل باشا أباظة كلمة جهر فيها بأنه كاتب المقالات .

جبرائيل تقلا

يمثل (جبرائيل تقلا) مرحلة هامة من مراحل حياة الاهرام (١٩١٢-١٩٤٣) وقد آمن بمستقبل الصحافة ولذلك عمل على دعم صناعة الطباعة واستقدم ماكينات اللونتيب بينما كان الدكتور فارس نمر صاحب المقطم يشترى العزب والأطيان .

وقد أعدّته والدته الصحفية لحمل رسالة الأهرام ؛ فدرس الحقوق والاقتصاد السياسى فى باريس ، فلما عاد جدد الصحافة طباعة وموضوعاً ، وآمن جبرائيل تقلا أن الصحافةأخبار، وكان يرى أن مهمة الصحافى تيسير المعرفة للقراء ويؤمن بأن الخطأ المشهور خير من الصواب المهجور، وحدث أن قرأ فى الاهرام خبرا عن تعذيب مسجون فاصطدم بهذه العبارة « وقد قرر الطبيب الشرعى أن المسجون وجدت فى ظهره جروح من أثر (المشق) بالسياط » . فدعى إليه المحرر الذى كتب الخبر وقال له :

أما أن تغير هذه العبارة بكلام مفهوم أو تذهب الآن وتمد ٥٠ ألف نسخة من أحد القواميس لتفهم القراء أن (المشق) بالسياط يعنى الضرب بالكرابيج.

وقد وصفه أحد كتاب الاهرام : بقوله : كانت الاهرام تسبق الصحف الاخرى بعشر سنوات وكان تقلا باشا يسبق الاهرام نفسها بمائة عام على الأقل ومهما كان فى هذا القول من المبالغة فإنه يصور إيمانه بالتطور .

شجع شركة (الانترتيب) على أن تصنع آلات لجمع الحروف باللغة العربية ، وذهب يومها مدير (الانترتيب) إلى دور الصحف يسألها هل سوف تستخدم الانترتيب فقالت كل دور الصحف إنها تفضل طريقة جمع الحروف .

ومما يروى عنه أنه كان يريد ادخال الصور إلى الاهرام ، ولكن أنطون الجميل رئيس تحرير الاهرام — إذ ذاك — كان يعارض هذه الفكرة، ويرى أنها لا تتفق مع وقار الاهرام . وانتهز تقلا باشا فرصة سفر أنطون الجميل فى الاجازة فأدخل الصور فى الاهرام ووضع رئيس التحرير أمام الأمر الواقع .

كما وجه اهتماما ملحوظا إلى القسم الخارجى والعناية بالأنباء المحلية ، وأنشأ شبكة واسعة من المراسلين والمندوبين وكان يشعر المحرر الذى يعمل معه أنه صاحب الاهرام . وكان دائب الاطلاع على كل جديد فى شأن الصحافة والصحف تقتبس فيها لجريدته . وقـــد مثل جريدته فى عشرات من المؤتمرات وعقد عشرات الأحاديث مع العظماء وأرسل آلاف البرقيات ولكنه لم يكن كاتبا بالمعنى المعروف.

وقد أشار الدكتور هيكل إلى دور جبرائيل تقلا فى تطوير الأهرام فقال : « كان تقلا باشا فى مقتبل الشباب حين اشتد نشاط الحركة الوطنية المصرية فى ١٩١٩ وكانت أكثر الصحف المصرية قد تعطلت إبان الحرب الكبرى (الأولى) لأسباب مختلفة ، فكانت الاهرام الميدان الأول الذى اتجهت إليه أقلام المفكرين فى مصر ورأى تقلا باشا أثر هذه الحركة فى الأهرام ورآها تصبح قوة من القوى الفعالة ذات الأثر فى توجيه النشاط العام لشعب ظامىء للحرية ، وأدرك بذلك قوة هذا السلطان الضخم الذى تفرضه الصحافة الحرة .

كانت أقلام الساسة وأهل الرأى تجرى فى أنهر « الاهرام » حركة ١٩١٩ فياضة دافقة تغذى الشعور القومى المتقد . وتدفع إلى النفوس ما يزيد إيمانها بحق هذا الوطن » .

ثم أشار الدكتور هيكل إلى أنه كان « يساير الجمهور ليرضى ميوله على نحو يجعل بين الاهرام وبين الجمهور من التفاعل ما يزيد الرابطة بينهما متانة وأشار

إلى اتجاه الاهرام إلى ارضاء والجمهور من الأدب والرياضة الثقافة العلمية » وبذلك استطاعت الاهرام من طريق ملاقاة الجمهور فى ميوله أن توجه الجمهور إلى ما يشاء تقلا باشا وما يشاء المهيمنون على سياسة الاهرام .

وقد أشار فكرى أباظة إلى شجاعة جبرائيل تقلا فى ميدان النشر حين تحمل عنه مسئولية بضع مقالات نشرها فى الأهرام فكتب بيده خطابا يقول فيه أنه الذى أوعز بالكتابة وأمر بها وأنه المسئول الأول والأخير .

وأشار فكرى أباظة إلى أن جبرائيل قد رسم سياسة الأهرام العليا على أربع مبادىء :

(١) جعلها جريدة لمصر والمصريين قبل أن تكون لجهة من الجهات أو سلطة من السلطات أو لحزب من الأحزاب .

(٢) جعلها لسان حال الشرق كله .

(٣) سما بها عن الاشتباك فى الجدل العقيم الذى لا يجدى على القراء وجنبها أن تهبط إلى مستوى الأخذ والرد .

(٤) كبت شهوة النشر فاحتفظ فى صدره بالأخبار المثيرة عن السياسة العليا .

وأشار عبد الرحمن عزام إلى أن جبرائيل تقلا كان ينشر الرأى المخالف لرأيه وقال : « ولعل سر نجاح تقلا الاستواء على الطريق المستقيم عهداً طويلا مما جعل الشيع المختلفة تلتقى فى دار الاهرام وأنه كان رحب الصدر لمخالفيه ، لا يحقد .

انطون الجميل

عمل انطون الجميل فى الاهرام منذ ١٩٠٨ وماقبلها، ورأس تحرير الأهرام فى نوفمبر ١٩٣٣ بعد وفاة داود بركات إلى وفاته فى يناير ١٩٤٩ فقد أمضى بها أربعين عاما.

يقول : «كان لمجرى قناة السويس أكبر الأثر فى مجرى حياتى» . كان محرراً فى الأهرام والبراميد فاستدعى لترجمة وثائق مد امتياز قناة السويس ١٩١٠ وعين مترجماً عام ١٩١١ بوزارة المالية وظل يرقى حتى أصبح سكرتيرا للجنة المالية .

كتب فى الأهرام ١٩٠٨ نقدات للتمثيليات . وفى ١٩٠٩ كتب نقداً لقانون المطبوعات القديم الذى بعث من جديد لتكبيل حرية القلم فى هذه العبارات :

« أول أمس كان مصرع الحرية . مضت مطعونة بخناجر محدده أغمدت فى صدرها . واليوم يوم تشييع جنازتها مبكيا عليها من كل رجل حر ماسوفا على عهدها من إنسان عرف حقوق الإنسان . يقف حول نعشها المجلل بالسواد كل مخبر ومحرر وصحفى وكاتب . كلهم مكسوروا الأقلام شاقوا الطروس » .

وقد كان فى حياته الصحفية يؤمن بأن يقف فى الوسط إذا تنافرت الأحزاب أو اختلفت حتى ارتاح له جميع المشتغلين بالسياسة العامة ويومن انطون الجميل بأن الصحفى يجب أن يكون أديباً . وأن مؤسسى الصحافة العربية كانوا هم أركان النهضة الأدبية فى النصف الثانى من القرن الغابر والربع الأول من القرن الحالى وأن من يكتب تاريخ الصحافة عندنا يكتب تاريخ الأدب فى تلك الحقبة من الزمن .

وقال . إذا نظرنا إلى رؤساء الكتاب فى صحفنا اليوم وإلى كبار معاونيهم

نجد الصحفي متلبساً بالأدب . نعم ليس كل أديب بصحافي ولكن ينبغي أن يكون كل صحفي أديباً ، لأن الصحافة قد ارتفعت إلى المنزلة التي صارت إليها أصبحت أشبه بدائرة معارف شاملة عامة وبات الارتباط وثيقاً بينها وبين الأدب » .

وقد قيل كانت الأمانة اثيرة لديه عن السبق الصحفي ، ولربما يصله الخبر فيبحث عما يترتب عن نشره . ويكره العنف في المناقشة والحدة في الجدل . ولا يرضى أن يخرج بالأهرام في الخلافات السياسية أو الطائفة أو المذهبية ولا ينشر خبرا عن إنسان إلا بعد استئذانه .

وصفه محمد زكي عبد القادر في مذكراته[1] (انطون الجميل رجل لا شك في أمانته واستقامة خلقه واعتزازه بكرامة العمل الذي يزاوله والجريدة التي رأس تحريرها . ولكنه من جانب آخر غامضاً غموضاً شديدا ، كثير التحفظ في ابداء رايه ، لا تستطيع أن تعرف ماذا يقصد ألا إذا كنت قد درسته وفهمته ووعيت خوالج نفسه وأنه لشيء دقيق جدا » وأشار إلى ندوته المشهورة في جريدة الأهرام فقال : يحضرها أصحاب الفكر والرأي والباشوات والبكوات ؛ يجلس بينهم في تحفظ عجيب وكلام يصدر عنه فلا تعرف مغزاه ، هل هو رأي أولا رأي ، هل هو تحية خالصة أم غمز رقيق . كان يسمع أ كثر مما يتكلم . رواد سهرته يتناقشون ويتباحثون . وكانوا خليطا من مختلف الآراء ، يتحدثون ويختلفون . يذهبون إلى أقصى اليمين أو أقصى اليسار ، وضع رأسه في الورق وابتسامة غامضة علا وجهه أو تومض من وقت إلى آخر . كان يسره أن يشعر بالزهو أن الأهرام أو أنه هو بالذات مصدر من مصادر التوجية والتأثير في هذا الوطن .

وكان شديد الزهو بالأهرام ، واضح الاعتقاد بأنه فيما عداها لا توجد صحافة

---

(١) الجيل الجديد (مجلد ١٩٦٠ —) (انتهت في ٢٥/٧/١٩٦٠) .

فى مصر ، كان ينظر إلى الصحف الآخرى باستهانة واضحة. كان دقيقاً فى الا ينشر ما يؤذى سمعه الأفراد . أو يدخل فى نطاق الفضيحة الشخصية ويكره أن تتجاوز الصور نطاق التقاليد المسلم بها .

الأهرام فى مذكرات زكى عبد القادر

بعد وفاة انطون الجميل فى أوائل ١٩٤٨ آل إليه الاشراف على تحرير الأهرام فترة وصفها بأنها حفلت بالروائع والعواصف وامتلات بالانفعالات العامة والخاصة

وقد صور زكى عبد القادر جريدة الأهرام وتطورها فى ظل جبرائيل تقلا وانطون الجميل فى مذكراته فقال :

رأيت فى جريدة «السياسة» الارستقراطيه الذكيه والارستقراطية التقليدية . رأيت فيها لمة من الذكاء والفكر اسرتنى وبهرتنى . ورأيت فى جريدة « الشعب» غباء وارستقراطية ريفية وبلادة فى الادراك أزعجتنى وآلمتنى لولا لمحات ذكاء بارع كانت تصدر من صدقى باشا من حين إلى حين ،وفى الحزبية كانت الصحافة وراء الصورة . وفى القدمة الحزب والسياسة والصراع الحزبى والوزارة التى سقطت والوزارة التى تجىء .

أما فى « الأهرام » فقد رأيت شيئاً جديدا : الصحافة أولا والأحزاب والسياسة والصراع كل الألوان التى يضطرم بها المجتمع لا تعنى بالنسبة له إلا أنها مادة صحفية . اختفى من الصورة كل شىء ولم يبق ألا الصحافة . إلا الخبر ، يجب أن تسبق به الجريدة الجميع والا الدقة يجب إلا يتنازل عنها والا الوقوف موقف الحياد بين مختلف التيارات دون ميل إلى هذا أو ذاك .

رأيت فى الأهرام : الوفد والأحرار وحزب الشعب والحزب الوطنى والمستقلين . رأيت كل الاجناس والألوان تأتى إليه وتصادقه ولا حرج عليها، لم أر فيه

ارستقراطية فى الفكر أو المذهب أوالعقيدة .ولكنى رايته يجمع الارستقراطيات كلها دون أن يدين بشيء منها . كان يفتح صدره لكل رأى وفكر . وكان أصحاب الآراء والأفكار يؤثرونه على غيره من الجرائد الحزبية ، لأنهم فى مأمن من سخط صاحب السلطان . إذا عاملوه . ثم هو جريدة محايدة مستقلة ، لا ضير عليهم لو نشروا فيه أرائها ودافعوا عنها : سيتقبلها الناس مبرأة من الحزبية ومفاسدها .

لم يكن للاهرام طعم ولا لون خاص ، ولكنه كان يجمع بين صفحاته كل الالوان والأطعمة يقدمها فى براعة ورقة وأمانه » .

وقد أشار إلى التحول الذى حدث فى الأهرام بين عهد داود بركات وانطون الجيل : « كان عنصر المقال واضح التقديم فى الأهرام (أبان عهد داود بركات) وعندما كان يتولاها انطون الجيل أخذ هذا المقال ينكمش ويضعف ويصبح لاوزن له ولا رأى له . لأن انطون لم يكون كاتب مقال من الطراز الأول . كان أديبا تغلب عليه النزعة الأدبية ، لم يكن ذلك ناتجا عن تطور فى الصحافة كما حدث فيما بعد بقدر ما كان ناتجا عن اتجاه رئيس التحرير .

كان المقال الافتتاحى يحتل صدر الصفحة الأولى ، وصدر الصفحة الرابعة ، يكتبه رؤساء التحرير : عبد القادر حمزه ، حافظ عوض ، هيكل ، طه حسين ، محمود عزمى ، توفيق دياب ، عباس العقاد .

كان فى الصحف يمثل اتجاهاتها السياسيه والحزبية ، وكان فى الأهرام حينما كان يكتبه داود بركات ، يمثل الاتجاه المستقبل للجريدة المحايدة والجريدة المستقلة الاولى لا تبدى رايا لأن الامور لاتهمها . والثانية تبدى رايا خاصا بها دون الانتماء لحزب من الاحزاب .

كانت الاهرام وداود بركات يتولى تحريرها جريدة مستقلة الرأى ، فلما تولاها انطون الجميل أصبحت أقرب إلى الجريدة المحايدة منها إلى الجريدة المستقلة • ولم يكن هذا أيضاً نتيجة لرغبة صاحبها فى تغيير طابعها بقدر ما كان تأثراً بظروف رئيس التحرير ومنهجه فى الحياة » .

وأشار زكى عبد القادر إلى أنه بدأ يكتب نصف عامود (نحو النور) فى الأهرام ابتداء من أول فبراير ١٩٣٨ وتابع كتابته من وقت إلى آخر ، وهو يمثل رأيا خاصا غير رأى الأهرام . ثم قال :

«كان أنطون الجميل يكره الامضاءات ويكره من يوقع على مقالاته ، كان لايحب أن يلمع إسما أيا كان فى الأهرام ، ولذلك زاد عنها أى كاتب صاحب رأى وقلم ، وكان يفضل عليهم الصحفيين الذين تفنى شخصيتهم فى الجريدة فلا يكونون سوى أدوات فى الماكينة الضخمة .

وقد جاء مركزه كرئيس لتحرير الأهرام المستقلة فى وطن تتنازعه تيارات حزبية وسياسية واجتماعية متعددة فاضاف هو أيضا إعتبارات أخرى زادت من تداخل الفضائل فى نفسه غموضا ؛ كان كل أحد يقف أمامه كما يقف أمام لغز غامض لا يعرف كيف يحله .

ثم قارن زكى عبد القادر بين جبرائيل تقلا وبين أنطون الجميل : فقال : كان الوضوح فى تقلا باشا أعظم ما يميزه — كان أنطون باشا متأنيا متمهلا ، يراعى كل الاعتبارات ويفهم كل التيارات ويحسب لها حسابها ، وكان تقــلا باشا جسوراً مستعجلا شديد الحركة سريع الحركة مندفعا والصحافة الصحيحة أندفاع وجسارة ومغامرة ، كان تقلا باشا أوربيا فى تفــكيره واتجاهه وتصرفاته ، وكان أنطون باشا أوربيا فى اتجاهه ولــكن كان دينيا كما كان شرقيا فى تصرفاته وعلاقاته ومجاملاته .

توفيق حبيب

يمثل توفيق حبيب نموذجاً فريداً فى الصحافة العربية ؛ ولد ١٨٨٠ واشتغل منذ صباه محرراً بجريدة الوطن (التى ظهرت فى ٢٥ أغسطس ١٩٠٠) التى كانت تعنى بشئون الطائفة القبطية .

وأنشأ أكثر من مجلة وصحيفة (الشيطان ١٨٩٨ ـ الاكسبريس ١٩٠٢ السباق ١٩٢٤ ـ الشعلة ١٩٣٠ .

اقترن اسمه بصحيفة الأخبار لصاحبها يوسف الخازن ، تولى توفيق تحريرها قبل الحرب العالمية الأولى وأيانها ثم اقترن اسمه بالهامش بامضاء الصحفى العجوز وقد بدأه فى عام١٩٣٢. وتوفى فى ٢٤ أكتوبر ١٩٤١ .وهذا نموذج من هامشه (١٩٣٣/٩/١٢) « ... مسكين هذا الطربوش . له فى كل قصة . وعليه فى كل يوم حمله ، يقولون الطربوش نمساوى . الطربوش ليس عربيا . الطربوش يذهو بثروتها الطربوش لا يتمتع بشىء من الجمال . يقولون لك أن النمسا خربت بيتا وأن دمشق تستورد كل عام كميات كبيرة من الطرابيش .

ويمسك هؤلاء القلم والورقة ويحسبون لك : فى دمشق ما لا يقل عن مائة الف رأس ، فإذا فرضنا أن كل رأس يحتاج إلى طربوش والطرابيش شريعة الترفيت . فان دمشق تستورد كل عام مئتى ألف طربوش ، وبعملية حسابية بسيطة ترى أن دمشق تدفع فى سبيل هذا الطربوش النمساوى غير العربى الذى لا يتمتع بشىء من الجمال مبلغ ربع مليون ليرة عثمانية على أقل تقدير ، وإذا نحن فرضنا أن الطربوش كان منتشراً منذ مئتى سنة نجد أن دمشق دفعت للنمسا ثمن طرابيش قيمة مليون ليرة عثمانية ،

« ويبحث اعداء الطربوش عن لباس آخر فلا يجدون القبعة ؛ كلا انها أفرنجية . الـكوفية؛ كلا أنها بدوية . العمامة كلا أنها مشايخية . إذن هناك السدارة العراقية سنرى أيهما ينتصر فى المعركة السدارة أم الطربوش » .

المقطم

١٨٨٩ — ١٩٥٢

- فارس نمر : ١٨٨٩ — ١٩٥١
- خليل ثابت : ١٩١٣ — ١٩٥٢

- لسان حال الإنجليز المستتر فى مصر .
- الصحافة الوطنية والتيار الوطنى .
- كان المصريون يعرفون نوايا بريطانيا من افتتاحيات المقطم .
- أعلنت الأحكام فى بعض القضايا قبل النطق بها .

(١) الدراسة عن الفترة حتى الحرب العالميه الثانية ١٩٣٩

المقطم

صدرت المقطم (١٨ إبريل ١٨٨٩) وقد وضح من خطتها تأييدها الصريح للاستعمار البريطانى . وجرأتها فى مقاومة الخديو . ثم فى معاداة الحركة الوطنية . ومقاومة الصحف الوطنية ومهاجمة جريدة الأهرام التى كانت — إذ ذاك — تعارض الاستعمار البريطانى — وقد حملت لواء الحملة على الامبراطوية العثمانية والسلطان عبدالحميد، وكانت تحمل الدعوة إلى القومية العربية بتأييد الانجليز، وحفلت بمقالات الاعجاب بالاحتلال . وامدها اللورد كرومر بالمال وجعل لها الامتياز فى الحصول على الأنباء بينما حرمت الصحف الأخرى . وقد أتاح لها سلطانها إن تنشر بعض الأحكام القضائية قبل النطق بها بمدة أيام .

وقد هاجمها شباب المدارس العليا ١٨٩٣ إعلانا لسخطهم من موقفها الجرىء ضد مشاعر المصريين ووطنيتهم .

هاجم المقطم العرابيين وكشف عن خصومة عنيفة للوطنية فى قضية دنشواى وكان له دوره فى توسيع شقة الخلاف بين المسلمين والمسيحيين أعوام ١٩١٠ و١٩١١ وتميز المقطم بالرد على كل ما يكتب عن بريطانيا فى صحف أوربا ، وترجمة تقرير اللورد كرومر السنوى ونشره فى المقطم والمقتطف .

وقد لاقى المقطم فى سبيل البقاء على خطته مشقة وعنتا ، أزاء فورة الوطنية وإحساس الشعب بخيانته وفى مواجهة مختلف التيارات التى كانت تواجه أصحابه الذين كانوا يحتمون بجاه المعتمد البريطانى .

وقد كانت خطة كرومر أن يطلق للصحافة حريتها إيمانا بفكرة إطلاق البخار المكبوت حتى لا يتحول إلى قوة حقيقية . وفى نفس الوقت عمل على

---

(١) توقفت فى ١٦ نوفبر ١٩٥٢

إنشاء صحافة معارضة للتيار الوطنى، مدافعة عن الاحتلال والانجليز والاستعمار ودعوات التغريب والتجزئة والاقليمية .

وقد كشف المقطم منذ اليوم الأول عن خطته فى الدفاع عن المصالح البريطانية وأمد اللورد كروس أصحابه بالمال والأخبار والإعلان وحمته دار المعتمد البريطانى فى كل العهود من كل محاولة للحكومة المصرية أو القصر لتعطيله أو محاكمته وظاهرت حملته على الخديوى عباس وكانت نظارة الداخلية والحربية تخص المقطم كل عام بمنحة مالية تشجيعاً له . ونورد هنا نصوصاً متعددة من كتابات مختلفة تكشف موقف المقطم وهدفه :

١ — روى أحمد محفوظ عن توفيق حبيب (فى كتابه عن حافظ إبراهيم) إن فارس نمر وصروف ومكاريوس عند ما قدموا إلى مصر لأول مرة قابلوا كروس وتطوعوا لإصدار جريدة تدافع عن الاحتلال البريطانى ، وكانوا قد علموا أنه قد أجرى بعض اتصالات مع آخرين من اللبنانيين فى هذا الشأن وقالوا : نحن نقوم بما تريدون ونؤيد سياسة الاحتلال الانجليزى فى مصر (الذى هو حق) وقال كروس : إن شروطنا ألا تزجوا باسم الوكالة البريطانية إذا أخطأتم فقدمتم للقضاء . ثم توهمون الناس أنكم إنما تدافعون عن الاحتلال البريطانى للعقيدة وللاحسان إلى مصر ثم لكم بعد ذلك من الاموال ما تشاءون .

وقد وصفت جريدة الشعب (أمين الرافعى) جريدة المقطم فى ١٩١٢/٥/٨ فقالت : سياسية انجليزية صرفة ، تكتب بحروف عربية ، بلغت بهائقة الاحتلال حداً متناهيا وأصحاب المقطم أغنى الصحف مالا وأكثرهم أطيانا ، ورغم أن الصحافة فى مصر مجلبة خسارة فانهـــم جمعوا منها ثروة يعجز عن جمعها أكثر أرباب المشروعات . وهم أقدر الصحفيين فى الضغط على عواطفهم ودس أشد المطاعن وأكبرها إفعاما بالسموم فى قالب نصيحة مرقشة » .

وقال أحمد محفوظ (ص ٥٠) وقد فطن وزرائنا صنائع المحتل لتلك القوة المستمدة من كرومر فآمنوا بالمقطم وصانعوه وكتبوا فيه وآثروه بأخبارهم وأخبار السياسة المصرية، وفيه كان يكتب نوبار ورياض ومصطفى فهمى . وقد حارب المقطم مصطفى كامل وعلى يوسف ، ودعا إلى التنكيل بالمواطنين فى دنشواى واقترح أن ينزل (السير) مكماهون أول مندوب سامى بريطانى عام ١٩١٦ قصر عابدين ويتخذها ديوانا للحكم وقال وفى ثورة ١٩١٩ انبرت المقطم تسفه إصلاح الثوار ، فهاجمها الوطنيون ومزقوها ، وامتنع عمال التوزيع من حملها .

٣ — صور الدكتور أنيس صايغ فى كتابه الفكرة العربية فى مصر (ص ١١٤) دور المقطم فى الحركة الوطنية والعربية فقال : إنه عمل على الدفاع عن حق الانجليز بمصر ، وحمل لواء الإشارة بحسنات الاستعمار ومدح أبطاله والمطالبة باستمراره . ودعوة أهل مصر إلى قبوله ، وقال أن المقطم وقف موقفاً معارضاً لأمانى الشعب ، وطالب بسجن الأحرار وعارض توظيف الوطنيين ورحب بإعدام الأبرياء أثر حادثة دنشواى وأيد إعلان الأحكام العرفية واحتلال السويس وسلخ السودان .

وقال أن المظاهرات سارت لمهاجمة المقطم أكثر من مرة وخاصة يوم ٢٠ تشرين أول (أكتوبر) ١٨٦٣ على رأسها مصطفى كامل . وكان الشيخ على القاياتى لا يسمع اسم (المقطم) حتى يقول : إنه لسان الانجليز قطعه الله » .

وقال الدكتور صايغ : إن المقطم استمر يدعو إلى استمرار الاحتلال والدفاع عن المشاريع البريطانية التى يرفضها الشعب ويهاجم الحكومات الوطنية التى ترفض تلك المشاريع . وأن فارس نمر ظل لساناً ناطقاً بلسان السلطات البريطانية حتى إلى ما بعد ما تولى فاروق الحكم ، وكان المصريون يفهمون نوايا تلك السلطات من قراءة افتتاحيات (فارس نمر) وان المقطم كان ينظر من

الزاوية الانجليزية إلى كافة القضايا العربية لا المصرية فحسب وعلى هذا الأساس دافعت عن الشريف الحسين وهاجمت ابن السعود فى أوائل عهد الصراع الهاشمى الوهابى فى الحجاز .

٤ — صور الدكتور ابراهيم عبده فى كتابه تطور الصحافة العربية ص ١٥٠ دور المقطم : فقال إنها استطاعت نشر بعض الأحكام القضائية قبل النطق بها بمدة أيام : مثال ذلك أنها نشرت الحكم الصادر ضد جريدة «البسفور» قبل النطق به بأسبوعين وحملت لواء الدفاع عن أصدقاء الانجليز وفى مقدمتهم مصطفى فهمى والثناء على الانجليز ومناوءة السلطان فى تركيا . وأشار إلى أن طلاب المدارس العليا هاجموا جريدة المقطم فى ٢٠/١/١٨٩٣ .

٤ — قال توفيق حبيب فى أحدى يومياته (على الهامش) بالأهرام : إن أصحاب المقطم جاءوا إلى مصر ونشروا جريدتهم فكانت العدو الأزرق للمصريين ، لأنها كانت مؤيدة للمحتلين مطالبة بتحرير تركيا من حكم يلدز وصاحب يلدز ، وأشار توفيق حبيب فى هامشه ١٩/١٢/١٩٣٢ إلى أن تقارير اللورد كرومر لا تذكر إلا مقدمة باسم الدكتور فارس نمر أحد أصحاب المقطم ، والذى بدأ يترجمها لاربعين سنة وينشرها فى المقطم ثم عدل عن هذه الطريقة فكان يترجمها ويأخذ فى طبعها وتوزيعها ساعة وصول النسخ الانجليزية .

وقال توفيق حبيب : رحم الله أياما كان التقرير يشغل فى صحفنا اليومية شهراً وبعض الشهر فى نقل فصوله ونقدها والتعليق عليها .

٤ — حاول المقتطف الدفاع عن سياسة وتبريرها فى كل مناسبة فكانت تنشر من حين وحين أسئلة موجهة إليها وردعليها مثال ، ذلك سؤال نشر بالمقتطف (يناير ١٩٢١ ص ٩٤) .

س : لماذا يصادم المقطم فى وطنية مصادمة قوية من بعض طبقات المصريين وما الباعث المقتضى لذلك .

وأجاب الدكتور صروف بقوله : ترجح أن الذين لا ترضيهم (المقطم) بعضهم لا يقرأه أو لا يدرك معناه تماما إذا قرأه . بل يبنى حكمه على ما يسمعه من غيره ، وبعضهم يعتقد أن السياسة التى يتبعها المقطم ليست فى مصلحة البلاد كما يفهمها هو . فيكرهه لأجلها . والعقول تختلف كما تختلف الوجوه . وحسبنا أننا جادون فى المقطم على السياسة التى تعتقد تمام الاعتقاد أنها فى مصلحة مصر وكل الوجوه التى خالفنا فيها غيرنا ثم بانت نتائجها ظهر أننا كنا مصيبين فيها وعاد أكثر الذين خالفونا فاعترفوا بصحة رأينا .

٦ — كتب صور الدكتور هيكل فى مذكراته السياسية موقف المقطم فقال: لقيت دعوة مصطفى كامل إلى الجلاء اذانا صاغية من شباب مصر المتعلم فآمنوا به زعيما وأنضموا إلى حزبه ،على أن الانجليز كانوا يقدرون أن مثل هذه الحركة آتية لا محالة فشجعوا على انشاء جريدة المقطم عقب الاحتلال مباشرة للدفاع عن سياستهم وقد لخصوا هذه السياسة فى أنهم إنما جاءوا إلى مصر لانقاذها من الخراب المالى الذى جره الخديوى اسماعيل عليها ولانقاذها من براثن الخديوى ومن حوله من الاتراك والجراكسة ولإقامة العدل بين أبنائها ولالغاء الرقيق والسخرة والكرباج ولتوزيع الضرائب توزيعاً عادلا .

× ومما ذكره حامد المليجى (٨ يوليه ١٩٤١) فى ذكرياته أن جريدة المقطم هى الجريدة الوحيدة التى كان مسموحاً لها بالدخول إلى معتقلات مالطة أيام كان سجيناً بها .

وتقول مجلة كل شىء :ان جريدة المقطم انتهزت فرصة زيارة (ماكدونالد) رئيس وزراء بريطانيا عام ١٩٢٢ لمصر فدعته إلى زيارة إدارتها فقبل دعوتها وشاهد آلاتها . وقد نظم مصطفى لطفى المنفلوطى قصيدة هاجم فيها سياسة هذه الجديدة ومما جاء فيها :

أى خطب قد دك طود المقطم ... أى رزء أصـــابه فتهــدم

كان بالأمس شامخا فى عــلاه ... فهوى فوق رأســه فتحطم

لا سقى عهــده الوداد ... ولا مر بأثاره فتى يترحــم

جئت مصراً بالأمس عريان نضو ... مفلســا بادى الكآبه اقتم

فرحمنــاك ليتنا نبــدل الحاء ... بجيــم فليس مثلك يرحم

تدعى العلم والتفلسف فى الحكمة ... جهلا وأنت فى العــلم أعجم

أمن الغــدر غدر قوم تلاقى ... بينهم مشربا هنيئــا ومطعم

أمن العــلم أن تكون حليفا ... للاعادى ومن يــلومك يأثم

جل قدر العــلوم عن أن يراها ... لك وجه من وجــه ليلك اقتم

فتطاولت يا حقيرا على كل عظيم ... وذى مقــام مفخــم

وتعــاليت فوق كل « على »[1] ... وتعنبت قبــل أن تتحصرم

وكشفت الكنز العظيم المعمى ... وحللت اللغز الغــريب المطلسم

ثم خنت الأوطان غــدراً ... ونودى ليبيعوك ما اشتريت بدرهم

فتصــبر على البــلاء وأرخ ... عام شــؤم على دماغ المقطم[2]

المقطم وحادث السردار

وواجهت المقطم حادث مقتل السردار على هذا النحو : كتبت فى ٢١ نوفمبر ١٩٢٤ تحت عنوان :

(جناية الأربعاء : نفور الأمة واهتمام الحكومة

انقضى نهار الأربعاء ولا حديث للناس فى مجالسهم وسمرهم سوى الاعتداء

---

(١) يقصد (على يوسف) صاحب اللواء

(٢) روى القصيدة الأستاذ حسنى الزمزمى .

الفظيع على سردار الجيش المصرى واصابته بجروح قال أطبائه أنها بالغة ، إن السفاحين الذين جنوا جناية يوم الأربعاء أقاموا أنفسهم مقام القضاة عن هذه الأمة وأختلسوا لأنفسهم حقا عظيما من حقوقها مغتصبين غير متهيدين بل انزلوا أنفسهم منزلة العناية التى بيدها الحياة والموت ،

إن هؤلاء السفاحين لم يقتصروا على ذلك بل تعدوه إلى تكدير جو العلاقات السياسية والاضرار بالقضية المصرية فى ساعة يريد فيها المصريون أن تكون علاقاتهم بجميع الناس على خير ما يرام .

× وكتب المقطم فى ١٩٢٤/١١/٢٥ تعلق على مطالب الحكومة البريطانية

إن الطلبات التى طلبتها الحكومة البريطانية فى ما تقدم قوبلت بالإيجاب . إن روح الرغبة الخالصة فى توطيد أحسن العلاقات مع الحكومة البريطانية بما يتفق مع حقوق مصر كانت واضحة فى ما فعلته حكومتنا من الطلبات البريطانية وما أضطرت إلى عدم قبوله منها .

لقد بسط سعد باشا رأى الحكومة فى المسألة إجمالا ، وقال أقوالا جديرة بالتأمل والاعتبار بصدورها من سياسى محنك ووطنى صادق .

موقف المقطم من قضايا مصر

١ — قضية دنشواى

كان موقف المقطم من حادث دنشواى مثيراً للسخط فقد بدأته فى يوم ١٤ يونيه ١٩٠٦ بعبارات مريرة قالت : يسوءنا ويسوء كل محب للوئام والسلام فى هذا القطر أن يحدث فيه مثل الحادثة المشئومة التى حدثت أمس فى دنشواى مركز تلا .

ثم عادت يوم ١٥ نوفمبر فتوسعت فى سرد الحادث من وجهه نظرها — وهى وجهه نظر الانجليز — فقالت .

هاجت حادثة دنشواى خواطر الناس هنا وفى بلاد الانجليز هيجانا عظيما جداً .

أولا : لأن عاقبتها كانت مشئومة وثانيا لوقوعها بعد هيجان الخواطر فى مسألة العقبة . أن هذه الحادثة شؤم ووبال على الذين ارتكبوها وعاقبتها مذمومة على الأمة من كل وجه » وأنحت المقطم باللائمة على الصحف الوطنية متهمة أياها بأنها مصدر التهييج وأثارة الخواطر قالت : ان معظم علم الأجانب بأميال الوطنيين ولا سيما الفلاحين وآرائهم مستمد من الجرائد الوطنية فهم يعتقدون أن هذه الجرائد تنطق بلسان الوطنيين وتفصح عن ضمائرهم ، ومن سوء الحظ وخرق السياسة أن أكثر الجرائد الوطنية تطرق على سندان واحد ، وهو أن الوطنيين نافرون من المحتلين . حاقدون عليهم ، لا يصفون لهم ، ويرمون كل وطنى لا يجرى على قولهم بالرياء والتملق والمروق من الوطنية والدين ، ولذلك يكاد الأجانب كلهم يعتقدون اليوم أن حادثة دنشواى هى من عواقب الحقد والتعصب الذى يدعيه اللواء والجرائد التى على شاكلته » .

وعادت المقطم يوم ١٩ يونيو ١٩٠٦ إلى الحديث عن ما أسمته « الحـادثة المشئومة » فقالت :

وهى فى هذا محاولة أن تجعل من حادث دنشواى أمراً فردياً لا دخـل له بالاستعمار البريطانى أو رغبة بريطانيا فى القضاء على قوى الشعب الوطنية فى كل مكان :

يقول : تعبر « المؤيد » عن الضباط هنا بالانجليز ، وعن أهل دنشواى بالأهالى وهذا يجوز لغة من باب تسمية البعض باسم الـكل . ولـكنه لا يجوز سياسة فى قضية كهذه القصة ، إلا إذا قصد الـكاتب أن يجعل حادثة دنشواى المحصورة بين خمسة من الضباط الانجليز وأهل قرية مصرية حادثة عمومية بين الانجليز والمصريين .

وكل مصرى ذى عقل ومروءة يأنف أن يلطخ الأمة المصرية بعار ارتـكبه رعاع من أسفل طبقة من طبقاتها .

ولا خلاف فى أن أهل دنشواى قد ارتـكبوا دنيئة يجل عنها كل شرقى وتأباها نفس كل مصرى وهى ضربهم الضباط بالعصى والطوب حتى جرحوهم وقتلوا واحداً منهم » .

مبرر التصرف الاجرامى

وفى ٢٧ يونيو ١٩٠٦ بعد صدور الحـكم فى قضية دنشواى تحدثت المقطم شامتة فى المصريين فقالت : صدر اليوم حكم القضاء الرهيب على أهل دنشواى جزاء ما جنت أيديهم واجراءاً للعدل وحفظا للنظام والامن ، وقد ساءت حادثة دنشواى هذا العالم المتمدن عموما وعقلاء مصر خصوصا لما ارتـكبه أهل دنشواى فيها من الجرائم الفظيعة والعيوب الفاضحة ، حتى بات كل مصرى عاقل يغار على بلاده يتبرأ منهم كما فعل الهلباوى بك أمس فى مرافعته .

وفى ٢٩ يوليو ١٩٠٦ كتب المقطم يقول :

انتهت قضية دنشواى والأمل أن تهدأ الخواطر وتسكن النفوس بعد ما طال زمان القلق والهيجان ، فليتنبه الغافل ويعلم الجاهل حتى لا يعرض نفسه للوبال لغفلته وتوهمه أن حكم حكومته ضعف وصبرها خوف .

ولم تلبث المقطم يوم ٣٠ يوليو ١٩٠٦ أن هاجمت الصحف الوطنية التى ألهبت شواظ نيران الانتقام على بريطانيا الظالمة فقالت : « نحول أنظار القراء إلى خطأين فاضحين ارتكبتهما الجرائد :

● طعنها على التحقيق وزعمها أن المحققين تحاملوا على الأهالى وأن نظارة الداخلية انحازت إلى الضباط .

● جعلت المسألة المحصورة بين جماعه من الأهالى وآخرين من الضباط مسألة بين المصريين والمحتلين .

وقالت المقطم (٣ أغسطس ١٩٠٧) لقد قضينا زهرة العمر ونحن ننصح المصريين ونحذرهم لئلا يقعوا فى الشرك ويجنوا على أنفسهم . وقد رأينا قوما يحسبون المقطم عدو بلادهم بدلا من أن يحسبوه أصدق صديق لها، وإشار المقطم إلى حادث دنشواى فقال : أن حادث دنشواى ناتجة فى الأصل عن تحريض المحرضين والجميع يعلمون من أولئك المحرضون وأن الحكم الذى أصدرته المحكمة المخصوصة فى تلك القضية كان القصد منه أن يكون عبرة للمعتبرين ورادعا للمغرورين .

٢ ــ المقطم وعزل كرومر

صدرت المقطم تندب خط البلاد لعزل كرومر يوم ١٢ ابريل ١٩٠٧ وقالت : أنقض نبأ (روتر) البارحه انقضاض الصاعقة على هذه العاصمة لأنه فاجأ القوم مفاجأة على حين لم يكن أحد يتوقعه .

ولا ريب أن استعفاء اللورد كرومر يسوء أهل القطر عموما حتى الذين يتباهون

فى هذه الأيام بالتطاول عليه ويفتخرون بالوقاحه وقلة الأدب فى توجيه أقوالهم إليه .

وعادت يوم ١٣ ابريل ١٩٠٧ إلى مهاجمة الصحف التى حملت على كرومر بمناسبة عزله ووصفتهم بالذين « ينكرون الجميل ويغمطون الفضل ويكفرون النعمة » وقالت « أن ما أظهروه أمس من فساد التربية وسوء الأدب وقلة الفطنة فى حملاتهم المنكرة التى حملوها على جناب اللورد فى جرائدهم والنذالة التى أظهرها بعضهم حالما علم أن جنابه استعفى من وظيفته ، كل ذلك زاد الناس انعطافا إلى مصلحة بلادهم » .

وأكدت المقطم أن كرومر لم يعزل وإنما استعفى لتعب صحته ووصفته بأنه « مصلح مصر » .

ونشرت المقطم يوم ٤ مايو ١٩٠٧ « مانشتا » كبيرا من وداع كرومر ورحيله .

وقد ضمنت الصفحة الأولى مقالا لمحمد وحيد عنونه (اللورد كرومر : على الطائر الميمون باخير راحل) ونشرت فى نفس الصفحة قصيدة الشاعر أحمد نسيم :

يامنقذ القطر لا ينسى لك النيل   يدا لها من فم الاصلاح تقبيل

كما نشرت يوم ٧ مايو ١٩٠٧ خطبة كرومر التى ألقاها فى حفل توديعه تحت عنوان (الخطبة السياسية العظمى) وقد وصفها المقطم بأنها « أعظم خطبه سياسية خطبت فى الديار المصرية » .

وعلقت عليها مردده قول كرومر « دوام الاحتلال البريطانى إلى أجل غير مسمى » وقالت :

وعندنا أن هذه المسالة هى بيت القصيد فى الخطبة . وكل عاقل يتذكر . وينتفع بالذكرى وفى قياس الاستقبال على الماضى يحكم معنا أنه إذا كان المصريون يريدون خيرا لأنفسهم وبلادهم وجب أن يتبعوا الخطة التى رسمها فخامة اللورد .

فالعاقل من تبصر وتذكر ولم يغتر بهذيان الاغرار والذين مبدأهم أن كلام الليل يمحوه النهار فإذا قبل المصريون نصيحة أصدق ناصح لهم وأعظم صديق أشفق على فقرائهم ، نفعوا أنفوسهم وخدموا بلادهم . أما إذا أطاعوا المغررين بهم فلومهم على نفوسهم لأنهم هم الذين يأبون ألا أن يشربوا البحر وينطحوا الصخر .

بين المقطم والمؤيد

ودارت بين المقطم والمؤيد معركة فى مسألة توديع كرومر فقد هاجم الشيخ على يوسف كرومر وردت المقطم عليه تقول : (٢ مايو ١٩٠٧) .

يقول أن اللورد أعتمد فى أعماله على أشخاص معينين جعلهم شراعا لسفينة سياسته ، هل تذكر ولو مره واحدة أنك طرقت باب قصر الدوبارة ولم تعامل بما يعامل به سواك من اللطف والرقة . ولماذا لم تكن فى مصاف هؤلاء الأشخاص وما الذى أعجزك عن اللحاق بهم .

وتقول أن اللورد ختم أعمـــاله بتقريره الأسود الأخير ، وأنا أسألك ما الذى بدا لك من سواده حتى تنسب إليه التحامل وتخلع عليه أحدى صفاتك أمجرد دعواك أنه غمز الدين وطمن على أخلاق المسلمين أم التناقض المزعوم .

تقول أن السياسة الفضلى هى محاسنة الأمة وهذا عين الصواب ولذلك كان المقطم يشير عليك وعلى رفاقك بالمحاسنة .

ثم قالت المقطم فى ٢٣ أبريل ١٩٠٧ مصورة كرومر بأنه أعظم من نابليون وخوفو ورمسيس :

« إذا قلنا اليوم أن أفعال كرومر فى مصر أعظم من أفعال بأنى الأهرام ، وأعظم من أفعال رمسيس أكبر الفراعنة ، وأعظم من أفعال نابليون ومحمد على حسب أكثر القراء أن ذلك من مبالغات الشعراء التى يتحاماها المؤرخون .

٣ — المقطم والحزب الوطنى

المعركة الكبرى التى قادها المقطم هى معركته مع الحزب الوطنى وهى معركة امتدت منذ صدر المقطم حتى الحرب العالمية الأولى (١٨٩٨ — ١٩١٤).

وكان المقطم يطلق على مصطفى كامل وحزبه لقب « المجاسين الاغرار » وهذا نموذج مما كتبه المقطم فى ١ يوليو ١٩٠٧ موجها كلامه إلى مصطفى كامل: علمنا منك أن الصحافة حرفة من الحرف أو سلعة تباع وتشترى وصاحبها حر إذا شاء بقى متقلدا لها وإذا شاء تخلى عنها .

لا أريد أن أعلم أن هذا الجم أتى مختاراً يدفعه الشوق إلى تزويد آخر نظرة على خالقتك الباهرة .

قبل أن تصدر (اللواء) كنت تتحدى الخطباء فى المحافل فالتف حولك عدد غير يسير ولم يكونوا قد سمعوا متكلما قبلك وكانت مصر فى حاجة إلى استحثاث همم أبنائها واستنفار عزائمهم لا لتحريضهم ضد المحتلين وتهييجهم ضد النزلاء .

هل كنت مدفوعاً من نفسك أو بعامل اجنبى تستمد منه موارد الثروة وتبلغ به أمالك فى الشهرة والعلاء ، على أنك فلحت فى خداع المصرين بما كان يبدو لهم من طلاقة لسانك وحماستك الباهرة . وبعد أن بلغت أمالك بالخطابة يوما بمصر وآخر بفرنسا ورأيت أن الحيلة قد جازت على عقول البسطاء ، وأن لك بينهم مركزا ، عزمت على أن تكون صحافياً فيسمع صوتك الملايين بدل الألوف وتنهال عليك الجنيهات عوضا عن القروش وقد كان . .

المقطم ينشىء حزباً

وقد أيدت المقطم وفتحت صدرها لما أسمته الحزب الوطنى الحر الذى أنشاه بعد دنشواى مباشرة أحد عملاء الإنجليز (محمد وحيد) وهللت له الديلى أكسبريس

وردده المقطم فى (٣٠ يوليو ١٩٠٧) فقالت أنه قام فى مصر حزب وطنى حر لإحباط مساعى المحرضين والمهيجين وتكذيب أقوالهم ورجال هذا الحزب من ذوى السمعة واليسار وأصحاب المصالح فى مصر .

وقد أعلن هذا الحزب على صفحات المقطم برنامجه الذى تشير المادة الأولى فيه إلى (مسالمة المحتلين والسعى فى نيل ثقتهم والاتفاق معهم على كل ما فيه خير القطر) كما أيد هذا الحزب رأى كرومر فى توسيع التعليم الإبتدائى واجتناب الطفرة فى التعلم العالى (بما لا يؤدى إلى ضد المقصود) .

كما أذاع (محمد وحيد بك) نصيحة لطلبه كلية الحقوق (الذين خدعهم صاحب اللواء وأمثاله) بأن يسلكوا سبيل التروى وألا تغترو بسراب صحف التحريض والأفساد وألا يظهروا أقل جفاء أو عداء لناظرهم (مستر هيكل) .

وطالب الحزب الوطنى الحر بمعاقبة مجرمى دنشواى وقال محمد نشأت زميل محمد وحيد فى الحزب (لم أجد فى الحكم الذى صدر عيبا ألا أنه قانونى عادل . وأن شروط التربص والتعمد والاشتراك فى القتل والتعدى قد توفرت على المحكوم عليهم .

وقال الحزب الذى أنشأته جريدة المقطم : أن حادث دنشواى ليس فى الحقيقة ألا سلاحا ماضيا يجب على حزبنا أن يقبض عليه بيده فيحارب به تلك الزمرة المضللة المفسدة التى تغره على أذهان البسطاء فتزين لهم العدل ظلما والظلم عدلا » .

وقد أطلقت المقطم على أصحاب اللواء لقب « الحشاشين » لأنهم رسموا صورة فتحى زغلول قاضى دنشواى أمام صورة « لهيكل » حسن محفوظ أحد شهداء دنشواى . وهو هيكل عظمى .

ومما يذكر أن محمد وحيد الايوبى مؤسس حزب المقطم « الوطنى الحر »

وجه خطابا مفتوحا إلى السير أدوارد جراى تحدث فيه عن فوائد الاحتلال البريطانى لمصر، وصور فيه هدف حزبه وهو أنه علامات حسنة بين المصريين وسلطات الاحتلال والتعاون معهما من أجل أصلاح البلاد حتى تصبح مصر قطعة من أوربا وتبتعد عن واقعها الشرق .

وقد كان الدكتور فارس نمر موجها لهذا الحرب من وراء ستار لمقاومة مصطفى كامل .

٤ — المقطم ووفاة مصطفى كامل

وعندما توفى مصطفى كامل صدرت كل صحف مصر مجللة بالسواد ، حتى صحيفة « الجريدة » لسان حال حزب الأمة . أما المقطم فقد نشرت النعى فى الجزء الاخير من العامود الاول من صفحة ٦ الداخلية من عدد يوم (١١ فبراير ١٩٠٨) وهو اليوم الثانى لوفاته وتردد أنها لم تنشر ذلك إلا بعد الح عليها الكثيرون وهذا نموذج لما قالته:

نفذ سهم القضاء وليس لامر الله مرد فصح ما كان الاطباء يتذرون به همسا فى الأذن ، وينقل عنهم فى العلن ، وأدركت المنية مصطفى كامل باشا صاحب اللواء بعد أن أشتدت عليه العلل وأضناه السقم فانتقل من دار الفناء إلى دار البقاء ، وهو فى شرخ الشباب وريعان الصبا وخلف الحسرات والاحزان للاصدقاء والخصوم على السواء .

وليعلم القارىء أننا إذا جاهرنا بحزننا عليه وتحسرنا على شبابه لم يكن ذلك لمجرد الرغبة فى المجاملة الظاهرة العاريه عن العواطف والأشجان الباطنة ، إذ لا يخفى أننا كنا من خصوم الفقيد رحمه الله ولكن خصومتنا كانت فى الرأى والسياسة ولم تتعد من جهتنا ذلك الحد .

أما حياة الفقيد وأعماله ومساعيه فمعلومة عند الجمهور ولا حاجة أن نلم بها فى هذه العجالة . أما تأثيره فى الشبيبه المصرية فكان عظيما جداً حتى لقد كانت

أقواله تفعل فعل الراح فى نفوس كثيرين منهم فيوافقونه عليها ويتابعونه على الآراء التى يبسطها فيها ولا يصبرون بعدها على بحث ولا يصغون إلى حجة أو دليل » .

ه — المقطم والمؤتمر القبطى

وعند ما عقد المؤتمر القبطى فى أسيوط (٣ مارس ١٩١١) وأعلن عن التحضير المؤتمر المصرى حاولت الأهرام أن تصور مدى الخطر الذى يكمن فى عدم تحقيق مطالب المؤتمر القبطى فكتب فارس نمر (٧مارس ١٩١١) يقول تحت عنوان (المؤتمران والصحافة) :

قضينا فى الصحافة زماناً أطول مما قضاه فيها سوانا من الرصفاء جميعهم فى هذا القطر مصريين وأجانب عن مصر ، ومرت بنا حوادث وعبر كانت أهوالها تشيب النواصى وتزعزع أركان (المقطم) حتى كنا أحيانا نتوقع انقلابه رأساً على عقب يوما بعد يوم ، ومع ذلك لم نشعر أننا واقفون فى موقف أحرج ولا راكبون مركبا أخشن مما نشعر أننا بتنا فيه اليوم .

ولو كنا نعلم أن تأثير المؤتمرين القبطى والاسلامى ينحصر فى حل بعض المسائل الخلافية المحلية من إدارية ومالية لكنا لا نتأخر لحظة عن الخوض فى تلك المسائل ولا ندخر وسعاً فى إيضاح كل وجه من وجوهها وإظهار وجه الصواب فيها والحض على إعطاء كل ذى حق حقه منها ولكنا نعتقد اعتقاداً ثابتا راسخاً أنه إن كان يمكن أن يعد كلام جريدة اليوم من فضة نسكوتنا يعد من ذهب . وهذا الاعتقاد مبنى على ما تعلمناه من تواريخنا نحن الشرقيين وعلمناه وتحققناه بالاختبار .

لا اعتراض لنا على المؤتمر القبطى بالذات ولا على ما يبحث فيه بالذات ولا نحن ممن يلوم الذين عقدوه على عقدهم إياه، كذلك لا نرى بأسا بعقد المؤتمر الإسلامى ولا اعتراض لنا عليه ولكنا لسوء الحظ فى الشرق. والشرق يختلف عن الغرب من هذا القبيل قدر بعد أقاصى

الشرق عن أقاصي الغرب فما يحسن صنعه وتؤمن عواقبه فى الغرب من حيث ما نحن فيه لا يحسن صنعه فى الشرق . لماذا ؟ لأن هذين المؤتمرين تشم منهما رائحة الدين .

ثم هاجم صحف المؤيد واللواء وقال : أن المسئولية الأولى فى توسيع شقة الخلاف بين المسلمين والمسيحيين واقعة على الصحافة وعلى رءوس بعض منا نحن الصحفيين فهم الذين أحيوا روح الانقسام والبغض القديم .

٦ — المقطم والحكم على محمد فريد

كتب المقطم يوم ٢٣ يناير ١٩١١ فى صدر الصحيفة الأولى بعد الحكم بالسجن على محمد فريد (لتحسين)ديوان وطنيتى للشيخ الغاياتى

قال : كنا وسنظل أشد الخصوم معارضة لمحمد بك فريد والذين ينهجون منهج الطيش والتهور وضد دعاويهم الباطلة وحججهم السفسطائية .. إن حضرات القضاة العادلين إنما حكموا طوعا لما أملت عليهم ضمائرهم الحية . وانهم ما قصدوا من هذا الحكم إلا الغاية التى تنيل الأمة السكينة اللازمة لتقدمها وتحفظ أبناءها .

ثم وجه كلامه إلى رجال الحزب الوطنى : هل أخرجتم الانجليز من مصر ، هل قصرتم أجل الاحتلال . هل أخرجتم موظفاً واحداً انجليزيا من خدمة الحكومة . هل وجدتم دولة واحدة تماديكم على الانجليز .

وجهد ما فعلتم انكم فتحتم امامكم وإمام المحررين رصفائكم أبواب السجون وكنتم لها أول الزائرين . أفلا يكفى هذا لاقناعكم بأن الخطة التى تجرون عليها لبلوغ غايتكم خطة عوجاء » .

ولم تكتف المقطم بهذه العبارات الحاقدة المليئة بالتشفى بل إنها نشرت مرافعة محمد توفيق نسيم ممثل النيابة وكلها سباب فى حين أنها لم تنشر مرافعة الدفاع عن محمد فريد ومن عبارات مرافعة نسيم قوله :

فصل القضاء فى موضوع كتاب وطنيتى وقضى بتأثيم واضعه ومن أطراه وحسن موضوعاته .

٧ — المقطم والصهيونية

كما أيد المقطم الحركة الصهيونية فى هذا الوقت المبكر فنشرت يوم أول مارس ١٩١١ برقية رويتر التى أشارت إلى أن إسماعيل بك ذكر فى مجلس المبعوثان أمر عقد القروض وسياسة الحكومة قائلا : إنه كان للصهيونية دخل عظيم فى ذلك وانهم يضمون الصعوبات المالية ليضطرونا إلى الالتجاء إليهم وشدد النكير على أرنست كاسل وجاء فى البرقية أن الصدر الأعظم دحض أقوال إسماعيل بك وقال : إنه يعد غاية الصهونيين أمنية لا يمكن تحقيقها وأنه لم يكن لها علاقة بالقرض الأخير، ثم عاد المقطم بعد أيام (٩ مارس ١٩١١) فنشر مقالا عنوانه «رفقا باليهود» فانهم قسم من بنى الإنسان بقلم نسيم بن سهل : جاء فيه : هل يلوموننا على تمنينا نحن الصهيونيين تلك الأمنية العظيمة لاخواننا . وهى استعمار بقية أرض جعلها خاصة بهم ، لو علم اللاجئون الغاية النبيلة التى ترمى إليها بمساعينا لما نقموا علينا فأى حر لا يجزع على توالى هذه المصائب على أبناء جلدتنا وإخواننا فى الإنسانية . فبالأمس طردوا الإسرائيليين من روسيا وتخوفت أوربا من قبولهم » .

* * *

٩ — المقطم وثورة ١٩١٩

كان موقف المقطم من ثورة ١٩١٩ مريبا ومخزيا فقد تجاهلت أحداث يوم ٩ مارس ١٩١٩ وصدرت يوم ١٠ مارس ١٩١٩ لم تذكر شيئا عنها . ثم نشرت فى يوم ١١ مارس ١٩٩١ خبراً مؤداه أنها شغب ومظاهرات ، وظلت تخفى حقيقة الموقف أياما طويلة ثم اضطرت بعد إلى الاعتراف بخطورتها وآثارها العميقة

قالت يوم ١١ مارس ١٩١٩ تجمهر لفيف من طلبة المدارس أمس وأول أمس ، وانضم إليهم جمهور من الغوغاء وطافوا فى شوارع العاصمة وكسروا عدداً من مركبات الترمواى وأوقفوا سيرها فى بعض الجهات واعتدوا على بعض الدكاكين وكسروا مصابيح شركة الغاز فى الشوارع وزجاجاً كثيراً من المبانى واقتلعوا شجراً من الشوارع . ثم اجتمع الطلبة أمس وقرروا الامتناع عن الذهاب إلى المدارس . وقد قبض البوليس على كثير من المتظاهرين وفرق الباقون وعاد النظام فاستتب فى العاصمة .

هذا وان كل من يتبع هذه المظاهرات يتأسف من وقوعها ومن ترك الطلبة لدروسهم والاشتغال بمثل هذه الأمور التى تعطل أوقاتها وتضر بمستقبلهم من من غير طائل فيجدر بآباء التلاميذ أن ينصحوهم بالتفرغ إلى دروسهم والاشتغال بها .

ثم عادت يوم ١٢ مارس ١٩١٩ (الأربعاء) فقالت :

إذا كان الغرض الأصلى المقصود من المظاهرات التى جرت فى العاصمة فى الأيام الثلاثة الماضية نفع البلاد وخير ما كفيها فإن بعض ما حدث فى المظاهرات نفسها جاء بعكس هذه النتيجة . وبعد ما كانت المظاهرات فى بدايتها عبارة عن مواكب لتلاميذ المدارس تناولتها يوم الأحد يد الغوغاء وجملتها ما شهد الناس فى الأيام الثلاثة الماضية ، وصار أهم مظاهر الحركة بعد ذلك طبعاً انصراف الرعاع إلى الاعتداء على المخازن ومحال الأعمال .

وقد سرنا جداً ما علمناه وهو أن جانباً كبيراً من تلاميذ المدارس لما رأوا أن الغوغاء أفسدت مظاهرتهم وعمدت إلى أذى الناس نفروا أشد نفور واشتد سخطهم وبلغنا أيضا أن كثيرين من الوالدين شق عليهم أن يكون أبناؤهم فى مواطن كهذه فأوعزوا إليهم اجتناب هذه الغوغاء » .

ولا شك أن هذه العبادات ساذجة فى مناورتها ، ماكرة فى محاولتها أن تصور « الثورة المصرية » بصورة بعيدة كل البعد مما عرف عنها من نظام وقوة واكتمال عناصر الأمة ثم ذكرت المقطم خبراً عابرا قالت فيه :

— وقعت أمس قبل الظهر حوادث تبعث على الأسف بقرب محطة مصر الكبرى وعادت السكينة .

وفى يوم ١٣ مارس قالت المقطم : لم تقع أمس فى العاصمة سوى مظاهرة بسيطة واضطرت المقطم يوم ١٤ مارس أن تنشر أخباراً مطولة تحت عنوان (أخبار المظاهرات) أشارت فيها إلى تجدد المظاهرات (أمس قبل الظهر وبعده) فى الجمالية والغورية والظاهر وشبرا ووقع فى بعضها حوادث يؤسف لها .

ثم أشارت إلى مظاهرات فى الاسكندرية وشبين الكوم وزفتى ودمنهور .

أما يوم ١٥ مارس فقد ذكرت المقطم « أن المظاهرات تجددت أمس قبل الظهر فى جهة سيدنا الحسين فوقعت أمور يؤسف لها جدا . ولا يزال سير الترامواى معطلا . وشورع المدينة تنقصها بهجتها العادية وحركتها المألوفة » ثم أشارت إلى مظاهرات وقعت فى شبين الكوم وطنطا وبنى سويف والزقازيق وزفتى والاسكندرية .

* أما يوم ١٧ مارس فقد اتسعت أخبار المظاهرات فنشرتها على ثلاثة أعمدة وكان أهم ما ذكر فيها (مظاهرة السيدات) .

قالت المقطم : أبلغت حكمدارية العاصمة جميع أقسامها أنها علمت بأن السيدات الوطنيات سيقمن بمظاهرة سلمية ولفتت أنظارهن إلى عدم التعرض لهن مع المحافظة على الأمن .

وأشار المقطم إلى أضراب عمال عنابر السكة الحديد ومنشور طلبة الأزهر وحوادث الحسينية .

• وفى يوم ١٨ مارس وضعت المقطم أخبار المظاهرات فى الصدر تحت أخبار السراى السلطانية وأفسحت لها أربعة أعمدة كاملة وكان أبرزها « مظاهرة الأزهر » التى دامت نحو ثمان ساعات .

• وفى يوم (٢٠ مارس) كتب المقطم عن مظاهرة السيدات التى ستحدث فى صباح اليوم ويشترك فيها جمهور من كرائم العقائل وطالبات المدارس وقالت انهن سيطفن على الوكالات الأجنبية .

وتولى اتساع مساحات المقطم لأخبار الثورة التى مازالت تصر على أنها « أخبار المظاهرات حتى بلغت خمسة أعمدة كاملة .

• كتب المقطم يوم ٢١ مارس ١٩١٩ (أن الأمل معقود الآن بحكمة عقلاء الأمة وقالت أن فريقا من عقلاء الأمة وأعيانها فى هذه العاصمة مهتم الآن أعظم اهتمام بدفع هذه الكارثة عن الوطن العزيز وحقن دماء الأبرياء والاهتداء إلى حل المشاكل الحالية على وجه يرضى الأمة ويقى البلاد شر الفتنة ويمهد السبيل للاتفاق والوئام مع الحكومة البريطانية .

• وتحدث يوم ٢٤ مارس عن السكك الحديدية المصرية والمصائب التى حلت بها

• ونشرت يوم ٢٥ مارس إعلانان الحماية عن الثورة .

٨ — المقطم والحماية

لا أعتقد المقطم رحبت بحدث فى تاريخها كما رحبت باعلان الحماية على مصر فقد استحدثت طريقة الكتابة « مانشت » لها من غير الحروف تحية وترحيبا بالحدث الهام، وهو أول مانشت فى جريدة المقطم فى تاريخها كله نشر على جميع أعمدة الجريدة يوم ١٨ ديسمبر ١٩١٤ على هذا النحو .

[اعلان الحماية البريطانية على مصر]

[بسطت بريطانيا العظمى حمايتها على مصر اليوم]

ونشرت فى الصفحة الأولى قصيده للشاعر الخائن «ولى الدين يكن» الذى خدع كثيراً من الكتاب عن حقيقة موقفه موجهة إلى جلالة ملك بريطانيا وامبراطور الهند جاء فيها.

يا أيها الملك العظيم سلام هتفت ببيمتهـا لك الأقوام
مصر الوفية لاتزال وفيـة وكما عهدت النيـل والأهرام
نالت حمايتك التى اعتزت بهـا أمنالها واستمكن الاسـلام
ذهبت مخافات الظالم وانتهى حكم الهوى واكبت الأصنام

وكان ختام هذه القصيدة الطويلة الموغلة فى النفاق قوله :

اليوم مصر قد ارتقت وسترتقى ولـكل مجد فى حماك تمـام

ونشرت المقطم فى الصفحة الخامسة من نفس العدد مقالها الافتتاحى تحت عنوان

[الحماية البريطانية تظلل الديار المصرية]

[نعمة للمصريين وعبرة للعثمانيين]

وجاء فيها : نحن اليوم بمرأى من أول أمر من الأمور العظيمة الشأن التى أعددنا لها القراء منذ شهر من الزمان . فقد بسطت بريطانيا العظمى حمايتها على مصر وقضى الأمر . وهذا الحادث وان لم يكن عبارة عن قيام مملكة وسقوط أخرى فانه عبارة عن حلول دولة محل أخرى وابدال سيادة تركيا القائمة على شفا جرف هار بسيادة بريطانيا العظمى سيدة البحار والامصار .

نعم، لقد بسط الملك جورج ظله الوارف الظليل على وادى النيل وغاب ظل

الاستانه من حدود مصر وقارقها ان الدهر مابقى يتردد فيها زمانا بين الوجود والعدم إلى أن أدركه اليوم الفناء والاضمحلال مبتدئا بمصر أولا وسيتطرق منها إلى سائر الأملاك العثمانية أخيرا .

الحماية البريطانية كلها ربح إن شاء الله للمصريين . نقول هذا اليوم ونشاهد غدا إن شاء الله إتمام الأقوال بالأفعال .

ومصر : انه لم يبق لها شأن مع دولة خارجية غير الدولة البريطانية ، وإنه كيفما توجه أبناؤها فى طول الأرض وعرضها لم يخشوا ذلا ولا جوراً ولا تعديا لأن ظل بريطانيا العظمى يظلهم وغضبها يذود عنهم .

ومصر تكسب الآن بهذه الحماية أشياء كثيرة وإذا علمت كيف تستفيد منها وتتدارك البعيد من عواقبها .

وقالت المقطم : ان بطاريات القلعة تطلق اليوم مائة مدفع ومدفعا واحداً إيذانا ببسط الحماية البريطانية على الديار المصرية .

× ثم نشرت يوم ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ أخبار عزل الخديو عباس وتعيين السلطان حسين كامل تحت عنوان سلطة مصر وسلطانها .

قالت « عرض سرير سلطة مصر على سمو الامير حسين كامل باشا فقبله وبذلك « سقطت الامارة العباسية » .

وقالت المقطم شامتة فى الحزب الوطنى ودعاة الجلاء : أما اكراه المحتلين على الجلاء وذلك لم يكن مقدوراً للأمير ولا لسواه ، أما إسقاط الأمارة العباسية (أى حكم عباس) وذلك ميسور للانجليز متى شاؤوه ، لأن الاعوام التى جلس فيها على سرير الخديويه كانت محفوفة بالمعارضة لهم ولكل مصرى يعاونهم .

× ونشرت يوم ٢١ ديسمبر سنة ١٩١٤ تحت عنوان (السلطان يستقبل أمته) ثم نشرت يوم ٢٢ ديسمبر حديثا مع السلطان حسين أعلن فيه ولائه لبريطانيا صاحبة الفضل فى « تعيينه » موظفا فى الحكومة البريطانيه بدرجة سلطان فقال :

« ... وقد دعتنى الحكومة البريطانية للجلوس على سرير السلطنة فقبلت الدعوة وانى أعتقد أن حكومة بريطانيا العظمى ستشد أزرى فى إدراك غايتى . وقد أيقنت منذ أضمرت الثورة العرابية ان مصر وسائر الاقطار الشرقية مفتقرة إلى الاوربيين ليساعدوها على السير فى سبيل التقدم ولا نستطيع أن نفى بريطانيا العظمى حقها من الشكر على ما فعلته فى مصر .

١٠ — المقطم ولجنة ملنر

أعلن المقطم الاهتمام الكامل باستقبال لجنة ملنر التى قدمت مصر للتحقيق فى حوادث ثورة ١٨١٩ وحاول تصويرها فى صورة رجال العدل وأن كثيرا من زعماء البلاد قد استقبلوها — فى نفس الوقت الذى قاطعت الامة هذه اللجنة مقاطعة نهائيه،ولم يجد ملنر من يجتمع به سوى طائفة المستوزرين وعملاء بريطانيا

قالت المقطم فى ٣/١/ ١٨٢ :

توالى فى هذه الايام الاجتماع بين قادة الامة فى مصر وكبار رجالها وفى مقدمتهم الوزراء السابقون وكلهم يعمل بجده وجهده لخدمة القضية المصرية وتحقيق أمانى الأمة . وقد شرح الذين اجتمعوا منهم بجناب اللورد ملنر هذه القضية شرحا وافيا ورأوا من لينه وتساهله فى حديثه معهم عنها ما قوى آمالهم بتحقيق مساعيهم ، وأفضى إلى إصدار منشور جناب اللورد ملنر الذى وسع فيه دائرة المناقشة فى القضية المصرية بحيث لا تقيد الآراء أو المناقشة بقيد ما . وأعلن أن الدخول فى المناقشة لايعتبر إعترافا بمبدأ أو تنازلا عن رأى من قبل اللجنة أو من قبل المناقش .

ثم واصلت أخبار ملنر فنشرت فى ١٧ يناير ١٩٢٠ تحت عنوان « مهمة لجنة ملنر وسياسة المتطرفين » . رددت فيه مانشرته التيمس فقالت : أن لجنة ملنر وصلت إلى مصر وقد كان ينتظر من الذين لا يزالون يأبون مقابلتها ويعدونها خيانة للأمة ويوصون الناس بمقاطعتها أن يعرضوا على أبناء وطنهم على الأقل خطة يمكن اتباعها . وأن كل ما تحدث به المتصوفون من زعماء الحركة الوطنية ليس له أثر لسياسة يقصد بها البناء والانشاء لنظام جديد .

ورددت فى ١٩٢٠/١/٢٧ مانشرته المانشستر جارديان فى عدد ١٤ يناير عن رسالة من القاهرة وصفت فيها مظاهرتين شهدهما ملنر بنفســه فى الاسكندرية والقاهرة . وأن قادة المظاهرة كانوا يصيحون قائلين : « فليسحق الله ملنر » .

ونشرت يوم ١٩٢٠/٢/٩ خبراً مؤداه أن لجنة ملنر تعود قريبا إلى لندن . وأن هذا ليس معناه أنها فشلت فى مهمتها بل هى على العكس من ذلك وصلت إلى غايتها بالرغم من المصاعب التى صادفتها .

واهتمت بنشر الحديث الذى دار بين ملنر ومحمد سعيد باشا أحد عملاء الانجليز فى مصر .

ونشرت يوم ١٧ مارس ١٩٢٠ تقول : أن اللجنة حصلت على مقدار عظيم من المعلومات بالرغم من المقاطعة وتمكين أعضاؤها من سبر غور الحالة بدقة وافية فاقتنعوا بأن الاجماع الظاهر على رفض مفاوضتهم لا يمثل الميل الحقيقى لجمهور الشعب .

المقطم وبريطانيا

وقد ظلت المقطم تواجه الأحداث على هذا النحو باعتبارها لساناً لبريطانيا فتحقر الوطنية المصرية وترمى المصريين بكل نقيصة وتتهم حركاتها وتحاول أن تعلل الأحداث بالمغالطة والخداع وهذه بعض مواقف لها :

١ — السياسة البريطانية (١٩/١٢/١٩٢٣)

تقول : فالمصريين حين ينتقدون سياسة بريطانية فى مصر أو سياسة مندوبيها وممثليها يجب ألا يغفلوا ذكر نصيبهم من التبعة وتقصيرهم فى العنايه بتمصير سياسة بلادهم وتطلعهم فى الجلل والحقير من الأمور إلى لندن لاستنزال الوحى والالهام منها وهو اتجاه تجلت عواقبه للجميع وزاد فى تفاقه هذا الانقسام المشهور حتى صارت الأحزاب لا تبالى فى أن تلتمس العون وأين تجده وحتى صار هنا بون شاسع بين الأمنية المنشودة والأمر الواقع وكيف يلام موظف بريطانيا فى السعى لخدمة دولته ورعاية مصالحها ولا يلام الذين يقابلونه إذا قصروا عن مجاراته فى ما يختص بأمورهم ومصالح وطنهم حيث يعتقدون أنها تتنافر مع مصالح وطنه .

٢ — قناة السويس (٧/٤/١٩٣٣)

المعلوم للمصريين أن الدولة البريطانية تصر فى كل اتفاق يعقد مع مصر على وجوب حمايتها للقنال من الاعتداء عليه . وأنها مع تسليمهما بوجوب انهاء الاحتلال العسكرى تشترط بقاء حامية بريطانية فى منطقة القنال لهذه الغاية ، وقد سلم المعارضون المصريون حتى اليوم بهذا الشرط مع أنه إذا أقرن بالشروط الخاصة بالسودان يجعل الجلاء العسكرى من مصر قليل الأهمية . ولكن لم يسمع

قبل اليوم أن رغبة بريطانيا اتجهت إلى أن تختص بالجزء المالى من شئون القنال .

٣ — الشرق وتتابع المشكلات فيه (٥/٩/٣٣)

لا يحسن بالشرقيين أن يملأوا كل ما بهم من إلقاء اللوم على عاتق سواهم ففى هذا طمس لبعض الحقيقة : وهو أن جانباً كبيرا من هذا اللوم يعود على الشرقيين أنفسهم لأنهم وهم فى حالتهم الحاضرة يضعفون بلادهم بانقسامهم ويوسعون المجال لنفوذ سواهم بين ظهرانيهم .

٤ — بريطانيا وفلسطين ١/١١/١٩٣٣

إن كرامة بريطانيا وهيبتها لا يعلوان فى الشرق الأدنى بإظهار قوتها العسكرية فى فلسطين وقمع حركة الفلسطينيين بالسلاح ، فهذا أمر ميسور لا لبريطانيا الدولة العظيمة بل تستطيعه إحدى الدول الصغيرة الغربية والشرقية . ولكن الذى يرفع قدر بريطانيا فى العيون ويصون كرامتها هو مواجهة القضية الفلسطينية بروح الإنصاف وتطبيق معنى الانتداب والاصغاء إلى أمانى أهل البلاد .

هذا ما يتعين على الدولة الكبيرة وفى هذا سر العظمة الحقيقية .

٥ — السياسة الانجليزية فى مصر ٢٣/٢/١٩٣٤

.. والسياسة البريطانية مهما قلنا عن غموضها وإبهامها لا يمكن أن تحيد كثيراً عن مقتضى المنطق فإذا لم يتيسر للدولة البريطانية عقد معاهدة فقد تعود إلى تصريح فبراير وتعنى عناية خاصة بكيفية تطبيقه فيما احتفظت به من نقط معينة .

وقد رأينا من قبل أن بريطانيا لا تكره تمصير السياسة فى مصر ولا تعارضه ما دامت الحكومة المصرية تؤدى المطلوب منها لسكان مصر وتعنى بمصالحهم

وتصون أرواحهم وأموالهم .

الحقق أن الحكومة البريطانية ما برحت تتوق إلى زيادة تعيين ما لها من علاقات بمصر وتضيق ما عليها من تبعات لعقد معاهدة صريحة ، فهذه المعاهدة إذا عقدت تقلل حتما من تبعات بريطانيا فى مصر .

٦ — مهمة بريطانيا فى مصر — ١٩٣٤/١٠/٣٠

أستنتج من مقالات ورسائل نشرت فى انجلترا أننا مقبلون على اتجاه جديد فى سياسة البلاد الداخلية وبعبارة أخرى أن الدولة البريطانية تبغى زيادة نصيبها من العمل أو الإشراف أو التوسط . وأنها تفعل ذلك مع الاحتفاظ بتصريح فبراير المعلوم .

ولكنها تتوسل إلى بلوغ ما تروم بكيفية تقصر مواده ، وأنصار هذا المذهب يؤكدون أن فى دوائر الحكومة البريطانية ميلا شديدا إلى هذا الاتجاه ، وان الانجليز يستعينون بما يوجه إلى دار مندوبهم السامى من شكوى وتظلم من كثير من الأفراد والجماعات ويرون فيها عذراً يسوغ العودة إلى ما تخلوا عنه من قبل .

٧ — حق بريطانيا فى مصر ١٩٣٤/١١/١٧

تقول جريدة الديلى تلغراف أن مصالح بريطانيا وحقوقها وتبعاتها فى مصر كثيرة وتحمى فى مقدمة ما تحميه (قنال السويس) ومقامة من المواصلات الامبراطورية . وهذه مسألة يكاد يكون مفروغاً منها لجميع المصريين الذين فاوضوا الدولة البريطانية فى عقد معاهدة اعترفوا بضرورة صون هذا الحجاز الحيوى لبريطانيا وامبراطوريتها .

المقطم ومعاهدة ١٩٣٦

كان المقطم موقفه فى معاهده ١٩٣٦ بتأييد أغراض بريطانيا فى النقاط التى تحاول بها أن تجعل من هذه المعاهدة خدعة كبرى . وقد بدأت تمهد لذلك منذ ١/٠/١٩٣٦ فقالت : قد تعذر الدولة البريطانية إذا قالت أن شئونها العظيمة والموقف الدولى الخطير يقتضيان شيئا من الصبر وطول الأناة فى معالجة ما تطلبه مصر . ولكن هل لا يمنع من أن تبدى بريطانيا ما يدل على سبيل حقيق إلى حل هذه العقدة التى طال عليها الزمان » .

فإذا عقدت المعاهدة أخذ المقطم ينبه على « أبدية المعاهدة » فكتب فى ٢٩ أغسطس ١٩٣٦ يقول : إن فى المعاهدة المصرية البريطانية مادة (هى المادة ١٦) تنص على أن المعاهدة الحاضرة والمحالفة التى تنطوى عليها دائمة أو أبدية كما تقول التيمس . ومعنى هذا أن الفريقين المتعاقدين يريان الآن أن مصالحهما متماثلة متجانسة وبينهما ارتباط وثيق وانهما يقدران استمرار هذه الحالة » .

ثم أخذت تدعو إلى قيام « تعاون » وصداقة ومودة بين البلدين فقالت « فالجهد الذى كانت مصر تبذله لمقاومة بريطانيا وإحباط سياستها فى وادى النيل والسعى الذى كانت تسعاه لإخراج قواتها العسكرية من هذه البلاد والجهد الذى كانت بريطانيا تبذله من جانبها لإملاء مشيئتها على مصر — هذه الجهود يجب أن تتجه الآن بحكم المعاهدة إلى « تعاون » يبدل العمل السلبى عملا إيجابياً .

إن الحكومة البريطانية لو شاءت أن تعقد معاهدة مع حزب واحد أو مع زعيم واحد لما تعذر عليها ذلك . وقد كان يمكن أن تنال منه شروطاً خيرا مما نالته من هذه الهيئة الموحدة الجبهة . ولكن تلك المعاهدة لا تكون لها من القدر فى نظرها، ومن بواعث الاحترام والثقة فى نفسها مثل ما للمعاهدة التى عقدتها أخيراً.

وأشارت المقطم إلى أن تهمة العداء لبريطانيا لا أساس لها ، وكالت المدح للمندوب البريطانى (ما يلز لا مبسون) الذى استطاع بما أبدى من صراحة وصدق وعزيمة وبراعة فى اقناع دولته بصحة ما ذهب إليه من صدق العاطفة وبعد النظر ورغبة صحيحة فى اكتساب قلب مصر وصداقتها مما يجد الباحث المصرى أن نبوه به انصافا لصاحبه .

× وفى مجال المعركة مع الصحف الوطنية حول معاهدة ١٩٣٦ كتبت المقطم تنعى على كرومر تقصيره فى العمل على خلق التعاون بين بريطانيا ومصر فكتبت فى ٣٠ سبتمبر ١٩٣٦ تقول :

لقد ارتكب اللورد كرومر مصلح مصر العظيم ثلاث غلطات كبيرة لو اجتنبها لتغير سير التاريخ فى علاقات البلدين والدولتين .

* إنه لم يشجع نمو نظام الحكم النيابى تشجيعاً يجعل كل انتقال من نظم الأحكام سهلا .

* لم يحسن اختيار الذين عهد إليهم من قومه فى الاشراف على التعليم المدرسى حتى يجىء مطابقاً لمقتضى حاجة البلاد .

* ما كان يضمر وما كان يظهر من اهتمام لكبراء مصر وعظمائها وإنه لم يسع قط لتوثيق عرى التعارف بين المصريين والبريطانيين .

فكان يرى أعيان البلاد ومعلميها يذهبون الاصطياف إلى فرنسا وسويسرا أو استانبول ولبنان فلا يبذل جهدا ما لترغيبهم فى زيادة أنكلترا ولقاء عظماء دولتها وكبار المشتغلين فيها بالعلوم والفنون والثقافة والتجارة والصناعة وكرت الأعوام والمصرى والانجليزى غريبان أحدهما عن الآخر .

وأشارت المقطم إلى استحالة أنشاء جيش وطني قبل عشرين سنة فقالت (٣٠/١١/١٩٣٦) قال أحد كبار القواد المفاوضين المصريين عند البحث عن مدة بقاء الجيش الانجليزي على ضفاف النيل أن أعداء جيش حديث لا يتم في أقل من عشرين سنة ولا نعتقد المقطم إن الحكومة المصرية تقدم على وضع نظم هذا الاصلاح قبل وصول البعثة البريطانية العسكرية ·

المقطم والتغريب

وقد حملت المقطم لواء الدعوة إلى التغريب بالاضافة إلى إبقاء الاستعمار البريطاني إلى آخر لحظة ممكنة · فقد نشرت في ١٨/٧/١٩٣٦ تصريحات المستشرق «جب» الذي يقول فيه : أن ذيوع اللغة الانجليزية في الطبقتين الوسطى والعليا بطريق المدرسة والقراءة ربما ذهب في أطفاء عداوة المصريين للانجليز أبعد مما ذهبت المصلحة العسكرية

وقالت المقطم تعليقا على ذلك : إن مصر الحديثة اتصفت بحب الحضارة الأوربية وترحيبها بدعاة هذه الحضارة وشرعت في تنشيط الأوربيين على المجيء إلى مصر والإقامة فيها علاوة على اقتباس الأساليب والنظم والمعاهد الغربية .

وما برحت مصر من ذلك الحين من خير المهاجر التي يقصدها الأوربيون ويتمتعون فيها بكل ما نصبو إليه ·

وقالت : إن مصر لا تزال ترنو إلى الغرب ولا تزال تطمع في الاستعانة بعلومه فنونه وصناعاته .

ولقد رددت دعوى الانجليز في التعليم وقصر مهمته على إخراج موظفين ·

وكان لها موقفها بالنسبة للاحرار فقد انكرت جمال الدين الأفغاني المتوفى

يوم ١٠ مارس ١٩٥٧ فلم تذكر عنه كلمة واحدة ، وإذا كانت الصحف الأخرى الموالية للعثمانيين كالمؤيد والأهرام قد اغضت عن جهاده ارضاءاً للسلطان عبد الحميد فما موقف المقطم الذى كان خصما لعبد الحميد وخصومه .

ولكن جمال الدين الأفغانى كان عدواً أكبراً لبريطانيا وهو الذى حمل لواء تنكيس أعلامها فى الشرق وقد سئلت المقتطف فى هذا فقالت .

ويختلف هذا الموقف بالنسبة للشيخ محمد عبده الذى نعته المقطم يوم ١٣ يوليو ١٩٠٥ فى افتتاحية ضخمة تحت عنوان (مصاب القطر بفقيد مصر) .

ومن بين ما قالته : كان بيننا وبين فقيدالقطرالمرحوم الأستاذ العلامة الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية وزعيم حزب التقدم بين علماء الملة الاسلامية وداد نشأ قبل الفتنة العرابية أيام كان محرراً للوقائع المصرية وتجدد عهده أيام اجتماعنا فى سورية ، وقد أشار الدكتور فارس نمر إلى أن هذا الود كان له هدف وأضح قال « ولم يكن هذا الود مبنيا على الصحبة والمعاشرة بل كان مبنيا على اتفاق بعض الاراء العمومية والأفكار الجوهرية التى يتعلق كثير فيها بخير الأمة المصرية » .

وما لم يقله الدكتور فارس نمر : هو الارتباط ببريطانيا .

القضاء يدمغ المقطم

بالرغم من تأييد قصر الدوبارة للمقطم وحمايته حتى استطاع أن يهاجم الخديو دون أن يستطيع تقديمها إلى المحاكمة . فقد اتهم أصحاب الصحف الشاميين عام ١٩٠٧ فى قضية لا تشرفهم ، وهم شاهين مكاريوس وفارس نمر ويعقوب صروف وشاهين الخازن وجندى ابراهيم وطونيوس عبده(صاحب جريدة الشرق) وشاهين جاويش (الوطن)واسكندر صباغ وداود نقاش .

وحكمت محكمة الأزبكية فى ١٥ أغسطس ١٩٠٧ بتغريم شاهين مكاريوس وفارس نمر ويعقوب صروف وجندى ابراهيم ٥٠ جنيها وحبس شاهين الخازن واسكندر صباغ شهراً واحداً .

ودمغت النيابة صحافة الاحتلال بقولها : أن الأصل فى الصحافة أن تكون لسان الأمة وغرضها إنتقاد الأعمال القبيحة والحث على الأعمال الحسنة ولفت النظر إلى مواطن الخلل . ولا حق لها أن تتعرض للشخصيات والسب على الشئون الذاتية وقد ثبتت تهمة القذف وأن الصحف الثلاث (المقطم والشرق والوطن) قد اتجهت إليها بدافع شخصى وأنها لم تستطع إثبات ما نسبته .

وقد ندد أصحاب المقطم بالحكم فى صحيفتهم وعاونتهم الصحف الأجنبية فى مصر ورموا أصحاب القضاء المصرى بالمحاباة .

فارس نمر

أبرز كتاب المقطم ومنشئه وراسم سياسته منذ بدا صدوره ١٨٨٩ إلى وفاته (١٧ ديسمبر ١٩٥١) أي في خلال ٦٢ سنة قضاها في العمل الصحفي وأن كان قد تخلى خلال الحرب الأولى عن كتابة الافتتاحية التي وكلها إلى (خليل ثابت) ألا أنه ظل هو موجه المقطم الحقيقي .

قتل والده في الفتن التي وقعت ١٨٦٠ وهو في سن الرابعة فقد ولد في حاصبيا (سوريا) وهي أحدى مواقع فتنة الدروز والموارنة المشهورة في ٦ يناير ١٨٥٦، حملته والدته إلى بيروت،ودخل المدرسة الإنجليزية ثم انتسب إلى الكلية السورية وعرف بالخطابة والكتابة ، وأنشأ المقتطف ١٨٧٦ مع الدكتور صروف .

ثم قدما إلى مصر ١٨٨٤ ونقلا المقتطف ١٨٨٥ وبعد لقائهما مع اللورد كرومر انشأ المقطم ١٨٨٩ (نمر وصروف + شاهين مكاريوس) واستقل الدكتور نمر بالمقطم وكان قد احرز لقب دكتور في الفلسفة من جامعة نيويورك وزار عواصم أوربا وزار لندن واجتمع بكبار السياسيين بها .

وفي عام ١٩٠٣أنشأ صحيفة السودان باللغتين العربية والإنجليزية في الخرطوم ووكلها إلى خليل ثابت .

وقد هاجم فارس نمر السلطنة العثمانية هجوما عنيفا في المقطم فحال ذلك بينه وبين العودة لوطنه حتى أعلن الدستور العثماني ١٩٠٨ فلم يعد ألا عام ١٩١١ وأنشأ جمعية الاعتدال في مصر وانتخبه المحفل الماسوني رئيس شرف له واقترن بكريمة قنصل انجلترا سابقاً في الأسكندرية ١٨٨٨ .

وقال عنه كتشنر أن الدكتور نمر « كله عقل » .

وقد صور الدكتور نمر ما لقيه من مشاق فى عمله بالمقطم وهو يعارض التيار الوطنى فى مصر مستندا إلى قصر الدوبارة قال :

لا أتعرض[1] لذكر شىء مما لقيت من جراء الاشتغال بالسياسة وخوض معاركها على مبدأ الاشتغال بالعلم . وما قاسيت من المتاعب التى كثيرا ما غادرتنى أقضى الليالى وأنا أتقلب فى فراش الهموم والغموم من تعاقب الاضطهاد تلو الاضطهاد وبسبب الدسائس التى تحاك لنا فى الظلام .

وبلغ منى أنى كنت أتلقى أخبار الحكم بالاعدام من الناقمين على بسبب سياسة المقطم وأنا صامت حتى ألفت الصبر على المكايد . ولم أعبأ بتلك الأحكام بعد أن تكررت على ثلاثا بالأعدام » .

وقد كتب عام ١٩٢٠ سلسلة مقالات فى تبرير سياسة المقطم وصفها صديق شيبوب[2] بأنها محاولة الرد على ما يلصقه الناس به من تهم خصوصا أنها صدرت بإيحاء من البريطانيين أو أنها كانت تستمد قوتها منهم » .

وفى المرحلة السابقة للحرب العالمية الأولى دارت بين المقطم وبين المؤيد والأهرام واللواء معارك وجدل امتد أعواما ، فقد صدرت المؤيد ١٨٨٩ فى نفس العام الذى صدرت فيه المقطم لتواجهه ، وكان من نتيجة ذلك أن حدث الانقسام بين مؤيدى المقطم ومؤيدى اللواء ثم ظهرت اللواء فى (٢ يناير ١٩٠٠) فإذا بالمقطم مضطره إلى الحرب فى جبهتين .

وقد أشار[2] صديق شيبوب إلى أن فارس نمر هو الذى سعى لقبول سعد زغلول فى الوزارة وقد كلفه الخديوى بالوساطة لدى سير أدوارد جراى وزير خارجة بريطانيا .

وقال: أن المقطم دعا إلى محاربة السلطان عبد الحميد ولذلك منع من دخول

---

(١) المقتطف (مايو ٣٦ مجلد ٨٨) مقال بعد ستين سنة بقلم فارس نمر .

(٢) البصير ٢٨ / ١٢ / ١٩٥١ .

البلاد العثمانية (ومن بينها سوريا ولبنان) وكان يدخل سراً بحيله هي أن يشتركوا فيه باسم أحد قناصل الدول الاجنبية ويصل بالبوستة الفرنسية .

وأشار شيبوب إلى أن فارس نمر كان يتولى صياغة الخبر على طريقة التلميح المقتضب وقال (لا زلت أذكر مقالا مقتضبا ظهر في المقطم منذ أكثر من عشرين سنة (حوالى عام ١٩٣١) تحت عنون «أثقال القيل والقال» فهم منه أن سقوط الوزارة القائمة وشيكا وفعلا . .

ووصف شيبوب أسلوبه بقوله « تبسط في الحديث مع اقتضاب العبارة واختياره منها مايوحي المعنى في وضوح) .

وقال أنه دعا إلى نشر الدعوة للانتداب الأمريكي على سوريا ولبنان .

وأشار وديع فلسطين[1] إلى أن فارس نمر كان صاحب الفضل في أسناد عرش مصر إلى السلطان فؤاد والوزارة إلى سعد زغلول وأن السلطان عبد الحميد كان لا يخاف شيئاً كما يخاف المقطم .

وقال أحمد أمين[2] أن فارس نمر كان يسير في ملك انجلترا يستحسن مايحتسنون ويستقبح ما يستقبحون ، ولكن عذره في ذلك أنه لم تكن ممالأة الإنجليز في زمنه عجبا كالذى نراه اليوم ، بل كان كثير من المصريين يرى مسالمتهم والأخذ منهم بقدر مايستطيع لمصلحة الأمة فضيلة من الفضائل ، كما كان يذهب المرحوم الشيخ عبده . وكما كان يذهب بعض رجالات مصر من حزب الأمة ، من ذلك أنه كان من مبادىء الإنجليز تأييد أستقلال العرب عن الدولة العثمانية ومحاربة استبداد السلطان عبد الحميد وتشجيع الخارجين عليه من الأحرار كولى الدين يكن ورشيد رضا ورفيق العظم وغيره ففتح المقطم صدره لهؤلاء يعبرون عن أرائهم في صراحة » .

---

(١) المقطم ١٨ ديسمبر ١٩١٥ .

(٢) الثقافة ٢٦ يناير ١٩٥٢ .

وأشار صاحب (مرآة العصر) فى ترجمة لفارس نمر إلى أن مطلب جريدة المقطم ينقسم إلى ثلاثة أقسام : سياسى وأنتقادى وأخبارى وقال : ولقد يتهمها البعض بالمغالاة فى مدح المحتلين والتطرف بالطعن فى الدولة العثمانية ولـكنها متى فعلت ذلك فهى تقف عند حد الحقيقة » .

وأشارت مجلة آخر ساعة (العدد ٥٣٢) إلى ثروة « المليونير » فارس نمر ، وقالت أن هذه الثروة جمعت فى بضع سنوات وأن أ كثرها جاء أيام الحرب الأولى حيث كانت المقطم تصدر ملاحق متتابعة مرة ومرتين وثلاثا فى اليوم، وأن فارس نمر اشترى أول عزبة وأطلق عليها « عزبة الملاحق » .

وقد هاجم فارس نمر: مصطفى كامل ومحمد فريد وعبد العزيز جاوش وأمين الرافعى، وكانت أقسى مقالاته فى الهموم على مصطفى كامل ؛ تلك التى نشرها عام ١٩٠٤ فى المقطم تحت عنوان «شحات بردنجوت» كما هاجم فارس نمر قاسم أمين عندما أصدر كتابه المصريون رداً على كتاب الـكاتب الفرنسى دوق داركور وقد سجل الدكتور نمر فى مذكرات نشرها فى المقتطف أن الأميرة نازلى فاضل هى التى كلفته بالهجوم على قاسم أمين لأنه أيد حجاب المرأة وترتيبها الإسلامية . ثم ذهب محمد عبده فطلب إلى الأميرة أن تطلب من الدكتور نمر أن يكف عن نشر مقالاته على أنه يصحح قاسم أمين من خطأة وذلك بالـكتابة عن تحرير المرأة — وقال فارس نمر أن هذه المعركة كان من ثمارها أن تحول قاسم أمين رأية وأصدر كتاب (تحرير المرأة) إرضاءاً للاميرة نازلى فاضل وهنا أيد المقطم قاسم أمين وأشاد به فى الوقت الذى عارض وهاجم اللواء .

ولم يكن هذا الهجوم من أجل فـكرة الـكتاب ولـكن من أجل مؤامرات الإنجليز وأعوانهم كالأميرة نازلى .

وقد عاش فارس نمر ٩٥ عاماً وكانت حياته الصحفية فى المقطم دعوة إلى استمرار الاحتلال ودفاع عن المشاريع البريطانية .

خليل ثابت

رأس خليل ثابت تحرير جريدة المقطم عام ١٩١٣ وكان رئيسا لتحرير جريدة السودان التى قام المقطم باصدارها فى السودان (الخرطوم) وكان قد سافر إليها ١٩٠٣ ومعه بعض العمال حيث قام ببناء مطبعة الجريدة التى كانت تصدر مرتين فى الأسبوع باللغتين العربية والانجليزية .

وعند مازار الدوق أف كنوت عم ملك انجلترا السودان قدم له عدداً خاصاً على ماء الذهب وقد دعى ازاء هذه الزيارة إلى جميع الحفلات الرسمية التى أقيمت للضيف البريطانى .

وقد عاد إلى مصر ١٩٠٧ فعين مديراً لإدارة المقطم ولما مرض فارس نمر قبل الحرب العظمى (١٩١٣) وكان يكتب مقالات خلاصة أخبار الحرب ثم أصبح رئيسا لتحرير المقطم .

ويقول مؤرخوه : أن الصحافة المصرية مدينة له بطائفة من التعبيرات المتداولة فقد أغنى الصحافة بمصطلحات كثيرة ، وقيل أنه أدق صحفى فى اختبار الألفاظ التى تتنازع العقول فى مهمتها وإدراك مغزاها . وقد كان يكتب الافتتاحية ويترجم التلغرافات ويراجع البروفات .

يقول [1] : اننى ابدأ عملى فى تحرير المقطم عند الساعة السادسة والنصف صباحاً فأتوجه إذ ذاك إلى مكتبى وأكتب المقال الافتتاحى الذى يكون عادة من عدة مواضيع أكون قد اخترتها من قبل وفكرت فيها . أما من الحوادث اليومية التى تنشرها الصحف أو من البرقيات التى ترد ليلا أو من الأسئلة التى يبعث

---

(١) مجلة كل شىء ٢٠ فبراير سنة ١٩٣٢ .

بها كاتبوها إلى إدارة المقطم وكثيراً ما يحلو لى التفكير فى تلك المواضيع التى يتكون منها مقال المقطم الافتتاحى أثناء تنزهى ليلا فى الخارج .

أما إذا كانت أبحاثا تستدعى الرجوع إلى بعض المراجع والاحصائيات فإننى أعد ذلك كله ليلا حتى أكون متفرغاً للكتابة فى الساعة السادسة والنصف صباحاً حيث لا يكون قد أقبل أحد من المحررين ولا تقبل الساعة الثامنة عادة حتى أكون قد فرغت من الكتابة .

وأنا أكتب عادة بالقلم الرصاص على ورق مسطر . ولا يكاد يستطيع أن يقرأ خطى إلا أربعة أو خمسة من عمال المطبعة . ويحدث فى غالب الأحيان أن يكون هناك ألفاظ لا أستطيع حتى أنا أن أقرأها فأضع غيرها مما يتناسب مع المعنى .

أما الجو الذى يحيط بى فلا يهمنى كثيراً . فأنا أكتب بجانب آلة الطباعة أو فى مكتبى، ولكن هناك شيئاً واحداً لا أطيقه هو الهمس بجانبى بصوت خافت فهو يقطع سلسلة التفكير أكثر مما تقطعه ضجة آلة الطباعة، واحتفظ عادة بمراجعة مقالى بعد جمع حروفه ، وأنا قليل الشطب فى كتابة الأصل وقليل التغيير عند مراجعة المقال بعد جمعه .

وأنا اعتمد فى عملى الصحفى على ذاكرتى، وأعزو الفضل فى ذلك إلى المدة التى قضيتها مدرساً فى جامعة بيروت إذ ظللت هناك ستة أعوام ولا زلت أذكر تفاصيل العلوم الرياضية وباقى فروع الثقافة العامة التى يحتاج إليها الصحفى فى عمله اليومى كما لو كنت درستها أمس[1] » .

هذا وقد انتهزت جريدة المقطم زيارة مستر مكدونالد إلى القاهرة (١٩٢٢) ودعته إلى زيارة إدارتها ومكاتبها فقبل دعوتها وشاهد آلاتها .

وتحدث خليل ثابت عن أحرج ساعة فى حياته الصحفية فقال :

---

(١) مجلة كل شىء — ٢٠ فبراير ١٩٣٢ .

بلغه خبر إطلاق صراح سعد زغلول من جبل طارق . . .

وأرى أن يكون «المقطم» أول من ينشر البشرى فدعى أكبر عـدد من العمال وجامعى الحروف للاجتماع بهم فى مطبعة المقطم فى الساعة الخامسة من صباح الغد ومكث ساهراً طول الليل ، حتى صدور جرائد الصباح بفارغ صبر لا يعلم هل بلغها الخبر كما بلغه أم فاتها فصدرت دون أقل كلمة عنه .

« وفى الساعة الخامسة أقبل الرسول ومعه العمال . أدخلهم المطبعة وأوصدت أبوابها عليهم ثم أخبرتهم إنما قررت إصدار ملحق يحمل نبأ الافراج عن سعد باشا طالبا منهم أن يعدوا ثمانى طبعات مماثلة لـكى تطبع كلها دفعة واحدة . وفى ذلك الوقت جاءت صحف الصباح فتصفحتها بلهفة واهتمام فلم أجد فيها للخبر ذكراً .

وفى منتصف الساعة العاشرة خاطب يحيى إبراهيم رئيس الوزراء — إذ ذاك — الدكتور صروف لموافاته بمكتبه ليبلغه نبـأ الإفراج عن سعد باشا وقال : رأيت أن يكون المقطم أول من يسبق إلى نشره ، فابتسم الدكتور صروف وقال : إن الخبر اذيع على الأمة منذ أكثر من ساعتين وإليك الدليل وناوله نسخة من ملحق المقطم .

الصحف الطائفيـــة

جريدة الوطن (١٨٧٨) ميخائيل عبد السيد (١٩٠٠) وجندى ابراهيم

جريدة مصر (١٨٩٥) . . . . تادرس المنقبادى

الصحف الطائفية

جريدة الوطن : ميخائيل عبد السيد (١٨٧٨) جندى إبراهيم (١٩٠٠)

● جريدة مصر : تادرس المنقبادى (١٨٩٥)

كان للصحف الطائفية دور واضح فى الصحافة المصرية ، فقد كان الاستعمار البريطانى منذ سيطر على مصر ١٨٨٢ حريصاً على فصم وحدة الأمة وخلق عناصر الخلاف بين طوائفها وذلك كجزء من خطته فى « التجزئة » والتمزيق وهى خطة جرى عليها الاستعماريين البريطانى والفرنسى فى كل مكان وكان من نتائجها ظهور الخلافات بين الأديان والأجناس وشعب المذاهب والحضارات والخلافات القديمة .

بل إن الاستعمار البريطانى لم يقف عند هذا الحد بل أوجد الخلاف بين المذاهب المسيحية نفسها ، فكانت جريدة الوطن تؤيد المذهب الانجيلى بينما تؤيد جريدة مصر المذهب الأرثوذكسى ، وقد وقع الخلاف والسجال والعراك بين الصحيفتين فتصارع المنقبادى وجندى إبراهيم اثنى عشر عاما — كما روى الصحفى العجوز (هامش الأهرام ١٩٣٢/١٢/٣) واتصل هذا الخلاف فيما بعد فكانت جريدة مصر مع سعد زغلول والوفد المصرى وكانت جريدة الوطن ضدها

قال توفيق حبيب (الصحفى العجوز) فى هامشه ١٩٢٢/١٢/٤ « أن بطرس باشا غالى رأى أن يكون للأقباط صحيفة سياسية . ولم يكن هناك صحفى قبطى غير المعلم ميخائيل عبد السيد صاحب « الوطن » ، ولكن بطرس باشا لم يقبل لأن المعلم (عبسه) كان وطنياً يخدم سياسة المرحوم بطرس باشا وانجيلى المذهب

* كانت جريدة مصر عام ١٨٧٩ جريدة وطنية حرة يصدرها أديب أسحق وسليم النقاش — وهذا الدور يختلف عن دورها عام ١٨٩٥ بعد أن أستانف اصدارها تادرس المنقبادى .

ومن أنصار البطريرك والرهبان، وليس فى استطاعته مجاراة الصحف المصرية. وكان بطرس باشا يريد رجلا ذا همة، أرثوذكسياً من أنصار المصلحين ومقاومى القسوس، يؤيد سياسة الاحتلال والمحتلين ولم يكن هناك من يصلح لذلك غير (تادرس المنقبادى) .

ولذلك أوعز إليه بطرس غالى عام ١٨٩٥[1] «بإنشاء جريدة يومية تكون لسان حال الطائفة وتأييد الحكومة . ولذلك خرج من خدمة الحكومة وحضر إلى القاهرة، فكان يحضر إلى الإدارة صباحاً ويطوف فى الدواوين ظهراً ثم يعود فيراجع المسودات ويرتب الصفحات ويقضى فى بيته ليلا ساعات طويلة لكتابة الفصول التاريخية والمباحث الشاقة . وقد عرف بالمامه بتاريخ الطائفة القبطية فى الخمسين سنة الماضية .

وهو صاحب الدعوة إلى المؤتمر القبطى . وقد ترجم تاريخ الكنيسة القبطية الذى وضعته المستشرقة (بوتشر) باللغة الانجليزية . (توفى فى ١/١٣/١٩٣٢) وقد رأس تحرير جريدة مصر : اسكندر شاهين ثم خلفه عوض واصف وكانت توزع ٤ آلاف نسخة ثم رأس تحريرها بخيت هاشم فتوفيق حنين .

وقد وصفتها جريدة الشعب ١٩١٢ بأنها قبطية احتلالية بأوسع معانى الكلام وأنها أنشأت السفارة القرياقصية مع جريدة الوطن (قرياقص ميخائيل) فى انجلترا بمساعدة القسس البروتستانت وبأموال الأقباط لمقاومة المسلمين وأنها وضعت عريضة وقدمتها للوكالة البريطانية تقول فيها أن الدستور ضار بمصر غير مفيد .

أما جريدة الوطن[2] فكانت قد صدرت منذ عام ١٨٧٨ ثم توقفت

---

(١) و (٢) هامش الأهرام ٢/١٢/١٩٣٢ .

واستأنف « جندى إبراهيم » إصدارها فى منتصف عام ١٩٠٠ وأيد الحزب الاكابركى ، وقد نشبت المعركة بينه وبين المنقبادى (جريدة مصر) . ثم اتفق — صاحبا الوطن ومصر — فى المؤتمر القبطى (مارس ١٩١١) على المطالبة بحقوق الأقباط وعاد الخلاف مرة أخرى عام ١٩١٨ إذ برزت جريدة (مصر) مجاهدة داعية إلى تأييد سعد باشا ووقف صاحب الوطن معارضاً له حاملا على سعد حملات قاسية . ثم انقلبت جريدة مصر على السعديين فى أيام وزارة ثروت ثم عادت سعدية فمحايده فسعدية متطرفة منذ سنين .

ومما يذكر أن خصومات عنيفة وقعت بين جريدة الوطن وصحف الحزب الوطنى : اللواء والشعب والعلم وكذلك جريدة المؤيد .

جريدة الوطن

أصدرها ميخائيل عبد السيد ١٨٧٨ ثم احتجبت حتى استأنف اصدارها (جندى إبراهيم ـ ١٩٠١) وصفتها جريدة الشعب (أمين الرافعى) بأنها «سياسية احتلالية أ كثر من المقطم، حتى أنه أى محررها كان يدعو الانجليز إلى ضم مصر إلى المستعمرات الانجليزية ورفع الراية عليها ـ ولا يخلو عدد من أعدادها من الطعن فى الوطنيين والمسلمين وإيلام عواطفهم ، وهو أول من أحدث الشقاق بين المسلمين والأقباط »وقد أعلنت جريدة الوطن مناصرتها للانجليز بعد الاحتلال — ووقفت موقفا معادياً للحركة الوطنية — وكانت مع جريدة مصر — فى إبان المعركة التى اندلعت عام ١٩٠٩ وامتدت أ كثر من ثلاث سنوات تدعو إلى أن يتخلى الأقباط عن جنسيتهم المصرية وأن يستبدلوها بأى جنسية أوربية .

كما دعت جريدة الوطن الانجليز إلى ضم مصر إلى المستعمرات الانجليزية ورفع الراية البريطانية عليها .

وكان لها دورهـا فى تأريث الخصومـة بين المسلمين والمسيحيين بتحريض من بريطانيا[1].

وهاجم (ميخائيل عبد السيد) حزب مصر الفتاة التى ألفه جمال الدين الأفغانى وقال فى (١١ أكتوبر ١٨٧٩) :

إن حزب مصر الفتاة لا يقدر أن يفتخر بوجود أى مناسبة أو ملاءمة بينه وبين حزب تركيا الفتاة، ومن البين أن لائحته مبنية على تصورات وهمية أكثر من الأفـكار الاختبـارية ،ولا شك أن من نظر فيها عرف أنها القوانين الفرنساوية،غاية الأمر أنها ملبسة بألفاظ عربية ومما يجب التنبيه عليه أن حزب مصر الفتاة مشهور بتجرده وخلوه من المصريين .

• ورد على ما يتهم به من تأييد بريطانيا فقال :

« ندد علينا البعض حداً لترجمتنا آراء أشهر جرائد أوربا ظانين أن ذلك يحط عـكانتنا ولا يخفى أننا كثيراً ما نترجم عن التيمس فإن مقالاته سواء كانت سياسية أو علمية هى من أفصح وأبلغ المقالات ومقالات التيمس عند أوربا كنوابغ الزمخشرى أو غيره من رجال العرب المشهورين فضلا عما اشتهر به من الاعتدال .

أما وصف حزب مصر الفتاة نفسه بأنه يروم المدافعة عن الوطن من محتال يداجى ومغتال يفاخر ودخيل يستعلى وانه يبث آراء الحرية ويجمع كلمة الوطن إلى آخر الأوصاف البديعة ؟فجوابه إن كلامه هذا يفيد أنه ليس بدخيل وأنه ليس بنزيل وأنه وطنى من الوطنيين .

---

(١) جريدة الشعب — ٨ مايو ١٩١٢ . (٢) مجلد ١٨٧٩ جريدة الوطن .

وكتب عن السيد جمال الدين الأفغانى فى (العدد ٢٧ سبتمبر ١٨٧٩) نقلا عن التيمس فقال: أن شخصا أفغانيا يسمى جمال الدين ذا سوابق مشبوهة صار له تأثير على عقول بعض الأهالى الأدنياء ذوى التعصب والتخريب وإذا شريف باشا عضد له استنسب كتمان آرائه، ولـكن عند سقوط وزارته أظهر أفـكاره وتجمهر جهراً على عدم إدخال العنصر الأوربى بأى وجه كان فى إدارة البلاد.
إلا أن أفندينا أول مذعن ومسلم بانه لا يمكن تحسين مصر وتجديدها إلا من الغرب وحرص على المطالبة بنفيه وإذا لم يبال بالأطراء والمديح الذى مدحه به الأفغانى ونفاه حالا إلى جده [1].

ولقد أصابت الحـكومة فيما فعلته فان هذا الشخص نفى كذلك من بلاد الهند التابعة للانجليز.

الحماية البريطانية

هللت جريدة الوطن للحماية البريطانية فـكتبت يوم ١٨ ديسمبر ١٩١٤ تحت عنوان ضخم:

[القطر المصرى تحت حماية بريطانيا العظمى منذ اليوم].

ثم استهلت افتتاحيها تحت عنوان « مصر فى عهدها الجديد » على هذا النحو: «وخلعت مصر اليوم عن عاتقها نيراً ثقيلا هو نير السيادة التركية، ذلك النير الذى لبثت ترزح تحته أربعة قرون كاملة أى من يوم أن فتحها السلطان سليم الأول إلى غروب شمس أمس.
خلعت مصر ذلك النير، لا لتدخل تحت نير آخر بل لترتع فى بحبوحة الحرية والعدالة، دولة الحق والشرف، دولة الرفق والانسانية: الدولة البريطانية العظيمة التى لا تغيب الشمس عن أملا كها.

(١) الواقع أن جمال لم ينفى إلى جدة وإنما إلى الهند، ولـكن جدة هو أسم الباخرة التى سافر عليها وقد أخطأ الترجمة.

فسيادة جلالة الملك جورج الخامس تختلف عن سيادة جلالة الملك محمد رشاد الخامس إختلافا كبيراً ·

فالأولى سيادة حب وعطف وصداقه ومعونة · والثانية سيادة غطرسة وإمارة وإرهاق وإستغلال بدون نفقه . الحمد لله لأننا خلصنا من تهوسات الفتية الذين كانوا يطلقون على أنفسهم إسم « الحزب الوطنى » والوطن برىء منهم ؛ أولئك الذين كانوا يدعون فى الظاهر بأنهم يريدون إستقلال مصر عن كل سيادة . وفى الباطن يعملون لتسليم مصر للأتراك غنيمة باردة .

وإذا كان المصريون قد جنوا كل هذه الثمرات الطيبة والانجليز محتلون إحتلالا مهدداً بالانقضاء ، فكم ينتظرون من آيات السعادة والانجليز باقون هنا إلى الأبد » .

معنى الحماية(١)

وقالت إن أول نتائج الحماية وأهمها فصم عرى الرابطة التى كانت تربط مصر كثيراً أو قليلا بتركيا مدة أربعة قرون أى منذ ٣٩٨ سنة وإتصال علاقتها مباشرة بالحكومة البريطانية وحدها ؛ بهذه الحماية تصد انجلترا يد كل دولة تحاول إنصاف رعاياها الأجانب بالقوة تلقاء أى خطأ يقع عليهم من يد الحكومة أو الأمة المصرية » .

استقبال جريدة العلم(٢)

« لقد شاءت الأقدار أن تتمخض الصحافة الوطنية وتلد فرداً جديداً وربما كان له تاريخ فى حياتها والعياذ بالله · من هذا التاريخ الأسود المزموم وجد فى فضاء مصر عامل جديد من عوامل الشر أو هو العامل الأكبر على التفريق وتوليد الضغائن ·

ولقد وجدنا أن الجريدة ستكون ضربة على القطر المصرى أكثر من ضربات الطاعون والكوليرا ·

---

(١) جريدة الوطن ١٩ ديسمبر ١٩١٤ .
(٢) جريدة الوطن ٨ مارس ١٩١٠ .

الصحف الوطنية

فى اتجاهاتها الثلاث

المؤيد . . . . علي يوسف (١٨٨٩)
اللواء . . . . مصطفى كامل (١٩٠٠)
الجريدة . . . . لطفي السيد (١٩٠٧)

المؤيد

١٨٨٩ — ١٩١٣

علي يوسف
: أنشأ المؤيد : ١٨٨٩
: ترك المؤيد : ٦ مارس ١٩١٣
: توفى : ٢٥ أكتوبر ١٩١٣ ١٩١٦

١٧ ابريل ١٩١٦

- لسان الخديو : هاجمت الانجليز لحسابه ثم تحولت عندما تفاهمت بريطانيا معه .
- أول صحيفة مصرية طبعت على ماكينة روتاتيف .
- حملت لواء الدعوة إلى الجامعه الاسلامية

المؤيد

صدرت جريدة المؤيدة (أول ديسمبر ١٨٨٩) صحيفة وطنية عثمانية خديوية وكانت أول صوت أرتفع بعد الاحتلال بإثارة مسألة الجلاء .

وهي أولى الصحف التي أدخلت الطباعة بواسطة الروتانيف (الالات الرحوية) وكانت الصحف المصرية قبل ذلك تطبع على ماكينات مسطحة، وكانت صفحاتها لا تزيد على أربع . ثم تبع المؤيد في هذا التطور الطباعي صحف الأهرام واللواء والمقطم .

صدرت جريدة المؤيد على أثر ظهور جريدة المقطم ، وكان الهدف هو مواجهة الصحفية ذات الصفة الإنجليزية الواضحة ، ولهذا كان لها طابعها الثلاثي : الوطنية المصرية ، والعثمانية الأسلامية ، وتأييد الخديو .

وكان الاتجاه الواضح للمؤيد هو انه جريدة القصر : ومن أجل هذا أنشأ « حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية » وقد سار فترة في اتجاه الحركة الوطنية عندما كان يؤيدها الخديو ، فلما انفصل عنها بعد خروج كرومر ، وظهور سياسة الوفاق بينه — أي الخديو — وبين بريطانيا على يد المعتمد البريطاني الذي خلف كرومر (الدون غورست) تحول المؤيد من تأييد الحركة الوطنية إلى مهاجمتها وتأييد موقف الخديو . وقد بلغ غايته في السير في ركاب الإنجليز عندما قصد الشيخ إلى لندن وأعلن تصريحه الجريء : أن لوندرة كعبة المصريين السياسيين » .

وقد كان انشاء المؤيد يهدف من قبل القوى الوطنية إلى مواجهة تيار المقطم فما لبث ان دارت المساجلات والمعارك بينه وبين المقطم وذلك في نفس الوقت الذي كانت تدور فيه المساجلات بين المقطم والأهرام ، وقد أمضى المؤيد فترة طويلة يكافح بمفرده قبل أن يظهر اللواء . وكان مصطفى كامل الذي بدأ يكتب في الأهرام

(يناير ١٨٩٥) قد تحول إلى المؤيد بعد صدوره إلى أن صدر اللواء ١٩٠٠ (٢يناير) لسانا للحزب الوطنى . هنالك دارت بينه وبين المقطم أضخم المعارك .

وقد اتهم المقطم جريدة المؤيد بالتعصب وصاحبها بالجهل . وكانت الصحف الاجنبية تنضم دائما إلى المقطم فى مهاجمة المؤيد وصاحبه ، وكان أبلغ اتهامها للشيخ على يوسف أن سياسته التعصبية تعرض حياة الاوربيين للخطر . على أن على يوسف استطاع أن ينتصر على المقطم التى كان كرومر قد احتضنها وحدها بالاخبار والمعونات الماديه فقد أحرز ضربات صحفية هامة أذهلت الاحتلال البريطانى من بينها قضية التلغرافات .

وقد صور الخديو عباس فى مذكراته علاقته بجريدة المؤيد قال :

كنت أود أن يكون لى صحيفة قادرة على أن تثير الشعب المصرى وتقوده شيئاً فشيئاً إلى أدراك أكثر وضوحاً لكلمة الوطن وواجباته فدعوت كاتباً من كتاب اللغة العربية كنت قد سمعت عن صفاته ومزاياه — هو الشيخ على يوسف وكان خارجا من الجامعة الأزهرية وكان قد لفت إليه الأنظار — أن لم يكن باتساع أفقه الفكرى فبحماسته فى المناقشة وبموهبته الحقيقية فى الجدل »
وهذا فى الحقيقة هو مفتاح انشاء المؤيد ، وعمل الشيخ على يوسف فقد هاجم الاستعمار ودعا إلى الجامعة الإسلامية ولكنه كان أولا وأخيرا كاتب وحى الخديو ، يتحول معه من مهاجمة الاستعمار إلى تأييده والولاء له حسبما تتحول ظروف الخديو نفسه .

ولذلك فإن على يوسف الذى هاجم كرومر والاستعمار البريطانى بعنف — أبان معركة الخديو مع كرومر — تحول عن هذا الاتجاه عندما جاء المعتمد البريطانى الدون غورست بسياسة الوفاق مع الخديو — وقد سافر على يوسف صاحب المؤيد إلى

بريطانيا وأعلن هناك « أن لندن هى كعبة السياسيين المصريين » وقد صور محمد لطفى جمعة خطة المؤيد[1] فقال :

انتشر المؤيد فى انحاء الكرة الأرضية مقروءا من طنجه وفاس كما كان يتلى فى شنغهاى وهونولو وبطاوى والفيلبين وحيث وجد ناطق بالضاد فكان المؤيد — من أدوات الحياة العقلية التى لا يستغنى عنها .

وقد دامت دولة المؤيد من ١٨٨٩ — ١٩١٣ وهى السنة التى مات فيها مؤسسه .

وقال . كانت جريدة المؤيد وطنية فى بدايه أمرها ولكنها سلكت طرقا مختلفة لا تبعا لإرادة صاحبها المحضة ، بل تبعاً لارادة المقام السامى الذى كانت تخدمه . وكانت مصالح ذلك المقام فى مواطن كبيرة تتناقض مع الخطة التى سلكها المؤيد عند ظهوره ولبضع سنين بعد ذلك .

ولكنه فى نهاية الأمر يخضع للامر لأن مصدر هذا الأمر هو مصدر الوحى الذى كان يتلقاه وعلى نوره يعيش وبفضله يحى حياته العامة .

وقال الشيخ رشيد رضا : أن على يوسف كان أخلص للخديو من مصطفى كامل ، ولكنه كان مواليا وافيا للشيخ محمد عبده ورجال حزبه .

ويقول عمر الدسوقى : لعل محمد عبده على مر الأيام قد استطاع أن يخفف من غلواء المؤيد وصاحبه فى عداوته للانجليز فهدأت لهجته وخفت حدته فرماه المتطرفون بالميل والزيغ عن الجادة » .

بين اللواء والمؤيد

والمعروف أن المؤيد غير سياسته مع الإنجليز على أثر تعبير الخديو لما فتخلى

(١) البلاغ ٢٢ نوفبر ١٩٣١ :

عن مخاصمتهم وعاد مؤمنا بصداقتهم وزار لندن الشيخ ١٩٠٤ فاكرم الإنجليز وقادته وأقاموا له الولائم فوقف بينهم وقال يجب على المصريين أن يتركوا طلب الجلاء ويكتفوا بادخال الاصلاحات فى البلاد بالاتفاق مع الإنجليز الأصدقاء .

وكان المؤيد مدرسة كبيرة للصحافة تخرج منها أغلب كتاب الصحافة من بعد وفى مقدمتهم : مصطفى كامل وسعد زغلول وعباس العقاد والمنفلوطى وحافظ عوض وعبد الكريم سلمان وتوفيق البكرى وفتحى زغلول والمويلحى والهلباوى وقاسم أمين وإسماعيل أباظه .

وعندما توقف المؤيد على أثر الخلاف بين صاحبيه (أحمد ماضى وعلى يوسف) وانسحاب الأول تقدم سعد زغلول — المحامى إذ ذاك — من الشيخ على وساعدة ماديا بما مكنه من مواصلة أصدار المؤيد .

وقد وجدت جريدة المؤيد منذ صدورها — حتى صدور اللواء — تأييدا ساحقا فقد عبرت عن أمال الشعب واستقلال مصر وطلب جلاء الإنجليز والعنف فى نقدهم ثم عدلت خطتها وانظلت تطالب بالجلاء .

ولما أعلن[1] الدستور العثمانى واختلفت الاحزاب العثمانية ، كان المؤيد ضد الاتحاديين وكانت خطته الأساسية الدفاع عن الإسلام وحقوق المسلمين .

ثم أنشأ (على يوسف) حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية .

وقد نشرت المؤيد ١٨٩٩ كتاب (تحرير المرأة) لقاسم أمين على ٦٠ أو ٧٠ يوما وكان رأيا جديداً أثار كثيرا من المعارك وأفسحت المؤيد صفحاتها للمؤيدين والمعارضين على السواء .

---

(١) الهلال مجلد ٢٢ (١٩١٣) .

وبعد أن تنحى على يوسف عن تحرير المؤيد أسندت رآسة التحرير (لمحمد أبوشادى)وكان المؤيد منذ ١٩١١ شركة مساهمة .

وعمل فى المؤيد بعد صاحبه (حافظ عوض) الذى ترك منصبه فى قصر عابدين ليشرف على تحريرها . كما تولاها الدكتور (سيد كامل) الذى تعلم فى أوربا على حساب الخديو وبتوجيه من على يوسف الذى رشحه ليتولى أمانة المؤيد .

وقد أعلنت المؤيد فى العدد الأول الصادر فى أول ديسمبر عام ١٨٩٩ انها صحيفة سياسية تهدف إلى (بث الأفكار المفيده والأخبار الصادقة والمبادرة الى نشر الحوادث الداخلية فى باب الاعتبار والتحذير أو الترويج والتبشير غير تاركة شأن التجارة الداخلية والخارجية .

وقد أعانه رياض باشا على الصدور وخاصمه مصطفى فهمى ولفق له التهم ومن ومن أبرز احداث المؤيد قضية التلغرافات المشهورة، وكانت أول قضية قدم لها كاتب وطنى إلى القضاء للحكم عليه وصدر الحكم ببراءته .

وهاجم اللواء حزب (الاصلاح على المبادىء الدستورية) الذى أنشأه صاحب المؤيد، وقال ان اسم الحزب فيه معنى الهواده وهتف الشباب بسقوط سياسة النفاق.

عمل على يوسف فى الصحافة ٢٣ عاما (١٨٩٩ — ١٩١٣) ووزع المؤيد فى ذروة نجاحه ٤٩ ألف نسخة .

ومن عبارات صاحب المؤيد قوله: ان الوزراء إلى جانب المستشار أصفار على اليسار وان قصر الدوبارة وصى على قصر أغنياء ليس لهم مجلس حسبى .

قضية التلغرافات

تعد قصة التلغرافات من أهم الاحداث الصحفية التى واجهتها « المؤيد » وكانت أخبار الحملة الانجليزية المتجهة إلى دنقله تصل إلى وزير

الحربية سراً بالتلغراف . وكان الرأى العام مهتما بأمر هذه الحملة لاعتقاده ان الانجليز دبروا إرسالها إلى السودان لضمه إلى أملاكهم ، فاتفق الشيخ على يوسف مع شاب موظف فى التلغراف يدعى (توفيق كيرلوس) أن يوافيه باخبار الحملة نقلا عن التلغرافات التى ترد إلى وزير الحربية وذلك مقابل مكافأة من المال فكان هذا الشاب يسمع نقرات التلغراف من بعيد ويدونها عنده فى السر ثم يوافى بها صاحب المؤيد لينشرها فأثار ذلك ضجة فى الوكالة البريطانية حتى قبضوا عليه وأحالوه مع الشيخ على يوسف للمحاكمة . وقد استمرت المرافعة ثلاثة أيام وصدر الحكم بالبراءة

عام الكف

ومن أحداث الصراع الصحفى فى هذه الفترة ما أطلق عليه عام الكف ، فقد كانت جريدة المؤيد الواسعة الأنتشار ومحررها على يوسف تنافسها جريدة مصباح الشرق الأسبوعية التى يصدرها إبراهيم المويلحى وقد وصفه محمد عبده بأنه جاحظ العصر وأديب مصر الاوحد .

وبينما كان محمد المويلحى جالسا ذات من يوم أيام عام ١٩٠٢ فى قهوة (بار كتوس) إذا دخل عليه محمد بك نشأت فاستقبله المويلحى بقوله : أهلا بالفتان فظن محمد نشأت أن المويلحى يعرض به فما كان منه ألا أن أجابة بصفعة على وجهه ، فهم المويلحى أن ينتقم لنفسه فخرج من البار .

هناك تلقفت جريدة المؤيد هذه الحادث ورواه الشيخ على يوسف بأسلوب ملىء بالمكر والدهاء والفخر واللمز . ونشر محمد المويلحى فى مصباح الشرق مقالة بعنوان: الجرائد العامية ، ينتقص فيها المؤيد ويزرى بصاحبه وينتقده انتقاداً مراً .

ثم اتسعت المعركة فنشر المؤيد مقالا عنيفا فى الرد على مصباح الشرق ، وأغرى الأدباء والشعراء بالنظم فى هذه الحادثة وفتح بابا فى جريدة المؤيد سماه (عام

الـكف) نشر فيه الـكاظمى وشوقى وإسماعيل صبرى وحافظ إبراهيم شعراً بدون توقيع ٠

ثم حدثت بعد ذلك قضية الزوجية الشهيره عندما خطب على يوسف إبنة الشيخ عبد الخالق السادات وعقد العقد من غير علم الأب فثار الوالد ورفع الأمر إلى المحـكمة الشرعية طالباً فسخ العقد لعدم الـكفاءة فى النسب وادعى الشيخ على أنه من الاشراف ولـكن المحـكمة قضت بفسخ العقد فى أغسطس ١٩٠٤ وبدا المويلحى ينشر ما سماه (عام الـكفء) رداً على باب عام الـكف الذى نشره المؤيد عام ١٩٠٢ ٠

علي يوسف

(١٨٦٣ – ١٩١٦)

ولد علي يوسف عام ١٨٦٣ في بلصفوره وتلقى تعليمه في الأزهر وعمل في الصحافة حيث أصدر مجلة الآداب ١٨٨٥ ثم المؤيد ١٨٨٩ على أثر صدور المقطم التي كانت خطتها إحتلاليه، فأحس أدباء المصريين بحاجتهم إلى جريدة تمهد السبيل لإنقاذ مصر من الإحتلال – كما أشار جورجي زيدان (مجلد ٢٢ الهلال ١٩١٣) فبدأت حركة لإنشاء جريدة سياسية تدافع عن إستقلال مصر فأصدر المؤيد (أحمد ماضي وعلي يوسف) ثم استقل بها الأخير – وقال جورجي زيدان أن علي يوسف كان قوي الحجة في مناظراته قادراً على إستنباط الأدلة ومعرفة أماكن الضعف في مناظره .

ويقول البلاغ[1] أن قلم علي يوسف كان على الدوام على نبض الجمهور يعرف اتجاهاته وميوله كما تدل على ذلك حوادث كثيرة .

وأشار الدكتور هيكل في مذكراته على أن علي يوسف دعا إلى أن يكون التعليم في مراحله المختلفة باللغة العربية ، وكان تعبيره الذي تناقله الناس أن تعليم اللغة بلغة أجنبية عن الأمة ينقل الأمة كلها إلى العلم ولا ينقل العلم إلى الأمة كلها .

وقد عرف علي يوسف بأسلوبه النقي البليغ المرن – وقد سأل جرجس زنانيري[2] صاحب المؤيد عن السر في إن أسلوبه كان يقتبس اللباقة والطلاوة من الروح اللاتينية » قال ، إنه تعود أن يطالع التآليف الفرنسية المترجمة إلى العربية ترجمة دقيقة

---

(١) البلاغ ٢٦ أكتوبر ١٩٣٤ .
(٢) البصير (عدد اليوبيل) ١٩٤٧ .

فيجيل النظر فيها ويطيل التمعن فى أساليبها الفكرية وكذلك إستطاع أن ينسج على غرار تلك الأساليب .

وقد وصفه محمد لطفى جمعه[1] — وهو من معاصريه — بأنه كان شديد الفطنة الفطرية وقد ظهر هذا الذكاء الخارق فى قدرته على رسم خطة لنفسه وعمل بعد ذلك على تنفيذها بكل الوسائل .

وقال: وتزداد قيمه هذا الذكاء إذا علمنا أن الرجل كان تعليمه محدوداً وكان لا يعرف لغة أجنبية .

وقال «وقد لبس الشيخ على يوسف لكل حالة لبوسها واتخذ حيال كل ذى سلطة الوسائل والحالات التى تؤدى لنجاح خطته بحكمة وحصافة . ولم تكن المبادىء التى وصفها أرسطو أو أفلاطون فيما أطلقوا عليه كلمة (أثيـكا) لتعوقه عن الوصول لغايته « لم يكن مبدأه « الغاية تبرر الواسطة » تماما ولكن أعماله كانت تبدو للغريب كأنها مستوحاه من تلك القاعدة الذهبية » وهو أول من قال بضرورة تقديم الفاتورة للانجليز بعد الحرب . يقصد بذلك أن مصر يجب أن تتقاضى حريتها من الحلفاء ثمنا لصبرها وخنوعها طوال مدة الحرب الكبرى.»

عمل الشيخ على يوسف فى الصحافة ٢٣ عاماً (١٨٩٩ — ١٩١٣) ثم ترك الصحافة إلى حيث عين شيخا للسادة الوفائية وودع المؤيد والصحافة بكلمة مؤثرة — توفى سنة ١٧ أبريل ١٩١٦ .

---

(١) البلاغ ٢٢/١١/١٩٣١ .

اللواء

١٩٠٠ — ١٩١٠

صحف الحزب الوطنى

: اللواء —	يناير ١٩٠٠	مصطفى كامل
: العلم —	مارس ١٩١٠	عبد العزيز شاويش
: الشعب —	١٩١٣	أمين الرافعى

* دعا إلى الحرية والجلاء والدستور .
* اتخذ أسلوب اليقظة العاطفية الذى يهز القلوب .
* هاجم الخديو حين انحرف وتحول عن الحركة الوطنية .
* حمل لواء المعارضه الصريحة للانجليز .
* تحرر من اعتماده على فرنسا والقصر ووالى الشعب .

اللواء

ظهرت جريدة اللواء ١٩٠٠ (٢ يناير) لسانا لحال الحركة الوطنية التي أخذت من بعد طابع الحزب، صدرت قبل أن يتكون الحزب بست سنوات . وقد صدرها مصطفى كامل في العدد الأول مصدراً باتجاهه الصحفي : وهو « خدمة الوطن والاسلام بأشرف السبل وأنفعها والسعي وراء الاتحاد والاتفاق بين المصريين وبعضهم من جهة . وبين كافة المسلمين من جهة أخرى . والعمل لتربية أبناء مصر أحسن تربية وطنية وترقية التجارة والصناعة » ومعنى هذا أن هدف اللواء هو العمل في ميداني الوطنية المصرية والجامعة الإسلامية : واتخاذ أسلوب التربية والثقافة .

وقد هاجم اللواء الاستعمار البريطاني ووجه إليه ضربات ذات بال . وحمل لواء إيقاظ الروح المصرية من مرحلة اليأس والتشاؤم التي عمت الوطن بعد الاحتلال البريطاني وهزيمة عرابي ومن أبرز مواقفه كشفه لمؤامرة امتياز مد قناة السويس .

فقد تمكن محمد فريد من الحصول على نسخة من مشروع مد امتياز قناة السويس في أكتوبر ١٩٠٩ فسارع بنشره في اللواء وهاجم المشروع في قسوة وأثار حوله ضجة هائلة قائلا : كيف يجوز لهذه الحكومة أن تتساهل في أمر أطالة أمد الشركة مع علمها أن هذه القناة كانت السبب في ضياع استقلال مصر واستطاع بقوة حجته إلى أن يضم الصحافة كلها إلى رايه في وجوب عرض المشروع على الجمعية العمومية قبل البت فيه .

وكانت الصحف قبل صدور اللواء تقصر عملها على مطالبة المحتلين بانجاز وعودهم في الجلاء أما اللواء فقد انتقد الحكومة ودعا المصريين إلى المطالبة بالجلاء واتخذ خطة جديدة هي السعي في سبيل الجلاء عن طريق الخطابة والكتابة

فى صحف أوربا وقد جهر اللواء بالعداء للخديو ١٩٠٧ ورفض محمد فريد أن يقف عند عزف السلام الخديو فى الأوبرا

وسار اللواء فى أول أمره فى اتجاهه الوطنى معتمدا على (١) تأييد الخديو للحركة (٢) الاتخاذ من العثمانية والإسلامية سندا أزاء الاستعمار البريطانى (٣) الاستعانه بتأييد فرنسا لمقاومة بريطانيا،وقد سقط الخديو إبان المركة بتحوله من ميدان الوطنية بعد أعلان اتفاق ١٩٠٤ بين بريطانيا وفرنسا بأن تطلق كل منهما يد الأخرى :فرنسا فى تونس وانجلترا فى مصر .

وقد هاجم اللواء ثورة عرابى وحركة تحرير المرأة والشيخ محمد عبده وذلك جريا مع اتجاهه الأول مع الخديو .

وطالب بالجلاء والدستور وحق الشعب فى الحكم .

* * *

« اللواء » صحيفةلهاوضعها الذى يختلف عن الصحف الآخرى : فهى فى الواقع صحيفة دعوة إلى حركة كبرى كانت موجودة فعلا وأن لم تتشكل بعد فى صورة حزب . وهى فيها لا تشبه المقطم ولا المؤيد من ناحية قوة الانصار والاتباع .

ومع ذلك فإن جريدة اللواء صدرت بتأييد الخديو عباس وربطت نفسها به وبالسلطان عبد الحميد وكانت مواردها الأولى من هذين المصدرين ولم تنفصل عن المصدر الأول — وهو الخديو عباس — ألا بعد عام ١٩٠٧ عندما استبدلت بريطانيا معتمدها كرومر باخر هو الدون غورست الذى حل سياسة الوفاق مع الخديو .

هنالك تحول اللواء عن تأييد الخديو بينما وقف المؤيد إلى جواره ، وأنطلق اللواء من بعد يحارب المؤيد : وعندما وقف الخديو تحت الرايه البريطانيه يستعرض

الجيش كتب مصطفى كامل فى اللواء : « رأيت أن أتحمل مسئولية الدفاع عن بلدى وحدى لذلك رأيت أبعاداً لكل شبهه أن اعتزل الخديوى » وبذلك وقفت اللواء وحدها تعبر عن شعور المصريين وتمادى كل المعسكرات التى يؤيدها المقطم (الإنجليز) والمؤيد (الخديو) والجريدة (أصحاب المصالح) .

× وقد واجه اللواء عديدا من المشكلات القومية وكان موقفه فيها واضح الاخلاص للوطنية، فقد حمل على سعد زغلول فى معركة التعليم باللغة العربية وأنشاء الجامعة المصرية .

وهاجم اللواء خصوم الوطنية المصرية وفى مقدمتهم كرومر فى موافقة المتعددة وكان أبرز هذه المواقف « دانشواى » فقد آثار اللواء بها حرباً عوانا على بريطانيا ومعتمدها انتهى بأكبر إنتصار له وهو عزل كرومر .

× وكان (مصطفى كامل) يفهم مهمه الصحافة فهما دقيقا ، تدل على ذلك عبارته [وإذا كانت الصحافة فى كل بلاد العالم شديدة التأثير عظيمة الفائدة فإنها يجب أن تكون فى مصر أشد تأثيرا وأكبر نفعا لأن الأمم الحية غنية عن أرشاد الصحف فى كثير من الشئون، أما فى مصر وبقية بلاد الشرق فوظيفتها أن تكون المهذبة المؤدبه المنشطة المشجعه القائمة مقام المجالس النيابية حتى تترقى الأمة وتنال كل حقوقها] .

وقد أخذ خصوم اللواء عليه طابعه العاطفى ، ومخاطبة القلوب ، وأثاره المشاعر ولا شك إن دور اللواء فى هذا كان بعيد الأثر فى أحياء روح التفاؤل واليقظة والقضاء على موجه اليأس التى ألمت بالمصريين بعد الاحتلال البريطانى وتحطم آمالهم بهزيمة عرابى .

* * *

هاجمت اللواء : اللورد كرومر هجوما عنيفا وقاومت كل أعماله ، وهاجمت مصطفى فهمى كبير وزراءه وسعد زغلول عندما ولى وزارة المعارف فسار فى تيار كرومر ودنلوب فى أنشاء الكتاتيب وغض النظر عن مشروع الجامعة . وقد هاجم كرومر اللواء فى تقريره السنوى فقال : أنه يقرأ كثير من المقالات التى تنشر فى الصحف الوطنية خصوصا ضد الاحتلال ولكنه كان يرد خائبا لأن الجرائد تذكر الأخبار محرفه عن قصد على الغالب وتنشر الاراجيف عن مقاصد انجلترا وغيرها . وبالاجمال أن الاستمرار على قراءة هذه الجرائد الوطنية التى تشدد بوجوب الاستقلال تضم كل من يميل إلى تحقيق رغائب المصريين إلى أن الإسراع فى تلك الرغبات يكون وخيم العاقبه على المصريين أنفسهم وعلى كل من يهمه أمر مصر ».

وقد حمل مصطفى كامل على كرومر عقب حادث دنشواى (١٣ يونيو ١٩٠٨) زهاء شهرين فى صحف مصر وأوربا وفى جريدة الفيجارو الفرنسية .

وهاجم اللواء الخديو توفيق عند ما تحول عن الحركة الوطنية إلى تأييد بريطانيا وقال عنه : أنه أن قال كلمة فى صالح الحركة الوطنية خدم نفسه وعرشه واستمال إليه أمته ، وأن عمل ضدها أضر بنفسه وعرشه ونفر منه أمته ، ولكنه فى كلتا الحالتين لايستطيع الأضرار بهذه النهضة . ومثل هذه النهضة لا يضرها إنسان مهما كان قوياً عظيما . »

كما دافعت ضد حملات الحقد والكراهية التى شنتها الصحف البريطانية ودعت إلى أحياء ذكرى الأبطال والأعلام .

وقد أشار العقاد فى مذكراته[1] إلى موارد اللواء فقال: أن اللواء كان فى حياة مصطفى كامل يعول على موارد يلدز وعابدين ومعونه بعض الغيورين من سراة

---

(١) مذكرات قلم ؛ نشرها فى آخر ساعة ١٩٥٧ .

الترك والمصريين ثم انقطعت موارد يلدز بعد زوال عهد عبد الحميدوانقطعت موارد عابدين بعد أغراض الخديو عن الحزاب الوطني في عهد سياسة الوفاق واستحكام العداء بين الحاشية الخديوية وخليفة مصطفى كامل: محمد فريد.

وقد كان فريد رحمة الله ينهض وحده باعباء اللواء المالية والسياسة لولا ما أصابه من المصادرة بعد المصادرة والمحاكمة بعد المحاكمة .

وتولى عبد العزيز جاويش تحرير اللواء في ٣ مايو ١٩٠٨ بعد وفاة مصطفى كامل لحمل على دنلوب في المعارف والحكم الانجليزي في السودان وكان اسلوبه قاسيا مما حمل خليفة كرومر : الدون جورست إلى إعادة قانون المطبوعات الصادر ١٨٨١ ـ في مارس ١٩٠٩ وبذلك قدم محررو اللواء إلى المحاكمة مرة بعد الأخرى.

كما برزت في هذه الفترة المشكلة القبطية الاسلامية ، ووقعت المعركة بين المؤيد واللواء من ناحية وصحف الأقباط من ناحية أخرى .

وحملت جريدة الوطن على اللواء حملات عنيفة .

وأغلق الاحتلال صحف الحرب الوطني واحدة بعد الأخرى . أغلقت اللواء في ٣١ أغسطس ١٩١٢ فصدرت (العلم) فلما أغلقت في ٧ فبراير ١٩١٢ صدرت (الشعب) التي أوقفها أمين الرافعي قبيل اعلان قرار إعلان الحماية في ٢٧ نوفبر ١٩١٤ الذي أعلن في ١٨ ديسمبر ١٩١٤ .

وقد كتب محمد فريد عند بعث قانون ١٨٩١ في عام ١٩٠٩ يقول : نحن نعرف أن مسألة تقييد الصحافة كانت موضع اهتمام أولياء الأمور وقد ذهب البعض إلى أنها كانت مثاراً للمناقشة في لندن اثناء سياحة الجناب العالي مع بطرس باشا غالي وان ماتهددنا به الحكومة من كم أفواهنا واعنات صحافتنا لا يكون له أثر سوى أنه يزيد الحركة الوطنية قوة وإن من خرق السياسة الحكومية أن تسد الفوهة التي تتصاعد منها ما يفيض عن احساس الأمة وآلامها .

برنامج اللواء

* الدفاع عن فكرة المادية الاسلامية باعتبارها الطريق الوحيد فى نظرها للتخلص عن عن الاحتلال البريطانى .

* تنشيط الحركة الوطنية بكل الوسائل والترويج لها بكل الطرق .

* تربيه الامة المصرية تربية سياسية بحيث تصبح فى أقرب وقت ممكن أهلا للاستقلال والحرية .

* توجيه الرأى العام المصرى أحسن توجيه واكله فى ميدان الاصلاح الاجتماعى .

* الدفاع عن الدين الاسلامى ضد هجمات الاستعمار الاوربى .

مشروع مد امتياز قناة السويس

لا شك أن حملة اللواء باقلام محمد فريد وعبد العزيز شاويش وأمين الرافعى وزملائهم على مؤامرة امتياز قناة السويس عن أعظم أحداث الصحافة فقد أتيح لمحمد فريد أن يحصل على الوثائق التى تثبت هذه المؤامرة فبدأ حملته فى ٢٥ أكتوبر ١٩٠٩ تحت عنوان .

« مسألة قناة السويس : اعتبارات سياسية »

نقل الكاتب منها الفكرة عن البحث المالى الاقتصادى إلى الناحية الأدبية والمعنوية المتعلقة بكرامة الوطن وحقوقه · وحقق نجاحاً وأضحا عندما سارت الصحف وراءه فى مهاجمة المشروع وعندما عجز مجلس شورى القوانين عن الموافقة على المشروع بالرغم من دفاع سعد زغلول ·

قال محمد فريد [اللواء : ٢٥ أكتوبر ١٩٠٩] أربعون سنة جديدة بعد انتهاء الاستعمار ١٩٦٨ فى مقابل أربعة ملايين من الجنيهات تدفعها الشركة للحكومة :

وقال: كيف يجوز لهذه الحكومة أن تتساهل فى أمر اطالة أمد الشركة مع علمها أن هذه القناة سببا فى ضياع استقلال مصر وكل مصرى حر يتوقد لأن

يراها ملكا لمصر حتى لا يبقى لأوربا وجه للتدخل فى أمورنا خصوصاً وإن لانجلترا ما كان لمصر فيها من السهوم وهى تبلغ ثلث المجموع .

إن فائدة هذه الاطالة المادية والسياسية تعود على انجلترا إذ تصبح صاحبة القول فى القناة لمدة مائة سنة تبتدىء من الآن وتنتفع بفائدة سهومها طول هذه المدة مقابل ما تأخذه الخزينة المصرية من النصيب القليل بالنسبة لما يعود عليها من الربح الكثير لو انتظرت هذه السنين الباقية، فهذه المسألة من المسائل الحيوية لمصر ، والأمة تنتظر من الوزارة الا تتساهل فيها كما ينتظر من جميع الجرائد الوطنية الاتحاد فى الدفاع عن صالح البلاد فيها .

وقد كتب محمد فريد فى الأهرام أيضا (٢٩ أكتوبر ١٩٠٩) وكتب أمين الرافعى مقالات فى ٢٦ / و٢٧ أكتوبر ١٩٠٩ .

وقد بدأت الجمعية العمومية فى ٩فبراير ١٩١٠ تنظر المشروع ولم تكد تتم نظره عندما قتل رئيس مجلس الوزراء بطرس غالى فى ٢٠ / ٢ / ١٩١٠ واعترف قاتله (ابراهيم الوردانى) بأن ما دفعه إلى القتل هو توقيعه اتفاقية السودان ١٨٩٩ ورئاسة المحكمة المحصولة فى دنشواى ١٩٠٦ وأعادة قانون المطبوعات ١٩٠٩ ثم عمله على تنفيذمد امتياز قناة السويس .

وكانت اللجنة لا تزال تنتظر لجان الفحص التى تدرس الموضوع قبل أن رفع تقريرها . وفى ٧ ابريل ١٩١٠ قررت الجمعية العمومية رفض المشروع باجماع الاراء ما عدا النظار ومقار باشا ومرقص بك سميكه .

وقالت جريدة اللواء : انه ما أعلنت نتيجة الرفض حتى ذوى المكان بالتصفيق الحاد وتهليل الاستحسان وما كاد يخرج الأعضاء الحاضرون من الجلسة حتى راوا منظراً وطنياً جميلا يهيج القلوب ويشجع العاملين ويحييهم

لقرارهم الصائب ، راو اجتماعا كبيرا فى ساحة سراى نظارة الأشغال وخارجها والأعلام الوطنية تخفق على الرءوس والخطباء يهتفون ويرحبون وكلهم يهنىء بعضهم بعضا بهذا الفوز المبين كأنهم فى يوم عيد أو حادث جديد .

وداع كرومر

قالت اللواء فى وداع كرومر :

كان الدخلاء[1] يوهمون ان الأوبرا الخديويه ستكون داخلا وخارجا ملآى بالأعيان والوجهاء الوطنيين تلقاء تلك المجهودات التى بذلتها الحكومة فى حمل الأمة المصرية على الاشتراك معها فى الاحتفال بوداع اللورد كرومر وكانوا يوهمون كذلك أن ميدان الأوبرا الخديويه سيكون الزحام فيه يماثل كل زحام يحدث فى الاحتفالات العادية ، ولكن هذه الأوهام قد زالت عندما وافت الساعه السادسة أمس . فان ميدان الأوبرا لم يمتز عن العادة الابوقوف العدد العديد من عساكر البوليس وضباطه حول الأوبرا وبجانبهم وابور أطفاء الحريق وفئة ليست بالكثيرة من بعض عامة الأجانب ، أما فى داخل الأوبرا فعدد المصريين يكاد لا يذكر .

ومما لا يخلو ذكره من فكاهة ان الذين كانوا أشد الحاضرين تحمسا وتصفيقا هم الشيخ عبد الكريم سلمان والشيخ عبد الرحيم الدمرداش مع انهما لايعرفان كلمة واحدة لا من الانكليزية ولا من الفرنسية وهما اللغتان اللتان القيت بهما الخطب الأربع ، ومما يدخل فى هذا المعنى أن الحكومة طلبت من جميع الانجليز الموظفين الحضور بالطرابيش لايهام الناس ان المصريين كثيرون

ولكن هذه الحيلة عرفت وضاع المقصود منها . »

كرامة الصحافة

وكتبت اللواء عن الصحافة :

مضى على الصحافة المصرية[2] أيام كان صوتها خافتا ومقامها وضيعا لايكاد

---

(١) اللواء ٥ مايو ١٩٠٧

(٢) اللواء ١٣ مايو ١٩٠٧

يحس أحد بمشاغلها ولا يكاد صوتها يتعدى دائرة محدودة . وكان يتولاها جماعة يرون منتهى البراعة وغاية البراعة فى أن يتقايضوا المهارة ويتبادلوا المكابرة ولا بأس عليهم ولا حرج إذا تخطوا هذه الدائرة .

وتهادوا بالهجو والشتائم وهذا فى رأيهم غاية الغايات فى المباحثات ،ولا تزال بقية منهم تعيش فى مصر لا يستطيع افرادها أن يكتبوا سطرا فى أبسط المناقشات إلا إذا كان حشوه البذاءه . وفحش القول والتعريض بالشخصيات ونهش عرض المناظر . وهذه خلة فى الكتاب ذميمه ،هذا حال الصحافة بالأمس أما اليوم فقد انتقلت من طور إلى طور حيث اتسع أمامها مجال البحث وكثرت عليها الواجبات،فاذا التفتت وراءها وجدت نفسها فى بادىء الطريق وإذا مدت نظرها إلى الامام وجدت شقة الواجب طويله ، وان زمنها أثمن من أن تضيعه فى الالتفات ذات اليمين وذات الشمال اهتماما بالمهاترين وعناية بالهجائين ،وتلك فئة لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ،فان عملت خيراً فلها وإن أساءت فعليها ولا تزر وازرة وزر أخرى . »

سفائر اللورد كرومر

وهذا نموذج عن كتاباتها عن كرومر عند وداعه :

خرج جناب اللورد كرومر[1] من الديار المصرية نهائيا بعد أن لبث بين أظهرنا ٢٤ عاما من ١٨٨٣ إلى سنة ١٩٠٧ ولما قابل جناب اللورد كرومر سمو الخديو بعد نبأ استقالته أخذ جنابه بيده ورقة مكتوبة باللغة الانجليزية قال إنها نص خطبة للشيخ على الجربى فى مربوط وطلب من سموه قطع مرتب هذا الشيخ فى الحال جزاء ما فى الخطبه من السب للاجانب، فأجابه سموه بأن الشيخ على الجربى وكل خطيب فى مصر بعيدون عن مثل هذا ، ولكن قبل أن نقطع مرتب هذا

---

(١) اللواء ١٤ مايو ١٩٠٧

يجب أن يحقق ما نسب له فان ثبت عليه حوكم أمام القضاء ، غير أن كرومر لم يخرج من حضرة الأمير حتى أخذ جوابا بقطع مرتب هذا الشيخ البالغ ستة جنيهات .

وليست هذه النادرة هى الأولى والآخيرة من نوادر اللورد إذ له من أمثالها ألف نادرة ونادرة كلها من هذا الطراز ، طراز الاعتزاز بالقوة والتدلى بها إلى أصغر الأمور للوصول إلى قصد صغير بوسائل كبيرة جدا جدا .

وإذا شبهت اللورد بسبع هائل الجثة عظيم الهامه قوى المخالب حديدى الأظافر يطارد فاراً صغيرا فلا نكون قد أحسنا التشبيه لأن لاختلاف بينهما أكبر من هذا التشبيه .»

دور مصطفى كامل فى الصحافة

أولع مصطفى كامل منذ شبابه الباكر بالكتابة فى الصحافة . وقد كتب فى الأهرام والمؤيد قبل أن ينشىء اللواء .

بدأ يكتب فى الأهرام عام ١٨٩٥ وقد أفسحت له من صفحاتها وأفردت له فى مبناها حجرة خاصه .

وأهم مقالاته فى الأهرام مقال (الوعود الصريحه) وقد استغرق صفحة كامله ونشر بها مقالات متعددة بتوقيعات رمزيه . وكانت أبرز مقالاته « مصر للمصريين » التى نشرها فى يونيو ١٨٩٥ .

ثم ساهم فى انشاء جريدة المؤيد ١٨٨٩ واشترك فى تحريرها وأذاع بها خطبه فلما أصدر اللواء سنة ١٩٠٠ حاول أن يصنع صحيفة جديدة فى تنوع المقالات والأبحاث والأخبار . وعنى بالطباعه الحديثه فاستحضر له من أوربا آلة طباعة كبرى (روتاتيف) وبلغ اللواء فى انتشاره حداً بعيداً .

ثم أصدر مصطفى كامل صحيفة فرنسية وأخرى انجليزية (لتفذار اجبسيان) وذى اجبشين استاندارد وأوفد بعثة صحفيه إلى أوربا (اكتوبر ١٩٠٧) لدراسة فن الصحافه كان فى مقدمتها سيد على أحد محررى اللواء الذى درس فن

الصحافه ثلاث سنوات وقد كان مصطفى كامل صاحب مدرسة صحفية لاتعرف الهوادة .وكان قلمهأعنف الأقلام فى معالجة قضايا الوطن ·

وكان أبرز مواقفه وكتاباته فى قضية دنشواى حيث هاجم بريطانياوله مقالاته فى الاحتجاج على إنشاء المحكمة المخصوصة تحت عنوان « صواعق الاحتلال » ومما جاء فيها :

أنتم تريدون بهذه المحكمة وضع الأساس الصالح لهدم المحاكم الأهلية وابدالها بمحاكم استبداديه تحكم بنفس القانون الذى تحكم فيه محكمتكم الجديدة .

نعم · نعم · أنتم تريدون ذلك وتبذلون الجهد الجهيد فى سبيل الوصول إليه، لاخلاف فى أنكم ترغبون قتل العواطف الشريفة الحية وتمدون من صميم الفؤاد إخماد أنفاس كل كاتب وكل معارض .»

وهذا نموذج من كتاباته الأولى تحت عنوان (من أين يأتى الخطر) يقول[1] :

يأتى الخطر على مصر من ثلاث فئات : فئة الضعفاء منا والدخلاء علينا وفئة الضعفاء من رجال حكومتنا وفئة اليائسين الذين ينسون أن كثيراً من الأمم كانت أتعس منا حظاً فعملت وجهدت حتى بلغت السيادة والعلاء ·

فليس على المصرى الأمين واجب غير نشر الحقائق عن أمته ووطنه فى أوروبا والاستعانه بها كما استعان بها غيرنا من قبل : وإلا فاجمعوا كلمتكم أبناء الوطن العزيز وأخلصوا النيه فى خدمة مصر وألقوا وراء ظهوركم الشقاق والنفاق واختاروا سبل الخلاص سبيلكم حتى يشهد لكم العالمون بالكفاءه والاستعداد وحب الوطن وترون بعين البهجة والرضاء بعد زمن يسير « مصر للمصريين » .

---

(١) الاهرام أول يونيه ١٨٩٥

عبد العزيز شاويش

وقد ولى عبد العزيز شاويش رئاسة تحرير اللواء بعد وفاة مصطفى كامل فبدأ يكتب بها يوم ٣ مايو ١٩٠٨ وأعلن خطته منذ اليوم الأول : الدفاع عن الأمة المصرية وجهاد الإنجليز ما بقوا محتلين البلاد والحث على الفضيلة والأخلاق والدعوة إلى توحيد عناصر الأمة .

وفى هذه الفترة واصل اللواء مهاجمة الخديو عندما أخل بحقوق الأمة كما هاجم المستشارين الذين يحكمون البلاد من وراء الوزراء وعلى رأسهم دنلوب ، كما حمل على السياسة التعليمية لوزارة المعارف وحمل على مصطفى فهمى رئيس الوزراء الذى ظل يحكم مصر ثلاثة عشر عاماً .

وفى هذه الفترة تغيرت السياسة التى رسمها كرومر للصحافة فأعيد قانون المطبوعات القديم الصادر عام ١٨٨٢ وكان ذلك فى ظل وزارة بطرس غالى (٢٩ مارس ١٩٠٩) وقصد به القضاء على معارضة اللواء ويحظر القانون على الصحافة أن تبدى رأيها فى مشاكل السياسة فى صراحة ووضوح ، غير أن ذلك لم يثن اللواء عن أداء رسالته، كذلك قدم رئيس تحريره (شاويش) إلى المحاكمة ثلاث مرات :

الأولى : فى قضية الكاملين بتهمة أنه أهان وزير الحربية فى مقال نشره عن مجازر الإنجليز فى السودان بعنوان (دنشواى أخرى فى السودان) .

والثانية : مقالة عن ذكرى دنشواى (٢٨ يونيو ١٩٠٩) وقد عدته النيابة طعنا فى حق بطرس غالى وفتحى زغلول بوصفهما من قضاة دنشواى .

والثالثة: تحسين الشيخ شاويش «ديوان وطنيتى» الذى أصدره الشيخ على الغاياتى.

وقد قدر الشعب لجريدة اللواء ولرئيس تحريرها الشيخ شاويش عمله وجهاده فاهدى إليه وسام الشعب فى حفل تكريم كبير أقيم فى فندق شبرد ٢٢ نوفبر ١٩٠٩ عقب خروجه من السجن ·

وكان أبرز موقف اللواء فى هذه المرحله هو : معارضة مد أمتياز قناة السويس وقد ساهم فى هذه المعارضة كل كتاب اللواء : محمد فريد وعبد العزيز شاويش وأمين الرافعى وأحمد حلمى ·

ويعزو اللورد لويد[1] تفكير بريطانيا فى تقيد حركة الصحافة إلى كتابات الشيخ شاويش « القاسية » فى اللواء ·

وتعتبر جريدتى العلم والشعب امتداداً للواء فى خطته وتبعيته للحزب الوطنى وسياسته العامة فقد صدر « العلم » بعد اختلاف الورثة (على اللواء) وذلك فى أول مارس ١٩١٠ ورأس تحريره الشيخ شاويش وقد أجرت السلطات تعطيله لمدة شهرين (٢٠ مارس ١٩٢٠) ثم عطل ثلاثة شهور (١٩ ديسمبر ١٩١١) وعطل تعطيلا نهائياً فى ٧ نوفبر ١٩١٢ ·

ثم صدرت جريدة الشعب (١٩١٣) ورأس تحريرها أمين الرافعى الذى سار فى نفس الخطة مهاجماً للاحتلال منتقدا لتصرفات الوزارات الاحتلاليه وأعوان الاستعمار وقد هددتها السلطات بتعطلها إذا نشرت مقالات محمد فريد التى كان يرسلها من أوربا .

فلما أعلنت الحرب العالمية الأولى فى أغسطس ١٩١٤ وظهر أن الدولة المحتلة ستعلن الاحكام العرفيه أوقف صدورها حتى يتفادى نشر هذه القرارات التى فرضت السلطات نشرها فى صفحاتها الأولى . وقد أوقف الشعب فى ٢٧ نوفبر ١٩١٤ .

---

(١) فى كتابه عن « مصر فى عهد اللورد كرومر . »

معارك الشيخ شاويش

عرف الشيخ شاويش بالمعارضة العنيفة والنقد اللاذع الذى أثار عليه ثائرة الاستعمار وأعوانه . فقد كشف الإنجليز فى قضية الكاملين فى السودان فى مقالة (دنشواى أخرى فى السودان) ٢٨ مايو ١٩٠٩ حيث حكمت المحكمة العليا فى العليا فى السودان على الثائرين فى هذه الفتنه بشنق ٧٠ شخصا وسجن ١٣ فندد بالسياسة الإنجليزية وحمل حملة شديدة على فظاعة الحكم . وعاد فكتب مقالة ملتهبه أخرى تحت عنوان « الحكم على أتباع الزعيم عبد القادر » ومما قال فى مقالة «أن الإنجليز هم الذين دفعوا الثائرين أولا فلما أطاعوهم حاكوهم ثم شنقوهم وعندما حلت ذكرى دنشواى — وكان رئيس محكمتها بطرس غالى هو رئيس الوزراء فى ذلك الوقت وفتحى زغلول عضو المحكمة وكيلا للحقانية : هاجمهما هجوما عنيفاً وقال أنهما قدما أرواحاً بريئة ، قربانا إلى اللورد كرومر والذى انطقهما بالحكم هو رغبتهما فى المناصب ورهبتهما من عظم الاحتلال .

وقد وقفت (المقطم) تهاجم الشيخ شاويش وتملن أن المحكمة لن تمكن المتهم من أثبات الوقائع التى ذكرها وأعلنت الحكم عليه قبل صدوره بأيام وجاء قرار المحكمة وفق ما أعلنت المقطم .

وقد حرر الشيخ شاويش فى اللواء والعلم والشعب .

عودة شاويش

هذا وقد عاد عبد العزيز شاويش بعد نهاية الحرب العالمية الأولى إلى مصر، وكان قد هاجر إلى الاستانة وأوربا قبيل الحرب العالمية الأولى ، عاد عام ١٩٢٣ وكان لعودته دوى . فقد أثار ضجة فى أوساط الوفد الذى كان قد انفصل عنه حزب الأحرار الدستوريين . وبدأت معركة ضد الحزب الوطنى الذى يختلف مع الحزبين الجديدين فى مفاهيم الوطنية .

وكان الشيخ شاويش قد قاوم الانجليز حتى فى أبان هجرته فنشرت له الأهرام فى ١٤ ديسمبر سنة ١٩٢١ مقالا عن المقاطعة جاء فية :

«حاربوا الأعداء بسلاح المقاطعة فلا تعاملوهم ولا تجاملوهم . أهجروا متاجرهم، عطلوا مزارعهم . اختصموا اصاغرهم واكابرهم . وحذار أن تدفعكم الحاجة إلى شىء من متاعة أن تستخفوا بكرامتكم القومية وحقوقكم الوطنية . تعففوا عن كل ما يجلب لبلادكم ، وتعاهدوا مع الا تبتاعوا له سلعة ، ولا تجيبوا له مسألة ولا تقضوا له مطلبا ولا تطيعوا له أمرا أو نهياً »

فلما عاد جاويش عام ١٩٢٣ عمل فى جريدة الأخبار ، قال إبراهيم عبد القادر المازنى : وكان يعمل معه بها قال : كان يدفع بالمقال إلى مثلى وأنا فى مرتبة أبنائه قبل أن يبعث به إلى أمين بك فيبدو له وجه اعتراض أفضى به إليه فيبتسم ويقول صدقت ؛ أن عذرى أنى كالغريب ويمزق الورقات غير أسف ولا مستنكف .

وجهت اليه صحف الوفد حملات عنيفة . وكان البلاغ فى مقدمة هذه الصحف فقد كتب فى ٢١ ديسمبر ١٩٢٣ تحت عنوان (عودة الشيخ شاويش) : لن ينسى الناس الحملة الطائشة التى قام بها فى جريدة اللواء يوم كان يتولى تحريرها فقد بذرت هذه الحملة بذور الشحناء بين عنصرى الأمة .

ولم يفرح أحد يوم كان الشيخ شاويش يوقد نارها ألا الانجليز وحدهم لأنهم يعرفون أن ظفرهم بالبلاد لا يدوم لهم ألا إذا بقيت الشحناء والضغينة قائمـــة بين المنصرين والناس يريدون للـــبرلمان طراز غير هذا الطراز القديم» ثم عاودت مهاجمته فى ١٩٢٤/١/٤ فذكرت أنه كان يعمل عند دخول تركيا فى الحرب العام على جعل مصرية ولاية عثمانية . وأن هذه التهم تثبت كيده لمصر— وقالت البلاغ فى ١٩٢٤/١/٥ « لقد كشف حمقة عن نيته ودل بسوء

فعله على سوء سريرته وفضح السر فى تسهيل وصوله فى الترحيب بقدومه فأبان أنه جاء هادما وقدم مشاغبا ليكون آلة فى يد السياسة الانجليزية تستعمله فى تقسيم الوحدة القومية .

وردت البلاغ على ما اسمته اقتراءات الشيخ شاويش على سعد باشا : من أنه ناهض الحركة الأزهرية وأوجد قانون المطبوعات واوقف جريدة العلم فى ١٩ مارس ١٩١٠ بينما لم يوقف العلم ألا مقال الشيخ شاويش (اليوم يقتل دنجرا) .

والواقع أن « الوفد » الذى كان قد سيطر فى هذه الفترة على مقاليد السياسه المصرية ، كان حريصا على القضاء على الشخصيات الوطنية اللامعة أمثال : محمدفريد الذى حاربه سعد زغلول ورفض الرد على برقيته إليـه وكذلك كان موقفه من عبد العزيز شاويش ثم من أمين الرافعى ، فقد كان يخشى وهو يتجه إلى « التفاهم » مع بريطانيا أن يقف أمامه دعاة الحزب الوطنى الذين يرفضون الالتقاء بالانجليز قبل إعلان وعدهم بالجلاء .

والشيخ شاويش لا شك من أصدق المجاهدين وانظف أصحاب الاقلام وأشرف من عملوا فى مهنة الصحافة .

الجريدة

لطفى السيد .... ١٩٠٧ — ١٩١٥

- الصحيفة التى أيدت التيار الذى صنعه الانجليز: تيار أصحاب المصالح الحقيقية وأبناء البيوتات .
- قاومت تيارين : تيار القصر والبقايا العثمانية وتيار الشعب الممثل فى الحزب الوطنى .
- حاربت : التعليم للشعب ، واللغة العربية .

الجريدة

يمثل صدور « الجريدة[1] » مرحلة جديدة فى تطور الصحافة المصرية ، وتطور الفكر العربى نفسه كذلك وفى مفاهيم السياسة والحكم والاجتماع .

فقد كان «المؤيد» يمثل مرحلة المقاومة للاستعمار والدعوة إلى الارتباط بالعالم الاسلامى ودولة الخلافة العثمانية والقصر الخديوى فى سبيل مواجهة الاحتلال البريطانى معه ثم تحولت هذه النظرية عندما صدر اللواء لتحمل لواء العاطفية الوطنية والارتباط بدولة أوربية معينة هى فرنسا فى سبيل الضغط على بريطانيا مع الجرى فى نفس الطريق وهو الاعتماد على يلدز وعابدين مما ثم التحول حثيثا عن الاعتماد على فرنسا وعابدين أثر تطورات السياسة العامة .

وبصدور الجريدة يبدأ ظهور قوة جديدة داخلية : هى قوة أصحاب المصالح الحقيقة من الاقطاعيين وأبناء البيوتات الكبرى وعملاء الاستعمار الذين كان له الفضل فى إبرازهم وتقوية جبهتهم، هذه القوة التى تجمعت فى « حزب الأمة » .

وكان من سياسة هذه الجماعة « مهاسنة الدولة المحتلة » وقبول التطور التدريجى ومهاجمة الحزب الوطنى لأنه يحمل لواء ما أسموه « التهييج » ووصف الخديوى بانه صاحب السلطة الشرعية بينما يطلق على المعتمد البريطانى لقب صاحب السلطة الفعلية .

ولذلك فقد حملت الجريدة لواء هذه الدعوة : دعوة « المصرية » مصر المصريين ، ومعارضة الاتجاه إلى تركيا ، والدعوة إلى « التعقيل » لمحاربة تاريث المشاعر الوطنية ، و«مهاسنة » المحتل ومعارضة العنف فى خصومته .

---

(١) صدرت فى ٩ مارس ١٩٠٧ وتوقفت فى ٣٠ يوليو ١٩١٥

وقد رسم أحمد لطفى السيد رئيس تحرير الجريدة فى العدد الأول (٩ مارس ١٩٠٧) خطيا فقال :

ما الجريدة إلا صحيفة مصرية شعارها الاعتدال الصريح ومرامها ارشاد الأمة المصرية إلى أسباب الرقى الصحيح .

وقال : إن أهم سبل الاقناع وأكبرها فى الوصول إلى الغرض هو سبيل « المحاسنة » التى لا تجد إلى ترك حق أو تزيين باطل وهى أجلى مظاهر الاعتدال الذى يجب أن يكون دعامة العلاقات بين أمة وبين حكومة كلتاهما فى دور التكوين .

كما أشارت الجريدة إلى ما هوجمت به من أنها صدرت بتوجيه اللورد كرومر فقالت « بعض الكتاب رأى إلا أن ينتقص الجريدة قبل ظهورها فخلق لها نسبا لا تعرفه إذ يقول أنها انشئت بوحى من جناب اللورد كرومر أو أنها متميزه إلى طرف دون آخر « على أنها من كل ذلك براء » .

وقد أعلنت « الجريدة » فى عددها الأول عن مؤسسيها ومن بينهم محمود سليمان ، حسن عبد الرزاق ، أحمد فتحى زغلول ، عبد الرحمن الدمرداش ، عبد العزيز فهمى ، على شعراوى ، عمر سلطان وذلك برأس مال قدره ٢٠ ألف جنيه .

وقد وصف هيكل فى مذكراته السياسية (جـ١) « حزب الأمة » بأنه « حزب العقلاء الساكنين والحكماء الهادئين » وأشار إلى جريدة الجريدة فقال « نما إلينا أن صحيفة الجريدة لسان حال حزب الأمة كانت تتقاضى من الانجليز مرتباً ضخما فى كل شهر لتناوئ الحركة الوطنية وتقضى على النهضة القومية .

وفى مذكرات لطفى السيد التى نشرها المصور(١) تحدث عن صدور الجريدة وصور كيف تحدث مع محمد محمود (باشا) سكرتير مستشار نظاره الداخلية فى هذه الفترة عما يحب لمصر فى ظروفها — إذ ذاك — من أنشاء جريدة مصرية حرة تنطق بلسان مصر وحدها دون أن يكون لها ميل خاص إلى تركيا أو إلى إحدى السلطتين الشرعية والفعلية فى البلاد .

قال « وقد رأينا أن تكون هذه الجريدة ملكا لشركة من الأعيان أصحاب المصالح الحقيقية الذين كان يصفهم اللورد كرومر وغيره من الانجليز بأنهم راضون عن الاحتلال ساكتون عن حقوق مصر وأن الحركة المعارضة للاحتلال إنما يقوم بها من ليس لهم « مصالح حقيقية » فى البلاد كالشبان الأفندية والباشوات الاتراك .

وقال لطفى السيد : لهذا الغرض دعوت فى الكونتنتال : أصدقائنا محمد محمود وعمر سلطان وأحمد حجازى ومحمود عبد الغفار وتحادثنا فى الأمر . وقد لاحظنا فى حديثنا وأبحاثنا أن الأمل الذى كان المصريون يعقدونه على فرنسا فى المساعدة على زوال الاحتلال قد تبدد وانتهى أمره بالاتفاق الودى بين فرنسا وانجلترا الذى عقد فى أبريل ١٩٠٤ وكانت السياسة الفرنسية قبل هذا الاتفاق ترمى إلى مناوأة السياسة الانجليزية فى مصر . بعد أن فازت انجلترا دونها باحتلال وادى النيل وكانت فرنسا تعانى فى ذلك الحين مصاعب فى مراكش وخشيت أن يؤدى فشل إدارتها هناك إلى تدخل الدول وبخاصة انجلترا وأسبانيا لهذا أرادت فرنسا أن تحصل على حياتها ، وكان الثمن الطبيعى لذلك أن تحصل انجلترا على حياد فرنسا فى شئون مصر فعقدت الدولتان هذا الاتفاق وتبادلتا

---

(١) المصور ١٥ سبتمبر ١٩٥٠

الرأى ووضعنا الخطة التى نسير عليها وعيناً المبادىء التى تقوم عليها جريدة حرة مستقلة غير متصلة بسراى الخديوى ولا الوكالة البريطانية وإخذنا نسعى فى اقناع أصدقائنا ومعارفنا من أعيان البلاد ، والفنا فى بيت محمود باشا سليمان شركة الجريدة وانتخبت أنا مديرا لهـا ورئيسا لتحريرها لمدة عشر سنوات وكان رئيس الشركة : محمود باشا سليمان ووكيلها حسن باشا عبد الرازق الكبير .

وبعد تأليف الشركة أخذت الجرائد المتصلة بالخديوى عباس تتهمنا بأننا متصلون بالانجليز واننا نمالئهم ضد الخديوى وقد كان لهم عذراً فى هذا لاتهام لأنه كان من شركائنا فى الجريدة طائفة من الموظفين المصريين فى الوقت الذى يسيطر فيه الانجليز على الحكومة أمثال أحمد فتحى زغلول وأحمد عفيفى وعبد الخالق ثروت ومن الظريف أن هناك جريدة كان يصدرها وقتئذ حافظ بك عوض باسم (خيال الظل) نشرت أبياتا نسبها بعضهم إلى أحمد بك شوقى جاء فيها :

ما فى الجريدة من ترَجيه سو ى لطفى فردوه لنا وكلوها

وقد بقيت هذه التهمة عالقة بالجريدة حتى ظهرت بعد ستة أشهر من تأليف الشركة مصدره بأسماء الشركاء فى ٩ مارس ١٩٠٧» .

وأشار لطفى السيد فى مذكراته انه بعد ظهور الجريدة ببضعة أشهر تألف حزب الأمة فى ٢١ سبتمبر ١٩٠٧ وقد تضمن منهاجه عدة مبادىء فى رأسها المطالبة بالاستقلال التام والمطالبة بالدستور واقل درجاته توسيع اختصاص مجالس شورى القوانين ومجالس المديريات[١].

وقال أنه فى ١٩٠٩ أرادت الحكومة بعث قانون المطبوعات (الذى كان

---

(١) المصور ٢٢ سبتمبر ١٩٥٠

قد صدر ابان الثورة العرابية وهو قانون بالغ القسوة على حرية الرأى فحملت أنا وزملائى الصحفيون على ذلك القانون حملة قوية ، ولـكننا لم نوفق لأن بعض أعضاء مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية كانوا قد طلبوا شيئاً من هذا فيما سبق وعارض فيه اللورد كرومر[1] .

مهمة الجريدة

عملت الجريدة وفق خطة محددة قوامها :

(١) خلق معسكر فـكرى جديد يواجه معسكر « اللواء » هو معسكر « التعقيل » فى مقابل المعسكر العاطفى الذى أطلق عليه الاستعمار كلمة «التهييج»

(٢) تحويل الاتجاه من العثمانية إلى المصرية .

(٣) إقامة الوطنية على أساس المنفعة والمصلحة .

(٤) مقاومة تعليم العلوم باللغة العربية وتعليمها باللغة الأنجليزية .

(٥) مقاومة تعليم سواد الأمة ومعارضه الاتجاه إلى المجانية وذلك حتى يمكن المحافظة على وجود طبقة معينة تتولى حكم البلاد دون أن يتاح ذلك لباقى أفراد الشعب .

(٦) «المحاسنة» مسالمة الاحتلال وتمجيد كرومر وبريطانيا .

(٧) الدعوة إلى «تمصير» اللغة العربية باحياء العامية والتقليل من أهمية اللغة العربية الفصحى ،

وقد أطلق كرومر على فلسفة الجريدة ودعاتها « جماعة المفـكرين : بعيدى النظر الذين كان اتجاههم إلى كسب التقدم الدستورى بطريقة معتدلة» وقد أيد كرومر اتجاه الجريدة وسماها حزب الشيخ محمد عبده .

---

(١) المصور — ٦ أكتوبر ١٩٥٠

ووصف اللورد لويد حزب الأمة بأنه « الهيئة التى تتكون من جماعة من المفكرين بعيدى النظر ، والذين كان اتجاههم إلى كسب التقدم الدستورى ، بطرق معتدلة . وهى تدعو إلى تحقيق الأمانى الوطنية باتفاق يحدث بين الاحتلال وبين أعيان المصريين وحدهم لأنهم أصحاب المصالح الحقيقية وتدعو إلى الرضا بكل ما يكسبه الوطنيين من هذا الاحتلال حتى تتوافر الكفايات للحكم الذاتى » .

وقال الدكتور محمد حسين فى كتابه « الاتجاهات الوطنية » أن الجريدة كانت تصور الاحتلال على أنه حقيقة واقعة وترى أن الاعتراف بشرعيته لا تمنى عدم وجوده ، ولا يقلل من سلطته ونفوذه . وكانت ترى أن هؤلاء المحتلين ماضون فى طريقهم مستقلون بتصريف الأمور رضى المصريون بذلك أم كرهوه .

وعندى أن خطة الجريدة وحزب الأمة كانت واضحة وهى « تحقيق الأمانى الوطنية باتفاق يحدث بين الاحتلال وبين أعيان المصريين (وحدهم) لأنهم أصحاب المصالح الحقيقية » .

وقد نشرت الجريدة تقرير كرومر عن عام ١٩٠٦ على صفحاتها من ٤ أبريل سنة ١٩٠٧ إلى ٨ مايو ١٩٠٧ ثم كتب لطفى السيد بعد ذلك مقالات فى تأييد هذا الاتجاه وهى : مزية من مزايا السياسة الانجليزية — درس من انجلترا — المسالمة لا المعاندة (ابريل ١٩٠٧) ثم نشر عدداً من المقالات فى وداع اللورد كرومر من ٢٠ ابريل ١٩٠٧ ثم صدر عدد خاص من الجريدة فى وداع كرومر (٦ مايو ١٩٠٧) .

ومن ذلك مفهوم « الجريدة » لكرومر وهو ما سجله فى لطفى السيد قوله : « أمامنا الآن رجل من أعظم الرجال ويندر أن نجد فى تاريخ عصرنا نداله يضارعه فى عظائم الأعمال .

هذا الرجل هو اللورد كرومر ، لو بقى اللورد كرومر عاماً واحداً فى منصبه لعيد عيده الذهبى فى خدمة دولته » .

وقال « سياسى محنك بعيد النظر رحب الصدر طويل الأناة »(١) .

ومن هذا موقفه من مصطفى كامل — ويظهر هذا فى حدث بسيط جدا فقد نشرت الجريدة خطابة مصطفى كامل التاريخية فى زيزينيا و كتب فوقها عبارة « ناقل الكفر ليس بكافر » .

وموقفه من مقاومة فكرة الدعوة إلى مساعدة طرابلس وهى الدولة العربية الإسلامية جارة مصر فى مأساتها عام ١٩١١ فقد كتب لطفى السيد بهذه المناسبة عدة مقالات تحت عنوان « سياسة المنافع لا سياسة العواطف » دعا فيها المصريين « إلى التزام الحياد المطلق فى هذه الحرب الايطالية التركية وإلى الضن بأموالهم أن تبعثر فى سبيل لا يفيد بلادهم » على حد تعبير الدكتور هيكل فى مذكراته وقد علق على ذلك بقوله : « وقد أثارت هذه المقالات على لطفى السيد عاصفة بل وطعن جارح » .

وقد وقفت الجريدة من أحمد عرابى عند وفاته موقفا هو مزيج من التقدير والاتهام ، وذكرت فصله فى نفس الوقت الذى كانت المؤيد والمقطم واللواء جميعا قد هاجمت عرابى عند عودته من المنفى واتهمته بالخيانة .

قال لطفى السيد عن عرابى « لا يجوز لنا أن نغمط حق الرجل فى أنالتنا الدستور بل يجب علينا أن نرد له ثناء آبائنا يوم صدر قانون الانتخاب وقانون مجلس النواب ؛ لعرابى سيئات بعد ذلك فيما يتعلق بخروجه على خديوى هادىء فى غير مصلحة عامة للأمة وفى عدم تقديره حالة أمته من القوة والضعف تقديراً صحيحا . وفى الجهل بالمقارنة بين قوته الحربية وقوة انجلترا وفى الانخداع ببعض المهيجين الانجليز » .

---

(١) الجريدة — ١٣ ابريل ١٩٠٧ .

موقف «الجريدة» من الاحداث

(الكتاتيب)

« الكتاتيب » أذاعني الناس بها تأتي بفوائد كثيرة فهي المغرس الأول للعلم بالكتابة وقواعد اللغة ، وإذا نجحنا في تكثير الكتاتيب وإصلاحها فتحت لنا أبواب النجاح في العلم[١] .

المسالمة لا المعاندة

«استقال اللورد كرومر مصرحا للملأ هو وحكومة الانجليز بأن أسباب إستقالته صحية صرفة .

الانجليز بالأمس هم الانجليز اليوم ، هم الانجليز غدا ، منهم ترجى المنفعة وإليهم ترجع الأمور فلا يسكن أمر هذه الحركة التي لا أصل لها إلا ونرى أصحاب الحاجات يؤمون قصر الدوبارة .

«أن الجرائد الملقبة بالوطنية على إختلاف نزعتها أخذت تأمر الناس أن لا يعترفوا للورد كرومر بحسنة مطلقا فلا يزورونه كما كانوا ولا يودعونه كما يجب على القيم المسافر[٢] .

«أن سياستنا مع الانجليز أحد وضعين : أما سياسة معاندة وعداء أو سياسة مسالمة لا استسلام .

فقد علم العقلاء وجربوا أن سياسة المعاندة من بضع عشرة سنة قد جرت بنا من الوجهة الادارية والسياسة إلى هذه الحالة التي نألم لها جميعا كل الألم . ولاشك أن سياسة المعاندة عقيمة إذ كيف يقبل المعاند من المعاند حسابا على أعماله .

«أننا على هذا المذهب لا يمكننا أن نتقدم في مدارج الرقي الأدبي والسياسي

---

(١) الجريدة (١٧ يونية ١٩٠٧) .
(٢) الجريدة (٣٠ ابريل ١٩٠٧) .

شبرا ما دام الحال على ما نرى من التقاطع وسوء الفهم .

رحماكم يا أرباب الأقلام لا تغرروا بهذه الأمة التعسة ولا تكونوا للزمان عونا عليها .

ما بال بعض الجرائد (يقصد صحف الحزب الوطنى) أخذت تشهر ببعض الكبراء الذين انضموا إلى لجنة الاحتفال (بوداع كرومر) وتغمزهم كل يوم بضروب من ألفاظ السخرية غير اللائقة .

وداع كرومر[(١)]

ما كنا نظن ونحن نكتب فذلكتنا السياسية صبيح الخميس الفائت أنها لا تتوارى بالحجاب حتى يأتينا نبأ تميدله جوانب القطر ، نبأ إستعفاء اللورد كرومر .

ربما كنا نحن أنفسنا بعض السبب فى مكثنا السياسى وعدم تقدمنا إلى الأمام ، وذلك لأننا كنا ننظر بعين ملؤها الريب والشبهات إلى كل ما يعمله الانجليز ونسىء الظن به .

---

(١) الجريدة (٨ إبريل ١٩٠٧) .

لطفى السيد

أحرز لطفى السيد ليسانس الحقوق ١٨٩٤ ثم عمل موظفاً وبقلب فى عديد من الوظائف ثم استقال من الوظيفة للاشتغال بالصحافة ١٩٠٥ ثم عاد إلى النيابة عام ١٩١٥ وقد نشر لطفى السيد مذكراته فى المصور إبتداء من ٨ سبتمبر ١٩٥٠ فتحدث عن مطالع شبابه والتقائه بجمال الدين الأفغانى وقال أن أهم ما انتفع به من الداعية الاسلامى الكبير « أنه وسع فى نفسى أفاق التفكير . وهدانى إلى أن المرء لا يستطيع أن يربى نفسه إلا إذا حاسبها آخر كل يوم على ماقدمت من عمل » .

وقال عنه: أنه كان شديد النقمة على الانجليز لسياستهم فى البلاد الاسلامية وهدمهم لدول الاسلام .

وقال أنه التقى فى استانبول مع سعد زغلول ١٨٩٣ وعلى يوسف وحفنى ناصف وقد تأهبوا لزيارة جمال الدين فقصد إليه معهم .

وقال فى مذكراته : أن مصطفى كامل طلب إليه يشترك معه فى تأليف حزب وطنى تحت رئاسة الخديو . وأنه قابل الخديو الذى تحدث معه فى أغراض الحزب وطلب منه أن يسافر إلى سويسرا لكى يكتسب الجنسية السويسرية ، ثم يعود إلى مصر ليحرر جريدة تقاوم الاحتلال البريطانى .

« وكان الخديو عباس يظن وقتئذ أن فرنسا تستطيع أن تؤلب الدول على انجلترا للجلاء عن مصر والذى أطمعه فى ذلك زيارة المسيو ديلونكل النائب الفرنسى ووعده بذلك » .

وقال لطفى السيد أنه اجتمع مع مصطفى كامل فى منزل محمد فريد وألفوا الحزب

الوطنى كجمعية سرية رئيسها الخديو وأعضاؤها : مصطفى كامل ومحمد فريد وسعيد الشيمى ومحمد عثمان ولبيب محرم ولطفى السيد . وقال لطفى السيد : أن الخديو عباس كان لا يميل إلى الشيخ محمد عبده ويظهر أن بعض الناس أبلغ الخديو أنه كان يمايشنى فى جنيف . فلما عدت إلى مصر جاءنى مصطفى كامل وأفضى إلى بأن الخديو منضب منى لاتصالى بالشيخ محمد عبده . ثم قال مصطفى : ومع ذلك لم ينجح — أى الخديو — فى الحصول على موافقة الباب العالى فى تجنسك بالجنسية السويسرية وأشـــار لطفى السيد إلى خلاصة تجربته واتجاهه فى هذا الصدد التى ضمنها تقريره إلى الخديو وهى « أن مصر لا يمكن أن تستقل إلا بجهود أبنائها . وأن المصلحة الوطنية تقضى أن يرأس الخديو حركة شاملة للتعليم العام .

ثم استقال لطفى السيد من النيابة عام ١٩٠٥ لخلاف بينه وبين النائب العام كوربت بك وعزم على أن يعيش فى بلدة متأثراً فى ذلك بمؤلفات تولستوى غير أنه لم يلبث أن أختير لرئاسة تحرير الجريدة أو كما ذكر فى مؤلفاته فكر فى « إصدار جريدة مصرية تنطق بلسان مصر وحدها » .

وقد زار باريس أعوام ١٨٩٦ و ١٨٩٧ و ١٩٠٦ وسافر إلى المدينة المنورة ١٩١١ وقد أشار لطفى السيد فى مذكراته إلى موقفه من القومية العربية والوحدة العربية فقال « حضر إلى مصر شكرى العسلى من دمشق والسيد ثابت من بيروت وكانا نائبان فى مجلس المبعوثان فى استانبول ، وكان الغرض هو ضم سورية إلى مصر وقد لقيانى مراراً فيمن لقيا من المشتغلين بالسياسة وأهل الرأى . ولم أكن متفقا معهما فى هذا الرأى لا لتعذر هذا الطلب بل لأنى لم أره من مصالح مصر .

وعقب على ذلك بقوله : وكنت من زمن طويل أدعو إلى القومية المصرية وأنادى بأن مصر للمصريين وأن المصرى هو الذى لايعرف له وطنا آخر غيرمصر.

وأشار إلى إعتزاله الصحافة فقال : أنه لما أعلنت الحرب العالمية الأولى كان من رأيه المطالبة باستقلال مصروالاتفاق مع بريطانيا على ذلك قبل دخول الحرب فلما عرف أنه لا أمل خرج مكتئبا كاسف البال .

وقال « أن الأمر انتهى بالفشل وسأكسر قلمى واذهب إلى بلدى واعتزل السياسة » . وكان قد وضع صورة معاهدة بين مصر وبريطانيا تتضمن اعترافها باستقلالنا وإعترافها بمصالحنا فى قناة السويس ، فلمالم يوفق اعتزل السياسة وقدم إستقالته وسافر إلى بلده «برقين» وكان ذلك فى أغسطس ١٩١٤[١] .

وقدلقى لطفى السيد من خصومة الوفد فيمابعد نقداًمريراً فى مجال الهجاء السياسى : مثال ذلك ما كتبه عباس حافظ (١٩٢٦/١٢/٨ — كوكب الشرق) .

قال : كان لطفى السيد فى الجريدة صحفيا ، فضى يومذاك فى الصحافة رجميا وفى الأدب ماكراً شيطانيا ، ففى السياسة راح يخدم حزب الأمة وهو حزب الأطيان ولمامه « سليمان » . وفى التفكير متشككا سفسطائيا ، فاخترع شيئاً مزوراً ، ودعاه خاطراً مبتكرا واسماه اللغة المصريه . وكانت حيلة صبيانية لأنه لم يستطع أن يرتفع إلى العربية، فأراد أن يتخذ لغة الكتابه عربة يد ليسرح عليها بالجريدة هاربا من النقد ولكن عربيته الضعيفة سقطت »

---

(١) مذكرات لطفى السيد (المصور) ١٠ نوفبر ١٩٥٠ .

معارك الصحف

(قبل الحرب الأولى)

دارت المعارك بين الصحف الثلاث التى كانت تصدر قبل الحرب العالمية الأولى وكل منها يمثل وجهة نظر معينة : اللواء يمثل الجناح الوطنى ، والمؤيد يمثل الخديو ، والمقطم يمثل الانجليز ، والاهرام يمثل النفوذ الفرنسي وقد وقع الخلاف بين المقطم والأهرام أولا ثم بين المقطم وصحيفتى المؤيد واللواء لانهما تصدران عن روح المقاومة للاستعمار البريطانى كما وقع الخلاف بين اللواء والمؤيد عندما تحول الخديو عن مناصرة الحركة الوطنية ، وكان المؤيد قد غير خطته الوطنيه عام ١٩٠٣ إذ استحال إلى جريدة احتلالية باطنا ووطنية ظاهراً وأنزلته الأمة منزلة المقطم .

وقالت جريدة الشعب (١٢ مايو ١٩١٢) إن الخلاف بين صاحب المؤيد وصاحب اللواء قد بدأ على أثر انتصار الأخير فى دفاعه عن الإسلام لدى الغارة التى أعلنها عليه مسيو هانوتو وزير خارجية فرنسا وقالت الشعب : يظهر أن صاحب المؤيد كان قد وطن نفسه على أنه زعيم الصحافة الاسلامية فى مصر واطمأن إلى ذلك فلما ظهر صاحب اللواء رأى فيه أكبر مزاحم فأخذ ينصب له الأشراك فى داخل المية وخارجها ويقعد له كل مرصد أملا فى اسقاط اللواء ليخلو له الجو .

ولم يظفر اللواء بالمؤيد إلا بعد سفر صاحب المؤيد إلى لوندره ١٩٠٣ ووقوفه من الانجليز ذلك الوقت المعلوم وتسمية لوندرة « كعبة المصريين السياسية » فلما عاد إلى مصر التزم الصمت متوخيا مرضاة الاحتلال وتقبله وفاق سنة ١٩٠٤ قبولا حسنا ، كان ذلك مصرعاً لجريدة المؤيد نفسها وفاز اللواء عليها .

وكان المؤيد يطمئن فى اللواء عندما اذاع الأخير نبأ عزم أنجلترا على فصل لورد كرومر من منصبه فى مصر ، وكان يقول بالخلود والاستمرار لصاحب هذا المركز . ولما تأكد الخبر ، قال المؤيد أن كرومر مريض وقالت اللواء: أن السبب سياسى لا مرضى . ودافع المؤيد عن حفلة الوداع التى اقيمت للورد فى الاوبرا ليخالف اللواء الذى دعا المصريين إلى عدم الذهاب إليها .

وقالت الشعب أن اللواء ارتفع توزيعه بعد أن ذهب على يوسف إلى لندن وتردد أن كرومر حاول بعد ظهور اللواء اجتذاب الشيخ على يوسف إليه وإن الشيخ سقط فى أحضان الانجليز وفقد مجده الوطنى والسياسى ، وبذلك أصبح لكرومر صحيفتين هما : المؤيد والمقطم ، وبقيت اللواء وحدها وقد احتضنت المؤيد سياسة المواربة فلا تعلن بجلاء ووضوح أنها تناصر الانجليز وتعادى الخديوى ولكنها تدس ذلك دسا فيما تكتب وحتى لا ينفض من حول المؤيد اتباعه والمؤمنين به[1] .

بين المقطم واللواء

وكان المقطم يحارب الخلافة العثمانية ويحارب كل انصارها ومنهم مصطفى كامل ، وكان مصطفى كامل يحارب الانجليز ويستند إلى الخلافة ، وكان محمد عبده فى صف المقطم بعد عودته من المنفى .

وقد أشارت الأهرام ١٩٠٦/١٢/١٧ بأن المقطم اتهم الخديوى بأن أعطى صاحب اللواء أربعة آلاف جنيه ، وقالت الأهرام: إن إصرار المقطم على هذا غير مقبول بعد أن أكد الخديو للورد كرومر أن هذه التهمة كذب وبهتان .

---

(١) مجلة الشباب — ٢٠ أبريل ١٩٢٦ (محمد أمين عبده)

وقالت البلاغ (١٧ اكتوبر ١٩٣٣) إن المقطم لم تكتب كلمة رثاء مصطفى كامل إلا بعد أن اكرهها الجمهور على رثائه فكتبت تكذب هذه الدعوى .

الأهرام والمقطم

وقد وقفت الأهرام فى صف الحزب الوطنى ومصطفى كامل ضد المقطم فقالت (٢٩ اكتوبر ٦ ١٩) : الحزب الوطنى هو كل المصريين دون استثناء ولا تمييز ، أما يقال من مطالب المصريين الصحيحة ، فهى أنهم يودون خروج الانجليز من أرضهم كما يودون أن يترقوا وينهضوا بواسطة التعليم ،وهم ناقمون على الاحتلال لأنه يمنع أبناءهم عن نيل العلوم ، أما نظر المصريين إلى الدولة العلية فهو ليس كنظر التابع إلى المتبوع فقط بل هو كنظر الابن إلى أبيه وكل مصرى يود من صميم فؤاده أن يكون مستظلا برايتها ومنضويا تحت ظلالها فإذا عيبت الدولة العليا غفر لها تلك العيوب . »

وأشار عبد الحميد حمدى إلى أن الصحف فى هذه الفترة قد انصرفت عن المصلحة العامة وتفرغت للمعارك الشخصية يتربص كل منها بالأخرى ، ملتمسة لها ابسط الأخطاء لتهاجمها من غير هواده ولا وقار ، من مثال ذلك (عام الكف) وهو الباب الذى فتحته جريدة المؤيد لتهاجم فيه ابراهيم ومحمد المويلحى .

وإن صاحب المؤيد كان يطلق على مصطفى كامل اسم الفتى الطائش وكان مصطفى كامل يطلق على يوسف لقب (الصعيدى المعلول) .

كما حملت جريدة الظاهر على الشيخ محمد عبده بعد اصداره فتوى أهل جنوب أفريقيا التى أطلق عليها الفتوى الترنسفالية . بجواز ليس القبعة ، وقد رمى أبو شادى الشيخ عبده بالزندقة والخروج عن أحكام الدين كما نشر خصوم الشيخ صوراً له مع سيدات أوربيات . وكانت جريدة الظاهر تؤيد الخديو ضد المفتى .

وقد وصفت حملتها بالاسفاف والاقذاع ، وقيل إن أبو شادى أنشأ جريدة الظاهر لإسقاط نفوذ محمد عبده الدينى وممن كانوا يتولون مهاجمة الشيخ محمد عبده من يدعى محمد الشربتلى وجريدة الحماره التى فاقت الصحف المعارضة له فى بذاءة الحملة وهى التى نشرت صورة ماجنة نسبتها إليه فى وضع لايليق[١].

وقال الدكتورابراهيم عبده إن الجريدة جمع لها ٣٠ ألف جنيه من أصحاب المصالح الحقيقية ، وإن كرومر أيد اتجاه الجريدة وسماها حزب الشيخ محمد عبده وسماهم جماعة المفكرين بمبدى النظر الذى كان اتجاههم إلى كسب التقدم الدستورى بطرق معتدلة وأنها كانت ترى تحقيق الأمال الوطنية باتفاق يحدث بين الاحتلال وبين أعيان المصريين وحدهم .

وقد وقعت معارك متعددة بينها وبين اللواء الذى كان يمثل النزعة الشعبية العاطفية الوطنية .

وقال ابراهيم عبده إن الصحف هى التى شكلت الأحزاب ؛ فاللواء شكل الحزب الوطنى ·والمؤيد شكل حزب الاصلاح والجريدة شكلت حزب الأمة .

وإن الاستانة(مقرالخلافة) كانت تدفع لبعض الصحف فى مصر لرفع صوتها .

---

(١) يراجع تاريخ الشيخ محمد عبده لرشيد رضا حـ ١ ص ٥٦٤ و ٥٦١

(٢) الدكتور إبراهيم عبده : ك : تطور الصحافة المصرية .

بين الجريدة وخصومها

وقد كان للجريدة خصومها الذين اتهموهـا فى اتجاهها وهدفها وأسباب صدورها ومما قالت صحف الحزب الوطنى « أنها صدرت لتأييد حزب الشيخ محمد عبده ، وأنه لما أنشئت جريدة « الظاهر » وكان همها الانتقاص من الشيخ محمد عبده وقد استعملت مهارة فائقة فى تصيد نص فتوى أصدرها الأستاذ إلى جماعة من مسلمى الترنسفال المسلمين بأ كل اللحوم التى يذبحها المسيحيون . وقد لبث « الظاهر » وقتاً طويلا يواصل الطعن فى الشيخ .

فى هذا الوقت نشأت عند الأستـاذ وشيعته فـكرة إنشـاء جريدة غير شخصية غير مقيدة برأى صاحبها ، ثم توفى الشيخ قبـل أن تصدر وكان حسن عبد الرازق باشا من أصدقاء الشيخ الأخصاء فواصل العمل لتحقيقها . وقيل اتفق على إنشاء شركة من ١٢٠ ذاتاً من أعيان الأربعة عشر مديرية ، لتمثل سكان البلاد وأصحاب المصالح مقدار ما يمثلهم مجلس شورى القوانين أربع مرات (مجلس الشورى ٣٠ عضواً » .

وقال المصدر : إن الجريدة كانت حذرة فى تطبيق برنامجها الفعلى بعد رحيل كرومر ، والعمل بالسياسة الغورستية (غورست) فلما قدم لورد كتشنر إلى مصر بدأت فى تطبيق برنامجها الحقيق بما حدث به مديرها كاتب الغازيت بلسان حزب الأمة ، وما أظهرت به معارضته مشروع أبحاثه الدولة العلية ومن رأيها (اتفاق) الأعيان لا غيرهم مع الاحتلال وتقبل كل شىء منه بالرضا باعتباره كسبا للأمة حتى يتوفر لها الـكفاءات للحكم الذاتى . وهى احتلالية فى نزعتها عاملة على ابعاد مصر عن التبعية العثمانية[١] .

---

(١) جريدة الشعب — يولية ١٩١٢ .

دنشواى الصحافة(١)

كشف حادث دنشواى عن اتجاهات الصحف المصرية وموقفها من بريطانيا فجريدة الظاهر ساندت الحزب الوطنى فى معركة دنشواى وهاجمت الهلباوى ، أما المقطم فقد حملت على فلاحى دنشواى وعلى صاحب اللواء باعتبار أنها هى التى أثارت عواطف المصريين ، كما هاجمت أهل دنشواى : صحف الوطن ومصر والصحف الأجنبية .

ووقفت المؤيد موقف المتفرج فى معركة دنشواى . فلم تخاصم المختلفين فى المعركة بل نشرت بعض أخبارها وبلاغات نظارة الخارجيـة ووقفت فى صف وجهة النظر البريطانية . وقالت أنه من الواجب أن يقف الأهالى عند حد طلب الكف عن إطلاق النيران من الضباط ولا يتضاربوا معهم بأن يستنجدوا الحكومة فى أمرهم (المؤيد — ١٤ يونية ١٩٠٦) كما نشرت المؤيد والمقطم نص مرافعة الهلباوى .

[أما جريدة الأهرام فقد وصفتها بأنها الحادثة المشئومة التى حكم بهـا على أصح تعبير القضاء والقدر ، وقالت : إن الكل يأملون ألا تتخذ الحادثة وسيلة للقيل والقال وأن تحصر فى دائرتها . ثم عادت تقول : للفلاحين فى دنشواى بعض العذر بجهلهم وهمجيتهم لأنهم لا يعرفون مقدار القيمة التى تقع عليهم بل هم إذا ذهبوا لخصام طاشت أحلامهم وذهبت عقولهم .

[أما جريدة الوطن فقد أيدت الهلباوى فيما قاله ونطق به ، وهو قوله : إن الأمة المصرية أرفع من أن تنتصر لبضعـة من الأسافل القاتلين ، يأتون المنـكر

---

(١) « ك » دنشواى والصحافة — محمد نصر .

ثم ينكرون ، كما هاجمت جريدة اللواء وأطلقت عليها جريدة الرعاع ، وقالت أن الحادث وقع نتيجة لتعصب المصريين وأعلنت إعجابها بموقف المقطم والأهرام والبصير . وقد أصدرت المقطم الحكم قبل انعقاد المحكمة فنشرت فى ١٧ يولية ١٩٠٦ أن الأوامر قد صدرت إلى مخازن البوليس فى بولاق بتجهيز المشنقة واعدادها حتى إذا اقتضت الأحوال إرسالها إلى دنشواى ارسلت فى الحال .

ونشر أحمد نسيم فى جريدة المقطم (٤ يولية ١٩٠٦) قصيدة حيها فيها الهلباوى :

ترافع الهلباوى فأولاك كلما	لم يذر من طغامهم دياراً
مدرة النيل لا عدمت ثناء	من بليغ يهدى لك الأشعارا
ليس هذا مقام مدحك منى	فاقتبل من أديب مصر اعتذارا
ليتنى استطيع نثر اللآلى	است أرضى لك القريض نثارا

بين جريدتى الوطن والعلم

وهاجمت جريدة الوطن عبد العزيز شاويش وأطلقت عليه عدو الوطن ؛ وقالت إنه ومن على شاكلته هم الذين يموهون على عقول البسطاء بترهاتهم وأضاليلهم والذين يدعون الوطنية ويعتون إلى الدين وهما منهم براء .

وقالت : أليس من منتهى البله بل من المضحكات أن يقوم فى مصر ذلك النافخ سموم التعصب بين الناس ينادى بالوطنية وهو غريب عن الوطن قذفته إلينا الأمواج من شاطىء بلاد تونس[1] .

بين جريدتى مصر وأبو نضارة

ومما كان معروفا أن صاحب جريدة أبو نضارة (يعقوب صنوع)من تلاميذ

---

(١) جريدة الوطن — ٨ أبريل ١٩١٠ .

الشيخ محمد عبده ، غير ان ما نشره الشيخ محمد عبده من ملخصات لمحاضرات السيد جمال الدين الأفغانى فى جريدة مصر (٥ يونية ١٨٧٩) يدحض هذا الرأى الشائع . قال الشيخ عبده (وكانت الجريدة تطلق عليه لقب : مظهر نور الجمال والجلال ومطلع بدر الحكمة والكمال) .

فى ليلة الأحد الماضى انعقد درس السيد الأستاذ جمال الدين الأفغانى وانتظم فى سلكه جم غفير من طلبة العلم الوطنيين وفضلائهم وكثير من الأفندية مستخدمى الدواوين وبحضر هؤلاء وأولئك شنف المسامع بمقال جليل فى شأن تربية الأمة وما يلزم أن يسلك من سبيلها ولما فيه من عظم الفائدة رغب فى نشره فى الجرائد الوطنية معتمدا للفوائد وبياناً لما انطوى عليه من حسن المقاصد ومما قال :

.. إلا أن القائمين بأمر الإرشاد يحصرون فى قبيلتين قبيل الخطباء والوعاظ وقبيل الكتبة والمصنفين ومنهم أرباب الجرائد فإن كانوا على نحو الأوصاف الكاملة اللازمة لمقامهم فقد استحقوا التعظيم والاحترام والتبجيل والاجلال واستوجبوا الشكر والثناء من كل قلب مخلص وأقاموا بخدمة أوطانهم وأبناء جلدتهم وإلا استحقوا الرفض والطرد والابعاد ووجب على من لا يهمم أمر الإصلاح أن يعترفوا بهم من البلاد كى لا يفسدوها بمرضهم الوبائى التى لا يقتصر ضرره على المبتلى به بل يتعداه إلى كل ما سواه .

قال الشيخ عبده : «ولقد وقفت على مغزى كلامه وحققت مراميه فأيقنت أنه عنى بذلك جرنال أبى نضارة ذاك الجرنال الهزأة الذى لم يدع قبيحة من القبائح إلا احتواها ولا رذيلة من الرذائل إلا أحصاها ، أتى من العبارات مالا يستطيع السوقة وأدنياء الناس أن يأتوا به وجعل ديدنه السب والثلب وثلم الأعراض وتمزيق حجاب الإنسانية والقدح فى السير الشخصية بما لا يليق أن يتفوه به الصبيان مما يفسد الأخلاق ويذيب ماء الوجوه خجلا وحياء .

وإنى لأعجب من أناس يتناولونه بأيديهم ويميلون لقراءته ، والنظر فيه مع أنه لا يحتوى على سياسة ولا أخبار بل هو محض الشتم والقطم مع وجود الجرنالات العربية الحرة كمصر والأهرام والوطن ومرآة الشرق تلك الجرنالات الوطنية التي بلغت فى حريتها ونشرها للأفكار العالية مبلغ الجرائد الأوربية .

وطالما كنت أراود نفسى ببيان شناعة ما يرتكب هذا الجرنال الخبيث المقصد الدنىء المنبع وإعلان ذلك على ألسنة جرائدنا الوطنية ، غير أنى كنت أخشى أن يكون لومى إغراء حتى بدا لهم الأمير الوطنى محمود سامى أن يضبط ما يرد من اعداده إلى المحروسة .

بين المنار اللواء والمؤيد

كما هاجت للنار (لسان الشيخ محمد عبده) جريدة اللواء (لسان الحزب الوطنى) وأيدت جريدة المؤيد (على يوسف) قالت :

« وإذا كانوا (أى أصحاب اللواء) يغارون على الدين فلماذا يمدحون ويطرون الأعمال المجمع على تحريمها كالمراقص الذى يكون فى قصر الأمير بين النساء والرجال مع الدعوة إلى شرب الخمر جهاراً » .

وقال المنار : أن المؤيد جعل مشربه الاسلامى المصرى فوق جرائد القطر كلها وقد ألف صاحبه حزبا سياسيا ، أما اللواء فانه يبالغ ويغلو فى كل المقاصد التى صار المؤيد يسلك سبل الاعتدال فيها كمدح السياسة الحميديه وذم الحكومة المصرية ومقاومة الاحتلال بالذم والاحتجاج ؛ صادف اللواء مساعده من الاستانة ومن بعض أمراء مصر وأغنيائها لم تصادفه جريدة أخرى ، حتى كان يبذل له الذهب بالألوف ثم أنه غلب المؤيد على إستمالة أكثر تلاميذ المدارس وكثير من العوام . ومات مصطفى كما مات صاحب المؤيد بعده واللواء مثقل بالديون وقد تبين

أن عليه عشرات الألوف من الجنيهات وقد حجز الدائنون على مطبعة اللواء وبيع أثاث زعيم الوطنية فى محل رجل رومى .

أما الجريدة فقد أنشأها جماعة من سروات البلاد وأصحاب الثروة والمكانة الاجتماعية وحصلوا لها على رأس مال عظيم .

وهى على كل المزايا لم تستطع أن تجد لها مقعداً ولا موقفا فى المكان الفسيح الذى وجده قبلها المؤيد أو اللواء فى قلب الرأى العام المصرى ، ولم يستطع أن ينال بعض ما ينال المقطم أو الأهرام بل كانت تحتاج كل سنة إلى إمدادأولئك السروات لها عالهم ، وأن الروح الذى نفخ فى هذه الجريدة لتحيا به ليس إسلاميا ، وإنما هو فلسفة خاصة لا تكاد تتجاوز دماغ مدير الجريدة[1] .

وقالت (المنار) ما كان اللواء إلا إعلانا لوطنية صاحبه ، وشاعراً يطربه فى كل عدد . على حين تمر السنة والسنتين ولا ينشر فى (المؤيد) شىء عن تعظيم صاحبه . فالفصل بين المؤيد واللواء أن المؤيد جريدة المصلحة العامة للدين والدولة ومصر وأميرها ، على قاعدة أن مصلحة مصر مرتبطة بسلطة أميرها ، أما اللواء فهو وأن انشىء محاكاة المؤيد لأن صاحبه تربى فى حجر صاحب المؤيد ، لم تكن إلا جريدة مصطفى كامل نفسه . فكانت تكون مع الأمير تارة وعليه تارة .

وحسبى أن أذكر بتهييج اللواء اليهود على الأستاذ الامام لأنه فسر ماذمهم الله به فى القرآن . دع انقلابه على أمير البلاد الذى لولا نعمه عليه لم يكن شيئا مذكوراً وقد مات اللواء وصاحبه .

وقال (المنار) : أن المؤيد واللواء ومثلهما الأهرام قد أخذ المسلمين والعثمانيين عامة والمصريين خاصة ، بما جرين عليه من الاسراف فى مدح السلطان عبد الحميد والدفاع عنه ولولا أن جمهور المسلمين كانوا يحملون ذم المقطم لسياسته وإدارته وتنديده به على سوء النية[2] .

---

(١) المنار : م ١٧ ص ٧١ (١٩١٣) .

(٢) المنار — م ١٦ ص ٩٥٠ .

محمد ابو شادى : جريدة الظاهر

بين الوطنية والاحتلال

لعل أبرز ما يذكر من فضل لجريده الظاهر هى حملتها على (دنلوب) المستشار البريطانى لوزارة المعارف وقد امتدت هذه الحملة خلال شهرى فبراير ومارس سنة ١٩٠٨ غير أن محمد أبو شادى الذى عرف بمناصرته للخديو فى حملته على الشيخ محمد عبده كان نصيرا للاحتلال البريطانى ضد مشروع ملنر .

ولعل أبرز ماعرف عنه هو التناقض فقد هاجم سياسة دنلوب ودعا إلى اتخاذ يوم سفر كرومر من مصر عيدا قومياً وهاجم محمد عبده ثم هاجم خصوم محمد عبده وهاجم الوفد وخصوم الوفد .

الحملة على دنلوب

قالت الظاهر : من ذلك إجماع أفراد الأمة على اختلاف طبقاتهم وجنسياتهم ومعتقداتهم على وجوب أبعاد المستر دنلوب عن نظارة المعارف لما عرف عنه من حب مقاومة الأمة فى روح حياتها بالعنف والاستبداد والجبروت ومحاولته أطفاء كل نور يضىء على مقربه منه ولو كان مصدره الشمس .

فلقد كان الناس لا يتعمدون فيما مضى فى استيائهم من ذلك المتجبر (قيصر درب ا لجماهير)[1] ما يتناقلونه فى انديتهم ومحالهم من آيات عنفه واستبداده وامتهانه للامة وأحتقاره للنظامات والقوانين ومن جبروت ذلك المستشار ما يحمله يتكالب فى تيار سياسته الخرفاء انتقاما ممن ينفرون من الظلم وينفرون من الاستبداد .

وقددلت الامور على أن السياسة الدنلوبية القتالة للمواطف المميتة الشعور والاحساس قد انتجت عكس مايرمى إليه وربت فى نفوس الطلبة صغارهم وكبارهم ملكة الشعور الحى والأحساس الراق (بمناسبة تشييع الطلبة لجنازة مصطفى كامل) .

---

(١) جريدة الظاهر ٢٣ فبراير ١٩٠٨ .

فقد فصل دنلوب جميع الطلبة الذين اشتركوا فى المظاهرة

أن سياسة دنلوب الخرقاء وسلوكه سبيل العناد والعنف مع الأمة المصرية يقلب مساعى الوكالة البريطانية التى تسعى إلى توثيق عرى الاتفاق بين الانكليز والمصريين .

لما وفد المستر دنلوب إلى مصر استقاد بهوائها من علة أنذره الأطباء بأن الطقس الأوربى البارد يزيدها خطراً أو يجعلها تؤدى بحياته ثم اتخذ التدريس فى مدرسة بالاسكندرية يعيش من مرتب زهيد كان يتقاضاه على عمله منها لا يتعدى نصف الريال فى اليوم الذى يشتغله .

فلما أراد اللورد كرومر بث اليد الانجليزية فى نظارة المعارف عين دنلوب مدرساً فى مدرسة المهندسخانه واستعان بنفوذ الوكالة البريطانية حتى عهد إليه أمر التعليم فى مدرسة قلم الترجمة . ولما اتيح له ذلك اقنع ناظر المعارف بضرورة تخصيص هذه المدرسة لتخريج المعلمين فى المدارس المصرية

وخصص دنلوب ليعلم علم البيداجوجية (التدريس العملى) واختار له من طلبة المدارس عدداً كون فيهم فرقتين وكان يمر بهم على المدارس الابتدائية عموماً مفتشا للغة الانجليزية فى عهد على مبارك .

ثم حسن دنلوب لسعادته تعليم اللغة الانجليزية فى المدارس الثانوية بمعرفة معلمين من الانجليز وأرغمت بريطانيا نظاره المعارف على تعيين ثلاثة من الانجليز مدرسين فى المدرسة الخديوية بصفة تجربه وبدا تعيين غيرهم فى المدارس المصرية .

ولما رأى المستر دنلوب أن درس اللغة الانجليزية وحدها لا يكفى لايجاد الأعمال التى تستدعى دوام استصدار المدرسين من الخارج استعان باللورد كرومر حتى عين مفتشا عاما للمدارس المصرية .

ثم وضع التقارير المحشوة بالاغلاط منسوبة للمعلمين المصريين فكثر استياء المدرسين من حملات النظاره عليهم وهجرها صفوف التعليم من نوابغ المعلمين فخلت أماكن كثيرة حشاها دنلوب بذيوله من الانجليز وقلب نظام التعليم حتى انعدمت اللغة العربية فى جميع أدوار التعليم واقتصرت على تعلم قواعدها النحوية فى بضع ساعات .

ولم يكتف بهذا بل أنه لما رأى مدرسة المعلمين قد خرجت للبلاد عدداً كافياً للتعليم فى المدارس الابتدائية التابعة للحكومة وأن وفود المدرسين الانجليز قد ملاوا كل فضاء فى جو المدارس التجهيزية فكر فى زج هؤلاء الانجليز فى غرف التدريس الابتدائى فاشتد فى معاملة طلبة مدرسة المعلمين بالاستبداد فلم تمضى سنوات قلائل حتى جنى ثمار أمانيه وانفض الطلبة المصريون عن مدرسة المعلمين فاقفل بابها ودفنها فى مقبرة مظلمة ثم اتجه إلى المدارس العليا وحولها من أفاضل المدرسين واكابر الأساتذه وصبغها صبغة إنجليزية وإذ ذاك وجد أمامة مجالا فسيحاً لأخوانه من الانجليز[1] ». ا . هـ

وقد وصفت جريدة السياسة مقالات أبو شادى قبل ١٩١٩ فى جريدة الظاهر بأنها محاربة الروح الوطنية وتمجيد الانجليز وفضلهم على مصر وخاصة لورد كرومر » .

فقد دعا الأمه إلى اتخاذ يوم (٦ مايو ١٩٠٧) يوم وداع لورد كرومر عيدا تاريخيا يحى فيه المصريون ذكرى كرومر لأياديه البيضاء على مصر[2] .

كما أشاد أبو شادى بمجد كرومر وغورست : قال : أننا لا نحفل بما يقوله بعض مدعى زعامة الحزب الوطنى ولا يهمنا رضى هؤلاء الزعماء المدعون أم غضبوا ولكننا نقول أننا نشفق على أمة أبكم جماعة من أهل الطيش والغرور لسانها فلا هى

---

(١) الظاهر — ٢٥ فبراير ١٩٠٧ .

(٢) الظاهر ٢٩ إبريل ١٩٠٨ .

تنطق بما فى فؤادها ولا أولئك يسكتون من الضجة والصياح . ولعل هذه الفئة القليلة من هؤلاء القوم تجمع غداً فى يوم ٦ مايو بين عيدين هماشم النسيم ووداع اللورد كرومر فتفرح فرحتين، ولو هى عرفت الحقيقة وعرفناها نحن أيضاً لاتخذنا يوم ٦ مايو من كل عام يوم يحتفل به بتذكار جناب اللورد كرومر لحسناته فى القطر أعظم من سيئاته .

بل لعل يوم ٦ مايو المقبل يكون حداً فاصلا بين الشتاء والصيف بمعنى أن الصيف مورد الخيرات لهذا القطر فنعيد عيدين عيد شم النسيم وعيد فلاح الأمة المصرية وترقيها إلى ذروة التقدم والفلاح على يدى المحرك الجديد (يقصد غورست) .

وكتب أبو شادى يؤيد رأى الاستعمار فى التعليم (الظاهر ٢٨ مارس ١٩٠٧) قال : إن الخصم قوى لا يؤخذ بمثل شدته ولا يخاطب بخطابة ولا يعامل بالعنف والقسوة، والتهديد له يغضبه ويزرع بذور هذا البغض فى الصدور .

وغاية ما نقوله للأمة أنها ضعيفة الآن عن مقاومة هذا الجبار الذى تود صراعه وإن أحسن خطه لبلوغ الغاية التى يصبو إليها كل فرد هى التعليم : وأفضل وسيلة للوصول إلى الغرض السير مع رجال الاحتلال بغير استمانة بل بحياة وشعور ونشاط .

أما محاولة إرغام المحتلين على إخلاء البلاد بالصياح والتهديد والوعيد كما يفعل أولئك المغرورون فليست سوى أضغاث أحلام وليتها كانت كذلك بل هى من مجلبات الشر والبلاء .

وكتب فى (الظاهر ٢٧ فبراير ١٩٠٧) يقول : وليس أن الفرق بين عرابى باشا وصاحب اللواء إن الأول كان جهادياً وهذا الأخير افندى يفتخر بوطانته . ولقد يجىء زمن إذا ظل صاحب اللواء مطلقاً العنان بقصته محكماً جهله بها أن

يصدق فيه قول ذلك الكاتب الانجليزى الناقد عن هذا الثرثار المغرم بالألفاظ الفارغة والألقاب المنتفخة،ويعلم الله أننا لولا خوف الوصول إلى ما لا يحمد عقباه على يد هذا المشاغب الحديث بعد أن رأيناه يكثر من إغراء السذج بطرق الإيهام والتغرير ويحمل على أهل الفضل والعلم والنبل د ت على ما فى دماغه من الحق وصدره من الجمال لضربنا بأقواله عرض الحائط شأننا مع الكثيرين من أمثاله،غير أنه من الضرر البالغ على الأمة والبلاد أن تدع هذا الشاب المغرور بنفسه يتبجح بالأقوال على غير هدى ويرسل الكلام الذى لقنه على عواهنه ليوهم الناس أنه يتلقاه من مصادر ذات مقام رفيع .

لهذا رأينا أن نطلع عقلاء الأمة وهذا الشعب الذى اعتاد قراءة الصحف على الحقائق الراهنة كما لا يؤخذ بتغرير المغررين الذين يتطلعون إلى الشهرة من وراء خراب البلاد وسقوط الأمة وفوضى الأحوال ويؤثر الصلات بين أمتين وحكومتين حكمت الأيام بأن تتصل صلاتهما ببعضهما ببعض اتصالا غير منفصم»

تناقض أبو شادى

وقد عرف محمد أبو شادى صاحب الظاهر بالتناقض فقد كان مع الأحرار الدستوريين ١٧ مارس ١٩٢١ حيث هنأ عدلى برئاسة الوزارة وكتب فى الأهرام ١٧ مارس ١٩٢١ .

فرحب بالوزارة الجديدة ومرحباً مرحبا بظهورها مضت ساعات بعد أشاعة تكليف عدلى باشا يكن بتشكيل الوزارة ولا تسمع بين الناس إلا كلمة (مبارك مبارك) إن الأمة لتثق بوزارتها الجديدة ودولة رئيسها ثقة لا تقف عند حد » ولم يلبث أبو شادى وفى ٢٣ أغسطس ١٩٢٣ أن هاجم الأحرار الدستوريين وأطلق عليهم « سماسرة الانجليز » (الاهرام) وفى نفس الوقت أيد مشروع ملنر : قال (٢٠ أغسطس ١٩٢٣ الاهرام) .

« رأيان متناقضان بيننا، ففريق يرى انه الاستقلال التـام بعيد وفريق يرى أنه الحماية المقنعة بين هذا وذاك فريق يقول بأنه استقلال ناقص ، ومقيد بقيود والذى أراه واضحا أنه استقـلال تام من جهـة ومقيد بقيود الضمانات ليس إلا من جهة أخرى . وقال أن وجود القوة العسكرية من جهة متطرفة لا ضرر منه،

هذا المشروع استقلال تام . هذا الاتفاق ينقل البلاد من الاحتلال إلى الحرية. النقطة العسكرية لا تقدح فى الاستقلال . طلب نقطة عسكرية من جانب بريطانيا مقبول . هذه النقطة العسكرية لا تضرنا وقد تنفعنا .

وفى (٢٧ سبتمبر ١٩٢٠) كتب أبو شادى يقول :

وجود المستشار القضائى الذى مضى عليه المشروع خير وبركة . مطيمة محدودة محصورة تـكاد تـكون لا وجود لها .

وفى (٢١ سبتمبر ١٩٢٠) قال أبو شادى عن الوفد انه :

يود اسقاط المشروع لأنه يود بقاء الفوضى فى البلاد ودوام النزاع بيننا وبين الأمة الإنـكليزية .

وقال : إنه بعمله هذا يخون وطنه خيانة كبرى وليس من الخير إنـكار الجميل .

الصحافة الحزبيـــة

(بين الحربين ١٩٢٠ — ١٩٣٩)

صحف تمثل الوحدة السياسية قبل الصراع الحزبي : الأخبار : أمين الرافعي

الصحف الحزبية :

صحف الأحرار الدستوريين : .... السياسة : هيكل

صحف « الوفد »

(١) البـــلاغ .... : عبد القادر حمزة

(٢) كوكب الشرق .... : أحمد حافظ عوض

(٣) الجهـــاد .... : محمد توفيق دياب

(٤) روزاليوسف .... :

(٥) المصرى .... :

الأخبار

١٩٢٢ — ١٩٢٧

أمين الرافعى ١٩٢٩

* نموذج فذ من نماذج الايمان بالرأى والتضحية من أجله .
* الصحيفة التى ساندت الوحدة السياسية قبل التجزئة .
* أيدت سعد زغلول ثم هاجمته عندما انحرف .
* حملت لواء واقعية الرأى السياسى وقانونيته . بميدا عن التهريج والنفاق .

الأخبـــار (1)

تعد جريدة الأخبار ظاهرة لها ملامحها الواضحـة فى تطورنا الصحفى ،فهى ليست جريدة حزب ويمكن القول بأنها قنطرة ضخمة تصل بين الصحافة الوطنية قبل الحرب العالمية والصحافة الحزبية بعد الحرب العالمية وهى مرتبطة إلى حد كبير بشخصية صاحبها أمين الرافعى، ويمكن القول بأنها جريدة مثالية واضحة الإيمان بالقيم والمعانى العليا ومن أجل هذه المعانى ربط أمين الرافعى بين الحزب الوطنى و بين الوفد، الحزب الوطنى الذى كان يحمل مشعل الدعوة الوطنية إلى الجلاء والحرية قبل الحرب ، والذى طوى لواء صحافته بآخر عدد صدر من جريدة الشعب التى كان يصدرها أمين الرافعى فى ٢٧ نوفبر ١٩١٤ عند ما أعلن احتجابه عن قرائه بعبارة قلقه هى «يحتجب الشعب عن قرائه منذ اليوم وسيعود إن شاء الله إلى الظهور » وكان أمين الرافعى قد كتب آخر مقال له يوم ٢٥ نوفبر ١٩١٤ ـ هذا الحزب الوطنى الذى كانت صيحاته الداوية هى وقود ثورة ١٩١٩ ، ثم يكون «أمين الرافعى » هو أول من يصدر صحيفة بعد الحرب بعد أن أمضى أغلب هذه الفترة فى المعتقل .

فإذا صحيفة الأخبار تحمل لواء القوة الجديدة التى ظهرت بعد الحزب وهى قوة الوفد التى جمعت كل الأحزاب ، وكان أمين الرافعى هو سكرتير الوفد ثم لا تلبث جريدة الأخبار أن تؤدى دورهـا فى إيمان وصدق حتى يفاجأهـا الخلاف بين معسكرين داخل الحزب يؤدى إلى الانفصال ، ثم لا يلبث هو أن يختلف مع سعد زغلول على معانى هامة يتعلق بأسس المفاوضات . ثم يكون من شأن هذا الخلاف

---

(1) صدرت الأخبار فى ٢٢ فبراير ١٩٢٢ وتوقفت ١٩٢٧ .

أن ينزع من جريدة الأخبار قوتها فإذا هى تواجه الأزمة بإيمان وصبر ويقل توزيعها ، ويواجه أمين الرافعى خصومة ضارية من سعد والوفد .

صدرت الأخبار فى ٢٢ فبراير ١٩٢٠ وهدفها الأول : الدفاع عن القضية المصرية وحمل لواء الفكرة الوطنية ،وقد صدر العدد الأول بمقال شرح فيه خطته قال : احتجب الشعب منذ خمسة أعوام فكان هذا الاحتجاب أول مظهر من مظاهر الاحتجاج الصامت على إعلان الحماية من إرادة الأمة ،فلما انقضت الحرب وتقرر أن تكون قواعد الصلح قائمة على احترام حرية الشعوب صغيرها وكبيرها لم يشك أحد من المصريين فى أن هذه الحماية لا تلبث أن تزول ويحل محلها الاستقلال التام فارتفع صوت مصر فى جميع الأرجاء مطالبا بحق وادى النيل فى الحرية واستأنفت الأمة جهادها فى هذا السبيل الشريف ولما كان الجهاد فرضاً على كل أبناء الوطن . فقد أخذنا على أنفسنا أن تستأنف حياتنا الصحفية أيضاً على أن تكون جميع مجهوداتنا وقفاً على خدمة القضية الوطنية المقدسة .

الصحافة قوة كبرى ولذلك يخشاها المستبدون لأنها تزلزل سلطانهم وتقاوم مطامعهم وتكشف الغطاء عن مرامى سياستهم .

وردد قول الدكتور رجب « إن الصحيفة الحرة هى الحارس الامين الذى يسهر بلا انقطاع على حقوق الشعب » .

وقال: نحن نستمد قوتنا من الرأى العام كما أن الرأى العام يعتمد على الصحافة لتقوية مركزه ولكسب قضيته .

ليست القضية المصرية صعبة الدفاع ولا هى فى حاجة إلى الشرح الطويل فإننا لا نبغى سوى حريتنا ، وما كان لأحد أن يدعى شيئاً من هذه الحرية التى هى ملك لنا وحدنا . ولو كان للانصاف وجود فى المعاملة السياسية لما تردد مؤتمر

الصلح عقب الحرب فى الحكم لنا، ولكن الذين أقاموا أنفسهم للفصل بين الشعوب خضعوا لمطالبهم وطرحوا الحق جانبا وانصرفوا إلى إرضاء بعضهم بعضا : وهكذا لا يظهر الأقوياء لنا فى مظهر القوة إلا لأننا قد قبلنا الخضوع لهم وجثونا أمامهم ، ولكنا إذا نهضنا جميعا نلنا حريتنا ونجونا من أسرهم ولا يفوتنا أن ما وصلنا إليه من الفوز المعنوى فى جهادنا إنما كان الفضل فيه لتضامننا وإجتماع كلمتنا واحتفاظنا بوحدتنا القومية .

ثم أعلن أمين الرافعى فى العدد الأول صراحة موقف «الأخبار» من الأحزاب والهيئات فقال :

« فنحن إذن لا نخدم فى الأخبار هيئة خاصة ولا نعبر عن رأى طائفة بالذات وانما نخدم أمة وندافع عن مبدأ واحد هو الاستقلال التام للبلاد المصرية » .

موقف الأخبار من الأحداث

واجهت جريدة الأخبار الأحداث فى هذه الفترة الدقيقة بروح الحزب الوطنى مع عقيدة الإيمان بالوحدة فى صفوف الأمة وكان لها دورها فى ثلاث مراحل : الأولى فى مفاوضات الوفد فى باريس وقد حرصت خلال هذه الفترة على المحافظة على وحدة الأمة . الثانى : الاختلاف مع سعد زغلول بعد عودته من المنفى ، مطالبة بوضع أساس للمفاوضات : هو الاستقلال التام لمصر والسودان ، فلما نفى سعد زغلول إلى سيشل المرة الثانية دافعت عنه دفاعا حاراً . الثالث : فى معركة وضع الدستور فقد حملت على تقديم الأبحاث القانونيه والملاحظات السياسية والوطنية المختلفة النافعة لانشاء دستور وطنى سليم .

وهذه نماذج من كتابات أمين الرافعى فى الأخبار .

مقارنة فى الحركة الوطنية(١)

من شاء فليقارن الحركة الوطنية فى ١٩١٩ وبينها ١٩٢٤ ففى العهد الماضى وكنا نسىء الظن بالانجليز كانت النهضة القومية قوية فتية تحمل العالم بأسره على الاعجاب بها . أما الآن ولا سيما منذ أن تقلدت وزارةالشعب (وزارةسعدزغلول) زمام الحكم فقد تبدلت الحال غير الحال ونبتت الفكرة القائلة بأن الانجليز أصدقائنا لا خصومنا . وأن المفاوضة معهم ستؤتى ثمرها المطلوب . فاستنام الناس لهذه الأحلام وانصرفوا عن الجهاد القومى .

تقرير السنة السادسة للاخبار(٢)

أن الصحافة فى البلد المحتلة أراضية بجنود الغاصب مهمتها أشق من مهمة زميلتها فى البلاد المتمتعة بحريتها . من أجل ذلك مرت الصحافة المصرية بكثير من الأدوار الصعبة والظروف المسرحية،لأن الغاصب كان يخشى إرتفاع صوتها بالدفاع عن حقوق البلاد ويخاف ذيوع تعاليمها الوطنية بين جميع الطبقات فاراد أن يتخلص من هذا الرقيب الساهر على مصالح الوطن والذى لا يفتأ كل يوم بعد سيئات المحتلين وينبه الأمة إلى خطر بقائهم فتحكمين فى شؤون البلاد.

هنالك أخرجت الوزارات المسيرة بإرادة الأجنبى تلك القوانين العتيقة التى أريد بها القضاء على حرية القلم فى مصر فمانى الكتاب الأحرار ما عانوا من متاعب ومصاعب وكم عطلت لهم صحف وكم زجوا فى غيابات السجون وكم حيل بينهم وبين العمل فى ميدان الشرف .

وقد أبت الصحافة الحرة أن تتراجع أمام القوة ولا زالت تجاهد وتناضل حتى

---

(١) الأخبار — ٧ سبتمبر ١٩٢٤ .
(٢) الأخبار — ٢٧ ديسمبر ١٩٢٤ .

كتب الفوز لها، فلم يخفت صوتها فى أى عهد من عهود الشدة ولم يضعف إيمانها أمام أى إجراء من الاجراءات الاستبدادية .

وقد بقى سيف التعطيل الإدارى مسلولا فوق الرءوس إلى أن صدر الدستور ودخل فى دور التنفيذ . نعم أن نصوص الدستور الحالى لا تضمن للصحافة حريتها الكاملة على الوجة الأوفى .

ولكن ساد الأمل بأن تكون الصحافة أكثر اطمئنانا على حريتها من العهود السابقة ، غير أن هذا الأمل ظل مهدداً زمنا طويلا فى عهد وزارة سعد باشا فقد طوردت الصحافة فى زمن حكمه مطاردة لم نشهد لها مثيلا فى أى عصر من العصور وعومل الصحفيون أسوا معاملة وكادت حرية الكتابة تلفظ النفس الأخير لولا أن تداركها الله بقضاء مصر العادل بمنع الدستور تعطيل الصحف بالطريق الإدارى، ولكن حكومة سعد باشا أرادت أن تهدم هذا النصر فابتدعت لذلك بدعة غريبة تقضى بتخويل النيابة حق مصادرة مطبعة الجريدة لمجرد رفع الدعوى على هذه الجريدة ولو تم لها هذا الحق الاستبدادى لشهدت البلاد مصرع الصحافة الحرة ولكن القضاء العادل انتزع الفريسة من يد جلادها وأعاد لها حريتها بل حياتها .

أن مصر تجتاز ظروفا إستثنائية فهى من جانب محتلة بأجنبى وغاصب ومن جانب آخر محكومة بوزارة تفرط فى الحقوق القومية وقد منيت فوق ذلك بانقسام فى صفوفها وبأفراد يعملون ضد مصلحتها .. لمصالحهم الشخصية على حساب الوطن فقاموا بحملة سداها تضليل الأفكار ولحمتها تسميم الرأى العام وإخفاء الحقائق عنه ليسير وراءهم ولو إلى الهاوية .

فالصحفى الذى يريد أن يقوم بواجبه بأمانة وشرف وإخلاص وسط هذه الظروف السيئة المجتمعة لا يكون مثله إلا كمثل من يسير بسفينة فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض ،

أما الذى يكتب إرضاء للأهواء الشخصية وخوفا من حساب الضالين أو بطش المستبدين أو تملقا للمستعمرين فانه لا يستطيع أن يؤدى للوطن آية خدمة بل أنه يكون نكبة على هذا الوطن وشراً وبيلا عليه .

حرية الصحافة(١)

كانت حرية الصحافة مهددة فى عهد وزارة سعد باشا بخطر كبير يكاد يقضى عليها فقد كان يريد أن يتعسف فى محاسبتها ابتغاء أن يزعمها عن التخلى عن واجبها حتى لا تصبح فى البلاد سوى صحافة واحدة هى الصحافة التى تسبح بحمده وتسكت عن معايبه بل تصور هذه المعايب فى صورة فضائل ولكن الله أبى عليه أن يحقق هذه الغاية .

العقيدة السياسية(٢)

« العقيدة السياسية للمرء تشبه العقيدة الدينية فى كثير من الوجوه وأهم أوجه الشبه أن صاحب العقيدة الثابتة فى كلتا الحالتين يلاقى صنوف المتاعب فى سبيل التمسك لعقيدته والاحتفاظ بها وعدم مخالفة تعاليمها الصحيحة .

. . . أن القابض على عقيدته السياسية لا بد أن يقع فى مثل هذه المحنة أى لا بد أن يصطدم فى طريق جهاده بكثير من العقبات وأن تصادفه طائفة من الأهوال والأرزاء .

هذا ما ينقشه التاريخ على صفحاته لكل أصحاب العقائد إذا ما أرادوا أن يثبتوا على عقيدة واحدة دون أن يتحولوا عنها وهم مع ذلك يستعذبون كل عذاب وكل تضحية وكل مشقة .

---

(١) الأخبار فى ١٩٢٤/١٢/٣١

(٢) الأخبار — ١٠ مايو ١٩٢٥

فالمؤمن الثابت العقيدة سواء أكانت عقيدته دينية أو سياسية يرى أن هذه العقيدة مقدسة لا تحتمل تفريطا ولا زعزعة وأن لها من ضميره حارساً قوياً .

وإذا ما تقدم خصوم العقيدة الثابتة بأموالهم الوفيرة وهباتهم العظيمة ووعودهم الخلابة كى يلعبوا بالعقول ويزعزعوا الإيمان وجدوا من نقطة ضمير المؤمن أكبر مخيب لآمالهم لأن هذا الضمير الخالص الذى لا يخضع للماديات ولا يتأثر بأثرها المفسد لا يلبث أن يصيح صاحبه (أياك والانخداع بما يعرضون عليك مهما عظم شأنه فإن جميع كنوز الأرض لا تعدل شرف الإنسان .

ومتى استطاع المرأ أن يحتفظ نشرفه فكل ما يفقده بعد ذلك لا يقام له وزن . لأن الحياة الشريفة يمكن احتمالها مهما بلغت مرارتها وأشتد شقاؤها وفدحت متاعبها .

متاعب الأخبار(١)

إذا كانت الأخبار قد لاقت كثيراً من المتاعب والمصاعب فى هذه الأعوام القلائل فإن هذا الذى لاقته كان أمراً طبيعياً مادامت الأخبار تريد أن تكون جريدة مبدأ أو صحيفة نضال وجهاد .

فمن كان له مبدأ يريد أن يذود عنه ومن كان يبغى العمل ميدان أية النضال والجهاد وجب عليه أن يوطن نفسه على تحمل الميثاق .

وعندما قدم أمين الرافعى إلى المحاكمة العسكرية (٢ فبراير سنة ١٩٢٣) كتب يقول :

« لم يبق شك فى أن الصحف فى مصر لا تعامل معاملة واحدة فهناك صحف

---

(١) جريدة الأخبار ١٩٢٥/١٢/١٧ .

مختارة لا تمتد إليها يد بأى سوء وصحف يراد إلحاق الأذى بها وبمحرريها ونحن لا نقرر هذه القاعدة بلا دليل بل أن بين أيدينا واقعة ملموسة لاتحتمل أى تأويل بل أنها تثبت كيف يفرقون فى المعاملة بين صحفهم وصحف مصر .

أفرضوا حسن الظن فى جريدة الغازيت الإنجليزية ولم ينبوا على نشرها ذلك النبأ أى أحتمال لحدوث الفزع والقلق . أما جريدة الأخبار المصرية فإنها تعامل معاملة أخرى تلقاء نشرها خبرا لاندرى ماذا تم فى نتيجة التحقيق الذى جرى بشأنه .

* * *

وجملة القول أن جريدة الأخبار حملت لواء الوحدة الوطنية ، وحين انقسم الوفد إلى وفد وأحرار لم تنضم لأحدهما بل سلكت طريق الوطنية الخالصه ، وناصرت سعد زغلول فى كل مواقف الكفاح وظاهرته وهو يفارض ودعت أصدق دعوة واحدها باعادته من المنفى ، ولم يعقها ذلك من معارضته حين تخلى عن القواعد التى رسمتها للمفاوضة مع بريطانيا واحتملت فى سبيل ذلك أهوالا فقد كان سعد فى نظر الأمة بطلا مقدسا لايعارض ، وهددت الأخبار وصاحبها وأغريت وصمدت دون التهديد والاغراء وانتهت الاخبار ولكنها ستظل فى تاريخ الصحافة من أروع صورها .

أمين الرافعي

ترتبط حياة الأخبار بحياة صاحبها «أمين الرافعي» ، الكاتب الذى حمل لواء المعارضة للوفد فى أشد مراحل قوته وعنفه ، على أساس الإيمان بالرأى والقدرة على العزوف عن الاغراء أو الخوف من التهديد . وكان خلاف أمين الرافعى مع سعد زغلول حدثاً هاماً فى تاريخ الصحافة فهو الذى أوحى بانشاء البلاغ وكوكب الشرق تخرج أمين فى كلية الحقوق ١٩٠٩ وكان قد اتجه إلى الصحافة فكتب فى اللواء ثم سار فى ذلك الطريق — طريق صحف الحزب الوطنى – فاشترك فى تحرير اللواء والشعب والأفكار والعلم ، وكتب عن نظام التعلم فى مدرسة الحقوق وجناية الاحتلال الإنجليزى على التعليم العالى فى مصر وما أفسده من أنظمة فى مدرسة الحقوق . وحمل على نظام التعليم الاستعمارى فى عهد نظارة مستر هيل .

وكان أول مقال له بعد اشتغاله الفعلى بالصحافة فى اللواء عن حرية الصحافة تحت عنوان : خطر يهدد الصحافة وذلك بمناسبة أحياء قانون المطبوعات (مارس ١٩٠٩) قال: أن حرية الكتابة وحرية القول هى الدعامة التى ترتكز عليها المدنية الصحيحة، فإذا ما مست أحداها بشىء خيف على المدينة الزوال وأصيب العدل فى أكبر أركانه . لذلك رأينا الأمم إذا أخذت فى التكون وسرت فى عروقها دماء الحياة نادت بحرية الصحافة وذافعت عنها ما استطاعت لاعتقادها أن فيها الزاجر القوى الذى يصدع النفوس الشريرة والهيئات المستبدة . ويمسكها عن اتصال الاذى إلى الغير فتسلك سبيل الحق والعدل وتكف عن المظالم .

وفى هذه الفترة التى تسبق الحرب العالمية (١٩٠٩ — ١٩٠٤) كان تملم أمين الرافعى دور خطير أزاء الاحداث فقد حارب سياسة الوفاق واضطهاد الصحافة .

فلما حكم على الشيخ جاويش بالسجن كتب مقالات ثائرة تحت عنوان « ضحايا الوطنية » تحدث فيها عن كثير من أعلام الفكر الذين زج بهم فى السجون [أمثال أبو حنيفة وأحمد بن حنبل ومدحت ومازينى] وهو الذى دعا الأمة إلى أعلان الحداد يوم ١٤ سبتمبر سنة ١٩٠٩ احتجاجا على الاحتلال البريطانى فى مثل هذا اليوم عام ١٨٨٢ وقد صدر اللواء فى هذااليوم مجللا بالسواد مصدراً بمقال له فى الذكرى .

وقد اشترك مع محمد فريد وشاويش فى مهاجمة مشروع مدامتياز قناة السويس امتدت الحملة من أكتوبر ١٩٠٩ إلى فبراير ١٩١٠) وانتهت بالنصر لمعسكر الوطنيين وهزيمة هزم المشروع ورفضه .

وكان له فى مناسبات الاحداث مقالات مليئة بالصدق والعبرة أمثال : اتفاقة السودان ١٩/١٨٩٩١ ضرب الإسكندرية ١١/ يوليو / ١٨٨٢ واحتلال القاهرة ١٤ / سبتمبر / ١٨٨٢ .

وعاون فى الدعوة للحركة التعاونيه مع عمر لطفى .

ثم انتقل من العمل فى اللواء إلى العلم ١٩١٠ ثم إلى الشعب » وحمل على الخديو فى تصريحاته عام ١٩١٠ لما تضمنتهمن أقرار المعتمد الإنجليزى على تدخله فى شئون مصر والطعن على سياسة الحزب الوطنى المدائية نحو الإنجليز .

وحمل على تقرير « الدون جورست » المعتمد البريطانى وكشف الستار عن الحملة الإنجليزية المدبرة لمحاربة الحركة الوطنية بطريق الأرهاب .

وحمل لواء المطالبة بالدستور والحكم النيابى وأثار حملات صحفية وأجرى تحقيقات فى مختلف القضايا الوطنية والسياسية بمقابلات مع رجال القانون وأصحاب المراكز الهامة .

فلما أعلنت الأحكام العرفية فى نوفمبر ١٩١٤ مقدمة لأعلان الحماية البريطانية صدرت الأوامر المشدده على الصحف بنشر البلاغات الرسمية الصادرة من السلطة العسكرية بالحماية وما تبعها . لذلك صمم أمين الرافعى على أن لا نخضع لهذا القيد ورفض أن يستمر فى أصدار صحيفته حتى لا ينزل على هذه الأحكام ولذلك عطل جريدته .

ويمثل أمين الرافعى التطور الثالث للصحافة الوطنية . فإنه يأتى بعد عاطفيات مصطفى كامل وعنف النقد فى عبد العزيز شاويش ليرسم أسلوباً جديداً فى الصحافة الوطنية مدعما بالحجج والمستندات والوثائق وهو فى نفس الوقت لا مثيل له فى صدق الوطنية وقوة المعارضه .

وقد عرف أمين الرافعى بالاصرار والعنف فى الايمان بالرأى يمثل ذلك فى قوله : « أننا نقول للقائمين بالأمر أن سياسة الشدة والاضطهاد لا تجدى نفعا ، ولا تؤثر فى نفوس الأمة التى تنشد الحرية وتبغض الذل والاستبداد وكلما زادت الحكومة فى الضغط زادت الأمة قوة وبأسا ، وإذا استطاعت الحكومة تحطيم الاقلام وكم ألا فواه فلن تستطيع أن تطفىء تلك العاطفة الوطنية الكامنة فى القلوب وبين الضلوع .

وقد سعى الكثيرون إلى اجتذابه للتخفيف من حدته فرفض .

وفى هذه الفترة كتب مذكرات سائح ١٩١١ فى بعض البلاد الشرقيه والاوربية فلما أوقف جريدته اعتقله الإنجليز وزجوا به أحد عشر شهرا فى سجون درب الجماميز وطره والسجن الاسود بالجيزة وسجن الاستئناف .

بعد الحرب

أما دوره بعد الحرب فهو قمة حياته الصحفية فقد أيد الوفد المصرى على

اعتبار أنه هيئة جامعة لم تكن لها إذ ذاك صبغة حزبية ، وأيد سعد زغلول وأمد الوفد بمذكراته ومعلوماته عن القضية المصرية .

وكان أبان — وجود الوفد المصرى فى باريس — الحارس اليقظ فى مصر يدير الموقف كله فى سبيل وحدة الصف وتبشر القررات والمذكرات وهو فى مقدمه من دعوا إلى مقاطعة لجنة ملنر التى وصلت إلى مصر بعد الثوره وله مقالات فى هذه الفترة تحت عنوان :

الوطنية ديننا والاستقلال حياتنا

ثم كانت جريدة الأخبار أرز معاقل الحركة الوطنية ، غير أنه بعد أن عاد سعد زغلول من أوربا (أبريل ١٩٢١) أختلف معه فى دخول المفاوضات . وطالب « بتعديل الأساس » مستهدفا وضع أساس صالح للمفاوضات قبل دخولها على أن يكون هذا الأساس هو إلغاء الحماية البريطانية ورفع الاحكام العرفية وإلغاء التحفظات الاربعة وكلها أمور قال بها سعد قبل تولى الحكم .

وقد أيد دعوته إلى ذلك بما قرره الوفد من قبل ودعا إليه سعد نفسه وكان الوفد قد حمل على من عدلوا عن هذا الأساس غير ، أن سعد زغلول رفض رأى أمين الرافعى وحمل عليه حملة عنيفة وسمح للمظاهرات أن تهاجم دار الاخبار وتقذفها بالحجارة . وأعان فى جموع الشعب أنه يقرأ الاخبار بدلا منهم فهوى توزيعها وهبط هبوطاً كبيراً .

غير أن أمين الرافعى لم يتحول عن رأية ومبدأه وصمد فى وجه الحملة العاصفة ولو ذى كثيراً وهو ثابت لا يتزعزع

فلما نفى سعد زغلول إلى سيشل فى ديسمبر سنة ١٩٢١ كان أشد المدافعين عنه وعن رفاقه فى المنفى .

وحمل على تصريح ٢٨ فبراير حملات عنيفة وهاجم تحفظاته ووصفها بأنها ضمانات لبقاء الاحتلال وهدم الاستقلال ومما قاله :

أن احتفاظ انجلترا بصورة مطلقة بتولى هذه الامور أنما هو حكم الحيلولة الصريحة بين مصر وبين التمتع بحقها فى الاستقلال . بل هو قضاء فعلى على مبدأ السيادة التى تتظاهر انجلترا بالاعتراف به لمصر .

وعندما بدأت لجنة الدستور ١٩٢٢ فى الاجتماع طالب بأن يكون من حق الأمة أن تباشر وضع دستورها بواسطة جمعية وطنية تأسيسية ستنتخبها الأمة ودافع عن هذا الرأى دفاعا مجيداً وحمل على وزارة ثروت باشا من أجل تجاهلها هذا الحق .

غير أنه لم يلبث أن وجه لجنة الدستور بملاحظاته وارائه ومفاهيمه القانونية بناء على دراسات واسعة قام بها فى دساتير العالم .

وقال سعد زغلول : أنه كان يقرأ ملاحظات أمين الرافعى على الدستور وهو فى سيشل فيعجب بها حتى كأنما كان يعبر عن أفكاره وارآئه .

وكان أمين الرافعى يتطلع إلى البرلمان لحل مشكلة المفاوضات وحل مشكلة السودان والدفاع عن الحريات العامة وإعادة النظر فى جميع القوانين التى أصدرتها السلطة العسكرية فى غيبة الدستور .

غير أنه أحس بخيبة الأمل بعد تولى سعد زغلول الوزارة عام ١٩٢٤ فهاجمه هجوماً عنيفاً قائما على الحجة فى سلسلة من المقالات (يوليو وأغسطس ١٩٢٤) فى مواقف الوزارة الوطنية الأولى إزاء الصحافة والتعليم والحرية والسودان وغيرها . . .

وقد أورد (عبد الوهاب على) فى مذكراته موقفاراائعاً لأمين الرافعى، ذلك

أنه أبان حوادث السودان عام ١٩٢٥ وكانت «الأخبار» تحمل على الإنجليز فيها حملة شعواء ، ذهب (عبد الوهاب على) أحد مندوبى الأخبار إلى دار المندوب السامى بغية الحصول على أنباء السودان التى كانت تقدمها الدار لبعض الصحفيين قبل أن تذيعها البلاغات الرسمية .

قال : قدمت بطاقتى إلى السكرتير الشرقى فاذن لى بالمقابلة بعد دقيقتين ، وأطرى أمين الرافعى ونوه بشرف خصومته وعفة قلمه :

فلما علم أننى أريد أخباراً قال : أنك مراسل جريدة تتهم الإنجليز بأنهم (كلاب قذرون) ونحن لا نعطى هذه الأخبار إلا للصحف الموالية لنا .

ثم طالبنى بسحب هذه الكلمة حتى أحصل على الأخبار والاعتذار عنها حتى لا تتعرض الأخبار وصاحبها للمحاكمة .

فلما بلغ أمين الرافعى الأمر أفرد افتتاحيته لهذا الموضوع وفضح مخازى دار المندوب البريطانى وقال : أن الإنجليز يرون فى الكلمات شيئا يستحق المحاكمة ولا يرون فى ضرب الابرياء السودانيين ما يستحق المؤاخذة : «ألا شاهت الوجوه» .

هذا جانب من صورة أمين الرافعى فى الصحافة . وهذه صورة أخرى، يقول الدكتور هيكل : كنت عند أمين الرافعى فى مكتبه أيام كان يختلف مع سعد باشا فى نظرية المفاوضات وفيما يتحدث أقبل جماعة من الطلبة تقدم إليه أحدهم قائلا : أنا قد جئناك لتبين لنا ما يضر البلاد من هذا الخلاف الذى بينك وبين سعد فالناس جميعاً يعرفون فيك الاخلاص والصدق . وفى الانقسام مضرة .

فكان جوابه : أن الذى وهبنى قلمى وعقلى أوجب على ألا أقول ألا الحق . وما أصدق أن الحق يمكن أن يضر . إنما الضرر كل الضرر فى الدعوة إلى ما ليس بحق وأتباعه . وسأتابع السير فى خطتى أيا كانت النتائج ، حتى تفصل رأسى عن

جسمى؛وأشار الدكتور فارس نمر محرر المقطم إلى موقف لأمين الرافعى؛ذلك أنه عندما قامت الثورة الوطنية ١٩١٩ ندبت جريدة التيمس صحفياً كبيرا من شيوخ الصحافة الإنجليزية وهو (السير فالنتين شيرول) لبحث المسألة المصرية ومطالب الوطنيين . وكان صديقاً للدكتور نمر وطلب منه أن يعرفه بثلاثة من المصريين المشتغلين بالحركة الوطنية لأنه يريد أن يحادثهم حتى إذا إقتنع بحججهم ووجاهه مطالبهم سعى فى بلاده إلى قبولها

وقد ذكر الصحفى البريطانى لفارس نمر ما لقى من أمين الرافعى بك من ذكاء وقوة حجة وأقناع وأنه لذلك سيؤيد المطالب المصرية .

وقال داود بركات أن أمين الرافعى عاش صحفياً لا يعرف فى الصحافة غير الدعايه ، ولا يعرف فى الدعاية ألا النظر القويم بلا مواربه ولا غموض ولا أبهام ولا مجاملة ولا مراعاة . ولا يعرف فى ذلك حزبا ولا فئة فهو مع كل شخص وكل حزب وكل فئة تنهض للدعوة التى يدعوها ويروج لهـا وهى دعوة الاستقلال والحرية .

وقال كانت طريقته فى تأدية الأمانة الصحفية ، وكانت الأمانة فى الصحافة ألا يقبل منها أغراء ولا يراعى فيها نسبا ولا كسبا ولا غنما فلم يخدعه زخرف الدنيا ولا أمالها،وطالما عرضت عليه المناصب فـكان يقول : أن مهمتى الوحيدة فى هذه الأمة أن أقول ما أعتقد وأن أقوله فى الصحافة . ومن رأى أمينا منكبا على مكتبه من الصباح حتى المساء يطالع جميع الصحف الوطنية والاجنبية ويأخذ عنها مايؤيد عقيدته وإيمانه ويحرر ويصحح وينقد ويراجع كل ما يكتبه فى جريدته حتى الاعلانات انتقاء كلمة واحدة لا تنطبق على يقينه ومعتقده والمرض ينحت جسمه نحتا .

وأنه لا يكتب ألا إذا درس وبحث ثم يقدم ذلك الدرس والبحث فى مقالاته ووصفه توفيق دياب بأنه وقف من حصن مبادئه على صخرة صلبة عاليه لا ترتفع إليها مجريات الحوادث الواقعة ولا يجدى به عنها ما يجذبه الوادى الخصيب على المملين من خيرات ونعم . كلا ولا يزحزحه خطب ملم أو عاصفة كاسحة ·

وقال أحمد توفيق[1] . أن الفترة التى انقضت فيما بين ١٩٢٠ حتى وفاة أمين الرافعى كانت سنوات عجافا تحتم فيها يأقسى لذة من لذات ضروب الشقاء المستنكر والشقاء الروحى المتولد عن نكران الجميل والارتباط الوثيق يأتمس الخطوط؛وقال أن أقسى الجروح تلك التى أصيب بها فى معركة المؤتمر الوطنى ١٩٢٦ إذا أكرهه نكران الجميل على الكف عن أصدار صحيفة الأخبار والتزم العزلة سنة أو يزيد .

ومما يتصل بأزمة أمين الرافعى أنه أوقف الأخبار فى فبراير ١٩٣٦ ثم سافر لأداء فريضة الحج ثم أعاد الأخبار فى ١٢ مارس ١٩٢٧ ثم لم يلبث أن أوقفها نهائيا حيث زادت عليه علامات المرض، وكان أمين الرافعى فى خلال أزمته كلها منذ اختلاف مع سعد زغلول يفزع لفكرة احتجاب الأخبار التى كان موقفها يتجرح يوما بعد يوم - توفى فى ٢٩ ديسمبير ١٦٢٧ وهو فى سن الحادية والأربعين إذا أنه ولد فى الزقازيق فى ديسمبير ١٨٨٦ ووالده الشيخ عبد اللطيف الرافعى القاضى ولا شك تعطى هذه الصورة بطولة فى ميدان الصحافة والايمان بالحق والتمسك به وهو نموذج غير متكرر فى صحافتنا العربية · وابرز مواقفه :

١ — مذكرته الوطنية السياسية المشهورة التى كتبها بعد انتهاء الحرب

---

(١) الأهرام ٢٩ / ١٢ / ١٩٢٧ .
الأهرام ٣١ / ١٢ / ١٩٢٧ .
الاهرام ٢٨ / ١٢ / ١٩٣٤ — أحمد وفيق .

المالية وهى أول مذكرة اعتمد عليها زعماء السياسة فى كل ما تلى ذلك من دفاع عن حق مصر فى الاستقلال ٠

٢ — منادته بوجوب اجتماع البرلمان عندماعطلته وزارة زيور باشاعام ١٩٢٥ وقد تحقق هذا باجتماع الأعضاء فى الكونتيننتال فى ٢١ نوفبر ٠

ولا شك كان أمين الرافعى مثلا أعلا للضمير الصحفى النقى الحر الذى لم يستطيم أحد أخضاع قلمه لأى أغراءأو مخافه ،وهو لون من الصحافة كان أمين الرافعى آخر الناس فيهوهو من أعنف خصوم الإنجليزوالاستبداد وعملاء الإنجليز وقد وقف فى المعركة وحده لا يسنده حزب وإنما يسنده إيمان وضمير ٠

أمين الرافعى بعد الأخبار

توقفت جريدة الأخبار منذ فبراير ١٩٢٦ ثم أعيدت فى مارس ١٩٢٧ ثم توقفت نهائيا ولكن أمين الرافعى لم يتوقف حتى نهاية حياته عن الكتابة معلنا أرائه فى قوة عارضة فى صحيفتى السياسة والأهرام وهذا نموذج منها كتبه فى الأهرام تحت عنوان[1] (تركنا قضية استقلالنا فضاعت حقوقناوتفاقمت مشاكلنا الداخلية) .

هل أنطفأت شعلة الحرية والاستقلال وقد كانت من قبل ملتهبة فى كل قلب من قلوبنا . هل أصبحت قضيتنا القومية نسياً منسياً . . .

هل عجزنا عن مواصلة الجهاد الذى أقسمنا أن يقوم به حتى نحقق جميع أمانينا الوطنية ٠

هذه أمثلة تدور تخلد كل من ينظر إن موقفنا الحاضر وشهد المأساة التى تمثل

---

(١) الأهرام ١٠/٢/١٩٢٧ .

فوق ارض مصر فإن الحوادث التي وقعت ولا تزال تقع في البلاد تحمل على الاعتقاد بأن كل شيء تغير في مصر، وأن الأمة قطعت كل صلة وعلاقة بالنهضة الشريفة إلى نهضتها في سنة ١٩١٩ فلم تعد تفكر فيها ولا في مواصلتها ولا في الاستفادة منها بل تخيل للانسان أن الأمة التي كانت تعمل في سنة ١٩١٩ ليست هي الأمة التي تعيش في سنة ١٩٢٧، فبالامس كان دبيب الحياة مسموعا في كل شيء، أما اليوم فإنك عبثاً تبحث عن مظاهر الحياة الحقيقية في أي شأن من شئونها.

كان الإنجليز بالأمس لا يجرءون على التغلغل في أمورنا بمثل ما يفعلون اليوم ومع ذلك فإن كل حركة من حركاته كانت تحدث دويا هائلا في البلاد يقفهم عند حدهم ويفهمهم أن في وادي النيل شعبا يقظاً تسهر على حقوقه المقدسة ولا يفرط في فتيل منها، لقد أصبح الإنجليز اليوم ينفذون جميع مآربهم دون أن يعارضهم معارض في أعمالهم.

أصبح الإنجليز ينفذون سياستهم الاستعمارية بغير مبالاة دون أن يرتفع صوت رسمي أو غير رسمي بالاحتجاج عليهم.

كنا نرفض كل تساهل مع الغاصب فاصبحت خطة التساهل والتسليم سائدة في سياستنا مع الإنجليز ...

كانت فكرة التضحية متسلطة على جميع الأفراد والجماعات تحت تأثير مواصلة النضال ضد الغاصب .. أما الآن فقد أصبح لايشغل الجميع سوى متاعب الحياة الدنيا.

لقد كنا نعمل يداً واحدة في قضية الاستقلال التام فأصبحت هذه القضية منبوذة لايعنى بها أحد ولا يذكرها إنسان، كنا نجهر بصوت الحق ضد الغاصبين في كل موقف أما الآن فقد خفت هذا الصوت فلا تسمع إلا همساً بل قل أن الهمس نفسه لم يعد مسموعا. »١ﻫ

ولعل أصدق صورة لأمين الرافعى تلك التى رسمها ابراهيم عبـد القادر المازنى [1] قال :

أن الموت محا منه بشرا مصنوعا من نور على سنة من نقى وأخلاص .

وأشار إلى « أن مذكرته مؤتمر الصلح مشهورة وقد ضمها الوفد المصرى إلى أوراقة وحججه أنه من رجل الحزب الوطنى وقد كان الحرب يهم بتأليف وفد مكان رأى أمين بك أنه لا يكون ثمه سوى وفد واحد هو الوفد المصرى برئاسة سعد زغلول توحيداً للـكلمة وتفاديا من بعثرة الجهود .

اختلف الوفد من ناحيتين مع الوطنيين ومع الدستوريين لماذا ؟ .

وقال : أصدر «الأخبار» وظل أقوى مصدر للوفد وأعلى لسان ناطق بحجة الوطن إلى أن وقع الخلاف فنادى بضرورة تعديل أساس المفاوضات قبل الدخول فيها وأصر على ذلك غير أن هذا الخلاف لم يمنع من أن يثور على نفى سعد باشا وزملائه وأن تنتصر الحرية فى اشخاصهم .

ولعل اقوى موافقة وانجحها دعوة البرلمان الثانى الذى كان حل يوم انعقاده إلى الاجتماع من تلقاء نفسه وبقوة القانون أنعمت فى نفسه وأمله وصحة وفى ولده الذى كان قرة عينه ولـكن إيمانه بقى سليما وعندما رقت حاله الأخبار كان يعطينى ويحرم نفسه وإذا استضافنى كان أحنى على من أم .

وقال صادق عنبر مؤرخ أمين الرافعى أنه عندما انعمت عليه الحـكومة التركية بلقب البكوية سنة ١٩١٤ تردد فى قبول هذا الانعام وتحدث برفضه لزملائه ولـكنهم اقنعوه بأن الرفض معنى سياسياً لا يوافق مصالح مصر فقبل لقبه مرغما .

وقال : وفى سبيل عقيدته أثر الفقر والاضطهاد والتعرض للأخطار وكان يتحمل

---

(١) الـكشاف : ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٢٧ .

الأذى بصبر وجلد، حدث أنه لما تظاهر بمض الجمهور ضده وهاجم فريق منهم إدارة الأخبار قطعوا أسلاك التليفون أراد أحد الفراشين أن ينسل إلى الخارج ليبلغ البوليس فأبى أمين بك واحتجز الفراش ولم يسمح له بطلب النجدة .

وقال : أن أحد الكبراء أرسل إليه شيكا على بياض يطلب منه أن يضع الرقم الحسابى الذى يريده بشرط أن يساير هذا الكبير ويؤيد سياسية فكان جواب أمين الرافعى فوراً :

— أنا لا أقبل أن أساوم فى ذمتى أيا كان الرقم الحسابى ثمنا لقبول المساومة . اذهب إلى من أرسلك وقل له : لقد عرفتنى بالأمس وستجهلك اليوم .

وقال : لما ضربت الحماية على مصر استدعاه السلطان حسين كامل فأسرع إلى مقابلته فهش له وقال : تكلم يا أمين بك .

وكانت الفكرة أن يظل أمين بك على إصدار «العلم» على أن يعترف بالحماية المؤقتة فأبى أمين بك بكل جرأة وقال :

إنى أعطل الجريدة احتجاجاً على الحماية وقبل أن يتعرض شخصه بتعطيلها لكل الأخطار .

السياسة

صحيفة الأحرار الدستوريين

١٩٢٣ — ١٩٥٢

• الدكتور محمد حسين هيكل

* أول صحيفة مصرية حررت على أحدث أصول الفن الصحفي .
* حملت لواء المعارضة للأغلبية وتأييد وجهة نظر الانجليز .
* اتخذت من المفكرين المثقفين أدوات لحمل لواء دعوتها .
* رفعت من شأن الفكر والأدب وأفسحت له مجالا وهاجمت المدرسة القديمة وحملت لواء التغريب .

السياسة

(٣١ أكتوبر ١٩٢٢)

تمثل «السياسة اليومية» الصحافة الحزبية فى معسكر حزب الأحرار الدستوريين وهو المجموعة التى انفصلت عن هيئة الوفد المصرى الذى شكل عام ١٩١٨ بعد إعلان الهدنة للحرب العالمية الأولى للدفاع عن حق مصر فى الاستقلال والسعى ما وجد السعى سبيلا لهذا الغرض .

وقد كان مؤسسوا هذا الحزب وعلى رأسهم : عدلى يكن وعبد العزيز فهمى ومحمد محمود ولطفى السيد وعلوبة فى مقدمة من اشتغل بالحركة الوطنية ومنهم من اشترك فى مقابلة الباشوات الثلاثة المندوب البريطانى يوم ١٣ نوفمبر ١٩١٨ .

وكانوا فى مقدمة الوطنيين الذين اشتركوا فى تأليف هذا الوفد ونواة المنفيين مع سعد زغلول ، والمشتركين فى الوفد المصرى إلى باريس للتحدث إلى مؤتمر الصلح . حيث وقع الخلاف بينهم وبين سعد باشا ، وعادوا ليعلنوا إنفصالهم عن الوفد الذى لم يعد مكونا إلا من سعد زغلول وأعوانه ، هنالك تأسس حزب جديد يضم هذه المجموعة باسم الأحرار الدستوريين وكانت جريدة السياسة لسانا لهم ، وقد أختير الدكتور محمد حسين هيكل رئيسا لتحريرها وكان هذا الانفصال فى الجبهة الموحدة هو أول الصدع فى الحركة الوطنية المصرية كلها وضياعا للثمرة التى كان يمكن أن تحققها الثورة .

* * *

وكانت جريده السياسة نموذجا للتطور الصحفى ومرحلة جديدة من مراحل النهضة الصحفية فقد جاءت بتجديدات كبيرة ، وكان وقوفها فى صف الأقلية

مدعاة إلى العمل لجذب القراء إليها بالتوسع فى الأبواب المختلفة وتقديم الأقلام البارزة الشهيرة .

ويمكن القول أن جريدة السياسة تعتبر إمتداداً لصحيفة « الجريدة » فى منهجها الفكرى كما كان حزب الأحرار الدستوريين إمتداداً لحزب الأمة ، وهو حزب أبناء الأسر الكبرى والاقطاعيين وأصحاب رءوس الأموال ممن أسماهم كرومر « أصحاب المصالح الحقيقية » .

وقد استغلوا طوائف المثقفين والمفكرين الذين عادوا من أوربا بعد أن أحرزوا أرقى الدرجات العلمية أمثال هيكل وعزمى وطه حسين وسيد كامل وتوفيق دياب ومصطفى عبد الرازق للعمل معهم فى سبيل تأييد مركزهم السياسى والاجتماعى ولذلك كان المثقفون أداة فى تأييد القوى الاقطاعية التى آزرها ودعمها الاستعمار البريطانى عند إحتلاله للبلاد وجعلها ذات سلطة بعيدة المدى ، وهيأ لها السبيل للحكم والسيطرة ومناهضه قوة الأزراك الممثلة فى القصر والأمراء والشعب العامة الوطنية التى انضوت بعد الحرب تحت لواء « هيئة » الوفد المصرى الأولى ثم ظلت تسير فى فلك سعد زغلول وحزب الوفد بعد انفصال هذه المجموعة عنده ، ومهما يكن من أمر هذا الاتجاه السياسى الذى أيده المثقفون فهو خدمة الاقطاع والاستعمار وأعوان الاستعمار ، وأن حمل معه لواء حرية الفكر التى احتضنت دعوات الغرب فى التبعية الثقافية والتغريب والتى وجدت معارضة شعبية عنيفة لاتهامها بالالحاد مما أدى بالأحرار الدستوريين إلى التحول عن هذا الاتجاه بعد عام ١٩٣٠ إلى تملق الشعب بالكتابات الدينية .

ولا شك كانت صحافة المعارضة للوفد — وهى صحافة الأحرار الدستوريين وحدهم فى هذه الفترة — أقوى من صحافة الوفد من ناحية الاخراج والبناء الصحفى .

ولم يكن للوفد عند صدور السياسة إلا صحيفة واحدة هى : الأهالى كانت

تصدر فى الاسكندرية ونقلها عبد القادر حمزة إلى القاهرة فى ١٣ سبتمبر سنة ١٩٢١ ثم صدرت للوفد بعد صدور السياسة صحيفتى البلاغ وكوكب الشرق وذلك عام ١٩٢٣.

وقد صور الدكتور هيكل دور جريدة السياسة فى تطور الصحافة[١] فقال: جددنا فى الأسلوب وجددنا فى المواضيع فخرجنا من تلك الدائرة الضيقة التى كانت الصحافة فيها قاصرة على ذكر الحوادث السياسية فى الداخل والخارج ، وأفردنا صحائف للأدب والفن والزراعة والسيدات ، وكان خروجنا إلى الآفاق التى كانت مقفلة خطوة سعيدة فإن غيرنا من الجرائد جاهد ليحذوا حذونا والتنافس دافع إلى التقدم » .

ومع هذا فإن جريدة السياسة كانت تواجه منافسة قوية من صحف الوفد ذات الشعبية الضخمة ، وأن كانت أقل من ناحية التحرير والاخراج « يقول هيكل[٢] : ومع كل هذه المجهودات العظيمة من كل جانب ، فأن السياسة لم تقم يوماً بسداد النفقات التى تنفق لاجلها . لذلك لايزال الذين أنشأوها يقدمون لها ما تحتاج إليه لأنهم لم يفكروا يوم أنشاؤها فى أن تكون جريدة تجارية وانما انشأوها لتعبر عن أرائهم ولتكون مثلا لما يمكن أن يصل إليه الكمال الصحفى فى الشرق . وهم يقدمون ما يحتاج إليه طيبة نفوسهم لأنهم يعلمون أنهم بهذا يقومون بخدمة كبيرة لا يقتصر أثرها على وطنهم ولكنه يتعداها إلى قراء العربية جميعاً .

مهمة السياسة

كما صور الدكتور هيكل « مهمة جريدة السياسة » ودوافع إنشائها بمناسبة مرور عشر سنوات على صدورها[٣] فقال: « منذ عام ١٩٢١ حين عاد عدلى يكن من مفاوضاته مع لورد

---

(١) السياسة ٢/١١/١٩٢٣ .
(٢) السياسة ٣١ أكتوبر ١٩٢٤ .
(٣) السياسة ٥ نوفبر ١٩٣٢ .

كرزون بعد أن رفض توقيع المشروع الإنجليزى الذى عرض عليه ، فكر جماعة من أصدقائه السياسين فى تأليف «هيأة» سياسية برأسها وتدافع عن وجهه نظرة ، ولكن دولته رأى الظرف يومئذ غير مناسب ، فلما أستطاع ثروت باشا بقدرته وتأييد أصدقائه وأصدقاء عدلى السياسيين أن يقنع انجلترا بأن تصدر تصريح ٢٨ فبراير معترفة فيه باستقلال مصر وسيادتها محتفظة فى ذلك بالمسائل الأربعة ، تألفت وزارة ثروت وألفت لجنة الدستور لتضع لمصر مشروع دستور على أحدث المبادىء العصرية ، بدا فى تاريخ السياسة المصرية تياران متعارضان ، هنالك فكر أعضاء لجنة الدستور وكلهم أو كثرتهم السياسية من أنصار عدلى فى تأليف حزب سياسى وأصدار جريدة تكون لسان حاله ويكون غرض الحزب وغرض الجريدة مزدوجا (١) الدفاع عن مشروع لجنة الدستور حتى يصدر (٢) والحرص على أن تحقق المعاهدة التى يعقد مع انجلترا كال استقلال مصر وكفالة حقوقها فى السودان » .

* * *

٣ — وواجهت السياسة بعد ذلك مشكلة النقد والمساجلة مع صحف الوفد : هل تكون الهجاء العنيف أم الاقناع بالحجة .

قال هيكل « وكان من رأى الجزب أن تلزم « السياسة » لهجة الاعتدال فى كتابتها وأن لاتقابل الشده بالشدة ، وأن لا ترد على مطاعن بمطاعن ، وأن تكتفى فى الرد بأقامة الحجة المقنعة والدليل الداحض ، هذا على أن « السياسة » حوربت قبل صدورها ، ووجهت لها من المطاعن مالم تكن من السهل على النفس احتماله .

قال هيكل : ووقفنا عن حدود الحجة ندفعها بالحجة ، والطعن ندفعه هو

الآخر بالحجة ، والاتهام ندفعه بالحجة أياما متتالية موجهين أكبر همنا للكلام عن الدستور ولفت النظر إليه واستنهاض الرأى العام للتشبث بضرورة صدوره »

غير أن جريدة السياسة تحولت عن هذا الاتجاه فانه بعد مرور تسعة عشر يوما على صدورها اغتيل أثنان من رجال الحرب الذى تنطق باسمه وهما : حسن عبد الرزاق باشا وإسماعيل زهدى . هنالك انبرى (توفيق دياب) أحد محررى السياسة فكتب أول مقال عنيف وجهه إلى الوفد تحت عنوان : « أنتم قتله الوطن » .

ودارت المعركة عنيفة ، فقد اتهمت صحف الوفد عدلى باشا وأصحابه بأنهم مالئوا الانجليز فى القبض على سعد باشا وزملائه ونفيهم إلى جزيرة سيشل، وكتب الدكتور هيكل أول مقال عنيف له تحت عنوان « إذن فاسمعوا : من ذا أضر بمصر ومن استبق سعداً وأصحابه فى المنفى .

قال هيكل فى مذكراته السياسية (ج ١) وقد حملت فى هذا المقال على صحف الوفد وعلى القائمين بتوجيه سياسته حملة عنيفة غاية العنف من غير نبو فى اللفظ أو مقابلة للاتهام باتهام من نوعه .

وقد أدى هذا إلى مقاومة الوفد — الذى كان وصل إلى الحكم فى أوائل عام ١٩٢٤ بأغلبية ضخمة — لصحيفة الأحرار الدستوريين ومهاجمة دارها بالمظاهرات التى تحمل الطوب والحجارة ، يقول الدكتور هيكل فى مذكراته ص ١٨٤ : كانت قراءة جريدة السياسة معتبرة إثما محرما على الوفديين وكان سعد يقول عنها أنه يقرأ السياسة بالنيابة عن جميع المصريين ، وأنه يجب ألا يقرأها منهم أحد .

وقال هيكل أن المصريين كانوا يقرأون السياسة خلسة كأنها بعض المحرمات. وأنها كانت في هذه الفترة هي الجريدة الوحيدة العنيفة في معارضة الحكومة.

وقد بلغ من عنت حكومة سعد معها أن حرمتها من حضور حفل أول جلسة للبرلمان المصرى يوم ١٥ مارس ١٩٢٤ بينما دعت جميع الصحف المصرية والأجنبية وجميع المراسلين الأجانب، كما هدد الدكتور هيكل مرات بالتحقيق في النيابة وتقديمه للمحاكمة فقد قدم سعد زغلول هيكلا للمحاكمة بحجة أنه أهان البرلمان في مقال له بعنوان (حزب الستمائة) حمل فيه هيكلا على الأعضاء الذين طالبوا رفع المكافأة البرلمانية.

وبالرغم مما رسم الدكتور هيكل لجريدة السياسة من صور الجهاد في سبيل الوطنيه فإن جريدة السياسة كانت في نظر الناس جريدة حزب أقلية مكروه من الشعب، وكانت السياسة تؤيد بالطبع كل تصرفاته وربما كان زكى عبد القادر[1] وهو أحد محررى السياسة ١٩٢٦ — ١٩٣٢) أقدر على تصوير هذا الجانب: يروى زكى عبد القادر في مذكراته أن محمد محمود باشا وهو أحد رؤساء حزب الأحرار (بعد عدلى يكن وعبد العزيز فهمى) كان يظن أن جريدة السياسة كالدائرة الزراعية المملوكة له.

أنه يتفق عليها أو يشترك بجانب كبير من نفقاتها وهى بالنسبة له أداة سياسية لا أكثر ولا أقل. عدة الشغل فى مجال السياسه والوزارة والوجاهه والنضال وكان محمد محمود باشا يزور جريدة السياسة ويمر على محرريها كأنهم موظفون فى الدائرة.

كما أتهمت جريدة السياسة بالألحاد فى الدين بالإضافة إلى المروق فى الوطنية (ص ١٨٩ مذكرات هيكل جـ ١).

---

(١) مذكرات زكى عبد القادر : مجلة الجيل الجديد

ولقد أيدت جريدة السياسة إنقلاب محمد محمود وحكمه عام ١٩٢٨ الذى وصف « باليد الحديديه » وبرر الدكتور هيكل موقف محمد محمود عندما أوقف الحياة النيابية ثلاث سنوات قابلة للتجديد (ص ٢٩٠ من مذكراته ج ١) فقال أن الوزارة « ستعلق الحيـــاة النيابية ثلاث سنوات قابلة للتجديد وهى ترجو أن تقضى خلال هذه السنوات على الدجل السياسى (أى الوفد) وأن تقر فى البلاد الحكم النزيه الذى يقوم عليه من بعد نظام برلمانى فى مثل نزاهتـه وإن تعمل فى سبيل الإصلاح الداخلى كل ما تستطيع » .

وقد صور الدكتور هيكل دقة موقف السياسة من التيارات الحزبية من بعـد فقال : لقد لقيت السياسة فى سبيل تأييدها حرية الرأى عنتا أى عنت ، فقد هاجمت كثيرين وتحالفت من بعد ذلك معهم أو عادت من بعد إلى صفوفهم »

وهو فى هذا يشير إلى موقفهم من حكم اسماعيل صدقى ١٩٣٠ عندما أيده الأحرار الدستورين فى أول الأمر ثم اختلفوا معه عندما أنشأ حزب الشعب .

ولقد كان موقف أنصار الأحرار الدستورين وجريدة السياسة تتأثر تبعاً للانقلابات السياسية . يقول هيكل فى عهد الوفد رأينا أصدقاء السياسة الكثيرى التردد ينقطعون عنها ؛ فلما استقالت وزارة سعد بدأ هؤلاء جميعاً يعودون لنا — وقد وقد أشار محمد زكى عبد القادر إلى هذا الموقف فى مذكراته : فقـــال : أصيبت جريدة السياسة بما أصاب به الجريده الحزبية إذا تولى عنها نجم الحـكم ، قل زوارها إلى حد قاتل أو قل لم يعد يزورها أحد الا أصحابها وأنصار حزبها بل أن فئة من أعضاء الحزب قد قللوا من زيارتها إيثاراً للعافية ومالهم ولهذا النجم الآفل ولكن الدكتور هيكل ظل صامداً قوياً يكتب معارضا حكومة النحاس وحكم الوفد مثيرا الموضوعات الدقيقة ، يمس فى عنف أو رفق ما يستطيع أن يمسه » .

وأشار زكى عبد القادر إلى أن حزب الأحرار عندما عجزت جريدة السياسة

أن تحقق له ماريد من المعارضة لجأ إلى جريدة السياسة الأسبوعيـــة التى كانت بعيدة عن السياسة وواسعة الانتشـــار وذلك بعـــد أن انحط توزيع جريدة السياسة اليومية التى كانت توزع أبان الائتلاف ٣٠ من الف نسخة وكانت رائجة رواجاعظيما فلما وقع الانقلاب الدستورى انحط توزيعها انحطاطا كبيرا ، وذهبت كل الجهود التى بذلت لإنقاذها ولذلك استغل الأحرار الدستوريين « السياسة الأسبوعية » وحولوهاعن خطتها الناجحة القائمة على البعـــد عن السياسة الحزبية فأخذت تنشر الصور الكاركاتورية السياسية الملونة ، وبذلك مسخت مسخاً . »

وقد واجهت السياسة عنتاً كبيراً فى ظل العهود التى كانت تحـكم فيها الوزارات الوفدية وفى عهد اسماعيل صدق وحيث عطلت اداريا من ديسمبر ١٩٣٠ إلى يونيو ١٩٣١ وكان للقوانين الـكثيرة المقيدة للحرية أثرها فى تعرض السياسة للمصادرة وكتابها للمحاكمة .

وأشار الدكتور هيكل إلى تعديل قانون المطبوعات وجرائم النشر ١٩٢٥ وقد وصفه عبد العزيز فهمى بأنه يكمم كل صحيفة عن أن تفوه بأى إنتقاد ضد أحد رجال حاشية الملك، وقال هيكل فى شكوى السياسه من التضييق على حرية الصحافة أن الحـكومة الصالحة هى التى لا تشترى ذمم الناس وضمائرهم ولا تأخذ مخالفيها فى الرأى بالقسوة والأعنات، وهى مادامت لاتنفذ غير العدل لاتخاف الصحـــافة ولاتحرص على الحد من حريتها بالقانون، بل ترحب بالنقد بالغة مابلغت شدته وتتخذ منه وسيلة للاصلاح، وقال أن الحكومات الضعيفة هى التى تحارب الصحافة بالقانون إذا تعذر عليها شراء أقلام أصحابها . » ونسى هيكل هو يكتب هذا موقف حزبه عندما جاء إلى الحـكم من الصحافة وتأييده هو لاجراءات قمع صحف المعارضة

وأشار زكى عبد القادر إلى « التناقض » الذى لاحظـه فى جريدة السياسة فقال: ان الانجليز يتخذون من القصر والأحرار الدستوريين وسيلة لتحقيق أغراضهم فى اضعاف الحركة الوطنية والأحرار الدستوريين يتخـذون من الانجليز والقصر

وسيلة لحكم البلاد والتخلص من سيطرة الوفد وكانت جريدة السياسة مجالا لهذا التناقض: «يجد القصر وهي تقمني له الضياع ويبالغ رئيس الحزب في الانضواء تحت لوائه»

ولعل من أهم القضايا الفكرية التي واجهتها السياسة هي (١) كتاب الاسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرازق و (٢) كتاب الشعر الجاهلي لطه حسين (٣) معركة التبشير.

أما قصة كتاب «الاسلام وأصول الحكم» فهو متصل في نظري بموقف الأحرار الدستوريين من الملك فؤاد، الذي كان طامعا في الحصول على الخلافة بعد أن اسقطتها تركيا وقد عاونه على ذلك علماء الأزهر، ولذلك فان القول بأن كتاب الاسلام وأصول الحكم ماهو الا كتاب علمي لا أساس له، فقد هز الوزارة الحاكمة، وكان من أثره أن إستقال الأحرار الدستوريين منها وفي مقدمتهم عبد العزيز فهمي شيخ الأحرار الدستوريين ودافعت عنه جريدة السياسة دفاعا حاراً.

ولقد صور «زكي عبد القادر» حقيقة هذا الموقف من في مذكراته فقال: أن الملك فؤاد كان ينفس على آل عبد الرازق ماهم فيه من سعة وما يستمتعون به من مركز ممتاز. ثم هم من خصومه الألداء فقد كانوا أنصاراً لحزب الأمة أو منشيئه يناوءون ابن عمه الخديو عباس، فلا يستطيع أن يبطش بهم لأن المعتمد البريطاني لم يكن يسمح للخديو في أوقات كثيرة أن يسرف في نزواته. وبعد أن أصبحوا أنصاراً أو مؤسسين لحزب الأحرار الدستوريين يؤلف واحد منهم كتابا عن الخلافة ينكر فيه أنها أصل من أصول الاسلام في الوقت الذي كان الملك فؤاد يطمع في أن يكون خليفة المسلمين».

وفي إبان صدور كتاب طه حسين عن الشعر الجاهلي كان الاتحاد قائما بين الأحرار الدستوريين والوفد، ولكن سعد باشا أدلى بتصريحات أتهم فيها طه حسين بأنه

بجنون وسخر منه سخرية عجيبة ، ولذلك فقد حرصت السياسة على أن تؤيد طه حسين باعتباره أحد كتابها .

أما بالنسبة لمعركة التبشير ١٩٣٣ فقد حمل هيكل لواء المقاومة لها فى السياسة على نحو لم يتحقق فى أى صحيفة أخرى ، وإن كانت معركة التبشير فى الأصل موجهة ضد وزارة صدقى باشا التى وقعت هذه الفضائح فى أيام حكمها .

ولا شك أن المسألة قد استغلت إستغلالا دينيا واسع النطاق ضد حكم صدقى باشا، وكانت فرصة لجريدة السياسة لتكسب فى صفوف الشعب بالدفاع عن الدين بعد أن كان الوفد يتهمها دائما بأنها جريدة الملاحدة أعداء الدين وكان هذا الهجوم على التبشير مقدمة لتحول فى تفكير الدكتور هيكل نفسه وكتابته «لحياة محمد» وهو ماوصف من بعض المؤرخين بأنه تملق للجماهير ومحاولة لكسبها .

وقد وصف الدكتور عبد اللطيف حمزة أسلوب جريدة السياسة بأنه أدنى إلى إلى العفة والنزاهة لأنها تعبر عن رأى الأقلية ولأن أصحابها كانوا حريصين على أن يظهروا أمام الجمهور بمظهر السمو فى النقد «وتكشف مذاكرات هيكل عما تعرضت له الصحافة الحزبية المعارضة من اضطهاد ومحاكمات ومؤامرات ترمى إلى إتهام رؤساء تحريرها وقيام المظاهرات المعادية التى تحرق الصحف وترجمها بالحجارة ومحاولة تصيد الاتهامات من المقالات للزج بالصحفيين فى السجن ثم مايتصل بذلك من إغراء للكتاب فى حالة عجز الحزب الذى يعمل به الصحفى عن تقدير جهوده ، أو تهديده بتقديمه للمحاكمة إذا لم يكتب عبارات معينة كما طلب سعد زغلول إلى هيكل بشأن إنتخاب محمد محمود .

معارك السياسة

كانت معركة جريدة السياسة الأساسية مع سعد زغلول والوفد وذلك فيما عدا فترتى ائتلاف ١٩٢٦ و ١٩٣٥ . وكان أسلوب السياسة فى الهجوم قائما على المنطق والسخرية معا ولم يكن فى عنف كتابات صحف الوفد .

ووجهت حكومة سعد (أول حكومة وفدية) لجريدة السياسة ورئيس تحريرها كثيراً من الاتهامات وقدمتها للمحاكمة عدة مرات . ورفض سعد أن تحضر جريدة السياسة حفل إفتتاح البرلمان الأول ، ولما خلت خطبة العرش من أى حديث عن السودان هاجمت جريدة السياسة الوزارة :

وكان فى صف الهجوم على الوفد بجوار السياسة : الأخبار والكشكول واللواء المصرى ورد الوفد على ذلك بمظاهرات هاجمت هذه الصحف وهتفت المظاهرات لجريدة المقطم الموالية لسعد باشا : تحيا الصحافة الحرة .

وكتب فى السياسة : طه حسين وتوفيق دياب ومحمود عزمى وسيد كامل ومصطفى عبد الرازق والمازنى ، وعندما قدم الدكتور هيكل إلى المحاكمة بشأن مقالات كتبها زملائه ، حمل مسئولية كل ما يكتب فى السياسة بشجاعة فائقة وقال : أن كل ما يكتب يكتب برأيى ولا ينشر إلا بعد مراجعتى وكثير من المقالات لا يكون لكاتبها فكرة خاصة سوى فكرتى أنا ، فانا بذلك المسئول الوحيد عن كل ما يظهر فى جريدة السياسة لأنه من قلمى ، كما أن أسماء الكتاب داخلة فى أسرار مهنتى ولا محل للاباحة بها .

وكانت قضية نزاهة الحكم هى كبرى هذه المحاكمات : وانتهى الأمر فيها ببراءة جريدة السياسة ، وكما تلقت جريدة السياسة كلمة (شخصى الضعيف) لسعد باشا وجعلتها عنوانا لمقال . كذلك تلقت كلمة اليأس بعد عودته من لندن : لقد خسرنا المعاهدة وكسبنا صداقة الانجليز .

يقول زكي عبد القادر «تلقفت جريدة السياسة هذا الفشل وظلت تشعل النار وتتندر على هذه الكلمة العجيبة ، إذ كيف يخسر الإنسان المعاهدة ويكسب صداقة الانجليز: وقالت إن الوفد كالخادم المذعور يتمنى إرضاء سادته .

* وكان للسياسة دورها في خدمة فكرة الائتلاف بين سعد وأصدقائه الأقدمين الذين اختلف وإياهم عام ١٩٢١ ونجحت الفكرة نجاحا أدى إلى عودة الحياة النيابية وإلى استقرار الأمور في مصر .

* كما كانت السياسة هي الجريدة الوحيدة التي رحبت بإنشاء حزب الاتحاد وصدور جريدة الاتحاد واختارت من بين كتابها طه حسين ليرأس تحريرها .

قالت جريدة السياسة في ١١ يناير ١٩٢٥ : نرحب بحزب الاتحاد الجديد ونرجو أن يوفق في عمله وأن يساعد في دائرته على تنظيم الجهود العامة في مصر.

وقال هيكل في مذكراته (ج ١ ص ٢٢٧) أعلنت الصحف أن جريدة الاتحاد ستظهر لسانا لحزب الاتحاد، وأن المسئولين عن هذه الحركة قد اختاروا صديقي وزميلي في تحرير السياسة الدكتور طه حسين رئيس تحرير لجريدتهم وظهرت الجريدة الجديدة فهاجمها الوفديون وهاجموا الحزب الذي تنطق باسمه وردت الجريدة هجومهم وبدأ محرروها ينهضون بالعبء الملقى على عاتقهم . »

وقالت جريدة البلاغ (لسان الوفد) أنه حزب الانصراف عن التمسك الآن بالاستقلال والاكتفاء بإنشاء الأساسات التي يمكن بعد إنشائها — أي بعد عشرات من السنين أن نقول اننا صرنا أهلا للاستقلال فيجب أن نطالب به »

كما هاجمها اللواء المصري والأخبار وكوكب الشرق .

في مرآة السياسة

وابتدعت جريدة السياسة فنونا من النقد السياسى منها باب «فى المرآة» الذى اهتمت فيه بالسخرية من خصومها السياسيين .

وهذه صور بعض الشخصيات فى المرآة :

[أمين الرافعى][1] : لا أدرى إن كانت الطبيعة بما سوت من قلق أمين الرافعى أرادت أن تداعبه أم تنتقم منه ، فإنه على وطنيته الشديدة الهائلة يبدو لك فى هيكل الانجليز حمرة وجه وزرقة عين وقصور شعر .

[عبد الحميد سعيد] : هاجر إلى باريس يدعو لمصر ويرفع للعالم حجتها . يتخذ هنالك بيتا يصبح مثابة لمتابعة الدعاية لمصر وأمم الشرق .

ويهدد دول البلقان كافة لحرب الدولة العلية وتحريرها من كل مهلكة . فترك إلى البلقان جناح الثقافة فإذا هو جندى فى لباس العسكر وسلاحهم يقاتل فى الصف الأول حتى وقع جريحا .

وهو وكيل مجلس النواب ١٩٢٥

وفى الحرب العالمية انخرط فى جندها يحارب ، معه عصاه التى تزن ٧٣ كيلو وقدمتها للحرب والطعان .

[أحمد زكى باشا][2] زكى باشا عالم ولا نزاع ولكن لو سألتنى أن أعين لك علمه أو الفن الذى حذقه وبرع فيه ما حرت جوابا ، ذلك أن علم الرجل غير قليل حصله بمحض اجتهاده ، ولا تعجب أنه كان مع هذا كله لم يعالج فى حياته موضوعا من موضوعات العلم كاملا .

---

(١) السياسة الأسبوعية ١٨ سبتمبر ١٩٢٦ .

(٢) السياسة الأسبوعية ٧ أغسطس ١٩٢٦ .

زعم أنه اهتـدى إلى طريق من يمين بطن الهرم الأكبر لو سكة السـالك لا ينتهى به إلى سقارة أو المنيا .

وزكى باشا كما علمت ولع بجمع الـكتب واحرازها وقد أبى من نحو سبعة عشر عاما إلا أن يرفد دار الـكتب المصرية بما عثر عليه فى رحلاته فزين للقائمين بالأمر فى الحـكومة أن يبعثوه إلى الاستانة ويزودونه بالأموال الجليلة عونا على نقل ما اجتمع فى مكتباتها من فرائد المؤلفات بالفوتغراف فقبلوا و شخص الباشا وجاءها بصور فوتغرافية لبعض أسفار، فإذا آخر صفحة من أكبرها وأعظمها نفقة قد كتب فيها ما نصه (هذه النسخة منقولة من النسخة المحفوظة بدار الـكتب المصرية) وما شاء الله كان .

[الشيخ محمد بخيت][1] :أصله من (القطيعة) قرية من قرى أسيوط بيت الشيخ فيها من طين لازب وصلصال كالفخار .

اشتغل الشيخ فى طالعة أمره بإخراج المفاريت فـكان من ناحية المفاريت أول رزق جنت يداه واستخدمه بعض أهل الوجاهة فى كتابة التعاويذ وعمل الرق ، فتعرف باسم الشيطان إليهم واتخذ منهم جانب يأوى إليه حتى حشر فى زمرة العلماء .

لذلك تجد الشيخ يقدر على التلون بكل لون والتنقل فى أى شكل

يميد الشيخ نصوص الفقهاء وكلام العلماء وقد يلجأ إلى الوضع والاختراع . كتب مرة يقول: جاءنا سؤال من مدينة سلانيك بولاية الأناضول التابعة للروملى

---

(١) السياسة الأسبوعية ١٠ أبريل ١٩٤٦ .

الشرق فلما فتشوه قال ان ذلك خطأ مطبعى، وهو أشدهم نقضا للشيخ محمد عبده وأخشنهم هراشا وعضا ، فما قعد دون تكفيرة وتكفير الذين يقرءون الجغرافية من أجل خاطره وسود فى ذلك مقالات بامضاء (ثابت بن منصور) .

وقد تقلب الشيخ فى السياسة بين الوزراء والوفد والأمراء ثم التجأ إلى حمى الأحرار الدستوريين فأجاروه كراما لا يبالون بالمعروف الذى صنعوه أكان من أهله أم من غير أهله . واحتملوا من الشيخ ما احتملوا . ولكن جهة أخرى لوحت للشيخ من بعيد بأمل خلبه ووعد أعجبه فرمى باستقالته الفكرة فى وجه حماته الأحرار وخرج عليهم فى بغى وعقوق .

الدكتور هيكل

ظل الدكتور هيكل حجر الرحى فى جريدة السياسة منذ انشائها ١٩٢٢ إلى عام١٩٣٧ (خمسة عشر عاما كاملة) وهو الصحفى الوحيد الذى عاش حياته مرتبطا بحزب الأحرار الدستوريين لم يتحول عنه، كما تحول العقاد وطه حسين وتوفيق دياب وعبدالقادر حمزه بين معسكرى الوفد والأحرار. وقد بلغ فيما بعد منصب رئيس الحزب، ولذلك فان تاريخ جريدة السياسة فى هذه الفترة هو تاريخ هيكل، ويعلن هيكل أن لطفى السيد هو (والده وأستاذه) وأنه هو الذى وجهه منذ حصل عام١٩٠٥ على شهادة الدراسة الثانوية إلى دراسه الحقوق وكان راغماً عنها، وكان له من بعد أكبر الأثر فى تكوين ثقافته وتوجيهها - وقد وصفه زملائه أمثال أنطون الجميل بأنه إذا قسم حملة الأقلام فى مصر إلى أدباء وصحفيين فان هيكل يجمع بين الميزتين : ميزة الأديب والصحفى معاً .

وصف بأنه عالج أزمة التحليل متصرفا فى أعنه التعبير ، جامعاً لما تقتضيه صناعة الصحافة من غزارة المادة وسرعة الخاطر وقوه الحجة . إذا جادل أو ناظر كان شديد الوطأة بلا تعسف وإذا ترسل وحلل كان طبيعيا بلا تعسف ولا تكلف، وكأنه قد قضى أياما فى درس الموضوع الذى عالجه فى مقال يكتبه على عجل[1]

ولعل الدكتور هيكل هو خير مؤرخ للجانب الصحفى فى حياته مرتبطا بجريدة السياسه فى مذكراته السياسية (الجزء الأول) التى أصدرها عام ١٩٥١

فقد أشار إلى أن لطفى السيد هو الذى اختارة لرئاسة تحرير جريدة السياسة وأنه اشترك معه فى اعداد خطاب عدلى باشا الذى سيلقيه فى حفل افتتاح الحزب ومما يذكر فى هذا الصدد أن هيكل وطه حسين وتوفيق دياب ومحمود عزمى وهم

---

(١) الأهرام ١٦ / ٥ / ١٩٣٥ .

كتاب السياسة فيما بعد كانوا يصدرون افتتاحية الأهرام خلال عام ١٩٢١و١٩٢٢ قبل صدور السياسة ويحملون لواء الجناح المعارض للوفد .

وأشار هيكل فى مذكراته أن جبرائيل تقلا صاحب جريدة الأهرام عرض عليه أن يكون رئيساً لتحرير الأهرام بمثل الشروط التى عرضها عليه رجال الحزب الجديد أو بخير منها . فقال له : أنت صديق ولقد طالما نشرت لى الأهرام بحوثاً فى الأدب والسياسة والاجتماع . وكنت أود لو استطعت أن أجيبك إلى ماتطلب منى ولكنى قد ارتبطت مع هؤلاء القوم وأعطيتهم كلمتى (ص ١٤٧)

وقال هيكل :أن اتفاقه كان مع رجال الحزب أن يترك عمله فى المحاماة نهائياً وينقطع لرئاسة تحرير السياسة ، « وقد رأيت الصحف تهاجم هذا الحزب الجديد قبل أن يعلن تأليفه وتتهمه بأنه فى حرصه على الاتفاق مع الانجليز سيفرط فى حقوق الوطن (وهو نفس ماحدث مع لطفى السيد وجريدة الجريدة وحزب الأمة) ثم تسائل هيكل فقال :

أترى هذه التهم زعزعت من عزيمتى أو غيرت من اتجاهى ، وأجاب « كلا ، فليس من شأن ذلك أن يثنى أحداً منا عما أعتزم » واستصدر ترخيص السياسة باسم الدكتور حافظ عفيفى وطلب الحزب مطبعة روتاتيف من المانيا . واتفقوا مع أمين الرافعى صاحب الأخبار أن يطبع لهم السياسة ريثما تصل المطابع .

وقد سهر هيكل عشية اصدار السياسة الليل كله فلم يطمئن حتى كان العدد الأول بين يديه فى بكرة الصباح ٣٠ اكتوبر ١٩٢٢ يقول « ولشدة مافرحت حين رأيته بأيدى باعة الصحف ،ورأيت الخارجين من فندق شبرد بعد سماع الخطاب يقبلون على شرائه، ثم آن لى بعد ذلك أن أعود إلى منزلى لأستجم ، فلما استيقظت

---

(١) الأهرام — ١٦ — ٥ — ١٩٣٥ بمناسبة تكريم هيكل

وآن لى أن أذهب للعمل بالسياسة شعرت بالعبء الجديد الذى ألقى على كاهلى »

وأشار هيكل إلى اللهجة المعتدلة التى بدأت تكتب بها السياسة وقد فسرها المعسكر الآخر بأنها الضعف مما زاد فى هجومهم على الحزب وجريدته وقال له عدلى باشا « لا يخرجك امتعاضهم عن خطتك . أن السياسة تسير على نهج « الطان » الفرنسية : نهج التعقل والإعتدال وذلك أجمل بناء وأحرى » ثم لم يتيسر الاستمرار فى هذه الخطة وأذن لهيكل أن يهاجم بعنف فكتب مقاله المشهور « اذن فاسمعوا : من ذا أضر بمصر »

فلما ظهر المقال « أقبلت المحادثات التلفونية تترى من الأقاليم تعلن الرضا والإرتياح لهذا الإتجاه الجديد ، وإذا إدارة الجريدة تمتلىء فى المساء بمن جاءوا يهنئونى بهذا المقال ويقولون : أهو كده ! لا ينفع القوم إلا هذا » قال هيكل ولم أتردد وقد أعلنت النضال فى خوض المعركة إلى النهاية، ورسم هيكل أسلوب التحرير فى الصحف الحزبية فيما أشار إليه من وضع جريدة السياسة بعد نجاح الوفد فى انتخابات ١٩٢٤ وتأليف سعد للوزارة : لقد كتب البلاغ تحت عنوان « كان هنا حزب وكانت هنا جريدة » وكتب هيكل يقول بأن حزب الأحرار باق وأن جريدته باقية قال :

ما كدت أنتهى من كتابة المقال · وينتهى صفافوا الحروف من جمعه وتصحيحه حتى تحدث إلى الدكتور حافظ عفيفى يسألنى ماذا كتبت فلما أخبرته طلب إلى أن أحضر المقال · وأن أذهب إلى دار محمد محمود باشا بشارع الفلكى، وهناك وجدت محمد باشا محمود وتوفيق بك دوس والدكتور حافظ عفيفى وعلى بك المنزلاوى وألفيتهم يتحدثون يريدون أن يجمعوا للجريدة بضعة آلاف من الجنيهات لتستمر كما هى ، وطلبوا أن أتلوا عليهم المقال الذى كتبته فأقروه إلا ألفاظاً اتفقنا على تعديلها وبقى مافى المقال من تحد لهؤلاء الذين أبطرهم الظفر وتقرير كله الحزم بأن

الحزب باق والجريدة باقية وأن الحزب والجريدة سينهضان برسالتها .

وهاجت المظاهرات الوفدية الصحف المعارضة واتصل علم ذلك بحافظ عفيفى الذى قال لهيكل: أن مظاهرات عنيفة ستقوم مارة بالجرائد المعارضة تحطمها وتعتدى على من فيها ، وطلب إليه ألا يذهب هو وزملائه إلى السياسة ولو أدى ذلك إلى عدم صدورها صباح اليوم التالى ، قال هيكل « وعلمت أن المظاهرة الكبرى مرت بالأخبار والكشكول فى الصباح واعتدت عليهما وأحرقت الكشكول وأنها ستمر بالسياسة حوالى الغروب ·

غير أن ذلك لم يثن هيكل فذهب إلى السياسة وقال : فلنستقبل المظاهرة وأصدر أمره إلى عمال المطبعة أن يتسلح كل واحد منهم بقطعة من حديد المطبعة للدفاع عن النفس .

وأتيح لهم أن يصدروا السياسة بالرغم من هذا الجو الرهيب الذى أشاعته وزارة سعد باشا أزاء الصحف التى تعارضها ·

قال هيكل « وصدرت السياسة صباح الغد أشد عنفا منها فى أى يوم آخر .

× وواجه هيكل باعتباره رئيسا لتحرير السياسة التحقيق والمحاكمة فقد طلبت حكومة الوفد (١٩٢٤) من النيابة أن تحقق معه فى عدة مقالات كان أولاها مقاله (حزب الستمائة) قال: ولم تكن إجابتى على الأسئلة التى وجهت إلى أقل عنفا مما كانت فى السياسة من المقالات :

قال هيكل : سألنى المحقق عن المقال الذى نشر بعنوان « هلموا أنصار الحرية قادفعوا العدوان عن الحرية » وزعم فى سؤاله أن هذا المقال يدعو إلى قلب نظام الحكم ، فكان جوابى أن الحكومة هى التى قلبت نظام الحكم فواجبها الأول أن تلزم الناس إحترام القانون .

وقال هيكل : أن استدعاؤه للنيابة لم يغير من خطه السياسة فى ممارضة الوزارة ومن العنف فى هذه المارضة .

وأشار هيكل (فى ص ٢٠٠ من مذكراته) إلى ماعرضه سعد باشا على صهره قال سعد : من أجل خاطرك أنا مستعد لحفظ هذه القضايا جميعا إذا كذب هيكل أننى تدخلت فى إنتخابات محمد محمود . قال هيكل وطلب إلى صهرى أن أفعل ما أراد سعد .

وكان جوابى أنى لا أستطيع أن أكذب ما أنا مقتنع بصحته ، فلما اتسع الجدل بينه وبين صهره أراد أن يتخلص من ورطته فقال هيكل :

أنا لا أكتب لحسابى بل لحساب حزبى . ولا أملك أن أتصرف فى أمر كهذا الأمر بغير موافقة الحزب .

وعرض هيكل الأمر على الحزب وكتب كلمة قال فيها : أن السياسة نشرت أن سعد باشا تدخل فى إنتخابات محمد محمود وما دام دولته قد أنكر أنه تدخل شخصيا فى هذه الانتخابات فانا أكتفى بهذا الانكار .

وذهب صهر هيكل بالكلمة إلى سعد باشا فلما قرأها قهقه وقال :

هيكل يحسب أنه يضحك على بهذه الكلمة . هو يكتفى بأنكارى صدقا كان الانكار أو كذبا ، أننى تدخلت شخصيا . أما أن وزارة الداخلية تدخلت فلا« أما تكذيب صريح وأما أن ترفع القضايا . »

وكما واجه هيكل معركة صحفية مع الحزب المعارض ، واجه معركة صحفية مع حزبه ، كان ذلك بشأن الائتلاف الذى قام بين الوفد والأحرار عام ١٩٢٦ فقد[١] اتفق أساطين الحزب : حافظ عفيفى وإسماعيل صدقى ومحمود عبد الرازق على أن الوقت قد آن لمكاشفة الناس بحقيقة الموقف فى أمر الائتلاف .

---

(١) مذكرات هيكل ج ١ ص ٢٨٠ .

قال هيكل « واسترحت أنا لهذا الاتفاق بين الأساطين من رجال الحزب وكتبت مقالا عنوانه « نريد ائتلافا خالصا وأساس الائتلاف الخالص الصراحة » ودفعته إلى المطبعة كيما يعد للطبع .

وقدرت أنه لا بد يحدث ضجة هو جدير بأحداثها ، فلما صدر المقال دعاه محمد محمود باشا (وكيل حزب الأحرار) وكان وزيراً للمالية فى وزارة الائتلاف إلى مقابلته وكان عنده بعض رجال الحزب .

قال هيكل : سألنى محمد باشا : هل اتفقت مع الدكتور حافظ عفيفى على نشر المقال . فأجبته فى هدوء : نعم ؛ فلما كان المساء جاء إلى مكتبى أحد رجال الحزب ومعه كلمة بتوقيع محمد محمود باشا طلب إلى نشرها ، وفيها أن المقال الذى نشرته لا يعبر عن رأى الحزب ورفضت نشر الكلمة .

وقال هيكل : إن كان مقالى هذا لا يعبر فى نظر محمد باشا عن رأى الحزب فليجتمع مجلس الإدارة وليصدر قراراً بما يراه » وجرى الإلحاح على هيكل فى نشر كلمة وكيل الحزب ولكن الالحاح ذهب عبثا فقد صمم كل التصميم على ألا ينشرها فتركوه وعادوا إلى الباشا .

وجاءه محمد باشا بنفسه إلى هيكل وقال : أنا أريد أن تنشر هذه الكلمة - قال هيكل : أرجوك يا باشا أن تعيد النظر أولا وطالب أن يجتمع مجلس إدارة الحزب ويعرض عليه الأمر قال محمد محمود : ألا تنشر كلمتى وأنا رئيس شركة السياسة ؛ قال هيكل — وأحسست لسماع هذه الكلمة بأن ممثل رأس المال يخاطب من يتقاضى مرتباً ، فقلت محتفظاً بكل هدوئى : إذا كان رئيس شركة السياسة هو الذى يطلب النشر فأنا مستعد على شرط ، هو أن أنشر مع الكلمة استقالتى من رئاسة تحرير السياسة .

قال كلا ياسيدى لا تنشر كلمتى ولا تستقل ؛ سأنشرها فى الأهرام .

فخرج وعليه سيماء الغضب ، ونشر كلمته فى الأهرام ، قال هيكل : ونشرت كلمة فى السياسة وصفت فيها ما كان من طلب محمد باشا لى أن أنشر كلمة فى السياسة ومن امتناعى عن نشرها وسبب هذا الإمتناع » .

× وجرت محاولات لضم هيكل إلى حزب الشعب وأغرى فى سبيل ذلك وهدد ، ولـكنه أصر على بقاءه فى جريدة السياسة بالرغم مما كانت تقاسى من أزمات مالية .

قال ص ٣٤٧ من مذكراته الجزء الأول « خيل إلى صدقى باشـا أنه إذا إستطاع أن يضمنى إلى حزبه أضعف من قوة الأحرار الدستوريين وإذ كان يؤمن بأن لـكل رجل ثمنا إذا دفع له قبل مايعرض عليه مقابل هذا الثمن ، فقد بعث إلى برسالة لى مع صهرى يقول فيها : أنه مستعد لاجابة كل مطلب إذا أنا تركت الأحرار الدستوريين وانضممت إليه . وقال صهر هيكل لهيكل فى مجال المناقشة وقد أصر هيكل على البقاء فى السياسة : ان الأحرار الدستوريين لايقدرون لك حقك عليهم ، وأنت الذى تدير سياسة جريدتهم . قال هيكل : لعل صدقى باشا كان يحسب أننى سأقبل هذا العوض يوما من الأيام لما عرفه من تأثر الأحرار الدستوريين بالأزمة المالية التى كانت بالغة يومئذ غاية الشدة .

فلما كررت الإعتذار من عدم قبولها أخبرنى بعض أصدقائى أنهم سمعوا أن البوليس يدبر أن يضبط عربتى يوما بعد أن يدس بها بعض المحرمات .

قال هيكل : وحرص صدقى باشا على اقصائى عن رئاسة تحرير السياسة فأصدر قانوناً للمطبوعات يحرم من رئاسة التحرير من صدر ضده حكمان بالادانة . ولما كان قد صدر ضدى حكمان عن مقالين نشرتهما السياسة ، فقد أصبحت محروما من رئاسة تحرير السياسة ، وسرعان ماحل محلى فى هذه الرئاسة زميلى الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى من غير أن تقتضى هذه المسئولية أى زيادة فى مرتبه ووضع اسم

اللازنى على السياسه رئيساً لتحريرها ، ووضع اسمى أنا مديراً لسياستها .

ولما رأى صدق باشا أن القانون الذى أصدره لم يحرمه من حق التحرير وظهور اسمه على الجريده، حاول أن يجد الوسيلة لإلصاق أى تهمة به فكان بين حين وحين يرى رجل النيابه العامة يحضر إلى السياسة ليحقق معهم ويفتش المطبعة يريد أن يعثر على شيء كتبه هيكل بخطه . وقال هيكل : وتناقل المحررون والعمال أن صدق باشا حريص على أن يصل إلى ورقة مكتوبة بخطى يجعلها أساس اتهامى والقبض على . ولذلك كان يعطى ما يكتب إلى صفافين بذاتهم له بهم كل الثقة فإذا انتهوا من صف الحروف وتصحيح ما كتب أعدمت الأصول التى بخطه .

وقد أشار هيكل إلى أنه كان بين الصحافة وبين السلطة التنفيذية خصومة متصلة، فالصحف المؤيدة اليوم معارضة غداً وأن الوزارات المصرية كلها كانت تضيق صدراً بالصحافة المارضة وتود لو استطاعت تكميمها .

وتحدث هيكل عن تطوره الصحفى فقال :

نعم أنا أكتب كما أتكلم . والناس يعرفون كيف أتكلم أكثر مما أعرف أنا .

وأحسبنى فى كتابتى هذه متأثراً إلى حد كبير بتربيتى القضائية التى تجعلنى أميل إلى التدقيق فى تحديد ما أريد جهد ما أستطيع ، وإلى بناء الفكرة على قواعد وحقائق ثابتة ، هذه الفكرة متى تكونت شعرت شيئاً حيا فى نفسى يريد أن يكون له مظهره فى الحياة فيكون تدوينه هو هذا المظهر .

وفى الكتابة الأدبية أميل أن أنحو فيما أكتب منحى واقعياً ولا أميل معه إلى تجويفات الخيال وتحسيناته . فإذا استذكرت شيئاً وأردت أن أرويه ارتسم هذا الشيء فى نفسى كأنى أراه ان كان منظوراً أو اسمعه أن كان صوتاً من الأصوات

أما الكتابة السياسية فنوع من الأدب والشهرة وأنا انما اشتغل بها لأن فى

مصر قضية سياسة كبرى أرى واجبا الدفاع عنها، وفى تيقينى أنه لولم يكن لمصر قضية استقلالها وحياتها لما انقطعت للاشتغال بالصحافة ولاتجهت حياتى وجهة أخرى

وليس ذلك ليحول بينى وبين الاعتراف بأنى أحب الصحافة من أعماق قلبى وأعتبر توجيه الحياة لى كى أشتغل بها أكبر مواضع فخرى فى الحياة، وأنا إذ أكتب فى السياسة الصحفية أستعين بسرعتى وبقوة ذاكرتى وسرعة استظهارى الحوادث وتاريخها فتكفينى الساعة أو مادونها لكتابة مقال يشغل نهرين فى جريدة السياسة .

واذا فكرت فى الموضوع الذى أمهد الكتابة فيه تركته ساعه أو بعض الساعة حتى ينظم نفسه ومن تلقاء نفسه فى ذهنى ثم جلست إلى مكتبى فكتبته . وقل ما يقع لى أن أمحو ما أكتب ثم دفعت به إلى المطبعة لصفه وطبعه من غير أن أراجعه،

أما أن أضيف أو أمحو أو أغير فذلك مالا تقع لى إلا حيث اشرك غيرى فى الرأى ان احتاج الموضوع إشرا كا فيه .

(كيف أحترفت الصحافة)

قال : كان دخولى الصحافة مصادفة واتفاقا والواقع أنى لم أكتب منذ بدأت الكتابة لكى أصبح صحافياً وأحترف الصحافة واعتبرها مهنة لى وأنما كنت كتب وأنا فى المدرسة لاشباع رغبة كانت تحفزنى للكتابة .

اتصلت بالجريدة فحررت فيها منذ ١٩٠٧ وأصدرت بالاشتراك مع الدكتور طه وعبد الحميد حمدى مجلة السفور وكتبت فى ولأهرام وبعثت للمقتطف بالمقالات الدسمة .

البـــلاغ

١٩٢٣ - ١٩٥٣!

• عبد القادر حمزة

(١٨٨٣ - ١٩٤١)

• مثل البلاغ جانبي الكتابة السياسية : العفيفة الجريئة للعقاد والهادئة القانونية لعبد القادر حمزة .
• حمل لواء الأدب إلى جانب السياسة .
• ارتبط البلاغ بالوفد ثم انفصل عنه عام ١٩٣٢ .
• دافع عن القضايا العربية وقضايا الحرية فى الشرق .

× الدراسة عن الفترة حتى الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩).

البلاغ

صدر فى ٢٨ يناير ١٩٢٣

يرتبط البلاغ بسياسة صاحبه عبد القادر حمزه ؛ هذه السياسة التى بدأت مرتبطة بالوفد ثم تحولت عنه عام ١٩٣٢ حين وقع الخلاف بين ثمانية أعضاء وبين رئيسه فانضم إليهم مؤمنـا بحقهم وعدوان الوفد عليهم وظل البلاغ حتى نهاية الفتره التى نؤرخها لم يغير سياسته ثم عاد بعد ذلك إلى الوفد مرة أخرى.

وقد حل البلاغ لساناً للوفد محل «الأخبار» التى انحرفت عن سياسة سعد زغلول، وكانت الأهالى تصـدر فى القاهره على مبادىء الوفد حتى عطلت فأصدر صاحبها البلاغ الذى لم يلبث أن عطل بعد ثلاثة شهور من صدوره فى (٦ مارس ١٩٢٣) واعتقل صاحبه فى معتقل قصر النيل ثم عاود الصدور (١٨ يونيه ١٩٢٣) ثم عطل فى ١٥ / ٩ / ١٩٢٨ (أربعة أشهر) وعطل فى ١٥ يوليه ١٩٣٠ تعطيلا نهائياً ثم صدر البلاغ مضافاً إليه كلمة الجديد فى ٢٣ يوليه ١٩٣١.

وقد صدر البلاغ فى ٢٨ / ١ / ١٩٢٣ بافتتاحية جاء فيها :

هذا أول يوم فى حياة البلاغ لا نعرف هل تطول أم تقصر ، ولكنا نعرف أنها ستكون فى الحالين حياة صدق وأخلاص وما نريد عن الصدق والأخلاص الا مصر فى رحبها يجتمع أبناؤها وفى ميدان الجهاد لها يتنافسون.

وان يكون البلاغ إلا واحداً من جنود هذا الميدان وإذا صح ما يريد الرئيس (سعد زغلول) أن يشجعنا به من قوله أن الأهالى قد تركت فراغا فالبلاغ اليـوم يملأ هذا الفراغ »

فلما عطل البلاغ نهائياً وأصدر البلاغ (الجديد) فى ٢٣ يوليو ١٩٣١ قال

فى الافتتاحية : بعد عام وبضعة أيام من تعطيل البلاغ فى عهد صدقى باشا وبعد شهرين ونصف شهر من تعطيل المساء فى عهده أيضاً ، ثم بعد أربعة عشر جريدة عطلت فى عهود اختلفت أسماؤها ولم تختلف معانيها ، هاهو ذا البلاغ يطلع على قرائه من جديد فيثبت بطلوعه أن الفكرة باقية وأن أتعب خلق الله من ينصب نفسه لحربها وأن الأيام تطوى المستبدين واحداً بعد واحد ، بينما الفكرة تتجدد ولا تموت .

وليس هذا بأول ما حوربت به قضية الحرية ولا مصر بأول بلد أعلنت هذه الحرب فيه ولا صدقى باشا واضرابه هم أول المستبدين ولن يكونوا آخرهم مادامت الحياة صرعاً بين الحق والباطل .

فأن نكن بعد ذلك قد أوذينا وكسر القلم فى أيدينا أربع عشر مرة فأننا لم نفعل فى كل هذه المرات غير أن ذدنا عن حياض الاستقلال ضد مغتصبيه ولعمر الله أننا اذ نغتبط بأن نكون بعض من تجنى عليهم الحرية ثم بأن تكون عودتنا اليوم بعد أربعة عشر حولة كسر فى كل منها سلاحنا وأقفل باب العمل فى وجهنا مظهراً من مظاهر بقاء الفكرة وتغلب الحق على الباطل .

وليس ذلك فى حياة صحفيـة هى بنت اليوم أو يومين ليقال أنها براءة ساعه بل هى بنت واحد وعشرين عاما اذا نحن دققنا عند اصدار الأهالى فى سنة ١٩١٠ »

* * *

واتسمت البلاغ بالاتزان فقد عرف صاحبها بأسلوبه الهادىء العميق . يؤمن بالصراع القائم على أساس من البراهين والأسانيد، وعرفت مقالاته باسم « العصا » لأنها كانت غالبا تملأ عاموداً وربع عامود . وقيل أنها سميت كذلك لأنها تؤدب وتلذع كالعصى

وكان أبرز كتاب البلاغ عباس محمود العقاد الذى كان يحرر فيها منذ صدورها حتى عام ١٩٢٩ وكما ارتبط بها على فترات : زكى مبارك وابراهيم المصرى ومحمود

الشرقاوى ولطفى جمه وسلامة موسى ومحمد السباعى وعبد الله عفيفى ومحمد عبد القادر حمزة ·

وقال زكى مبارك : أن عبد القادر حمزة كان لا يكتب فى موضوع حتى يجمع الحجج الدامغة والأسانيد المفحمة ويسدد الضربة فى الصميم وهو لم ينس فى خلال خصومته عفة قلمه ولسانه فى الخصومة · وأن له طريقة فى الجدل ومذهب فى النقد وعناد فى الخصومة ·

وقد رسم عبد القادر حمزة للبلاغ سياسة وتقاليد فكان لا يمتنع من نشر الرأى الذى يناقض رأيه . ووصف الزيات قلمه بأنه كالمبضع فى يد الجراح الماهر ·

وقد عنى البلاغ بالدراسات الأدبية منذ صدوره ، ولعل ذلك كان مجاراة لما قامت به السياسة، غير أن المعروف أن صحف الوفد لم يتجمع فيها مثل ذلك العدد الضخم من المثقفين الذين جمعتهم السياسة .

وأن كثيراً من الكتاب الذين ارتبطوا بالبلاغ إنما ارتبطوا بها فى الفترة الثانية لها منذ عام ١٩٣١ أمثال زكى مبارك وابراهيم المصرى ومحمود الشرقاوى ومحمد على غريب أما فى الفترة الأولى فقد اعتمدت البلاغ على كتابات العقاد وعبد القادر حمزة السياسية .

وكان مستوى البلاغ من ناحية الفن الصحفى فى مجموعة أقل من «السياسة» وإن كان أكثر توزيعاً نظراً للشعبية الكبرى التى كانت ترتبط بصحف الوفد وقد أبدى البلاغ إهتماماً كبيراً بالقضايا العربية وعشا كل المسلمين فى جميع أنحاء العالم الاسلامى وقضاياهم كما عنى بالوحدة العربية وثورة العرب فى فلسطين على اليهود

البلاغ فى معركة الأحداث

هذه نماذج من كتابات عبد القارر حمزة فى معركة الوطنية :

« أنه يسهل على القوة أن تستبد وتطغى ولكنه ليس سهلا عليها أن تقتل

قلوبا ، وإذا تحركت فى شعب قلوبه تطلب الحرية فـكل قوة فى الأرض عاجزة عن أن تخمده أو تقيده ، وإذا تأخرت الحرية حينئذ عن أن تضع يدها فى يد الشعب فما ذلك إلا زمن للجهاد يطول قليلا أو يقصر بمقدار ما فى الطريق من عقبات . ولـكنه منته حتما إلى غايته ، فعلى الذين يعتريهم الملل أثناء الطريق أن يعلموا أن الغاية تدنو منهم يوما بعد يوم ، وعلى الذين يتعبون أنفسهم فى معالجة الشعوب بالقوة أن يعلموا أنهم يعالجون مستحيلا » .

معارك الوطنية

وقال : ثلاث معارك بيننا وبين السياسة الانجليزية : خمسون عاما ونحن فى صراع دائم مع السياسة البريطانية : الحركة العرابية . حركة مصطفى كامل . ثورة ١٩١٩ .

وفى حركة مصطفى كامل أبدل الانجليز كرومر بالدوق غورست وجعلوا من مهمته أن يكسر التحالف (الذى بين الحركة الوطنية والخديو) وأن يكون الخديو نفسه هو الذى يقتل الحركة . فاعيد قانون المطبوعات وعطلت بعد إعادته صحف الحزب الوطنى ورفعت القضايا الجنائيه على فريد وشاويش وعلى فهمى كامل وخرج فريد من مصر وأخرج عبد العزيز شاويش وكان هذا اتجاها إلى تصفية الحركة وقد صفيت بعد ذلك فعلا .

أما فى معركة ١٩١٩ فقد انزوى الانجليز وأرسلوا سياستهم تمشى بين المصريين حتى فرقتهم وأخرجت جماعات منهم تضرب جماعات وكانت غضبه المصريين قوية فطاولوهم وأعطوهم دستوراً ، ثم لما خفت القضية بفعل الزمن وتحت تأثير الجهاد المتواصل أبدلوا بالدستور دستوراً آخر وكانوا يسمون ملجئين إلى إتفاق ومعاهدة .

تعطيل الصحف(١)

كانت أوامر التعطيل والأغلاق والاعتقال تصدر تحت الأحكام العرفية الانجليزية

(١) البلاغ الأسبوعى — ١٦ يناير ١٩٢٩

ثم بأمر السلطات المصرية . أما الحقيقة فهى هى ، السلطة الانجليزية تعمل مختفية خلف ممالئيها من المصريين نفس ما كانت تعمله ظاهرة غير مختفية من ١٩١٩ إلى ١٩٢٣ .

ولهؤلاء الممالئين من وراء ذلك مناصب يلهون بها أياما ثم يزولون؛ أما الانجليز فلهم من ورائه الكيد للأمة والفت فى عضدها بتسليط بعضها على بعض ثم تحويل جهودها إلى المطالبة بالدستور بدلا من المطالبة بالاستقلال

« أما أثارة الخواطر على النظام الحاضر فهو ما نعترف بأننا فعلنا ، ولكننا فعلناه بالحق وسنظل نفعله إلى أن يزول الاستبداد ويعود الدستور فما كنا لنرضى عن يوم يضعون أيديهم فى أيدى الأجنبى ليتخذ منهم إله يضرب بها الحكم النيابى ويدمر الحريات » .

بعد الاحتجاب(١)

ليس خبيراً على الصحف المصرية أن مستها المحنة التى نزلت بالقطر هذين العامين ، وأن جعلتها القوة هدفا جربت فيه بعض ضرباتها . نعم؛لاضير عليها فى ذلك والخير كل الخير لها فيه لأن التجربة دلت دائما على أن البطش لا يقتل فكرة سليمة ولا يرد نفوسا تشبعت بطلب الحرية ، بل هو يغذيها ويكسبها قوة كالنار تصقل المعدن فتخرجه سيفا .

أزمة الصحف المصرية(٢)

التعطيلات المتوالية للصحف جعلت الأكفاء يهربون منها كما أن التقلبات السياسية التى كانت تابعة لأهواء الاستبداد قد جعلت للاشاعات والتهريجات

---

(١) البلاغ الأسبوعى — ١٨ يونيه ١٩٣٣
(٢) البلاغ — ٣٠ يونيه ١٩٣٦

قيمة كبيرة ما كان يكون لها شأن لو كانت البلاد تسير فى نظام دستورى لا يبيح المنجرين العيش بالاشاعات، والواقع أن صحافة الاشاعات جديدة فى مصر لا يكاد يعرفها الصحفيون القدماء .

التجديد عن طريق التطور

ويصور الفرق بين اتجاه البلاغ الاسبوعى والسياسة الأسبوعية فيقول :

كنت أسعى لأن يكون (البلاغ الأسبوعى) صلة وثيقة بين الماضى والحاضر حتى لا تنقصم العرى بيننا كما يريد البعض . فالبلاغ الأسبوعى على هذا من أنصار التجديد عن طريق التطور لا عن طريق الخروج من التقاليد ، والثورة على كل شىء قديم . وهذا يصل بنا إلى ناحية الدين . فقد رأينا بعض الدعاة إلى التقدم يضمنون دعوتهم سميا ظاهرا أو خفيا لنشر الألحاد فى مصر ، ولكنا لم نر فى مثل هذه الدعوة إلا تأخراً لا تقدما ، فان الألحاد صنو الإباحيـــة وكلاهما من أسباب التدهور والفناء [١] —

علماء الأزهر وحفل ليلة القدر

وهاجم (البلاغ) علماء الأزهر لحضورهم إحتفال ليلة القدر فى دار المندوب البريطانى قال: حضر مشايخ الأزهر أول أمس حفلة الشاى السنوية التى تقيمها لهم دار المندوب السامى وتستطيع أن تقسم وأنت واثق مطمئن أن جميع المدعوين قد شهدوا الحفلة فلم يتخلف منهم أحد دون المعذرة،وزعموا كذلك أن أحد الشيوخ أصابه مرض شديد فلم يرض لنفسه الاعتذار فى بطاقة ، ولكنه تهالك على نفسه واحتمل أعضاءه ومضى إلى دار العميد وفى يمينه شهادة طبيب بأنه مريض [٢] .

---

(١) البلاغ الأسبوعى — ٢٧ نوفبر ١٩٢٩
(٢) البلاغ — ١٠ إبريل ١٩٣٢

هل من الوطنية أن يحيوا دعوة كهذه من خصم يستغل كل نفوذه فى إذلال هذه البلاد .

لقد كان من بين شيوخ المسلمين قديما من تأبى عليه نفسه الخضوع لصاحب السلطان ولو كان مسلما، وهذا سعيد بن جبير كان يعرف أن الحجاج الثقفى قادر على أن يختطف روحه وأن يبقيها فلم يبال أن يناله أبالتعنيف والصرامة حتى حز عنقه ومثل بجثمانه .

أننا ننكره لهم أن يكونوا فى جانب مصافاة الغاصب فى حين أن الأمة كلها تريد أن تشعره بأنه صاحب هذا الانقلاب ».

عبد القادر حمزة

صور عبد القادر حمزة أهم حادث أثر فى تحويل مجرى حياته فقال :[1]

كانت جريدة الأهالى التى أنشأتهـا فى الأسكندرية هى الجريدة الوحيدة التى حاربت مشروع اللورد ملنر ، وقررت أنه مشروع مضر يقصد منه بسط الحماية على مصر ، وكانت فى ذلك تتحدى كل من يعطف عليـه وتنقد بعض الزعمـاء فى سياستهم ازاءه ، وقد كنت فى ذلك الوقت غير متشيع للمغفور له سعد زغلول باشا ولـكن لما عاد رحمه الله ١٩٢١ وخطب تلك الخطبة البليغة فى فندق الماجستيك وقال فيها (أنه ليس بينى وبين جريدة (الأهالى) إلا أن تعلم أننى أرفض مشروع ملنر حتى يزول كل خلاف بينى وبينها) كان ذلك أهم ما أثر فى حياتى وجملها تسير على ما هى عليه الآن . فاننى عقب تلك الخطبة التى لم أحضرها انتظرت حتى وصل إلى القاهره وذهبت إلى مقابلته وشكرت له التصريح الجليل .

وحدث بعد ذلك أن اشتد الخلاف بين سعد باشا والوزارة القائمة فى ذلك العهد فحاربت هذه الوزارة الجرائد التى كانت تناصر الوفد وأقفلتها واحدة بعد أخرى . فلما رأى الفقيد العظيم أنه لم يبق فى مصر جريدة تؤيده أرسل إلى يخبرنى بأنه يرغب أن أنقل جريدة الأهالى من الأسكندرية إلى القاهرة لتـكون لساناً للوفد المصرى فأسرعت إلى تلبية طلبه وسعيت لدى وزارة الداخلية فى نقل جريدتى إلى القاهرة دون أن أظهر لها بطبيعة الحال أنها ستؤيد الوفد المصرى وبعد مساع وجهود استمرت شهرين شديدين حصلت على التصريح واتخذت الاهبه بالاشتراك مع

---

(١) الهلال — أبريل ١٩٣٠ .

زميلي أحمد بك حافظ عوض في إصدار العدد الأول بدار المؤيد . وكان من رأيي أن يكون العدد الأول بلا لون سياسي خاص حتى يصح نقل الجريدة إلى القاهرة أمراً واقعيا ، ولكن المغفور له سعد باشا أبى إلا أن يصدر العدد الأول بلون الوفد السياسي فعملت برغبته .

ومكثنا إلى أن طرأ من الحوادث ما عطل جريدة الأهالي . ولكن مبدئي استمر في مناصرة مبدأ سعد كما تراه كل يوم في جريدة البلاغ .

التطور الصحفي

وتحدث عبد القادر حمزة عن تطوره الصحفي فقال :

بدأت الكتابة هاويا على صفحات جريدة المؤيد ، فقد كنت إذ ذاك في دمنهور وكان المرحوم قاسم أمين قد أثار موضوعه عن تحرير المرأة واندفع الكتاب والأدباء يناقشونه اعتراضا وانتصاراً ، وقد عن لي أن أكتب وأن اعترض على فكرة قاسم أمين سائراً في ذلك تيار التقاليد الجارف على حد طريقة تفكير ذلك الوقت .

وكان المرحوم الشيخ على يوسف يعرف أبي ويعرفني فأبيت أن تكون هذه المعرفة سببا في أن يسمح بنشر ما كتبته رغم أنه لا يستحق النشر ، فأرسلت كلمتي بتوقيع اخر . فوافق رئيس التحرير على نشرها ، فكشفت إذ ذاك عن شخصيتي له وتابعت الكتابة في المؤيد في المواضع الاجتماعية، ولكني إذ ذاك كنت أكتب هاوياً، فلما التحقت بمدرسة الحقوق التحقت بقلم تحرير اللواء وكنت أتقاضى أجراً على ذلك وحاول مصطفى كامل أن يغريني بترك الدراسة والتفرغ للتحرير في اللواء فأبيت .

وأفضل أن أكتب في هدوء وابدأ فيها بعد مطالعة صحف الصباح اليومية ويغلب أن استعرض الموضوع من تلك الصحف . وقد كنت أيام اشتغالي بتحرير

الأهالى فى الاسكندرية أكتب دائما على ضجيج آلة الطباعة لأن مكتبى كان قريبا من مكان الآلة .

وكانت تلك الآلة من الطراز القديم الذى يبدأ فى العمل منذ الصباح وقد ألفت ضجيجها وصار رنينها فى أذنى كأنغام الموسيقى ، واستكملت عادة الكتابة على صوتها إلى حد أنها كانت إذا انقطع دورانها لسبب ما كان يخيل إلى أن سلسلة أفكارى قد انقطعت .

وأنا أكتب عادة بالقلم الرصاص وأكثر من الشطب أثناء الكتابة إذ يبدو لى — فى نوع من الوساوس — أن تعبيراً آخر قد يكون أنسب من التعبير الذى اتخذته ، وقال انه لو بدأ حياته من جديد لما اختار غير الصحافة .

«ذلك إنى أميل إلى الصحافة لما فيها من المغامرات وقد لاقيت من هذه المغامرات الشىء الكثير ، ولكنها لم تضعف عزيمتى ولم تنل من رغبتى فى الصحافة بل على العكس طالما كانت هذه المغامرات حافزاً قويا إلى اطراد العمل .

ولقد كان شعورى دائماهو شعور الصحفى الذى يقوم بعمل يؤدى به خدمة عامة أو خدمة لوطنه على الأخص . ولقد كان هذا الشعور يزيد من رغبتى كل يوم فى الصحافة وينسيني متاعبها وشقاءها .

أحرج ساعاته الصحفية

وصور عبد القادر حمزة أحرج ساعة فى حياته الصحفية . فقال إنه كان يحرر الأهالى (الاسكندرية ١٩٢٠) وهاجم مشروع ملنر الذى كان مضمونه فرض الحماية على مصر .

ووزع على مساجد المدن خطباء يلقون على الناس خطبا يسفهون رأيى ويعيبونى أنا وجريدتى ثم خرجوا بعد الصلاة بمظاهرات .

وهجموا على الدار وأحرقوها فلما اقتحموا غرفته ورموه بالحجارة . قال لهم ماذا تريدون منى ، قالوا : نريدك لأنك غريمنا ، وتقدم بعضهم فعلا واعتدى عليه بالضرب بينما كان آخرون يشعلون النار فى باب الغرفة .

ولم يمض على هذا الحادث سنة ونصف حتى كانت البلاد كلها تقول بما كتب من قبل من أن مشروع ملنر ليس إلا حماية على مصر .

ووصفه « إبراهيم عبد القادر المازنى فقال :

اتصلت[1] أسبابى بأسبابه فى ١٩١٩ حين دعانى إلى العمل معه فى الاسكندرية ووافقت على أن يكون ذلك إلى حين، ثم اتصلت به بعد ذلك فى القاهرة حين دعانى إلى معاونته من الخارج فى جرائد الأفكار والرشيد والبلاغ فظللت أكتب له من الخارج سنوات ، ولى فى البلاغ الآن حوالى تسع سنوات وفى كل هذه المدة المديدة لا أذكر أن صوته ارتفع أو أن وجهه أربد من غضب أو أن لسانه جرى بكلمة نابية » .

* * *

وبعد فتاريخ حياة « عبد القادر حمزة » يمثل لونا متميزا من الكفاح فى سبيل الرأى، وقد اختار الدفاع عن رأى الوفد وسعد زغلول : ولا شك كان الوفد يمثل روح الشعب فى هذه الفترة

تخرج عبد القادر حمزة فى كلية الحقوق ١٩٠٣ ، وقد اشتغل بالمحاماة فترة وتركها نهائياً على أثر حادث معين ، ثم زاول الصحافة ١٩٠٧ بالتحرير فى الجريدة مع لطفى السيد . وعندما تألفت شركة لإصدار جريدة يومية بالاسكندرية باسم «الأهالى» أختير رئيسا لتحريرها فجعل منها صحيفة رأى ، فلما نفضت الشركة يدها منها تولى شأنها، وكان ذلك فى أثناء الحرب الكبرى الماضية وفى أعقابها قامت

(١) البلاغ ١٨ يوليه ١٩٤١

الثورة المصرية ونشأ الوفد برئاسة سعد زغلول ، واعتقل فريق من الزعماء ، وحضرت لجنة ملنر إلى مصر وحمل عبد القادر حمزة على هذه اللجنة، وكان واحداً من الصحفيين الذين عملوا على إحباط المشروع .

ولما عاد سعد زغلول إلى مصر طلب إلى عبد القادر حمزة نقل جريدة الأهالي إلى القاهرة فنقلها في ١٣ سبتمبر ١٩٢١ حيث مضى في تأييد سياسة الوفد وزعامة سعد. ثم عطلتها السلطة العسكرية في ٨ نوفمبر ١٩٢١ ستة أشهر، وفي هذه الفترة أصدر (المحروسة) التي عطلت في ١٦ فبراير ١٩٢٢ فأعاد الأهالي التي عطلت في ١١ مايو ١٩٢٢ تعطيلا نهائياً ، ثم أصدر (نداء الحرية) فعطلت وصودرت في يونية ١٩٢٢ ثم أصدر (الأفكار) في ٦ أغسطس ١٩٢٢ إلى ١٦ يناير ١٩٢٣ حيث حصل على تصريح باصدار البلاغ في يناير ١٩٢٣ وكان سعد زغلول معتقلا في جبل طارق فبعث إليه ببرقية رحب فيها بالبلاغ .

وذكر محمد ابراهيم الجزيري سكرتير سعد زغلول : إن عبد القادر حمزة كان الصحفي الوحيد الذي يقابل الرئيس كل يوم فيستقي معه موضوع مقال الغد ، وأكاد أجزم أنه لم يكتب في عهد سعد مقالا قبل أن يتحدث إليه في شأنه ، ولهذا كانت المقالة الرئيسة في جريدته معبرة دائماً عن سياسة الوفد » .

وقد كان عبد القادر حمزة أديبا له مترجمات وكتابات في المقتطف وغيره من المجـــلات وهو من المؤمنين بأن الصحفي يجب أن يكون أديبا . قال : الصحافة ليست هي الأدب بل هي أعم منه وأوسع . والأدب بضاعة من بضاعات عدة . لا بد للصحفي منها ولا ريب أنها بضاعة جيلة. ولكن إذا اقتصر الصحافي عليها وإذا هو برز فيها ولم يعط البضاعات الأخرى إلا القليل من عنايته لم يكن صحافياً .

وقد عاش عبد القادر حمزة فى محيط المعارك الحزبية فكان عليه أن يواجه كل صباح حزب الأحرار الدستوريين ، ولذلك كانت المعركة بين البلاغ والسياسة دائما مشتعلة الأوار . وكانت تتصل بالأشخاص أكثر مما تتصل بالآراء ، وكانت عبارات الهجاء القاسية تصدر من الجانبين .

وقدهاجمت البلاغ حكم محمد محمود إبان وزارته الأولى يوليه ١٩٢٨ وهاجمت حكم صدقى فى أوائله (يونيه ١٩٣٠) ثم تحولت عن الوفد ١٩٣٢ .

ولعل أعظم المعارك التى دخلتها البلاغ وحمل لواءها العقاد مع عبد القادر حمزة هى مهاجمة حكومة الوفد ١٩٣٧ ، الأول بعباراته القاسية ونقداته اللاذعة وهجاءه المرير والثانى بأسانيده ووثائقه ومقالاته الهادئة التى تجرح ولا تسيل الدماء حتى سقطت وزارة الوفد فى ١٩٣٧/١٢/٣٠ وتولى محمد محمود الحكم وأجرى معه فى خلال هذه الفترة عدة تحقيقات (يونيه — سبتمبر سنة ١٩٣٧) وقد أنعم على عبد القادر حمزة فى ٢/٣/ ١٩٣٨ رتبة الباشوية .

وقد أشار لطفى جمعه[1] أن عبد القادر حمزه كان موفقا فى السنوات العشر الأخيرة من حياته (١٩٣٠ — ١٩٤٠) أكثر من توفيقه السابق (١٩٢٠ — ١٩٣٠) فلم تبطره النعمة ولم يستخفه الغنى ولم ينظر إلى الصحافة نظرة التاجر إلى السلعة وأبى أن يتخذ من دار البلاغ مبنى يستغل ويستثمر ضنا بكرامة الفكر والأدب .

وقال لطفى جمعه أنه كتب فى البلاغ أكثر من سبع سنوات متتالية « فما ناقشنى ولا راجعنى » .

---

(١) البلاغ — ٢٢ يونيه ١٩٤١

وأشار مصطفى أمين إلى دور البلاغ فى هذه الفترة التى نؤرخها فقال[1] :
يكفى أن نذكر البلاغ أيام عبد القادر حمزه . يكفى أن نذكر أنها تحملت سياط الطغاة واختطفت منهم السياط لتشبعهم بعد ذلك ضربا ، حتى سقطوا مضرجين فى طغيانهم !

يكفى أن نذكر أنها قاومت بطش الحكام الذين جعلوا الصحافة كأحجار الطاولة وتضرب وتحبس وتنزع فدفنتهم البلاغ فى القبور التى حفروها لحرية الصحافة . يكفى أن نذكر أنها استطاعت أن تهزم هؤلاء الطغاة فى كل معركة واجهتهم فيها . يكفى أنها واجهت العواصف وحيدة مؤمنه ترد الضربة ضربتين واللكمة عشر لكمات ولكنها لم تسقط أبداً فى المعركة » .

---

(١) أخبار اليوم — ١٩٥٣/١٢/٢٦

كوكب الشرق

١٩٢٤ — ١٩٣٩

• أحمد حافظ عوض

(١٨٧٧ — ١٩٥٠)

- صحيفة الوفد الثانية ، لها طابع يختلف عن البلاغ ٠
- ربطت نفسها بالعالم الاسلامى على طريقة المؤيد
- عاشت الصحيفة حياتها فى وصف الوفد
- جمعت إلى النقد السياسى الجاد ، السخرية الفكهة

كوكب الشرق

صدر فى ٢١ سبتمبر ١٩٢٤

الصحيفة الوفدية الثانية بعد انفصال الأخبار عن الوفد : كان صاحبها أحمد حافظ عوض من قدامى الصحفيين الذين شهدوا المرحلة الأولى وشاركوا فى تحرير المؤيد ، وكان يعمل مع عبد القادر حمزه فى البلاغ ثم أصدر كوكب الشرق لسانا من ألسنة الوفد ، عمل معه بها الدكتور جورج طنوس والدكتور محمد أبو طايلة ومحمد بيومى الجنيد وعباس حافظ ،وقد حملت كوكب الشرق فى ميدان السياسة الحزبية تدافع عن الوفد وتهاجم خصومه ، غير أن أسلوب حافظ عوض كان يختلف شيئاً ما عن أسلوب حمزه .

لقى كوكب الشرق العنت فى فترات حكم خصوم الوفد وفى مقدمتها حكم محمد محمود وإسماعيل صدقى، وكتب بها طه حسين بعد أن تحول من حزب الأحرار الدستوريين إلى الوفد واستقبله حافظ عوض بصفحة كاملة من التقدير والاعجاب ، بينما كانت جريدة كوكب الشرق هى الصحيفة التى فتحت صدرها لمهاجمة طه حسين أبان معركة الشعر الجاهلى ١٩٢٦ وأفسحت فى صفحاتها لمقالات غاية فى العنف كتبها مصطفى صادق الرافعى وغيره من خصوم الأحرار الدستوريين .

وقد صور حافظ عوض هدف الصحفى بأنه العمل لرفع مصر إلى مستوى الأمم المستقلة استقلالا صحيحاً ، وقال : إذا قلنا مصر فإنما نقصد مصر الكبرى من البحر المتوسط إلى بحيرة فكتوريا نيانزا . وقال أن للكوكب مع هذه السياسة المصرية الوطنية سياسة إسلامية وسياسة شرقية عربية، فهو يواصل داعيا إلى النهضة العربية باذلا كل الوسائل فى الدعوة إلى الجامعة الفكرية الشرقية وقال

أن للكوكب مهمة أخرى أن يكون مجموعة آداب وعلوم وباقة ثقافة وظرف وفكاهة (٢٠ سبتمبر ١٩٢٦) .

وقد افتتح حافظ عوض صحيفته فى ١٠ أغسطس ١٩٣١ بعد التوقف والمصادرة بعبارات تكشف عن مدى العنت الذى كانت تواجهه الصحافة المعارضة – وكان ذلك أبان حكم إسماعيل صدقى قال : أن الصحفى الذى تنحط على رأسه صواعق الاستبداد ، وتوضع فى طريقه الاشواك والعثرات ، ويتلقى وحده أشد الصدمات وعليه تنزل انكى النكبات ، ويكتوى بأحر نيران الانقلابات . هذا الصحفى إذا سمح له باستئناف أصدار صحيفة فى جو لا تسوده الحرية طليقة من القيود يكون مع ما يطالعه من صنوف الأذى وصور بشعة من ضروب العنت والتنكيل ، يكون مع ذلك موضعا للشكوك ومرتعا خصبا المتظننين والمتقولين ، إذا هو تلطف فى الانتقاد ولف قوارص الكلم فى أطار من نواعم اللفظ وأن تكن فى الواقع مريرة المذاق شديدة الايلام بالغة من الانتقاد غاية لا يبلغها فاحش القول وسوق الكلام .

إذا هو فعل هذا كما يفعل ربان السفينة وقائد العمارة الماهر أبان المعارك البحرية الحامية اتقاء المخاطر والمهالك ، وحتى إذا عنت له فكرة طريقة قصر عن أدراك مغزاها فهم ثرثار متفهيق ، لفرط غبائه وعمى بصيرته وجمل من مطالمة الصحف الناس بالرأى الحصيف قادة يلوك منها النقد الباطل والتجريح الفاسد . كانما لا يكفى الصحف ما تعانيه حتى يراد على النزول إلى حيث يرضى الثرثارين والمبطلين . وفى هذا من الايلام لنفس الصحفى الشريف الأبى ومن التكدير لصفو خاطره ما فيه » .

* * *

واصلت جريدة الكوكب رسالتها فى صف الوفد حتى نهاية عمرها فلم يتحول حافظ عوض عن الوفد طوال حياته — كما تحول عبد القادر حمزه بل لقد هاجمت كوكب الشرق البلاغ بعد انفصاله عن الوفد وجرت بين الصحيفتين القديمتين أسباب الخلاف والسجال بالاتهام والكشف عن عورات الماضى وعنيت كوكب الشرق بالفكر والأدب وافردت له صفحة وكانت حفيه بالشاعر شوقى .

عطلت كوكب الشرق مرتين : الأولى فى ١٦ مارس ١٩٢٩ فى عهد حكومة محمد محمود وفى يناير ١٩٣١ فى عهد حكومة إسماعيل صدقى ·

وقد أشار حافظ عوض عند عودة صحيفة إلى الصدور بعد استقالة وزارة محمد محمود (٣ نوفمبر ١٩٢٩) إلى (دور الصحافة فى عهد الديكتاتوريه) فقال :

«هناك ذهب المعز يعطى من مال الأمة أجراً للسياسيين الشتامين النهاشين لأعراض الكرماء الشرفاء الذين توصد دونهم أبواب العمل لخير مصر ليشيدوا عامد الذين وأدوا الدستور لإحياء الدستور ، وعطلوا الحياة النيابية لأنقاذ الحياة النيابية بل ليضيفوا إلى ذلك سب الأمة وامتهانها ووصفها بكل ما يمكن أن توصف به أمة » ·

* * *

وفى قضية كوكب الشرق (١٩ يناير ١٩٣١) التى اتهم فيها حافظ عوض وعباس حافظ بالنيل من حافظ رمضان والحزب الوطنى دمغت النيابة الصحافة الحزبية بالاساءة وقالت : أن الأسلوب الذى كتب به المقال أسلوب نأبى أن نتلوه على مسامعكم ، وقد جاء فى هذا المقال فى وصف رئيس الحزب الوطنى قول عباس حافظ : مخلوق يجلى كل يوم جلوه العروس · ويجيد تزجيج الحاجب ويطيل الوقوف أمام الزجاجة ويتخير لمساحيقه ويصطفى أحسن ظروف الطلاء لشفتيه » ·

كما وصفه بأنه «مخلوق يتساقط أنوثة · وأنه نصف رجل» ونعى وكيل النيابة على الصحافة السياسية العنف فى الخصومة والخلاف حتى يصل إلى هذا الحد من الضعة ·

أحمد حافظ عوض

واحد من إقطاب الصحافة الوفديه الاربعة بعد ثورة ١٩١٩ وهم عبد القادر حمزة وعباس محمود العقاد وحافظ عوض وتوفيق دياب وواحد من رؤساء تحرير الصحف الوفدية الاربعة : عبد القادر حمزه وتوفيق دياب وحافظ عوض ومحمود أبو الفتح .

لم يتحول عن عقيدته ومثله فى ذلك مثل الدكتور هيكل فى السياسة ومع الاحرار الدستوريين .

بدأ حياته (١٨٧٧ — ١٩٥٠) فى قصر الخديو مترجما ثم عمل مدرسا فى المعلمين العليا وعمل فى الصحافة مع على يوسف فى (المؤيد) قال : عرض على الشيخ على يوسف أن أعمل عنده بجريدة المؤيد كمحرر ومترجم فقبلت ذلك وأرسلت خطاب استقالتى إلى ناظر مدرسة المعلمين العليا فى مايو ١٨٩٨

ثم أنشأ مع أحمد محمود جريدة (المنبر) وتولى تحرير المؤيد بعد وفاة على يوسف ثم أصدر كوكب الشرق بعد الحرب العالمية الأولى . عمل فى الصحافة ٤٧ سنة .

من رأيه : أن الصحافه تفتح أبواب الحياة لمن يخدمها . ويرى أن الصحفى لا يجوز له أن يبقى صحفيا طول حياته بل يجب عليه أن يتحين الفرصة للخروج منها وإلا قضت عليه ويرى أن الصحفى يجب أن يعيش فى العالم كله .

بدأ عمله الصحفى مترجما فى جريدالمؤيد فقدكان يتقن اللغة الإنجليزية ، ولكنه عرف بأكثر من أسلوب فكان يترجم ويكتب المقالات السياسية والتعليقات الصغيرة الفكهة التى يوقعها بإمضاء (محمدين) أو (محمد واحد) .

قال مترجموه إن أسلوبه فى الترجمة كان سهلا بسيطا موجزا ،وفى المقال السياسى جزلا،أما أسلوبه فى التعليقات فيعتمد على السجع والنكته والاستشهاد بالاقوال المأثورة .

كان قد اخرج: بعدالحرب مجلة خيال الظل : مجلة هزلية فى السياسة بالصور والألوان وهو لون لم يسبقه إليه إلا محمد توفيق فى مجله (حمارة منيتى) التى كانت تحمل على الشيخ محمد عبده وكانت إحدى محاولات الوفد لمواجهة جريدة الكشكول.

وقد وصف عباس حافظ صديقه حافظ عوض بالإبداع فى النكته السياسيه وأنه خير من روى طرائف البابلى .

وقد تحولت هذه الطبيعة الساخرة فى الصحف اليومية إلى بابه الذى كان يوقعه بإمضاء« محدين »وقدصور حافظ عوض هذه الخاصية فيه فقال « إنى لا أجد من اللذة للتفش واللذع الا فى اشتداد الكرب والصراع والنزال . والآن وقد صفا الجو وائتلفت الاحزاب فاعساك أن تسمع منى من النكات فى نعمان الأعصر أو فى أحمد الشيخ أو فى عبد العزيز فهمى أو فى عبد الحميد سعيد مثلا ، فانا إذا سكت أشبه بالشاعر الذى سالوه لماذا لايقول الشعر كثيراً فأجاب : وماذا أقول وباب البواعث والدواعى مغلق »

اصدر حافظ عوض جريدة المنبر (بالاشتراك مع محمدمسعود) ثم عمل فى المؤيد ثم رأس تحريره عامين وقد اعتقل أبان الحرب الأولى فعكف على تأليف كتاب فتح مصر الحديث .

وبعد الحرب الأولى اشترك فى الأهالى والمنبر . ثم اتفق مع الياس زياده على أن يتولى اصدار المحروسة حتى أصدر الكوكب فى ٢٠ سبتمبر ١٩٢٤

استحدث فيه أبوابا جديده لم يكن للصحافة بها عهد . وفى أيام حكم اسماعيل

صدق كان يبتكر الحيل لاصدار الكوكب . يقول عباس حافظ : إنه كان يخرج الكوكب من المطبعة والجنود على الأبواب وقوفا لمنع خروجها فاذا هو يحمل العمال يقفزون بها اكداسا مكدسة من فوق الاسطح ويلقون بها إلى المتعهدين في الأزقه المجاورة .

ووصف حافظ عوض بأنه أوتى ملكه صحيفة نادرة ، هى ملكه التقاط الاكفاء ، وكان قادراً إذا قال له رئيس جمع الحروف إنه بحاجة إلى مواد لسد فراغ ثلاثه انهار ، على أن يقدم له هذه المواد .

يقول حافظ عوض في حديث له مع آخر ساعة (١٨ ابريل ١٩٤٤) إن خمس شخصيات مصريه أثرت في حياته : مصطفى كامل وعلى يوسف ومحمد عبده وعباس حلمى وسعد زغلول .

ويرى أن الشيخ على يوسف « كان شخصية غريبة الأطوار ، لم يكن متعلما وكان ينظم شعرا رخيصا ولم يكن يعرف أين تقع أمريكا . إلا أنه بمران قليل صريع صار يكتب المقال القيم فى ربع ساعة . وكان مقاله يملأ الصفحة الأولى من المؤيد وفيه يناقض كبار السياسية المصرية والاجانب بالحجة القويه فيغلبهم ، واتصل بالخديو فكان صاحب الكلمة النافذة عنده ولم يكن يعرف غير اللغة العربية ومع ذلك كان كثيرا مايترجم من الصحف الأجنبية .

ويرى أن الشيخ محمد عبده هو أعظم شخصية عرفها اخلاقا وعلما وجرأة واخلاصا فى اصلاح حال المسلمين .

وقد صور علاقة الشيخ محمد عبده بالخديو[1] وكرومر فقال إن الخديو كان يلجأ إليه ويستعين به ولكن الدسائس اشتدت بين الطرفين حتى وصل الحال بينهما

(١) كوكب الشرق (آثار اقدام فى رمال الزمن) — ١٩٢٧/٧/٣٠

إلى الكراهية الشديدة والحقد والرغبة من جانب الخديو إلى القضاء على الشيخ الأمام واخراجه من الافتاء والأزهر ، فلم يكن فى وسع الامام احتفاظا بما يعمل له لخدمة الأزهر والاصلاح ،ومايقوم به فيما يلزم لوطنه إلاأن يعتمد على من يكون فى إمكانه صد اعتداء الخديو عليه ، ومن كان فى مصر يستطيع ذلك غير اللورد كرومر .

وقال: أنالشيخ كان فى كثير من الأحيان لايسلم للورد كرومر بما كان يرمى إليه فى أمر من الأمور ، وأنا أعتقد شخصيا انه كان للشيخ محمد عبده سلطة على اللورد كرومر آتية من طريق الثقة .

ولولا ذلك الخلاف ماوجد الفريق الذى كان معاديا للخديو من المصريين وفى مقدمتهم الفريق الذى تألف منه حزب الأمة وكانت الجريدة .

ويرى حافظ عوض إن الاسلوب الصحفى يجب أن يتمشى مع الروح الفكرية المصرية فى البلد ، فهو يتطور فى كل فترة من الزمن بما يتناسب معه ، ولا يبعد أن نرى الاسلوب الصحفى بعد خمسين سنة فى مصر بعيداً عن الاسلوب الحاضر

ويقول حافظ عوض[1] أن أول صلة له بسعد زغلول عندما كانت ولى وزارة المعارف وقد أخذ الشيخ عبد العزيز جاويش يهاجمه فى سلسلة مقالات فى جريدة اللواء تحت عنوان (ظلموك ياسعد) فرددت عليه تحت العنوان نفسه فى جريدة المنبر قاصداً أن الذين يهاجمونه إنما يظلمونه وقابلت سعد باشا بعد عودته من أوربا وانضممت إليه .

(١) آخر ساعة — ١٨ ابريل ١٩٤٤

الجهاد

١٩٣١ — ١٩٣٨

: محمد توفيق دياب

* صحيفة الوفد الثالثة . لها طابع خاص يختلف عن البلاغ والكوكب .
* عنيت بالعالم الاسلامى وقضايا الأمة العربية .
* عرفت بالأسلوب الخطابى العاطفى الذى اشتهر به توفيق دياب .
* أدخلت ألوانا من الأبواب المختلفة الجديدة .

الجهاد

صدر فى ١٧ سبتمبر ١٩٣١

هذه هى الصحيفة الوفدية الثالثة ، لها طابع الصحف الحزبية الوفدية ، من حيث إرتباطها بطابع صاحبها ومحررها : توفيق دياب . وبها أصبحت الصحف الوفدية ثلاثة : البلاغ . كوكب الشرق . الجهاد .

وكان صدور الجهاد بعد عديد من الصحف التى أصدرها توفيق دياب وأغلقت واحدة بعد الأخرى، وهى من الصحف التى واجه بها الوفد عهد اسماعيل صدقى الذى هو أسوأ عهود هذه الفترة فى تكميم الحريات وقد لقى صاحبها فى سبيل الدفاع عن رأيه عنفا وسجنا ومحاكات .

وأخذت الجهاد طابع الدفاع عن قضايا العالم العربى والاسلامى وأفسحت صدرها لابحاث ودراسات لشكيب أرسلان وعبد الرحمن عزام وغيرهم .

وكتب بها عباس محمود العقاد ومحمود عزمى وفريد وجدى كما حرر بها طه حسين بعد إنضمامه للوفد وخروج العقاد منه وكانت كتاباته أدبية وعرفت بحجمها الكبير وتبويبها القريب من تبويب الأهرام ، وقد عنيت بصفحات الأدب والاقتصاد والمنوعات (كل شىء) وكانت تفرد صفحة كاملة للصور .

وقد كان لتوفيق دياب أسلوبه الخطابى العاطفى : يتمثل ذلك فى مقاله الذى سجن من أجله أبان عهد صدقى باشا (الجهاد ٢٦ ابريل ١٩٣٢) .

« نعم أوشكت الصاعقة التى يسمونها سد جبل الأولياء أن تنقض على رأس مصر والمصريين وسيرجع الفضل الخالد فى هذه النكبة الخالدة إلى صدقى باشا فى البداية وإلى برلمانه فى الختام .

ولا تنس أن هذه الكثرة المتهافتة على تأييد البلاء الدائم أبى لها تفانيها فى متابعة الوزارة إلا أن ترفض حتى مجرد إلقاء السمع لرجال الفن من خصوم المشروع فبعد أن أقبلت اللجنة بسمعها المرهف وبصرها المتشوف وفؤادها المتلهف على كل جد وهزل وحق وباطل ، تجود به شفاه الأبطال من مجندى الكارثة رفضت أغلبية اللجنة البرلمانية الصدقية أن تعير المعارضين الفنيين مثقال ذرة من عنايتها الكريمة السمحاء فضربت من دونهم على سمعها حجابا ، وعلى بصرها غشاء وعلى قلبها أسداداً غلاظا بعضها فوق بعض .

ماذا فعلت اللجنة الصدقية البرلمانية . هل خلعت منظار الصدقية المظلمة ساعة أو دقيقة ، لتلبس منظار المصرية المنيرة ، وهى تنظر فى كارثة لن تقع حين تقع على حزبى الشعب والاتحاد وحدهما ، وهما من هذه الأمة كالذرة فى الطود أو القطرة من العباب .

إذن ماذا يدفع هذه الضمائر إلى المغامرة بحياة الأمة ، أهو أن يشتروا بهذا الثمن المروع بقاء وزارتهم فى الحكم وبقاء أنفسهم فى خلاله شهوراً أو أعواما أو دهوراً .

وأنها لصفقة ليس يقدم عليها مصرى وفيه ذرة من الرحمة بنفسه وعشيرته ووطنه ، أو ذرة من تقدير الأشياء بأقدارها ولو كان كل يوم يقضونه فى الحكم ألف عام من أيام النعيم فى جنات الخلود .

أى ضمير يطاوعكم على أن تسلموا عنق مصر إلى السيف الانجليزى اعتماداً على مجرد حسن الظن بالانجليز ، وأى عاطفة تطاوعكم على أن تجعلوا كارثة جبل الأولياء لعبة عن الألاعيب الحزبية ووسيلة إلى مكايدة خصومكم من المواطنين ومصافاة حلفائكم من الغاصبين .

وأى عقل يهديكم إلى التردى بمصر فى هذه الهاوية ... » .

* * *

وقد صور توفيق دياب فى افتتاحية العالم الثالث للجهاد (١٧ سبتمبر ١٩٢٣) ما تلقاه الصحف المعارضة للحكومة من عنت والدور الذى قام به الجهاد فى معركته مع أحزاب الأقلية : قال :

الصحافة المصرية المعارضة مقياس من أصدق المقاييس الظاهرة للحركة الوطنية أو للحياة المصرية من وجهة عامه .

تستهدف للمصاعب والشدائد التى تستهدف لها الحركة الوطنية فى مراحلها الكثيرة ، كل ما يصيب الأمة من عسف أو مقاومة فهو يبدأ بالصحافة أو يظهر عليها الصحافة المعارضة تمثل ذلك لأنها الحركة الوطنية ولأنها فى محل الأقلام ومعرض الآراء ووسيلة التعبير عما يخامر الصدور من المطالب والآمال . ويحس منها من الآلام والشكايات .

تستطيع أن تسبر غور الحياة الوطنية بما ينشر من أخبارها فى الصحف المعارضة وبما لا ينشر .

ولكن قلما نشاهد فى العالم كله الآن صحافة أخبارية إلا وقد أصبح فيها نشر الأخبار صناعة مستقلة عن الدعوة الوطنية والشعور القومى .

أما فى مصر فلا تزال أخبار الصحف المعارضة هى أخبار القضية الكبرى ولا تزال أخبار القضية الكبرى هى أحكم الصلات بشعور الأمة وأشواقها القومية .

ولا يعرف حظ الأمة من الحرية أو العدل أو من الأمر والجور بعنوان أصدق من عنوان الصحافة فى جميع حالاتها » .

محمد توفيق دياب

كتب توفيق دياب أولى مقالاته الصحفية ١٩٠٨ من لندن فى جريدة اللواء أبان تولى عبد العزيز شاويش رئاسة تحريرها ، وكان موضوعه (الطلبة المصريون قوة مصر إذا أرادوا) ثم بدأ يكتب عام ١٩١٠ أسبوعيات «فى الجريدة» عنوانها (المدنيتان) ظهر منها ٢١ مقالا فى الجريدة بامضاء (محمد توفيق بجامعة لندن) ثم نقل موضوع (المدنيتان) إلى المؤيد عام ١٦١١ كما كتب المقطم .

غير أن حياته الصحفية بدأت فعلا فى جريدة الأهرام حيث كتب بها تحت عنوان «اللمحات» فى سبتمبر ١٩١٩ وهو بهذا يعد من ذلك الرعيل الذى كتب فى الأهرام فى مطالع هذه الفترة كالعقاد وطه حسين وهيكل ومحمود عزمى ومحمد صبرى .

وكانت « اللمحات » تنشر فى الصفحة الأولى من الأهرام وهذا نموذج منها: «أن لى من صفاء نيتى ونبل مقصدى شفيعاً لدى المنصفين من قرائى ، هذا وإذا التهبت فى كلامى حرارة الغضب أحيانا فإنما للحق والمصلحة العامة أغضب ، وإذا اشتدت مرارة اللوم، فلأن العمل السيء جدير بأن يقابل بالصاب والعلقم . وإذا ضحكت فى لمحاتى أو ابتسمت فلا تحسبونى محض هازل فإن فى طوايا المزح كثيراً من الجد ، على أن المجال قد اتسع لى منذ استقلت . لن تكون اللمحات الجديدة مقيدة بقيود الموظفين ولا مختصة باللوائح والقوانين . أصبح قلمى يخط لفظ السياسة ومشتقاتها من غير أن يتعثر .

وقد ترك توفيق دياب جريدة الأهرام إلى جريدة السياسة عند إنشائها فى أواخر سنة ١٩٢٢ حيث كتب بها على مبادىء الأحرار الدستوريين واستمر بها حتى عام ١٩٢٨ عند ما صدر قرار وزارة الأحرار الدستوريين برئاسة محمد محمود

الخاص إيقاف الدستور والحياة النيابية ثلاث سنوات ، هنالك صمم على أن يعارض الحكومة ، فكتب مقاله المشهور فى الأهرام « من الأعماق » هاجم فيه الوزارة والحزب الذى كان يعمل معه وأعلن فى هذا المقال حق الأغلبية بزعامة الوفد فى الحكم .

وكان توفيق دياب فى هذا الوقت يعمل فى الجامعة فاستدعاه سكرتيرها وقال له : ألا تعلم أن القانون يحرم على الموظفين الكتابة فى الصحف فقال توفيق دياب : ولكن الدستور أبو القوانين قد عطل فلماذا أعامل طبقا لقانون اعتقد أنه لا وجود له . واستقال من الجامعة وانضم للوفد .

بين الوفد والدستوريين

عمل توفيق دياب فى صف الأحرار الدستوريين ودافع عنهم وهاجم الوفد ؛ وهذا نموذج لاتجاهه فى تلك الفترة (١٠/١/١٩٢٣) .

أى صبية مصر من أقصاها إلى أقصاها صبى واحد قد صغر لبه إلى حد أن يعقل هذا الهراء ، لنسأل الرجال الراشدين هذا السؤال فهو لهم إهانة ، الحق أن حملة الأقلام التجارية قد أعيتهم الحيل فى محاربة الأحرار الدستوريين فأصبحوا لا يكتبون إلا حماقات ولغوا . وأنهم ليعلمون علم اليقين أن الأحرار الدستوريين منذ تألف حزبهم وظهرت جريدتهم كانوا وما زالوا أشد الناس حرصاً على إلغاء الأحكام العرفية وإصدار الدستور » .

غير أنه لم يلبث أن اختلف مع الأحرار بشأن الدستور ، وطالبهم أن يتركوا الحكم للأغلبية ، وذلك على أثر تعطيل الأحرار الدستوريين ، وذلك فى مقاله الشهير الذى نشره فى الأهرام ٣١ يولية ١٩٢٨ تحت عنوان (من الأعماق) وقال فيه :

أمس يوم ١٩ يوليو ١٩٢٨ يوم حالك السواد فى تاريخ مصر الحديث فقد حجبت فيه شمس الحياة النيابية وحكمت عليها باستمرار الحجاب ثلاث سنين على الأقل ، فإذا بدا للحكم المطلق بعد انقضائها أن البلاد قد أصبحت جديرة بنور

الشمس أنعموا بهعليها من جديد، وإلا طال الظلام مرة أخرى وإلى مدى غير معلوم.

لماذا لا تتركوا الحكم لأعضاء الكثرة البرلمانية أيها السادة المصلحون حتى يتبين الناس خطأهم إن كانوا يخطئون وجورهم إن كانوا يجورون ومواضع الفساد في أعمالهم إن كانوا يفسدون.

لقد فعلتموها بالأمس ولم يفعل مثلها زيور، وإنما فعل مثلها الانجليز بمجلس نوابنا القديم على أثر الثورة العرابية، وعزيز على مصر أن تطعن في حياتها مرتين إحداهما بيد المحتلين منذ عشرات من السنين واليوم بين وزيرنا وكيل الأحرار الدستوريين وفيلسوفنا شيخ الديمقراطيين (يقصد محمد محمود ولطفي السيد).

وقد هاجمه خصومه من بعد واتهموه بأنه كتب ألف مقالة ضد سعد زغلول وأنه كتب منشورات السلطة العسكرية وعمل بالمخابرات الانجليزية، ولم يكن ذلك إلا لأنه عمل في الأمن العام عاما واستقال في أواخر ١٩١٨.

* * *

وقد عرف بحرارة العبارة وقيل ان له عنايه تفوق الوصف بالمناوين، وأنه يملي مقالته حيث يتمشى في الغرفة جيئة وذهابا، وعرفت كتاباته بحرارة العبارة والبلاغة واللهجة الخطابية. والأسلوب الحار العنيف المتدفق.

وقد كانت أكبر مواقف توفيق دياب في حياته الصحفية:

(١) موقفه عند ما ترك صحيفة الأحرار الدستوريين وهاجمهم في الأهرام واستقال من الجامعة وانضم للوفد وذلك على أثر تعطيل الدستور.

(٢) موقفه في الهجوم على إسماعيل صدقي وعهده وتعرضه للمحاكمة والسجن وقد اضطرته الظروف إلى مهاجمة العقاد على أثر انصرافه عن الوفد واتصال طه حسين بالوفد قبل ذلك بقليل وهذه عبارة الهجاء السياسي في هذا الموقف:

«شاء الله أن ينزل طه إلى ميدان الصحافة الوفدية مجاهدا وهنا استمرت في

صدر العقاد نار الحسد لطه والحقد عليه فلم يكن ليسع طه إلا أن يحذر ندوة العقاد فيه بالتبرع له بلقب أمير الشعراء . ولـكن طه خبير بالنفسيات ولقد علم أن العقاد طفل وإن يكن كهلا . وطفل مدال أفسده الدلال »[1]

صحف توفيق دياب

أصدر توفيق دياب جريدة « اليوم » على مبدأ الوفد التى واجهت عهد صدقى باشا فعطلت ثم اشترك فى تحرير جريدة الضياء حتى أصدر « الجهاد » فى ١٧ سبتمبر سنة ١٩٣١ التى ظلت تصدر حتى عطلها بنفسه عام ١٩٣٨ بعد أن بلغت ديونها عند اغلاقها ١٥ ألف جنيه وكتب مقاله الذى قال فيه « نظرة إلى ميسرة » وقد ظلت جريدة الجهاد إلى آخر أيامها على مبادىء الوفد، وتعد جريدة الجهاد المرحلة الحقيقة لعمله الصحفى فقد واجه بها عديدا من المعارك والامتحانات والتحقيقات .

وكان أهم هذه المعارك قضية الخطابات المزورة متى نسبت الجهاد فيها إلى رئيس الوزراء (صدقى) إنه بعث رسائل إلى مأمورى الأقسام يطلب إليهم فيها تزوير الانتخابات لصالح ممثلى حزب الشعب وقضت المحكمة بالـــبراءه ولـكن عبد العزيز فهمى رئيس محكمة النقض ألغى الحـكم وأمر بحبس توفيق دياب ستة أشهر مع ايقاف التنفيذ وبعد شهر واحد اتهم أنه نشر فى ٢٦ و٢٧ ابريل ١٩٣٢ فى الجهاد مقالين فيهما أهانه لمجلس النواب واللجنة البرلمانية المؤلفة لفحص مشروع سد جبل الأولياء « إذ نسب إليهما المقامره بحياة مصر والميل إلى إقرار المشروع لغرض بقاء الحـكومة الحاضرة (حكومة صدقى) فى الحـكم وبقاء أعضاء البرلمان شهوراً أو أعواما .

وقال ممثل النيابه : إن فى المقال إهانات واضحة ، فالـكاتب قد وصف أعضاء البرلمان بأنهم قوم لا ضمير لهم وإنهم فى سبيل بقاء الوزاره القائمة فى الحـكم يضحون.

---

(١) الجهاد ٢٤ سبتمبر ١٩٣٥

بمصلحة وطنهم وتراث أجدادهم غير مبالين بما يجنون بفعلتهم على الأجيال القبلة»

وكان ممنى الحكم عليه بثلاثة أشهر مع الشغل وتمريمه خمسين جنيها أن يضاف إليه الحكم القديم . فأصبحت عقوبة السجن تسعة شهور .

وما كاد السجن يغلق على توفيق دياب حتى نقل إلى حجرة بغير سرير أو اضاءة كهربائية .

وتحركت الصحف المصرية كلها للدفاع عن حق توفيق دياب فى العناية به فكتب البلاغ والسياسة والأهرام فى هذا الشأن، حتى سمحت الحكومة لتوفيق دياب بالنوم على سرير واضاءت له حجرته داخل السجن .

وفى خلال فترة سجنه كانت الجهاد تنشر صورته فى الصفحة الأولى يوميا وقد بدأ توفيق دياب حياته السياسيه سعديا ثم تحول إلى الأحرار الدستوريين ثم تحول مرة أخرى إلى الوفد .

وفى جريدة الأهرام ٢٦ نوفبر ١٩٢١ تحت عنوان حديث الصباح الذى كان يوالى كتابته يوميا قال: لاتسلموا «عدلى» وثيقة الاستقلال أيها الإنجليز فإنه لا يمثل الأمة والأمة لاتقبل الخير الكثير على يد عدلى . وتقبل الخير القليل على يد سعد ، سعد قدير على اقناع الأمة بقبول الاستقلال كما يفهمه معاليه ، ومعاليه ليس بالطماع ولا بالمغالى » .

وقد صور توفيق دياب كيف أنه أطلق الجهاد عام ١٩٢٨ «بعد أن شق بضميره عن أن يجشمه مالا يحتمل » وكان قد استمر فى الصدور ثمانية أعوام - وفى الصوره التى رسمها توفيق دياب للمشاق التى كابدها فى سبيل اصدار صحافة نظيفة، ومقاومة أهواء التيارات المتقلبة التى كانت تسيطر على الصحافة المصرية فى ذلك الوقت مايكفى لكشف حقائق هذه الفترة ؛ ومن أمثلة ذلك :

× الشركات ذات النفوذ، التي تحاول أن تتخذ من الصحف نصيرا لها ضد الحكومة .

× أخبار الاقطار المختلفة التي تقدم من جهات استعمارية تحاول أن تدافع عن الظلم الذي يلحق بهذه الاقطار .

× الجهات الاجنبية التي تحاول شراء الصحف لاستخدامها عند الحاجة في نشر خبر أو كلمة وهذه كلمة توفيق دياب:

« وأدت جريدتي بيدى »

توهجت في صدرى شعلة من الحماسة للدستور عام ١٩٢٨ فطارت وهجها من نومة الوظيفة إلى خشونة النضال . وكلما ألغت السلطة صحيفة شفعناها بأخرى أرفع منها صوتا وأبلغ أثراً وإقبال الجمهور يضاعف على كل وليده جديدة بعد احتجاب اختها الشهيدة، حتى بلغ ما أكلته تلك الحرب ثلاث عشرة جريدة في أقل من ثلاث سنوات . كانت صحيفة الجهاد كبرى جرائدى وأطولها عمرا وأوسعها انتشاراً في مصر وسائر بلدان العرب وأدتها بيدى فداء لضميرى .

حجبت جهادى بيدى ، وأنا أعلم علم اليقين إنى بذلك أحطم سيفا طالما تهيبه أقوياء وطالما انتصر به حق وانهزم به باطل .

لماذا حطمت سيفي بيدى ؟ لالشيء سوى أني حنبلي فزعت في مواطن الشبهات والريب .

كان محالا على مثلى أن أكفر برسالة الأخلاق لاستبقى جريدة الجهاد ولم يكن إلى بقائها من سبيل سوى الطوى والعوج ، سوى قبول الملل والمال الـكثير . إلا لم أقل الثراء المريض ، من جهات شتى تشترى الـكاتبين بالمال الـكثير

فهذه شركة غنية قوية ذات نفوذ بينها وبين الحكومة خصومة ناشبة ، والجهاد تنصر الدولة . لأنها تذود عن مصالح الجمهور فى العراك . وترسل الشركة مندوبها بعقد يتحلب لقيمته الضخمة لعاب الطامعين . عقد اعلانات لمدى عام ، اسطره قليلة وفتراته متباعده ، واجرته باهظة ، وان يكلف الجريدة إلا السكوت عن الحق . ورفض فى غضب واحتقار

وهذا بلد يحارب بلدا فيجنح « الجهاد » إلى الناحية المظلومة وينفر من الناحية الظالمة، ويزورنى مندب الظالمين يعرض ألوفا من الجنيهات لاشىء سوى أن أنشر برقيات الأقوياء كما أنشر برقيات المستضعفين ، فيأبى ابن حنبل ويصر على الاباء .

ويلق إحدى محاضراته على المندوب فى فضيلة الاخذ بيد الضعيف الوادع حين يعتدى عليه القوى القاهر ، فلا المندوب يقبل الفضيلة ولا ابن حنبل يقبل المال .

وهكذا رفض الجهاد بينه وبين ضميره مبلغا طائلا قد تقبل مثله كبرى جرائد العرب على أنه عمل صحفى مشروع ، وإنها برقيات تنشرها صحف الدنيا على الاطلاق دون أن أعرف من رجال البلد الفقير المظلوم أحداً أو أعلن تضحية الجهاد لاحد.
وتلك جهة أجنبية تريد إبداء عطفها على الجهاد فتحاول أن تبعث إليه بهديه مالية شهرية ، فى غير غرض ظاهر ولا عرض مفهوم ..

ورفض ابن حنبل فى أباء وشمم لان العطف المصحوب بالمال شراء للذمم من غير عقد

وصاحب الجهاد خلال ذلك مرهق باقساط شهرية تجاوزت قدرته وكان بعضاً منها ثمنا لأحدث ماعرف الشرق من مطابع الجرائد اليومية وآلاتها .

لقد خانه التقدير ولكن لم يخنه الضمير

لقد نزل عن تلك المطابع والآلات للدائنين . ونزل لبنك مصر الذى أعانه على شرائها عن أرض واسعة للبناء فى أحسن أحياء الجيزة ولكنه لم ينزل قط ، ولن ينزل ابدا عن جوهر الاخلاق التى آمن بها .

ولو شاء أن يضحى بذمته فى سبيل جريدته لكان اليوم فى عداد الاغنياء ظل «الجهاد» فى عداد الاحياء[1] .

(١) مجله الاثنين سنة ١٩٣٩ .

روز اليوسف

(اليومية)

(١٩٣٥ - ١٩٣٦)

- طابع جديد من الصحافة اليومية أشبه بالمجلات .
- كتب بها عباس العقاد ومحمود عزمى وإدارتها صاحبتها فاطمة اليوسف
- بدأت صحيفة للوفد ثم تحولت عنه وبذلك عاشت حياة قصيرة .
- دخلت فى معركة ضخمة مع الوفد وجريدة الجهاد ومكرم عبيد .

روز اليوسف اليومية

صدرت فى ٢٥ مارس ١٩٣٥

كانت مجلة روز اليوسف الأسبوعية إحدى صحف الوفد فى هذه الفتره ، وقد أغرى نجاحها صاحبتها السيدة فاطمة اليوسف إلى إصدار صحيفة يومية وصفتها بأنها « جريدة ميولها وفدية ومستقلة إلى حد كبير » .

وقد كانت صحيفة روز اليوسف التى لم تعش سوى عام وبعض من عام أكثر الصحف اليومية والحزبية تطوراً وابواباً ، وأحسنها إخراجا فقد نشرت أبواب الصفحة الشرقية والأطفال والأوراق المالية والسينما والشباب والمجتمع والنسائية والأزهر والكاريكاتير (ولم تكن الصحف اليومية قد عرفت قبل ذلك رسما كاريكاتيريا قط)

وكتب بها العقاد المقال الافتتاحى اليومى ، وصفحة أدبية كل أسبوع ، كما كتب بها محمود عزمى المقال الداخلى . قالت روز اليوسف فى مذكراتها : أن فكرى أباظه رفض أن يكون رئيسا لتحرير جريدة وفدية وهو عضو فى الحزب الوطنى . وأن محمود عزمى كان يحصل على ٦٠ جنيها و ٥٠ قرشا عن كل ألف نسخة توزع بعد العشرة آلاف نسخة الأولى . أما العقاد فقد اعترض عن أن تكتب فى جريدة تحمل إسم سيدة وقالت روز اليوسف أن إعتراضه كان منصبا على تسمية الجريدة باسم شخص أيا كان ولو كانت الجريدة تحمل إسم سعد زغلول نفسه . وأن العقاد كان مرتبه ٨٠ جنيها وكان مرتبه فى الجهاد ٧٠ جنيها .

وقالت : أن مكرم عبيد ظن أن جناح ماهر والنقراشى فى الوفد هو الذى دفعها إلى إصدار الجريدة إضعافا لتوفيق دياب وجريدة الجهاد التى يوجهها مكرم — ومما

يذكر فى هذا الوقت أن البلاغ كانت قد انفصلت عن الوفد — وأن أحمد ماهر كان يحرر فى كوكب الشرق .

وصورت روز اليوسف كيف حوربت جريدتها قالت « علمت أن بعض الصحفيين المنافسين يلجأون إلى طرق غير شريفة فيتصلون بباعة الصحف ويخفون بعض أعداد المجلة فلا يعرضونها فى السوق ، فإذا بها تجد نسخ العدد الصادر من روز اليوسف الأسبوعية موضوعة فى المخزن لم تنزل إلى السوق ، وذكرت كيف وجدت عديداً من المغريات لتحويلها عن طريقها قالت : أن دار المندوب السامى (البريطانى) عرضت عليها أن تدفع لها خمسة آلاف جنيه دفعة أولى ثم ألف جنيه شهريا لمدة طويلة إذا أوقفت الحملة نهائيا على وزارة نسيم باشا (واستطاردت تقول): كنت أعرف أن الحكومات وحدها هى التى تعرض على الصحف مصاريفها السرية ولكنى لم أكن أتصور أن السفارات أيضا تطرق هذا السبيل وتدخل إلى الصحف والرأى العام من هذا الباب .

ومن ناحية أخرى وجدت أن « جريدة المقطم تقف للأخبار والتعليقات التى تنشرها جريدة روز اليوسف اليومية بالمرصاد ، فيذهب كريم ثابت كل صباح إلى توفيق نسيم (رئيس الوزراء) وإلى مصطفى النحاس (رئيس الوفد) ليحصل منهما على تكذيب لما تنشره روز اليوسف .

وفى إحدى المرات قال له النحاس باشا : « نحن مبسوطون من هذه الوزارة » ونشر كريم ثابت التصريح كما هو فى المقطم وكانت المرة الأولى التى ينشر فيها تعبير « نحن مبسوطون » الذى اتخذ بعد ذلك سلاحا لمهاجمة النحاس .

وصادر توفيق نسيم روز اليوسف لأنها رسمته فى صورة كاريكاتورية يدوس الدستور وشن العقاد حملة هائلة على الهلالى باشا وزير المعارف تحت عنوان « وزير المعارف يحلم » وأشارت إلى الخلاف الذى قضى بانفصال صحيفتها عن الوفد بعد أن صدرت

باسمه ولسانا له . وكانت مهاجمة وزارة نسيم باشا مصدر هذا الخلاف قالت :

« أنني قد ضحيت مختارة كل ما أملك من مال ونشاط فى سبيل الوفد ، وقد لاقيت فى هـــذا السبيل كافة أنواع العسف والجور من مختلف الوزارات التى تقلبت فى الحــكم . ولم أكن ولن أكون يوما فى جهادى عن مصر وفى دفاعى عن الوفد مدفوعة بدافع غير الوطنية الصحيحة ، ولم أتخذ من هذا الجهاد وسيلة لأكل العيش . .

كان الوفد فى ذلك الوقت على درجة كبيرة من القوة يستطيع بها أن يقتل ى جريدة بمجرد إعلانه أنها خرجت عليه . وقررت روز اليوسف (الجريدة) أن تمضى فى خطتها التى ترى أنها تلتقى مع مصلحة الوطن لا كثر من سبب ومضت تهاجم تعطيل الدستور وتجيب الهلالى والمستشارين الانجليز .

وبدأت جريدة (الجهاد) هجومها فى روز اليوسف . وأطلقت فى حملتها على أسرة روز اليوسف اسم « فرقة روز اليوسف » وأجبنا على الحملة بأحسن منها ، وكان هجومنا على الجهاد من الناحية السياسية والوطنية .

وذهب الاشتباك بين العقاد وتوفيق دياب إلى أبعد الحدود فنشر الأستاذ دياب بحث بإمضاء طبيب أمراض عقلية يثبت فيه أن العقاد مصاب بمرض البارانويا والجنون . وفجأة دخل علينا العقاد ذات ليلة وهو يهدد صائحاً : سوف أقضى على توفيق دياب . وقال أن لديه مستندات خطيرة جدا سوف يكون فى نشرها القضاء عليه .

وطلبنا إليه أن يطلعنا على المستندات فرفض . وقال إنها سرية جدا ، وأنه يريد أن يذهب بها أحد موظفى الجريدة إلى محل زنكوغراف ليصورها ويعيدها إليه . ورضخنا لرغبته وتفرقنا عنه ، فلما تسلم المندوب المستندات ، استبدت

بنا الرغبة فى الـكشف عنها فلما رأى المستندات وقف ذاهلا ونادى على فذهبت إليه وتجمعنا فى الحجرة نتأمل المستندات الخطيرة جداً ونحن نـكاد ننفجر من الضحك . كانت المستندات تثبت أن الأستاذ دياب لم يكن يدفع للعقاد مرتبه فى مواعيده حين كان يعمل معه فى الجهاد — وهو كما ترى أمر غير خطير وليس فيه ما يشين الأستاذ دياب فى شىء . ولـكن العقاد ـ وله قلب طيب ـ حسب أنها مستندات خطيرة وكنا حريصين على ألا نغضبه فجاريناه فى نشرها . وكنا نتظاهر أمامه باهتمامنا بها فإذا تولى عنا انطلقنا ضاحكين » .

وقالت روز اليوسف فى مذكراتها ان النحاس باشا رأى فى إحدى الاحتفالات واحدا يحمل مجلة روز اليوسف فصاح فيه : ارم هذا الغلاف القذر .

وأشارت روز اليوسف إلى قرار الوفد بفصل جريدة روز اليوسف : لأنها اجترأت على نشر مقالات تتضمن الطعن على الوفد ومكانته فى الأمة (٢٨ سبتمبر ١٩٣٥) وكتبت روز اليوسف الخبر تحت عنوان (الوفد المصرى يحل القضية المصرية) ونشرت آية اتخذتها رمزاً لها « قد افترينا على الله كذباً إن عدنا فى ملتـكم بعد أن نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا . وسع ربنا كل شىء علما » .

كما حاصرت روز اليوسف مظاهرة وفدية وهتفت الجماهير ضد المجلة ومحرريها وخرجت روز اليوسف إلى الشرفة وهتفت بسقوط النحاس ومكرم وذكرت كيف أطلقت زغرودة الفرح يوم رائته من قضية سيف الدين واليوم تهتف بسقوطه .

وقد توقفت جريدة روز اليوسف اليومية عام ١٩٣٦

لم تـكن (فاطمة يوسف موسى وهذا إسم روز اليوسف) كاتبة أو صحفية ولـكنها كانت تدير الصحيفة وتـكلف من تشاء بكتابة ماتنشره باسمها .

المصرى

١٩٣٨ — ١٩٥٤

- بدأت صحيفة محايدة وتحولت صحيفة للوفد .
- أنشأها محمد التابعى وكريم ثابت ومحمود أبو الفتح .
- عملت على تغليب الخبر الصحفى على المقال السياسى .

● دراسة « المصرى » تدخل فى المرحلة التالية من هذا البحث

المصرى

(أول يناير ١٩٣٨)

هذا نموذج آخر من الصحف اليومية فى هذه الفترة التى نؤرخها ، بدأ المصرى حياته محايداً ثم أصبح بعد من السنة الوفد : أصدره محمد التابعى وكريم ثابت ومحمود أبو الفتح وهو يمثل مرحلة جديدة من تطور الصحافة من الأهتمام بالمقال إلى الخبر والصورة وقد صدره التابعى بافتتاحية قال فيها :

« وعد واحد فقط هو الذى نتقدم به إلى القراء ، أن نحاول ما استطعنا أن ندخل على (المصرى) دائما لونا من روح العصر الذى نعيش فيه : عصر السرعة والاختزال والقصد إلى الهدف من أقصر طريق ، عصر الأخبار والأخبار ودائما الأخبار . فلن تجدوا فى (المصرى) صفحة كاملة عن أيهما أفضل : البحترى أو أبى تمام . كلاهما عندنا رجل فاضل نرضى أن نقرأ على روحه الفاتحة ولكننا لن نقرأ له سبعة أعمدة ولو كان شعره السحر الحلال » .

ومما لا شك فيه أن التابعى كان يهدف إلى إصدار صحافة يومية على نفس النمط الذى كان يحرره فى مجلة روز اليوسف الأسبوعية وفى آخر ساعة ، صحافة السخرية والنقد والبحث عن الحيوات الخاصة للأفراد ، لولا أن تطور المصرى تطوراً آخر عندما اشتراه الوفد بمبلغ ٩ آلاف جنيه وبقى محمود أبو الفتح يحرره وقد وأصبح (المصرى) أقوى الصحف الوفدية بعد أن تدهورت روز اليوسف وأغلقت كوكب الشرق والجهاد وتحول البلاغ ، وقد حمل المصرى لواء المعارضة الوفدية ضد أحزاب الأقليات الحاكمة وجرت بينه وبين البلاغ معارك اشترك فيها العقاد الذى كان يهاجم الوفد فى هذه المرحلة بعنف

وكان محمود أبو الفتح قد بدأ حياته محرراً في جريدة وادي النيل بالاسكندرية ١٩١٤ وعمل بعد ذلك محرراً بالأهرام ورافق الوفد المصري الذي فاوض ملنر ١٩١٩ كما رافق محمد محمود ١٩٢٩ إلى مفاوضاته مع هندرسن كما اشترك مع عبد الله حسين في تغطية مفاوضات ١٩٣٠ .

وقد أشار محمود أبو الفتح في محاضرة له (١٨/١١/١٩٤٣) عن الصحافة فقال أن الدور الذي قامت به الصحافة المصرية علانية وسراً كان في سبيل الحصول على الاستقلال كلما تيسر لها الأفلات من قيود الرقابة .

وقال أنه نشأت مع الوفد صحافته التي اضطلعت بكل ما هو جليل وخطير من أعباء النضال وأن سعد زغلول بدأ حياته صحفيا .

وقال أن الصحافة الوفدية ابتليت بأبشع أساليب البطش والأذى والتنكيل ، وأنه كلما اختفت صحيفة أصدر صاحبها صحيفة أخرى ، وأشار في هذا الصدد إلى توفيق دياب وعبد القادر حمزة وإلى ما لقيته الصحافة من تعطيل ومصادرة وما لقيه رجالها من محاكمة وسجن . وأن العقاد والتابعي وعبد القادر حمزة وتوفيق دياب قد ذاقوا السجن .

وقال أن الصحافة المصرية كانت أسبق الصحف العربية في مجاراه التطور الصحفي الذي جعلها ندا لزميلاتها في الغرب » .

* * *

وقد ابتدعت المصري سلسلة مقالات من النقد السياسي : أطلق عليها «مخالب القطط» : هزت الدوائر السياسة فترة وتساءل الناس عن كاتبها : نجيب الهلالي الذي لم يعرف إلا بعد فترة . ومن نماذج كتاباتها قولها ٢٧/١/٣٨ عن الخلافة .

لقد كان حديث الخلافة عام ١٩٢٥ حديثا مصريا للمصريين المسلمين ، أما الآن فقد سبق الحديث الخطير طبول ومزامير ، ولئن كان الطبالون انجليزا سكسونيين كالديلي سكتش وغلاة المستعمرين ، فعزاء مصر أن للزمار مصرى بلدى ، وأن الزمارين مصريون من طلاب الدين أصحاب الجبب والقفاطين ..

صحافة الكاريكاتير

• الكشكول : ٢٤ مايو ١٩٢١ .

• روز اليوسف : أول ابريل ١٩٢٦ .

• آخر ساعة : ١٤ يولية ١٩٣٤ .

صحافة الكاريكاتير

كانت صحافة (الكاريكاتير) الأسبوعية وهي صحافة سياسية — ذات أثر واضح في تيارات الصحافة المصرية خلال هذه الفترة. فقد أسهمت بنصيب واضح في المعركة السياسية، وخلقت لونا جديدا من أساليب الهجاء والنقد والسخرية انفردت به وتخصصت له، وكان هذا اللون بعيد الأثر في نفوس الجماهير لارتباطه باللهجات العامية والفكاهة والصورة المضحكة، وقد جرت من أجله معارك بين صحافة الوفد وصحافة الأحرار الدستوريين حمل لواءها هيكل وطه حسين.

بدأت صحافة الكاريكاتير في مصر إبان النهضة التي حمل لواءها جمال الدين الأفغاني عند ما أنشأ يعقوب صنوع صحفه الساخرة مستعملا النكتة والصورة والكلمة العامية للنقد ثم ظهرت صحف متعددة حتى كانت فترة ما بعد ثورة ١٩١٩ حتى الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ — وخلالها ظهرت صحف كاريكاتيرية متعددة كان أشهرها: الكشكول وروز اليوسف وآخر ساعة وقد كان لهذه الصحافة دور هام في تحويل تيار الصحافة إلى وجهة البحث عن المثالب الشخصية والأخبار المثيرة والتعليقات المكشوفة حيث طغى هذا اللون بعد الحرب العالمية الثانية وسيطر على الصحافة اليومية.

* * *

أجمع مؤرخو الصحافة العربية على أن « يعقوب صنوع » هو أول من ابتدع الصحافة الهزلية في مصر وذلك بجريدة (أبو نضارة) التي أصدرها باللغة العامية. ووزعت ١٥ ألف نسخة (وكان رقما ضخما) وأطلق عليها (مصرية بلدية حرة).

وقد نقد يعقوب أسلوب السياسة المصرية والحياة الاجتماعية بين الوزراء والأغنياء وصورها تصويراً واضحا ونقد مساوىء الحكم وكشف عن الظلم

---

(١) ابراهيم عبده — تطور الصحافة المصرية وأعلام الصحافة العربية. وحسين شفيق المصري محاضرة ٧/٥/٣٦ وسليمان فوزي محاضرة ٢٠/٤/١٩٣٦

والفساد والاستبداد ، وحمل على الأغنياء والمتعلمين ، وهاجم الجماهير لرضاءها بالذل والهوان ، وهاجم الخديوى اسماعيل هجوما عنيفا.

وقد ربط الصورة (الكاريكاتير) بالموضوع .

وكان أبو نضارة المولود فى القاهرة ١٨٣٩ يعمل مدرسا للموسيقى والرسم واللغتين الإيطالية والفرنسية وعمل ممثلا . ونشر تراجم لقصائد عربية باللغة الإيطالية ، وأنشأ مسرحاً فى القاهرة ١٨٧٠ داخل حديقة الأزبكية ومنذ اتصل بجمال الدين الأفغانى بدأ يعمل فى الصحافة ، فأصدر (أبو نضارة رزقا ١٦٧٧) غير أن الخديو أمر بنفيه فغادر مصر فى يونية ١٩٧٨ إلى إيطاليا ففرنسا وفى باريس واصل إصدار صحيفته خلال ٣٤ عاما هناك ، وكان يدخلها إلى مصر بحيلة أو بأخرى وفى خلال هذه الفترة كان يتعقب اسماعيل ويهاجمه ويرمز إليه باسم (شيخ الحارة) وكان يرى أنه مصدر كل المفاسد ،فلما عزل واصل هجومه على توفيق وقد كف بصره فى نهاية حياته وتوفى فى باريس ١٩١٢ .

وتوالت الصحف الساخرة الكاريكاتيرة بعد ذلك حيث أصدر عبد الله نديم صحيفة « التنكيت والتبكيت » وتوالت الصحف: حمارة منيتى والخلاعة والسيف والمسامير لصاحبها محمد توفيق وقد بلغ ما كانت توزعه (الحمارة) ٤٠ ألف نسخة .

وقد وصف حسين شفيق المصرى [1] هذه الصحف بأنها تدهورت فى أخلاقها إلى أسفل مكان . وأن لكل صحيفة من هذه الصحف تاريخ يخجل منه ابليس لأنها كانت تعيش بالطعن على الكبراء والخوض فى الأعراض وأنها انغمست فى الهجاء الشنيع وبذاءة الألفاظ وحماة اللغة العامية وقال إن أفحاش

---

(١) محاضرة ١٩٣٦/٥/٧

الحارة) فى السب والقذف والبذاءة المنكرة كان نكبة على الأدب القومى وقد قلدها كتاب الصحف الأسبوعية ».

ومن كتاب هذه الصحف الشيخ الشربتلى الذى كان يقيم فى قهوة بالعتبة الخضراء يكتب الجريدة كلها فى ساعتين . وعلؤها بالمطاعن الشخصية والاقذاع .

ومن هذه الصحف : السياسة المصورة (عبد الحميد زكى) والباباغللو المصرى (عبد الحميد كامل) وأبو نواس وأبو زيد لمحمد الويلحى .

ثم اختفت الصحافة الهزلية الكاريكاتورية خلال الحرب العالمية الأولى بعد فرض الرقابة إلى أن عادت إلى الصدور عام ١٦٢١ حيث صدر (الكشكول) وأدخل الصور الكاريكاتورية ، وهو بداية عهد جديد للصحافة الهزلية الكاريكاتورية وكان مهاجما للوفد، فأصدر محمد مسعود وأحمد حافظ عوض (جريدة ها ها ها) ثم أعاد حافظ عوض إصدار (خيال الظل) للهجوم على خصوم الوفد وأصدر طاهر حقى (الجريدة الأسبوعية) وأصدر حسين شفيق المصرى (جريدة الناس) وأصدر رمزى نظيم (أبو قردان) وأصدر حسن رفعت (القرعة) وأصدر أحمد شفيق (المطرقة) وكلها صحف قصيرة الأجل .

ثم صدرت روز اليوسف ١٩٢٦ وآخر ساعة ١٩٣٤ فكانتا أطول الصحف الكاريكاتيرية عمراً وأوسعها انتشاراً وذلك بعد أن توقف الكشكول .

الكشكول

صدر (الكشكول) فى ٢٤ مايو ١٩٢١ (سليمان فوزى) فكان أكبر صحيفة فكاهية كاريكاتيرية كتب فيها ابراهيم جلال وحسن شفيق المصرى ومحمد الهمياوى وتولى التصوير فيها المصور سانتس وكان الكشكول معارضا لسعد باشا فى عنفوان مجده، وقد بلغ من الرواج مالم تبلغه مجلة أخرى مما اضطر الوفد إلى إصدار صحف متعددة لمواجهته ومعارضته ، منها مجلة روز اليوسف التى حررها محمد التابعى وكان بين المجلتين مصاولات ومصادمات .

وقد صور سليمان فوزى فى محاضرة له (٢٠ / ٤ / ١٩٣٦) مهمة الجرائد الكاريكاتورية فقال : إنها تنحصر فى البحث عن مواطن النقد فى الأعمال العامة وإبرازها فى وجوه أصحابها وتكبير ما كان صغيراً منها وإظهاره واضحاً جلياً ليراه الناظر كأنما يراه فى أصله . فليس من شأن المصور الكاريكاتورى أن يرى الحسنات .

ومن عباراته الساخرة قوله عن الأحزاب المصرية :

«حزب الأحرار الدستوريين موقف لدولة محمد محمود باشا وحزب الاتحاد موقف لدولة يحيى باشا أبراهيم ، وحزب الشعب موقف لعلى باشا جمال الدين والنادى البرلمانى موقف لدولة اسماعيل صدقى باشا . والنادى السعدى موقف لدولة النحاس باشا ومكرم باشا . وجمعية الشبان المسلمين موقف للدكتور عبد الحميد سعيد ولا موقف للأستاذ حافظ رمضان[1]» وقد هاجم الكشكول حزب الوفد ثم

---

(١) الكشكول ١٩٢٤/٩/٣

تحول فى عهد صدقى للهجوم على حزب الأحرار الدستوريين ولكنه ظل طوال حياته خصما للوفد، وقد أطلق على الدكتور هيكل « التحفجى » لما اشتهر به إذ ذاك من استعمال لبعض الغيبيات ومن حملاته على هيكل قوله « فاته لشدة ما به من جهل بالسياسة ولكثرة ما فيه من جمود فكر وضعف ادراك كان بين يدى الزعماء الأولين الأصليين لحزب الأحرار الدستوريين كالعجينة أو الطينة بين يدى الفنان الماهر يصنعون منه مثالا لاسطوانة الفونغراف تلتقط عفوا ماتوجه عقولهم وتنطق به ألسنتهم (١٩٣١/١/٢٣) .

وقال عن « الهلباوى » انه الرجل الذى اختاره الاحتلال دون سواه لإقامة الدعوى وللاصرار على شنق الفلاحين المساكين ولم يزل شريداً طريداً منبوذا حتى وسمه الأحرار الدستوريين ليتخذوا منه لسانا بذيئاً يضربون به خصومهم الوفديين (الكشكول ١٦ يناير ١٩٢١) .

ووصف أحمد زكى باشا شيخ العروبة بأنه « صاحب خبرة الفسفاط وخالق ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد » .

[وقال الكشكول عن جريدة «المساء» : إن من حق القارىء أن يقرأ الميم (فاء) ورسم صور النحاس بملابس الوحر وكتب تحتها « العريان الجليل » ١٩٣١/٢/٢٧ .

[وهاجم الائتلاف بين الوفد والدستوريين وقال : وقع عدلى بامضائه بعد توقيع الباشا النحاس : ولقد دهشت عندما رأيت ذلك وتساءلت : علام إذا كانت ضجة ١٩٢١ وكان النداء المعروف (سعد فوقك يا عدلى) . ذلك لان عدلى تمسك بأن يكون فوق سعد ؛ وقد رضى الآن باختياره أن يكون تحت النحاس (١٩٣١/١/١٥) .

وكتب الكشكول فى (١٢/ اغسطس ١٩٣١) يقول :

خطب الدكتور هيكل فى سعد باشا وأخذ يكيل له الحمد وينثر على جثته

الورد ويدفع فى ذكراه أطيب العطر ويسبح باسمه ويصلى له ويسلم . ولست أدرى من يغالط الدكتور هيكل ولا إلى من كان يتحدث ولا أية أمة هى التى يستشهد بها ويعتمد عليها فى تأييد قوله وتركيز دعواه . ووجه كلامه إلى هيكل فقال :

أما الأمة فلا زالت تذكر تلك الكلمة التى قلتها لبعض جلسائك حين دق ناقوس الموت على رأس سعد : وحين كنت مكبا على مكتبك فى جريدة السياسة؛ لقد قلت إذ ذاك : الآن أستطيع أن أصرح بأنى بنيت مجدى على بقايا رمة « تلك الرمة التى بنيت عليها مجدك يادكتور السياسة هى التى تنثر عليها اليوم الزهر والرياحين ، لقد ظلت عشر سنين تنال من سعد بشر ما يمكن أن تناله عدالة من مجرم، ومما يذكر أن الكشكول كان قبل ذلك بسنوات قليلة يزجى للدكتور هيكل والهلباوى وحزب الأحرار كل عبارات الثناء والتقدير ويصفهم بالبطولة والوطنية.

وقد هاجمت مجلة اللطائف (يوليو ١٩٢١) هذا اللون من الصحافة تحت عنوان « لا نريد لمصر صحافة قذرة » قالت :

كفى البلاد من أنواع الصحافة غير المصورة ما صدر إلى الآن فلا نطيق أن نراها تنوء من جديد تحت بلايا صحافة مصورة قذرة . وقالت أن الذين يقومون عليها « طائفة من مدعى الصحافة المعروفين بسـ . . . أخلاقهم ودناءه آدابهم » ونريد أولئك القذاب الذين لبسوا ثياب الحلال وظهروا بمظهر الصحافيين وأخذوا يعيثون فساداً بين طبقات الأمة على صفحات وريقاتهم المصورة القذرة .

وقالت : قامت اللطائف من أول يوم تنصح للكشكول المصور إلا يسير فى ذلك الطريق المنكر ، طريق التمثيل والتشهير بعظماء مصر برسوم وصور تدعى أنها الكاريكاتير .

وقالت : أن اللطائف تقف فى وجه أى خائن لمصر يتخذ من الصحافة القذرة وسيلة لغايات شخصية سافلة وتفضح أمره . وقالت: أن صاحب الكشكول أنشأ صحيفته المصورة على ما يظهر لينال مأربامن بطل مصر الأوحد : سعد باشا زغلول .

روز اليوسف

أول ابريل ١٩٢٦

بدأت مجلة (روز اليوسف) أول أمرها مجلة فنية ثم تحولت إلى مجلة سياسية كاريكاتورية لمواجهة مجلة الكشكول ولسانا للوفد . وكان « محمد التابعى » هو رئيس تحرير المجلة وواضع تخطيطها بجمع الكاريكاتير بجوار النكته والزجل والخبر الصغير والمقالة الخبرية ، وفى هذه المجلة ابتكر التابعى الأسلوب الساخر والنقد اللاذع وابتدع اللون الجديد من الكتابة عن الزعماء والمشهورين وأمورهم الخاصة فيما يتعلق بحياتهم خارج ميدان العمل .

وهذا نموذج من أسلوب التابعى فى حديثه عن صاحبة المجلة : قال : تقوم بيننا المناقشة — وهى دائما حادة تبدأ من (القرار) وترتفع إلى (جواب السيكا) فاذا طالت المناقشة ، ورأت هى إقفالها عمدت إلى طريقتها الخاصة فى الاقناع . وهى أن تنظر بمين إلى أكبر وأضخم قاموس فى المكتب . ثم تنظر إلى وهى تحرك يدها بحركة عصبية ، فاذا لم تفلح هذه الطريقة عمدت إلى النشافة أو الدواية أو أى شىء آخر مما يكون قريب منها . خبرونى من ذا الذى لا يقتنع أمام هذه الأدلة الثقيلة وهكذا تنتهى المناقشة دائما بانتصارها وانهزامى » .

وقد اتخذت مجلة روز اليوسف الكاريكاتير فى الهجوم السياسى على خصوم الوفد واستعملته لأول مرة ضد « حسن نشأت » وهو واحد من خصوم الوفد ومنشىء حزب الاتحاد لحساب الملك فؤاد

تقول السيدة فاطمة اليوسف فى مذكراتها : أن روز اليوسف لم تأخذ من السياسة جانبها الهادىء أو تقف على الحياد بل اقتحمت أخطر مناطق السياسة وذهبت فى الهجوم والتأييد إلى أبعد الحدود ، وكان الملك فؤاد يدافع عن الانجليز

وقد أقال وزارة الوفد ، وتولى المرحوم محمد محمود رئاسة الوزارة الذى لم يلبث أن أعلن تعطيل الدستور والحياة النيابية ثلاث سنوات قابلة للتجديد .

وقد دافعت المجلة عن الدستور وهاجمت الوزارة وقد نشرت فى (عددها ١٢٤) صورة كاريكاتورية تمثل محمد محمود يدوس على الدستور وهو صاعد إلى مقعد الوزارة وصودرت المجلة » .

وقالت روز اليوسف : أن شخصية « المصرى أفندى » ولدت على صفحات روز اليوسف ، فقد كان الكشكول يرسم شخصية جحا ويحركها فى صوره السياسية ، لذلك نشرت روز اليوسف رسما يمثل (المصرى أفندى) وقد وضعته وزارة محمد محمود فى أناء كبير كالذى يستعمله الهنود الحمر وهم يشعلون النار فيه .

واستدعت النيابة (صاروخان) لتستجوبه فى ذلك ، وأشارت روز اليوسف إلى أن المجلة شنت على وزارة صدقى ١٩٣٠ اعنف الحملات ، ولما تفاقم السخط صدر (العدد ١٨٤) وقد رسمت على غلافة صورة كبيرة بعنوان « حكم الإرهاب » تمثل مصر بلدا محترقا يشيع فيه الخراب وعليها يدوس إسماعيل صدقى وقد حمل فى يده مسدساً يتصاعد من فوهته الدخان وكتب تحتها :

« إسماعيل صدقى يحكم البلاد بالعناصر الرشيدة : الحديد والنار » وقالت روز اليوسف أنه فى خلال عامين (أكتوبر ١٩٢٧ - أكتوبر ١٩٢٩) صودر منها ٦٢ عدداً من ١٠٤ وصدر ٤٢ عدداً فضلا عن التحقيقات والقضايا والوقوف فى ساحة المكاتب .

وأشارت روز اليوسف إلى صراع مجلتها مع الكشكول التى كانت تتميز برسوم سانتيس، بينما يرسم لها صاروخان وهو رجل وافد على مصر لا يعرف شيئا من شخصيات السياسة المصرية ولا يعرف العربية إلا لماما ، فاضطرت لإحضار نماذج من رسم سانتيس للشخصيات المصرية .

وقالت روز اليوسف إنها قاست متاعب ضخمة نظراً لأن الوفد قضى في المعارضة ما يزيد على السبع سنوات ، لم يجلس خلالها على مقاعد الحكم إلا مرة واحدة في ١٩٣٠ ولم يطل جلوسه عليها أكثر من ستة شهور تقريبا ، وكانت هذه الفترة بين انقلابين شهيرين : (إنقلاب محمد محمود ١٩٢٨) و (إنقلاب صدقي ١٩٣٠) .

وقد أمضت روز اليوسف هذه الفترة في المعارضة .

وقالت : أن الحكومات المختلفة جربت معها كل سلاح ؛ ومن بينها سلاح الأموال السرية لتخفيف الحملة على الوزارة ، وأشارت إلى أنه بلغ من نجاح روز اليوسف في ذلك الوقت أن جريدة السياسة التي كانت تنطق بلسان الأحرار أطلقت على الوفد إسم حزب روز اليوسف ، ووقف النحاس يخطب فقال أنه يفخر بأن يكون الوفد حزب روز اليوسف . وقالت أنها التقت بأحد أقطاب الأحرار الدستوريين الذي دعاها إلى ترك الوفد والانضمام للدستوريين .

وأشارت إلى أنه في عام ١٩٢٨ نشرت جريدة السياسة اليومية خبرا ذكرت فيه أنها أمضت يوم شم النسيم مع النحاس باشا في القناطر الخيرية وعلقت روزاليوسف على ذلك بقولها : (وكانت المهاترات الصحفية تصل أيامها إلى هذا الحد) فلما اتصلت روز اليوسف بالدكتور هيكل رئيس التحرير وأكدت له أن الخبر المنشور برغم أنه ليس مما يليق نشره فهو خبر مكذوب ، وهناك عشرات الشهود على أنها أمضت شم النسيم في منزلها قالت ، وقد اعتذر لي هيكل باشا وفي صباح اليوم التالي صدرت جريدة السياسة وفيها خبر جاء فيه :

« اتصلت بنا روز اليوسف وأكدت أنها لم تقض شم النسيم مع النحاس باشا في القناطر الخيرية بل قضته مع سعادته في مكان آخر لا لزوم لتحديده » .

وأشارت روز اليوسف إلى أنها حين ذهبت إلى بيت الأمة تشكو إلى النحاس ،

قابلها مكرم عبيد وقال صائحا « لك الفخار ياسيدتى »

ومما يتصل بحياة مجلة روز اليوسف ودورها فى الصحافة فانها قد خرجت عدداً من الـكتاب بدأوا حياتهم بها مثل مصطفى أمين وعلى أمين وجلال الدين الحمامصى وسعيد عبده وكريم ثابت الذى أطلقت عليه المجلة « ابن المقطم البـكر » وكانت روز اليوسف تداعبه وتقول له : أنت مع مين بالضبط فيقول : مع الـكل .

موقف (روز اليوسف) من الأحداث

كان أسلوب مجلة روز اليوسف يقوم على السخرية والتعريض والفخر والنقد اللاذع وهذه نماذج مختلفة ترسم صورة المجتمع من وجهة نظر هذه الصحيفة :

× شرف محمد عبد الوهاب الرئيس الجليل فى (سمد) مسجد وصيف فلقى من دولته كل عطف وقد طلب منه دولة الباشا أن يغنى له دوراً فاعتذر عبد الوهاب بعدم وجود المذهبجية ، ولـكن سرعان ما تقدم النحاس ووليم مكرم لسد هذا النقص وفعلا غنى عبد الوهاب وعن يمينه ويساره النحاس ومكرم (١٩٢٦) .

× يرى زائر مجلس النواب على كافة أبواب قاعة الجلسات يفطات صـغيرة كتب عليها (ممنوع البصق) وهذا الطلب موجه إلى الأعضاء المحترمين لأن حرم المجلس الداخلى لا يدخله سوى الأعضاء ، ومع إعترافنا بأن بين الأعضاء من لا يزال يبصق على الأرض ويمسح فى كمه ، إلا أننا لا نوافق سكرتيرية المجلس على هذا التشهير الفاضح (١٩٢٧) .

× مباراة إناقة البيجامات : الفائزة الأولى فى هذه المباراة فتاة مسلمة تمت إلى أسرة من أعرق الأسر الـكريمة هى الآنسة أمينة البارودى حفيدة رب السيف والقلم محمود باشا البارودى (١٩٢١) .

× أقام حزب الاتحاد فى الأسبوع الماضى حفلة شائقة بمناسبة إنقضاء عامين

على تأسس الحزب والجريدة . وكانت حفلة شائقة راقصة أدرت فيها كؤوس الشمبانيا والوسكى وقرىء فيها العدد الممتاز من جريدةالاتحاد ، وقد رؤى ابراهيم المازنى رئيس التحرير ومن خلفه جميع محررى الجريدة يطاردون السيد أبو على باشا من غرفة إلى غرفة يستعطفونه كى يعطيهم ما تيسر من مرتباتهم المتأخرة ، أليس الأولى للحزب ورجاله أن يدفعوا مرتبات موظفيهم بدلا من هذه الفنجرة الكاذبة أم على رأى المثل البلدى (أقرع ونزهى) ١٩٢٧ .

[مجلة الدنيا الجديدة]

ولا يمكن فى خلال إستعراض صحافة الكاريكاتير تجاهل نوع من الصحافة المصورة الكاريكاتيرية مثل صحيفة الدنيا الجديدة التى صدرت فى ٢٢ مايو ١٩٢٩ عن دار الهلال واستمرت حتى عام ١٩٣١ .

فقد حوت هذه المجلة موضوعات بعيدة المدى فى تشويه سمعة البلادو تصويرها بصورة قاسية ، وكانت كتاباتها فى هذا الموضوعات على النحو الاستعراضى الذى يبرز هذه الصور، وليس على النحو الاصلاحى الذى يهدف إلى القضاء عليها .

وهذه بعض موضوعات هذه المجلة :

رجل يأ كل الثعابين والزجاج والبلغ — كيف تحضر العفاريت .

ماذا تقول الندابة فى المآتم — ليلة فى غرزة حشيش .

مملكة الدراويش تحت جنة الباب الأخضر .

كيف يهرب الحشيش : نظام عصابات التهريب وفروعها فى الخارج .

ساعة مع شيخ القرداتية - البغاء السرى فى حى زينهم .

كيف يعيش الفتوات فى مصر — البهائية : أسرارها وتعاليمها .

النزاع على تركة « الفرنى » : تقطير الخمور خفية فى مصر .

بريد الإمام الشافعى — تجارة الرقيق الأبيض فى مصر .

أكبر نشال فى مصر — صبى يقص علينا كيف تعاطى المخدرات .

مقابر الأحياء فى مصر : مغاور الفساد ومغابات الأحرام .

حافظ نجيب : المحتال المشهور .

أسرار الفجر فى مصر — ثلاث عفاريت فى جسد أمرأة .

ولا شك أن رءوس الموضوعات على هذا النحو ترسم بوضوح هدف المجلة ، وهو تصوير مصر وأهلها بصورة الشعب المتأخر ، مع إغراء الشباب القارىء إلى الاندفاع نحو مهادى الرذيلة .

وإذا كان الاستعمار قد خلق فى مصر هذه البؤر فان تصويرها على النحو الذى يبرزها ويشوق القارىء نحوها ، إنما كان عملا صحفيا تخريبيا خطراً غاية الخطورة .

وقد كان هذا اللون من الصحافة بالاضافة إلى اللون الـكاريكاتير رسم صورة « تيار » موجه يعيش ويقوى فى حماية الاستعمار والنفوذ الأجنبى للقضاء على القيم والمثل وتحطيم معالم القوة فى الأمة .

آخر ساعة - محمد التابعى

بدأ التابعى عمله فى الصحافة فى كتابة النقد المسرحى فى جريدة الأهرام بعد ثورة ١٩١٩ بامضاء «حندس» ثم حرر مجلة روز اليوسف منذ صدورها ١٩٢٦ وتقول (روز اليوسف) انها تعبت معه حتى أقنعته بأن يجرب قلمه فى الـكتابة السياسية — حتى تقول — انه «كان يحدث أن يجىء مقال حبيب جاماتى أقصر من الخبر المخصص له فاطلب من التابعى أن يتمم الفراغ بتعليق سياسى ، وهنا يصرخ ويحتج ويرفض الاقتراب من السياسة باباء وشمم » .

ولـكنه بدأ يكتب فى الموضوعات السياسيـة من يونية ١٩٢٦ — وكانت فاطمة اليوسف قد فـكرت فى أن تصبح روز اليوسف مجلة سياسية، وذلك فى عهد وزارة زيور التى جاءت بعد وزارة سعد زغلول فى أواخر ١٩٢٤ وكان التابعى يكتب أولا تحت عنوان (طورلى) .

ثم إتجه للـكتابة فى السياسة فبرز أسلوبه الساخر الذى يتمثل نموذجه فى قولة :

« إن وزير الحقانية — أحمد باشا على — قرأ تقرير النائب العام ثم . . هز رأسه وقال : نفرج عن الأهالى معلهش . أما أن نحاكم المأمور بتهمة التزوير فلا ! وهز الوزير رأسه هزة اهتز معها قانون العقوبات وأسبل القانون رمشه وصرف نظره عن الموضوع » .

وقالت روز اليوسف أنه كان لمحاكمة التابعى ١٩٢٧ فضل الـكشف عن التابعى كـكاتب سياسى . فقد قبض عليه لأنه كتب مقالات (ملوك وملـكات أوربا تحت جنح الظلام) وصدر الحـكم عليه بالحبس ستة أشهر مع إيقاف التنفيذ،

تقول روز اليوسف إنه كان حتى ساعة القبض عليه يكتب فى المسائل السياسية مستترا بلا توقيع .

وقد وصفت التابعى فى هذه الفترة فقالت : إنه كان لا يسير إلا وقد انتفخت جيوبه بالكاشيهات بين الورشة والمطبعة يقطع عشرات الكيلومترات على قدميه .

وأشارت فى مذكراتها إلى أنها قدرت « مجهود التابعى الكبير . وعمله الطويل معها » — وذلك بعد أن نجحت المجلة — فاتفقت معه على أن يقتسما صافى إيراد المجلة بينهما مناصفة . وكان هذا النصيب يتراوح بين مائة ومائة وخمسين جنيها كل شهر . وكان التابعى كعادته مسرفاً متلافاً فكان آخر مليم من إيرده الكبير يتبدد قبل آخر أيام الشهر .

ويقول محمد على غريب : أنه لما كانت توجد مجلة الكشكول وقد تخصصت فى مهاجمة سعد زغلول ولقيت الرواج العجيب ، لذلك صح الرأى فى أن تصبح روز اليوسف مجلة ، سياسية واستطاع التابعى أن يجهز على مجلة الكشكول بعد بضعة أعداد من روز اليوسف . وأصبحت — المجلة - بفضل التابعى قوة يخشاها الناس » .

وقد عرف أسلوب التابعى : بالسخرية القاسية والدعابة العنيفة : وقد أطلق على وزير لقب (وزير الفاصوليا) وآخروزير المتقاليد وكان يقول « جريدة المقطم الغراء من فضلك . — »

[وكان يطلق على وزارة عبد الفتاح يحيى (وزارة محى توحة باشا) ومن عباراته : يا تلحقونا يا متلحقوناش . وقوله : فلان باشا ولا باشا ولا حاجة .

وقال عنه يوسف وهبي أنه : الناقد الذى يسقيني السم فى برشامة » وكانت آخر ساعة تطلق على حافظ رمضان لقب رئيس حزب الدشت والروبابيكيا

بسوق المصر ، ومن قوله فى نقد حافظ رمضان «أنه من الذين يحتكرون الشهرة فى عالم العطور والروائح وكل تجارتهم من أول يوم إلى آخره على حساب أكفان الموتى الراحلين (يقصد أنه خليفة مصطفى كامل ومحمد فريد) .

وقد عمل التابعى فى الصحافة أكثر من ثلاثين سنة ولا يزال يعمل : كتب فى الأهرام وحرر مجلة روز اليوسف ثم أصدر مجلة آخر ساعة عام ١٩٣٤ ثم انضم إلى دار أخبار اليوم عام ١٩٤٦ . يقول : اشتغلت بالصحافة ثلاثين عاما . وعرفت منها عشرات وعشرات من الزعماء والساسة وربطتنى ببعضهم أواصر الصداقة والثقة ، وبوحى هذه الصداقة والثقة أفضى إلى بعضهم بأسرار كثيرة وكشف أمامى بعضهم عن مكنون صدره بل وعن خفايا ضعفه . وفى خلال هذه الثلاثين عاما التى اشتغلت فيها بالصحافة قابلت كثيرين من الساسة وقادة الرأى العام فى مصر وفى بلاد غير مصر ، بل وقابلت رؤساء دول ورؤساء حكومات » .

وقد كسب خلال هذه السنوات الطوال خبرة واسعة ، وكتب فى النقد الفنى والسياسة والقصة . وقد عدل التابعى من أسلوبه الأول إلى أسلوبه الثانى بعد أن ترك آخر ساعة ١٩٤٦ . ولعل هذا قد ارتبط بارتفاع السن وتحول التيارات السياسية فى مصر ، كما تحول التابعى من مظاهرة الوفد إلى الحملة عليه فى نفس الفترة إلى تحول فيها العقاد تقريباً .

ومما يبدو أن معاهدة ١٩٣٦ تعتبر نقطة التحول بالنسبة للكتاب الذين اتصلوا بالوفد ثم تحولوا عنه ، وهم يرون أن الوفد نفسه قد أخذ يتحول عن رسالته الأولى وهذا هو ما صرفهم عنه . وقد انصرف عنه عبد القادر حمزة ١٩٣٢ والعقاد ومجلة روز اليوسف ١٩٣٥ والتابعى ١٩٣٧ وأغلق توفيق دياب الجهاد ١٩٣٨ وأغلق حافظ عوض الكوكب ١٩٢٩ بعد أن هبط توزيعهما .

ويعد التابعى صاحب المدرسة التى سارت عليها من بعد كل صحف الكاريكاتير

وفى مقدمتها المجلتين الكبيرتين : روز اليوسف وأخبار اليوم وله أسلوب متميز وقد خلق هذا الأسلوب مدرسة كبرى .

وقد جعل التابعى محور فنه الصحفى فى الاهتمام بالسطحية الفردية وما وراءها من أسرار أكثر من اهتمامه بالصورة العامة ، و بذلك واجه الساسة على طريقته فى مواجهة الفنانين ، ولم يكن له هدف محدد ولا رسالة اجتماعية واضحة وهو عند سلامه موسى صاحب اتجاه المقالة الخبرية ونشر التفاصيل المغرية عن الطبقة الراقية ورجال المجتمع البارزين .

وهو عند (رجاء النقاش) قد دخل السياسة من باب من لم يكن يهمه تأييد موقف أو اتجاه . يقول عنه « ليس رجلا من رجال السياسة ، ليس له موقف ، بل كان صديقا لعدد من رجال السياسة الكبار الذين لم يكونوا يفكرون فى الشعب لأنه لم يكن يهتم إلا بالشخصية الفردية وما وراءها من أسرار . وكان يهتم بالناس والرحلات والتجارب ، ويهتم بالعواطف والصراع النفسى وكيف تسير الحياة الخاصة بالناس » .

ولعل التابعى حين يقول فى حديث له من أن « الصحافة بوجه عام قد أفسدت ذوق القراء لأنها عودتهم أو دللتهم بإسرافها فى نشر الأخبار والقصص المثيرة » إنما يحتمل كثيرا من المسئولية فى خلق ودعم هذا الاتجاه فى الفترة من ١٩٢٦ إلى ١٩٤٦ خلال عشرين عاما كاملة حين كان هذا اللون فى مرحلة انشائية ثم أصبح ظاهرة واضحة قوية الأثر فى الصحافة عند صدور أخبار اليوم عام ١٩٤٦ .

° ° °

ويذكر التابعى فى مقدمة كتابه (أسرار السياسة) أنه كتب مقالا فى ١١

أكتوبر ١٩٥٠ تحت عنوان (يحيا الظلم) قال فيه : نعم يحيا الظلم ، ظلم كل جبار عاتية ممتز بسلطانه وسطوته يدوس القوانين ولا يبالى . وظلم كل كبير فاسق ، وكل عظيم فاجر يسرق ولا يبالى ويختلس ولا يبالى ، ويثلم الأعراض ولا يبالى ، ويهدر الكرامات ودم الوطن» وهذا حق حين وجه إلى الملك فاروق ولكن التابعى يذكر أيضا أنه كتب عشرات المقالات فى الثناء عليه قبل ذلك خلال سنوات طويلة نذكر فيها مقاله فى ٢٢ أكتوبر ١٩٤٤ فى مجلة آخر ساعة تحت عنوان « فاروق الملك الذى يجيد صناعة الملك » .

وقد اشتهر التابعى برحلاته الصحفية إلى أوربا وماحققه من نجاح صحفى حتى يقول (على أمين) فى آخر ساعة ١٩٤٩ بأنه ما يعود من الخارج إلا ليحزم حقائبه لرحلة جديدة ، حتى أنه لم يكن يستقر فى مصر أكثر من شهرين فى السنة : فيمضى الشتاء فى سان مورتز والربيع فى باريس ومونت كارلو والصيف بين رأس البر والاسكندرية وإيطاليا والخريف فى القاهرة « ليستريح من عناء رحلات الشتاء والصيف والربيع » وانه يوما فى جزيرة كابرى ويوما فى مونت كارلو . ثم يتجه إلى باريس فأسبانيا فالبرتغال ثم يعود إلى إيطاليا .

ووصف (على أمين) هذه الرحلات فقال : إنه يسافر ومعه أكثر من عشرين حقيبة . ملابس للصيف والشتاء والربيع والخريف وملابس للصبح والضحى والظهر وبعد الظهر والمساء والليل وانه ينزل فى الجناح الملكى لفندق سوفرينا وكان بعض المقيمين فى الفندق يظنونه لورداً انجليزيا » .

ومما يذكر أن التابعى كان يحرز أكبر مرتب فى الصحافة المصرية ومن الأبواب التى أدخلها على الصحافة الكاريكاتيرية باب : قال الراوى . وخطابات إلى

العظماء والصماليك . وأولاد الذوات وأولاد الآية ، وأخبار الطلبة والناس مقامات .

مجلة آخر ساعة

× وفى مجلة آخر ساعة التى صدرت عام ١٩٣٤ استهل سعيدعبده والصاوى ومصطفى أمين وأمين سعيد وجلال الحمامصى حيواتهم الصحفيه وقد رأس تحريرها من ١٩٣٤ إلى ١٩٣٧ ثم عاد إلى رئاسة تحريرها من ١٩٤٢ إلى ١٩٤٥ .

وقد صور التابعى كيف أصدر آخر ساعة فقال :

أنه كان عسيراً عليه إصدار مجلة فى ظرف حكم إسماعيل صدقى وكان يحاربه ، وكان الحل الوحيد أن استأجر إحدى المجلات وكان استئجار المجلات والصحف قد ذاع منذ أول انقلاب دستورى قام به محمد محمود فى يونيه ١٩٢٨ قال: واستأجرنا مجلة الكرباج وغيرنا إسمها إلى آخر ساعة» .

ومما يذكر أن التابعى كان على رأس فريق من الصحفيين المصريين انضموا إلى معارضة الوفد وتأييد سلطة السراى بعد حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ وكان أحمد حسنين كبير أمناء الملك فاروق قد رسم خطة لمهاجمة الوفد والقضاء على سمعته الشعبية و نفسيحه وهنالك نشأت أحزاب جديدة منفصلة عن الوفد كالحزب السعدى والكتلة وغيرها — مما لا يدخل فى نطاق بحثنا هذه المرحلة — وكان ذلك مقدمة لظهور صحيفة قوية لأول مرة تهاجم الوفد هى (أخبار اليوم)

ويرى[1] مصطفى أمين أن مدرسة التابعى الصحفية — وهو أحد أقطابها كان لها أثرها فى تاريخ الصحافة ، « لقد حرر أسلوب الصحافة الساخرة من الأسجاع والمترادفات . فهو الذى أدخل اللغة الكاريكاتورية فى الصحافة . بضمة

(١) أخبار اليوم ١٩٥٤/١/١٣ .

خطوط سريعة تعبر كأنها لوحة فنية رائعة . كلة واحدة تلتصق بشخصية السياسى وتحوله من رجل وقور إلى « مسخرة » .

لقد كانت لغة الصحافة قبل ذلك أشبه بفساتين السيدات فى الماضى مليئة بالذيول والكشكشة والكلف ، فجعل لغة الصحافة بسيطة كأثواب السيدات الآن.

والتابعى مجموعة من المتناقضات . كسول فى بعض الأحيان يستطيع أن يقضى كل تسعة شهور فى أوربا فى أجازة ثم يعود إلى مصر ليستريح ثلاثة شهور من الأجازة وهكذا .

ثم هو فجأة يخلع ثوب الكسل ويستطيع أن يعمل وحده أكثر مما يستطيع عمله عشرة من المحررين المجتهدين .

وهو هادىء وديع . يستطيع أن يكتب كلمات تنزل على قلوب أصحابها كالنسيم العليل ثم هو يستطيع أن يجعلها تنزل عليهم كالقنبلة الذرية .

وهو بخيل فى الأمور التافهة : يحاسب خادمه فى ثمن البن والسكر ولكنه متلاف فى النفقات الضخمة ، فقد كان قبل زواجه يعيش كما يعيش هارون الرشيد وهو يؤمن أن ايداع الأموال فى البنوك عمل لم يخلق ألا للمغفلين .

ولعل مما يذكر أن أسلوب مصطفى أمين وعباراته وسخرياته هو أمتداد لأسلوب التابعى نفسه وهذه نماذج من أسلوب التابعى .

خطاب مفتوح من التابعى

إلى المندوب السامى سير مايلز لامبسون

(وكان قد زار مسجد ابن طولون فى منتصف الليل وصعد إلى المأذنة) .

قل لى بماذا حدثك القمر فى هذه الساعة الخرساء ومن هذا المكان المقدس .

قل لى كل شىء إلا أنه اقترح على فخامتكم انشاء مطار جديدفى صحن مسجد ابن طولون . قل كل شىء إلا أنه بارك لفخامتكم هذه السكتة الطويلة على منكرات ترتكب تحت سمعكم وبصركم وبمشيئتكم فى هذه البلاد. قل لى كل شىء إلا أنه توسل لفخامتكم بالبقاء فى مصر لإذلال شعب لا يريد الذل والخضوع . على كل حال من حسن الحظ أن ابن طولون ميت الآن . ولا حول لروحه ولا قوة . وإلا فلو كان حيا وضبط فخامتكم على مئذنة مسجده هكذا بالليل وبالقبعة والحذاء لتعبت فى شأنكم وزارة الخارجية البريطانية ولما استطاعت أساطيل انجلترا كلها أن تعصم فخامتكم من تأديبه الجزيه أو الإسلام[1] .

ومن ذلك قوله :

« نحن لم نقل أن النحاس باشا[2] هو معصوم ولا هو قديس مطهر ولا هو ولى من أولياء الله بل هو بشر مثلنا ومثلكم غير مطهر ولا معصوم ، وقد يكون له هفوات وأخطاء ولكنه زعيم الوفد . لقد تولى الوفد الحكم فى مصر أكثر من مرة وتكلم باسم مصر أكثر من مرة .

ولقد كان مصطفى النحاس باشا زعيما وما زال مكانه فى الصف الأول من الزعماء . ولقد كان أمضاء مصطفى النحاس أول أمضاء وقعت معاهدة الاستقلال والصداقة ومن بعدها أمضاءات بقية الزعماء » .

ومن ذلك قوله :

أرونى بلدا كمصر لا يصاب فيه وزير بصداع أو زكام إلا وتنشر الصحافة[3] خبر الصداع والزكام مع الدعاء إلى الله الشافى المعافى أن يعجل بشفاء الوزير المزكوم، أرونى بلدا كمصر لا يقوم فيه موظف بالاجازة إلا ورافقة السلامة فى الحل والترحال ولا يعود من سفره إلا ليستأنف أعماله بما عهد فيه من الهمة والنشاط .

---

(١) آخر ساعة م ١٩٣٤ .
(٢) آخر ساعه العدد ٢٣٣ (١٩٤٤) .
(٣) الأهرام ١٧ سبتمبر ١٩٣٤ .

أرونى بلدا كمصر لا يموت فيه موظف حرف (ب) إلا ذكرت الصحافة أن الموت نقاد على كفه جواهر .

أرونى بلداً كمصر لا ينقل فيه موظف من بلدة إلى بلدة إلا وتملأ الصحافة أن الموظف يخلف وراءه نفوساً اجمعت على حبه واحترامه نظراً لما اتصف به من علوا الهمة والعدل والقسطاط ومكارم الأحلاق .

أرونى بلدا كمصر تؤله فيه الصحافة الوظفين وتسوق إليهم المديح وتكيل لهم موازين الاعجاب » .

* * *

وقد صور (محمد التابعى) كيف بدأ حياته الصحفية قال :

شبت فى الإسكندرية ١٩٢١ ثورة امتدت نيرانها إلى ما بين الأجانب والوطنيين فحملت الصحف الإنجليزية على المصريين حملة شعواء سداها السب ولحمتها القذف واستمرت تنشر اليوم بعد اليوم مقالات نارية حافلة بالطعن ضد المصريين عامة .

وانتظرنا أن تهب الصحف المصرية للدفاع عن أبناء الوطن وكنت يومئذ موظفاً بالإسكندرية فكتبت خطابا شديد اللهجة إلى جريدة الاجبشايان ميل ضد حملتها الشديدة .

ونشرت الجريدة الخطاب وشجعنى هذا على مواصلة الحملة فكتبت مرة أخرى أنقد رؤساء المصالح المصرية من الإنجليز[1] .

ثم بدأت أكتب باللغة العربية مقالات فى نقد روايات المسارح وأنشر نقدى

(١) مجلة كل شيء : (١٥ أكتوبر ١٩٣٠) .

فى الأهرام بأمضاء (حندس) ثم ظللت أحرر روزاليوسف وأوقع «حندس» حتى الأيام الأخيرة .

وقالت روز اليوسف [1] فى مذكراتها : أن التابعى لم يشترك فى إعداد الأعداد الثلاثة الأول من مجلة روز اليوسف وبدأ العمل مع العدد الرابع .

فى أول صدورها كان يكتب بابا فى النقد المسرحى يوقع عليه بامضاء (حندس) وبابا المرأة بأمضاء (سميرة) . ثم بدأنا نكتب فى السياسة ونهاجم الحكومة وبدأت المتاعب ، وعمل التابعى تسع سنوات (٢٥ — ٣٤) ودخل السجن مرتين : فى أول مرة هاجم الشاه رضا بهلوى والمرة الثانية بسبب الهجوم على الحكومة .

وكان رئيس الوزراء يصدرقرار أغلاق المجلة بنفسه لمدة شهر أوشهرين أوثلاثة ثم يتركها عدداً أو عددين ليعود بعد ذلك فيصدر قراراً وزاريا بأغلاقها عدة شهور ، وكان الهدف من ذلك طبعاً هو حرمان القراء من تتبعها وبذلك تموت المجلة .

وكنا نلتقى بالقراء عن طريقة نشر روز اليوسف مختفية تحت اسم مجلة أخرى من المجلات الصغيرة .

وقالت أن مجلة رزو اليوسف نشرت مذكرات سعد زغلول التى كتبها قبل وفاته وقد ظهرت فى أربعة أعداد بعد وفاة سعد زغلول بعدة شهور .

وقال التابعى : أن مجلة روز اليوسف هى التى حددت لى المهنة التى عملت فيها كل حياتى وهى الصحافة .

---

(١) روز اليوسف ٦ نوفبر ١٩٦١ .

وكانت روز اليوسف قد أنشأت هذه المجلة أصلا لتهاجم يوسف وهي بعد أن اختلفت معه في العمل في أحدى المسرحيات وقررت أن تصدر مجلة تنتقد فيها يوسف وفرقته حتى تنتقم لنفسها .

وعندما أصدر التابعي مجلة آخر ساعة مستقلا عن روز اليوسف : ونشر خطابا في الصحف وجهه إليه (مصطفى النحاس) رئيس حزب الوفد جاء فيه : «أهنئك على ثباتك وأخلاصك لمبدأ الوفد القويم وسط الزوابع الهوجاء التي اكتنفت الصحافة الحرة وا كتسحت حريات الأمة فوقاها الله شرها وتولاها بعنايته فكانت خير أمة أخرجت للناس » . ولكن التابعي لم يلبث غير سنوات قليلة بعد هذا الخطاب حتى هاجم النحاس والوفد بأقسى ماهوجما به .

وقال سلامة موسى في كتابه (الصحافة : حرفة ورسالة) حتى ص ٧٩ أن التابعي شرع في مجلة روز اليوسف ثم في مجلة آخر ساعة يجذب أكبر عددا من القراء بنشر التفاصيل المغرية عن المسرح والطبقة العليا من الشعب أو مايسمى بالمجتمع الراق .

قضايا صحافة الكاريكاتير

واجهت صحافة الكاريكاتير — التى بدأت بمجلة الكشكول ١٩٢٢ واتسمت روز اليوسف ١٩٢٦ وبلغت القمة عام ١٩٣٤ بإنشاء مجلة آخر ساعة — معركة ضخمة وصراعا بعيد المدى، جرى هذا الصراع بينها وبين الصحف اليومية وبين الصحف اليومية وبين الوفد والأحرار الدستوريين، وبينها وبين الحكومات المتوالية. فقد كان لكل حزب صحافته الكاريكاتيرية.

وقد سجل القضاء رأيه فى هذه الصحافة فى ١٩٢٣/٥/٢٧ إبان رئاسة التابعى لتحرير مجلة روز اليوسف وذلك فى إحدى قضاياها حيث قال: بعض الصحف المصرية لا تزال مع الأسف تقصر كل جهودها على إبتكار وسائل الرواج والانتشار لا يصدها عن ذلك رادع من أدب أو وازع من دين، تنشر سقط القول وفحشه بدعوى أنه أدب مكشوف، ينشر الأكاذيب بمختلف الأساليب وتغالى فى الاقذاع فى الذم والتصريح بالسباب، ومنها نوع له أسلوب خاص يبالغ فى تقريعه وتلويحه مالا تبلغه المجابهة والتصريح بالذم، وقد سلكت مجلة روز اليوسف هذا المسلك فجعلت ديدنها السطو على الكرامات والتسلق إلى بيوتات الناس من غير أبوابها فتنشر أخبارها، حتى إذا ما عجزت عن الحصول على معلومات أو أخبار لم تتورع من الاختراع».

وقد حبس التابعى فى هذه القضية أربعة شهور وقالت الصحافة المعارضة: هل كان هذا فى سبيل الوطن. وعزت جريدة الشعب أسلوب مجلة روز اليوسف إلى الحزب الذى تتبع له، فكتبت ١٩٣٢/٥/٢٩ تقول: ليس بغريب أن يزور النحاس باشا (روز اليوسف) فى الساعة التى صدر فيها الحكم. فالرجل من المعجبين بتلك

الصحيفة وبأسلوبها ومذهبها ولولاه لما آثرت هذا المذهب ولاذلك الأسلوب .
فهى فى الحق والواقع ضحية تشجيعه فعليه أن يزورها ويواسيها .

[جريدة الصريح]

وهاجت الصحافة اليومية الصحف الأسبوعية الكاريكاتيرية وكشفت عن أثرها فى التطور الاجتماعى والتربية الخلقية ، ومن ذلك ما كتبه الأهرام فى ١٩٣٣/١٠/٢٣ عن مجلة الصريح :

إن هذه الأخبار التى تملى جريدة الصريح بنشرها وهى هزر ولكنها خطر على الآداب . مفسدة للأخلاق ، فنحن فى بلد شرقى يستنكف الرجل منا ذكر اسم زوجته أو شقيقته أو كريمته .

إن هذه الأخبار الصغيرة أسهل فى الأختلاق وأعلق بالذهن وأبقى فى الذاكرة وأسرع فى الانتشار والتداول . وقد اتخذت بعض الصحف الأسبوعية هذا النوع من الكتابة سلاحا للدعاية الحزبية وأساءت استعماله حتى أصبحنا وفى أذهاننا صورة شوهاء على عظمائنا وقادة الرأى فينا .

إن هذا الأسلوب فى الكتابة قد كان سبباً فى إفساد ذوق كثير من القراء وآدابهم كما أضعف ما عندهم من قوة الحكم على ما يقع تحت نظرهم من الوقائع . هؤلاء الصحفيين استمرأوا هذا الطريق وتخصصوا له ولما نبغوا فيه اتخذوا من صحفهم وسيلة للهزء بقرائهم والسخرية منهم »

[مجلة روز اليوسف]

وقالت جريدة السياسة (١٩٣٣/٩/١٥) : إن مجلة روز اليوسف تهتك الأعراض وأنها خطر على الأخلاق والآداب وأن الخلاف الحزبى لا يبيح لمثل

السيدة روز اليوسف أن تطمن فى وطنية وكرامة الزعماء » وغمزت حيثيات الحكم فى قضية روز اليوسف ٥ يونية ١٩٣٣ الأسلوب التابعى قالت : تعبير التابعى على هذه الصورة اللاذعة المشحونة بالغمز واللمز والنقط والعلامات التى تنطق بما يريده الكاتب من غير أن يلجأ إلى الإيضاح » .

[جريدة المطرقة]

وصورت النيابة فى مرافعتها ضد جريدة المطرقة (٨ مايو ١٩٣٣) دور الصحف الكاريكاتيرية قالت : إن الصحافة هى المقياس الحقيقى لمقدار رقى الأمة فى العالم الاجتماعى ، ونحن أمام ورقة صفراء صغيرة وأمام صحفيين غير جديرين بالاحترام ، ثم عرضت لهذا النوع من الصحفيين الذى يشتغل بما يسمونه « التشبيح » حتى إذا ما سمعوا أن موظفا رقى أو أن مريضا شفى من مرضه هرعوا إليه يستنجدونه ثمن ما يكتبون عنه فى صحيفتهم الساقطة الحقيرة ابتغاء ابتزاز أموال الناس . وأن كثيراً من هذه المقالات تحوى القذف والتشنيع والسب الصريح .

وقال : عار على الصحفيين وليس عملهم الذى يقومون به إلا نوعا من أحقر وسائل التسول ، والصحفى المحترم لا يستطيع إلا أن يتوارى خجلا إذا قيل له أن هؤلاء صحفيون ، والواقع أننا وصلنا إلى حالة مريعة إذا لم نضع لها حداً جرفت البلاد وأفسدت الأخلاق — وقال إن (المطرقة) جريدة يقرأها الطلبة وتتسلل إلى البيوت والعائلات فتبث فى بيوتهم السموم . »

وتتعدد مقالات الصحف اليومية فى الهجوم على هذا اللون الجديد من الصحافة الذى استشرى فى خلال حكم اسماعيل صدقى باشا وأعانه الوفد للهجوم على حكومات الأقلية :

وقد علقت إحدى الصحف فى ١٣ مارس ١٩٣٣ على هذا التيار فقالت :

أدرك بعض أصحاب المجلات ان أسهل سبيل للوصول إلى القراء، إنما هو استثارة شهواتهم وتملق الغرائز البهيمية فيهم . فأصبحت تقرأ أخباراً ومقالات وترى صوراً خلاعية أقل ما يقال فيها أنها لا يصح أن تكون حديث المجالس بين الطبقات الراقية ، وهدف تلك المجلات إستدرار أموال الجمهور عن طريق هو أبعد ما يكون عن الشرف ونبل المقاصد وأصحاب المجلات يتنافسون فى دس سموم الآداب القتالة واستغلال أهواء الشبيبة حيث لا وازع لهم من ضمائرهم وقد أسدل المال عليهم ستاراً كثيفاً .

والرغبة فى الرواج جعلت بعضا من أصحاب المجلات يغمسون أقلامهم ف السموم القاتلة ويمزجون بواسطتها مقالات وروايات أقل ما توصف أنها قبيحة وسافلة . ناهيك عن التصاوير الخلاعية التى ترافقها وأ كثر قراء هذه المجلات من الشبان والمراهقين » .

قضية روز اليوسف

(ضد السيدة فاطمة موسى : ومحمد افندى التابعى) وقد صورت النيابه ف قضية روز اليوسف مدى خطر هذا التيار الصحفى[1] : قالت :

قضايا الصحف المخزية بل مآسيها المستفيضة مستعينة بالقضاء على إقالتها من عثرتها وانهاضها من كبوتها فبعض الصحف المصرية لا تزال مع الأسف الشديد تقصر كل مجهودها على اتخاذ جميع الوسائل للرواج والانتشار لا يصدها وازع من أدب ولا وازع من دين،فنها ما ينشر من فاحش القول وسقطه بدعوى أنه أدب مكشوف ومنها ما ينشر الأكاذيب بمختلف الأساليب وراحت تغالى ف الاقذاع فى الناس ومنها نوع وأسلوب خاص يبلغ فى تعريضه وتلميحه ما لا تبلغه المجابهة والتصريح بالذم وما لا يصل إليه الافصاح .

(١) الأهرام — ٢٨ مايو ١٩٣٣

هذا النوع من الأسلوب الخاص تدعمه مجلة روز اليوسف .

فقد جعلت ديدنها السطو على الحرمات تهدمها والتسلق إلى بيوتات الناس من غير أبوابها فتنشر أخبارها حتى إذا ما عجزت عن الحصول على معلومات أو أخبار لم تتورع عن الاختراع وألبست الحوادث العادية من خيالها لباسا خاصا ليفهم القراء أنها ذات حول وطول ، وإن لها عيونا تقتحم الحجب لتسقط الأخبار وقال : إن الخصومة السياسية التى تبتدع مثل هذه اللغة فى المنازعات الحزبية طريقة رثة بالية . وقال : إن للتابعى أفندى طريقة مبتكرة وأسلوب خفيف الروح .

ولكن الواقع أن مجلة روز اليوسف فى كتاباتها قد وجهت إلى العائلات والأشخاص سهاما من الاتهام الجرىء .

قد تكون سهامها ذهبية وقد تكون مسمومة ، وقد رأت بعض المجلات فى روز اليوسف مثلا لرواج فحاولت أن تجاريها ولكنها ما تقدمت خطوة حتى سقطت وباءت بالفشل فى الانتشار وفى تجنب المؤاخذة .

الطريقة المبتكرة فى مجلة روز اليوسف أعرف بأنها أسرفت فى طريقها وبالغت فى خطتها . — ا . هـ »

* * *

وعندنا أن الصحافة الكاريكاتيرية هى تيار بعيد المدى فى الصحافة وفى الحياة الاجتماعية ، أذاع أسلوب السخرية والتهكم والعبارات النازلة والفكات الفاضحة . فقد حولت هذه الصحافة اتجاهنا الفكرى من الجدية إلى الطراوة والتحلل ، كما خلقت روح السخرية والتهاون والميوعة وجعلتنا ننظر إلى حقوق الوطن المسلوبة وأعمال الاقطاعيين والسياسيين المحترفين المستبدين وكأنها شيئا هينا : وفارق كبير بين الصحافة الشعبية إلى دعا إليها جمال الدين الأفغانى ذات الأسلوب

الساخر والنقد المرير ، ذى الهدف الواضح فى مقاومة الظلم وبين ما تطورت إليه الصحافة الكاريكاتيرية ، فكانت إعصاراً خطيرا لتحطيم القيم والأخلاق والمثل العليا وخلق روح من التحلل والنزول والفحش والقائمون على هذه الصحف هم نماذج لما يحملون دعوة .

ولا شك كان للاستعمار دخل كبير فى توسيع نطاق هذه الصحافة وتعززها وتحويلها عن تيار النقد البرىء والعمل النافع إلى هذا اللون المهين من الاتصال بالأعراض والأسرار وخلق هذا الجو المشبوه والكشف ، فضلا عن تشجيع اللغة العامية والكتابات النازلة .

ولعل ما عرف من أرباح الصحافة الكاريكاتيرية حيث ذكر محمد على غريب بأن « التابعى كان يحصل على ٥٠٠ جنيه فى الشهر وهو قيمة نصف أرباح روز اليوسف فى حين كان مرتب داود بركات رئيس تحرير الأهرام إذ ذاك كان ٣٠ جنيها » هو الذى أغرى الكثيرين بإنشاء مثل هذه الصحافة ، وبالجملة فإن صحافة الكاريكاتير كانت عملا شائنا فى الصحافة المصرية من جميع النواحى إذ أنها حملت معها لواء العامية والهدم فى الخلق والمجتمع وخلق طابع الميوعة فى الفكر ، وكان هذا التيار مقدمة لخطر أشد وأبعد مدى فيما بعد الحرب العالمية الثانية .

ومن أخطاء صحافة الكاريكاتير إنها كانت ترمز لمصر بصورة (امرأة) تلبس أحيانا ملابس نصف عارية وتقف فى موقف الأغراء مع (جون بول) الذى يمثل بريطانيا وفى هذا ما فيه من الضعة والهوان .

معركة الصحافة الكاريكاتيرية

درات حول الصحافة الكاريكاتيرية أو ما أطلق عليه الصحافة الهازلة معارك صحفية متعددة؛ من أهمها المعركة التي درات بين هيكل وطه حسين في السياسة وكوكب الشرق (مايو ويونيو ١٩٣٣) وهي أول معركة تنشب بينهما بعد أن ترك طه حسين حزب الأحرار وانضم إلى الوفد .

وكان طه حسين قد دافع عن صحيفة (روز اليوسف) في مقال له بكوكب الشرق ٢٩ مايو ١٩٣٣ وكانت وفدية — إذ ذاك — تهاجم الأحرار الدستوريين وقد تعرضت للمحاكمة والمصادرة ، فكان مقاله «تقديراً وتشجيعا وتحية » .

ورد الدكتور هيكل (السياسة ٣٠ مايو ١٩٣٣) تحت عنوان
الصحافة والأزمة الأخلاقية

فقال : أن الصحف الهازلة أو طائفة فيها هي سبب هذه الأزمة ، واتخاذ هذه الصحف أسلحة للنضال السياسي وأفساد ذوق الجماهير أفساداً يجعله يقبل على ما ينشر من غير الدعاية السياسية هو الذى جعل الأزمة الأخلاقية فيه تسرع ومرضها يستفحل وداؤها يستشرى ، ولو أن هذه الصحف رجعت إلى حمى القانون ولم تمتد إلى حياة الناس الخاصة ولم تروج لكثير من الفساد لما كانت هذه الأزمة الأخلاقية .

وقال: أن تشجيع هذا النوع من الصحافة « جناية على الأخلاق » ولعل أكبر ما جنى على قضية هذه البلاد خلال العشر سنوات الأخيرة هو الاستهانة بالأخلاق ، واتخاذ الأسلحة للظفر بالخصوم السياسيين المصريين أيا كانت هذه الأسلحة وبالغة ما بلغت جنايتها على الأخلاق .

وقال : أى جناية على الأخلاق أكبر من أن تقوم سائر الصحف بتناول حياة

الناس الخاصة فى منازلهم وبين أهليهم لتذكر لك أن فلانة خطبت أو لم تخطب وسارت مع فلان أو لم تسر ثم تردف ذلك بأخبار كلها الخلاعة والمجون .

وتصبح هذه تجارة رابحة . وتصبح سلاحا من أسلحة الدعاية ، وعندما تصبح السياسة على حساب الفضيلة والخلق، فهنا يكون التفكير للحد من ضرورة محاربة الداء الوبيل .

رد طه على هيكل

كنت أحب هيكل[1] أن يكون أوسع نفسا وأرحب صدراً وأرجح حلما من أن يتورط فى هذا كله أو يذكره تصريحا أو تلميحاً أو أشارة فليس فى هذا كل خير . وهيكل يعلم حق العلم أن الذين يحبون الحياة الديمقراطية ويحرصون عليها مخلصين لا ينبغى أن يستمتعوا بخيرها ويضيقوا بشرها إلى هذا الحد ، وإنما ينبغى أن يقبلوها كما هى ،والوفد كغيره من الأحزاب الديمقراطية له صحفه الرسمية التى تصف أرائه وتصور مذاهبه وتدعو بلسانه فهو مسئول عن هذه الصحف، ولكن هناك أشياعا للوفد كثيرين يتصلون به وينصرون له ويدعون إليه بالكلام حينا وبالكتابة فى الصحف حينا آخر ، وهؤلاء لا يستشيرون الوفد . ولا يصدرون فيما يكتبون عن وحى من الوفد ولا يوجههم الوفد فى الطرق التى يسلكونها .

ولعل هيكلا يذكر إن قد كانت فى مصر صحف هازلة تتصل بحزب الأحرار الدستوريين ، وتنتصر له ، وتدعو إليه وتلقى منه رضا وتشجيعا . ولعل هيكلا يذكر أن هذه الصحف كانت فى ذلك الوقت تهاجم خصوم الأحرار الدستورين

---

(١) كوكب الشرق ٣١ / ٥ / ١٩٣٣ .

مهاجمات كثيرة الشر ، شديدة النكر فيها اعتداء على الأعراض وفيها انتهاك المحرمات . وفيها اقتراف للآثام .

ولعل هيكلا يذكر أن حزب الأحرار الدستوريين لم يبرأ من هذه الصحف حينئذ ولم يردها عن فيها ولم يزجرها عن آثامها ، ولعل هيكلا يذكر أن هذه الصحف نفسها تحولت مع الظروف عن حزب الدستوريين فاصلته ما كانت تصلى خصومه من نار .

فماذا كان يقول هيكل لو أن خصوم الأحرار الدستوريين يومئذ أخذوهم بإثم هذه الصحف، وحملوهم تبعات ما كانت تنشر وما كانت تذيع ، وماذا كان يقول هيكل لو أن هذه الصحف لم تتحول عن الاحرار الدستوريين بل ظلت مواليه لهم ، داعية إليهم وظلت مع ذلك مقترفة لما كانت تقترف من إثم ؛ مغرقة فيما كانت تغرق فيه من عدوان .

ما الطريق إلى سؤال هذه الصحف عما تكتب وأخذها بما تذيع ؟ هناك طريقان : طريقة الالتجاء إلى السلطان والاستعداء للقضاء وهى طريقه لاغبار عليها من ناحية الفقة والقانون ، ولعلها لاغبار عليها من ناحية الأخلاق الخاصة. ولكنها تدل على ما سجلنا من ضيق النفوس وحرج الصدور وهى خصال أن قبلت من عامة الناس فهى تستغرب من الذين يحيون الحياة السياسية ويحتملون أثقال الجهاد السياسى .

وليس من حق أن الجهاد السياسى إنما هو المناقشة البريئة الخالصة للحق ، الخالصة لقواعد الأدب والأخلاق فحسب ، وإنما الجهاد السياسى هو هذا وهو أشياء أخرى غير هذا ، منها التعرض للأذى ومنها احتمال الظلم المنكر والجور الصارخ .

وأن من الغريب حقا أن يظن صديق هيكل أن صدرى يضيق لو قالت فى الصحف الهازلة بعض ما تقول فى غيرى من الناس فى هذه الأيام ، ما أعلم أيها الصديق أن أحداً من المعاصرين عبثت به الصحف الهازلة والجادة ونالت منه بمقدار ما عبثت بى ونالت منى . وأنك لتذكر — إن لم يكن قد نسيت — أن صحف الجد والهزل قضت أشهراً وأعواماً لا حديث لها إلا أنا ، تقول فىّ ما تشاء من غير حساب للفن ولا مراقبة للقلم ولا استحياء من الضمير ، ولعلك تذكر — إن لم يكن قد نسيت — أننى أعرضت عما قالت وما زالت عنه معرضا لم أبد صفحة ولم أهتك لها سترا ولم استعد عليها القضاء ولم أشكها إلى السلطان .

وهناك طريق آخر لأخذ الصحف الهازلة بإسرافها فى الهزل ، وهى لقاء الهزل بالهزل ، والعبث بالعبث ؛ ولا يقل صديق هيكل أن الأحرار الدستوريين لا يحبون هذه الطريقة ولا يميلون إليها ، فقد يكون هذا حقاً إذا خلا الأحرار الدستوريون إلى ضمائرهم ومثلهم العليا فى الأخلاق ، ولكنهم حين يخوضون غمار الحياة السياسية يسيرون فيها سيرة غيرهم من الأحزاب وقد كانت لهم صحفهم الهازلة . وكانت تظفر منهم بالرضى والتشجيع وكانت تظفر منهم بالنصر والتأييد فإذا لم تسمح لهم الظروف الآن بطائفة من هذه الصحف فليس ذلك ذنب خصومهم .

أزمة الأخلاق والدفاع عن الصحف التى أنشأتها

وعاد هيكل يكتب فى أول يونية ١٩٣٣ فقال :

ما كنت أرضى لصديقنا الدكتور طه أن يكون المدافع عن الصحف الهزلية

وما تنشره مما يفسد الأخلاق لغير شيء إلا لأن هذه الصحف تدافع عن سياسة الوفد التي يدافع هو عنها .

أن اتخاذ هذه الصحف أسلحة للنضال السياسي وإفساد ذوق الجماهير إفساداً جعله يقبل على ماينشر في غير الدعاية السياسية .

وهذا هو الذي جعل الأزمة الأخلاقية تسرع ومرضها يستفحل وقال : رأينا طه أمس يعود إلى الموضوع، ويرى في وجود هذه الصحف ظاهرة طبيعية لا يجوز أن يضيق بها صدر أحد . ويذكر أن الأحرار الدستوريين كانت لهم صحف من هذا الطراز كما للوفد : وأن هذه الصحف يجب أن تحتمل ويجب أن يقابل كلامها بالابتسام .

وكان عجبنا أكبر حين اتهم ذاكرتنا بأنها نسيت أنه هو — وقد كان موضع حملة عنيفة أزمانا طويلة من هذه الصحف — ولعلها كانت صحف الوفد، وكان موضع حملة تفاوت ما لاينبغي أن يذكر ، قد أعرض عما قالت ولا يزال عنه معرضا .

نحن لم ننس ولا ننسى الحملات المنكرة التي وجهت إلى صديقنا طه ولم ننسى المثالب الدنيئة التي نزل إليها خصومه يومئذ ، لكنا لم ننس كذلك أنه استعدى القضاء ، ورفع دعوى أمام محكمة الجنايات على الأستاذين عبد القادر حمزة وعبدالله حبيب وقال : يذكر صديقنا طه أن اتخاذ الوفد بعض الصحف الهزلية وسائل للدعاية ليس بدعا وأن الأحزاب السياسية تلجأ إلى هذا النوع من الدعاية .

أصارح صديق طه بأني وقفت دهشا حين قرأت قوله : ليس من الحق في شيء أن الجهاد السياسي إنما هو المناقشة البريئة الخالصة للحق . والخالصة لقواعد الأدب والأخلاق فحسب .

وانما الجهاد السياسى هو هذا، وهو أشياء أخرى غير هذا؛ فيها التعرض للأذى وفيها احتمال الظلم المنكر والجو الصارخ والأعتداء على الكرامات والانتهاك للحرمات والصبر على هذا كله والأغضاء عن هذا كله إلى مايليق بالرجل الكريم».

وقفت دهشاً حين قرأت هذا فى هو هذا الجهاد السياسى العجيب الذى يقتضى الأغضاء عن هذا كله . ويقتضى الأغضاء عن الأعتداء على الكرامات والانتهاك للحرمات .

أن الجهاد السياسى الذى نفهمه هو جهاد الظالم لتحطيم ظلمه وجهاد الجائر للقضاء على جوره .

ولو أن الجهاد السياسى كما يقول صديقنا طه جهاداً سلبياً محضا تفسح معه صدرك للظلم والجور فما عسى يكون نوع هذا الجهاد .

رد طه حسين

وكتب طه حسين فى كوكب الشرق يوم أول يونيو / ١٩٣٣ تحت عنوان «كثير» قال :أنه إذا كان أحد الفصلين هو الذى كتبه صديقه هيكل يكفى لأذاعة ما تريد السياسة أن تذيع من المناقشة والجدل . ويصور آراء الأحرار الدستوريين «الذين عرفناهم من قديم الزمان لا يحبون همزا ولا غمزا ولا يؤثرون شتما ولا سباً» موقوفاً على الهمز واللمز وعلى التعريض السخيف والتلميح الذى كنت أحب أن أجل السياسة عنه .

ثم قال : ومهما يكن من شىء فأنى أنصح صديق هيكل أن يعلم كاتبة فن الكتابة السياسية على مذهب الأحرار الدستوريين خاصة وعلى مذهب المثقفين عامة فقد يظهر أنه حديث عهد بهذا الفن .

أن صديق هيكل يذكرنى بأنى قد استعديت القضاء على الاستاذين عبد القادر

حزه وعبد الله حبيب ، وأحب أن أذكر الصديق بأن هذين الاستاذين لم يهاجمانى فى صحيفة هازلة وإنما هاجمانى فى صحيفة جاده ، كانت يومئذ من صحف الوفد ·

وقال : أحب أن يطمئن صديق هيكل فهو أن كان يكره لى أن أدافع عن الصحف الهزلية لا لشيء ألا لأنها تدافع عن الوفد الذى أدافع أنا عنه ، فانا أكره له أن يصور الأشياء تصوراً تنقصه الدقة إلى هذا الحد ، فانا لم أدافع بعد عن الصحف الهازلة . وإنما ذكرت ضيق النفوس وطلبت إلى الذين ينهضون بأعباء الجهاد السياسى أن يعرضوا عن الجاهلين وأن يمروا باللغو مراً كراما ·

ليطمئن صديق هيكل فأنا أرضى لنفسى هذا الموقف الذى وقفته كل الرضى وأحرص عليه كل الحرص .

وقال : أريد هيكل أن يصدق أنى أنكره اليوم أشد الأنكار وأرى فيه حباً للمغالطة أو تورطاً فيها و كنت أعرفه قبل اليوم يكرهها ويتجنبها ·

وقال : هل يعرف هيكل أن رؤساء الأحرار الدستورين وأن حضرة صاحب الدولة رئيسهم الآن قد استعدوا القضاء قبل هذه الأيام على الصحف الهازلة ، لأنها كانت تعبث بهم وتعتدى عليهم ، أفإن لاحظنا خروج الأحرار الدستورين على تقاليدهم التى يجب أن تكون تقاليد « السياسة » حقاً ، أفإن عجبنا أن يخرج محمد محمود باشا عما عرف عنه من الأناة والرزانة ورجاحة الحكم · أفإن كرهنا لأصدقائنا أن يخرجوا عن أطوار الزعماء السياسيين حقاً ، أفان حرصنا على أن يمر أصدقاؤنا باللغو كراما كما فعلوا قبل الآن ، كان هذا منا إساءة إليهم ودعوة لهم إلى قبول الضيم . اليس من الحق لهيكل على نفسه أن يصلح آراءه هذه وأن يردها إلى القصد والصواب ·

وقديماً صبر الأحرار الدستوريون على روز اليوسف فما بالهم يخرجون اليوم من هذا الصبر ويغضبون حين يدعون إليه .

الصحف الهازلة

وكتب الدكتور هيكل فى السياسة اليومية يوم ٢ يونيه ١٩٣٣ فقال : نعود لمناقشة صديقنا طه حسين فى هذه الأزمة الأخلاقية التى تعانى مصر والصحافة التى أنشأت هذه الأزمة ، وهل يجب الأقصاء من هذه الصحافة أو خلق صحافة من نوعها لرد ما تلوث به كرامة الناس وما تنال من حريتهم وما تبلغ من أعراضهم .

وقال : لقد انتشرت هذه الصحافة التى تنال من كرامات الناس وأعراضهم انتشاراً مزعجاً فبعد أن كانت مقصورة على مجلتين أو ثلاث أصبح يظهر منا كل يوم مجلة وأصبحت تلقى من أقبال الجمهور الساذج الذى ألف هذا النوع من الكتابة ما أصبح خطراً داهماً على الأخلاق وعلى العقول .

وقال : أن هذا النوع من الصحف ليس أقل خطراً ولا أفتك باخلاق الأمة من المخدرات .

وقال هيكل : لم أكن أريد أن أناقش صديق طه فى جناية الصحف الهازلة على الاخلاق وفى تأييد بعض الهيئات السياسية أياها أن تتناول القرآن أو أن تتناول النبى .

يقول : أنه دعا محمد باشا محمود وقد خرج مما عرف عنه من الاناة والروية ورجحان الحلم وعن أطوار الزعماء السياسيين حقاء أن يعود إلى الرزانة وإلى أطوار الزعماء السياسيين ، وهو إنما فعل هذا لأن محمود باشا طلب إلى النيابة التحقيق مع الصحف التى تطعن فيه .

هل محمد باشا محمود شكا « الـكشكول » حين كان يطعن عليه وعلى مصطفى النحاس معا ، افـكان طه يكتب هذه الفصول الحارة التى يكتبها اليوم وهل يدعو إلى الأعراض وإلى العفو .

هل كان يرى يومئذ فى الأغضاء عن هذه الصحف علوا وحسن احتمال للاذى . أم كان يرى فيه استهانة للاخلاق وأشاعة للفاحشة بين المصريين .

وقال : احسبنى فى حل أن أجيب بأن هيكلا اليوم هو هيكل الذى يعرفه ، يتجنب المغالطة ولا يحبها ، وماذا تغير من هيكل وهو كما كان من أثنى عشرة سنة على مكتبه لم تغير الظروف فيه شيئا وآراءه لذلك هى آراؤه .

وقال هيكل : يقول طه أن الأحرار الدستوريين لم يرضوا دائما عن الصحف الهازلة ، وأن يرجو السياسة أن تدع هذا الحديث لأنه يكره تفصيله إلا إذا أبى هيكل أن يصله » .

ونحن نقول لصديقنا طه بكل صراحة وأخلاص ، أن الأحرار الدستوريين ليس فى ماضيهم سر يخافون أذاعته من صديق أو خصم ، فليفصل طه ما شاء التفصيل ، وليقل ما شاء أن يقول . فأن أشد ما يكره الأحرار الدستوريين هذه التورية التى توهم للناس أن فى الأمر شيئاً .

وإذا كان فى علم صديقنا طه شىء فلا يسكت عن أذاعته فأنا نبيح له كل شىء .

هيكل مرة أخرى

وعاد هيكل إلى الـكتابة فى ٤ يونيو ١٩٣٣ (السياسة) تحت عنوان «أما بعد» فى السياسة قال :

أما وقد أقفل طه الباب فلسنا نضطره إلى متابعته وسواء أكانت غضبة روزاليوسف من موقفه منها التى دعته إلى أقفال الباب أو كان قد أقفله لأنه لم ير فيه خيراً للاخلاق .

ولكننا لا نستطيع مع ذلك دون أن نطلب منه مرة آخرى أن يفصل ويطيل فى صلة الأحرار بالصحف الهازلة التى كانت تؤيد سياستهم فى حين من الأحيان على نحو ما ذكر فى الكوكب حين حدد بهذا التفصيل والتطويل .

نعم . أما بعد .

وكتب طه حسين فى كوكب الشرق (٤ يونيو) قال: يظهر أن السياسة تريد أن تكون صاحبة الكلمة الأخيرة فيما شجر بينها وبينى من خلاف حول ضيق النفوس وجرح الصدور . فليكن ما تريد السياسة وليهنها أنها تؤثر الجهل على الحلم .

قد تكون غضبة السيدة روز اليوسف من الأسباب التى دعتنى إلى أقفال هذا الباب لا لأنى أخاف السيدة أو أرهب غضبها (ولو فعلت لما كان لذلك بأساً) بل لأنى أشفق على السياسة فى هذه الأيام من التعمق فى هذا الموضوع . فقد يظهر أن صحيفة السيدة روز اليوسف عطلت والدستور قائم وصودرت والقانون مكفول .

وما زلت عندما قلت أول أمس من أنى لا أريد أن أفصل ولا أريد أن أطيل فيما تعلم السياسة لا لأنى عاجز عن التفصيل والإطالة ولا لأنى أعلم شيئا فاذا فتشت عنه لم أجد شيئا ، ولا لأنى أحب أن أقلب صفحات السياسة نفسها وهى فيما أعلم صحيفة جادة فأنقل منها بعض الفصول وبعض الأخبار ، ولا أحب أن أعرض لقلم المطبوعات وفصول كانت تكتب فيه وتغذى بها بعض الصحف ولا أحب أن أذكر زيارات وأسماراً وموائد .

لا أحب أن أذكر شيئا من هذا ؛ من يدرى لعلى أكون أرفق بأصدقائنا الأحرار الدستوريين من صحيفتهم — أما بعد مرة أخرى ؛ فأنى أؤكد لصديق هيكل إنى أؤثر فى هذا الوقت ألف مرة ومرة أن أكون مغلوبا لا غالبا ومنهزما لا منتصراً وليثق هيكل أنى لن أعود لهذا الحديث مهما يكتب .



صحفيون وجهوا تيارات الصحافة

- عباس محمود العقاد
- محمود عزمي
- ابراهيم عبد القادر المازني
- طه حسين
- فكري أباظه

صحفيون وجهوا تيارات الصحافة

كان لعدد كبير من الكتاب أثرهم فى توجيه تيارات الصحافة والتأثير فيها وأن لم يكونوا أصحاب صحف . فقد كانت كل صحيفة تحمل مقالين أو ثلاثة . يكتب أحدهما صاحب الجريدة أو رئيس تحريرها ويكتب أحد هؤلاء الكتاب المقال الثانى .

وكثيرا ما كان أحد هؤلاء الكتاب هو الذى يبرز إلى الصفحة الاولى ولقد كان بعض هؤلاء الكتاب أقوى أثراً وأبعد شهره لدى القراء من أصحاب الصحف أنفسهم بما تكون لهم من كيان شعبى لدى أتباع الأحزاب .

وكان من أبرز هؤلاء العقاد وطه حسين وفكرى أباظه ومحمود عزمى والمازنى . أما غيرهم فقد كانوا فى الدرجة الثانية .

فهؤلاء الكتاب لم يكونوا رؤساء تحرير ارتبطوا بصحف معينة كما ارتبط داود بركات بالأهرام وهيكل بالسياسة وعبد القادر حمزة بالبلاغ وحافظ عوض بكوكب الشرق .

ولكنهم تنقلوا بين عديد من هذه الصحف حسب اتجاههم الحزبى الذى تغير كثيرا ، فقد كتب العقاد فى جميع صحف الوفد تقريبا وفى عديد من المجلات الوفدية ثم كتب فى الصحف التى خاصمت الوفد بعد تحوله عنه عام ١٩٣٥ . وكذلك طه حسين؛ كتب فى صحف خصوم الوفد : السياسة والاتحاد ثم كتب فى صحف الوفد : كوكب الشرق والبلاغ والجهاد .

أما فكرى أباظه فقد كتب ذلك اللون الذى عرف به فى الأهرام والمقطم وفى المصور ولم يكتب فى صحف الأحزاب فقد ظل محتفظا بطابع الحزب الوطنى .

وكتب محمود عزمى فى كل الصحف وفدية ودستورية ومستقلة وغيرها وكان أكثر ما أتصل به الأهرام والسياسة والجهاد .

أما ابراهيم عبد القادر المازنى فقد حرر فى كل الصحف الحزبية على إختلاف ألوانها ، كتب فى الأخبار مع أمين الرافعى ورأس تحرير الاتحاد وكتب فى السياسة ثم كتب فى البلاغ ؛ وأمضى به فترة طويلة وكتب بعد ذلك فى صحف السعديين وفارق كبير بين اسلوب كل كاتب من هؤلاء . وطريقته والزوايا التى يتناول منها موضوعاته مما يتصل بطبيعة وثقافته ووجهة نظر حزبه .

فقد عاش المازنى خصما للوفد، طيلة حياته . أما العقاد وطه حسين فقد تقلبا بين الوفد وخصومه، بدأ العقاد مع الوفد وبدأ طه مع الأحرار ثم تحول كل منهما إلى الوفد عام ١٩٢٣ والعقاد عن الوفد عام ١٩٢٥ أما محمود عزمى فلم يكن له لون سياسى ، كان مع الأحرار فى السياسة أول الأمر ثم انفصل عنهم عندما أوقفوا الدستور والحياة النيابية عام ١٩٢٨ ثم كتب فى السياسة الأسبوعية والجهاد والأهرام وكان قد استهل كتاباته بالأهرام بعد ثورة ١٩١٩ .

ولم يكن هؤلاء الكتاب الذين اخترناهم كل الكتاب السياسيين للصحف ، فقد ظهر عدد كبير منهم فى هذه الفترة غير أن هؤلاء الذين اخترناهم قد تميزوا بأنهم :

* كانوا أكثر شهرة فى الأغلب من رؤساء تحرير الصحف .
* استمروا فى الحياة الصحفية السياسية طيلة الفترة .
* كان لكل منهم طابعه الواضح فى السياسة والجدل .
* كان لكل منهم قراءة المتابعين .

كما كان لهؤلاء الكتاب جوانب أخرى فى الأدب والفكر وإن كنا هنا نعرض لهم من الجانب الصحفى والكتابة السياسية .

عباس محمود العقاد

البلاغ — الجهاد — روز اليوسف

يعد «عباس محمود العقاد» أبرز كتاب الصحافة السياسية وأقسامهم وأقدرهم على السجال والجدل. كتب العقاد قبل الحرب فى الدستور مع فريد وجدى وفى المؤيد مع حافظ عوض وأحرز أول حديث لصحفى مصرى مع وزير (وكان مع سعد زغلول ١٩٠٨).

وقد بدأ حياته السياسية الصحفية بعد الحرب العالمية الأولى فى صفوف الوفد فكتب فى الأهالى مع عبد القادر حمزة فالاهرام ثم (البلاغ) ١٩٣٢ — ١٩٢٩ ثم انتقل إلى (كوكب الشرق) ١٩٣٠ ثم كتب فى (المؤيد الجديد) مقالاته التى كانت موضع المحاكمة والسجن، فلما خرج من الإمر أصدر الضياء وحرر فى جريدة مصر سنة ١٩٣١ فلما أصدر توفيق دياب (الجهاد) حرر به العقاد ١٩٣٢ — ١٩٣٤، ثم حرر روزاليوسف اليومية ١٩٣٥ وانفصل عنها ثم عاد إلى البلاغ ١٩٣٧ ثم كتب بعد ذلك فى الدستور والكتلة والأساس. وتحول العقاد فى جريدة روزاليوسف عام ١٩٣٥ عن الوفد، وكانت البلاغ قد تحولت عن الوفد منذ ١٩٣٢ فلما التقى بها العقاد زادت الحملات على الوفد عنفا، وكانت روز اليوسف وصحفها قد خرجت من الوفد أيضا كاخرج التابعى ومجلة آخر ساعة من بعد، وكان ذلك مقدمة لخروج جناح النقراشى وماهر وتكوين الحزب السعدى الذى ارتبط به العقاد إذ تولى التحرير فى صحفه الدستور والأساس كما حرر فى الكتلة ثم انتهى به المطاف إلى صحف أخبار اليوم.

وإذا كان للعقاد تاريخ حافل فى ميدان الفكر والأدب فإن له فى ميدان الصحافة والكتابة السياسية أيضا تاريخ حافل ضخم، فقد كتب العقاد مئات المقالات فى السياسة منذ عام ١٩٢٢ فى عشرات من الصحف هاجم فيها خصوم الوفد

(١٩٢٢ — ١٩٣٥) ثم هاجم الوفد بعد ذلك مع أحزاب الأحرار الدستوريين والسعديين والكتلة .

ولا شك أن هذا التراث الصحفى بما فيه من معارك قد تبدد وانطوى فى بطون الصحف إلا أقل القليل منه ، وهو غير محسوب من الأدب الباقى وقد اعتبر من الأعمال السياسية اليومية المرتبطة بالأحداث العابرة المارة الموقوتة بوقتها ، ولكنه على كل حال جزء من تاريخ وطننا لا يمكن الإغضاء عنه ، فقد كان هذا الحصاد الهائل من الكتابات السياسية التى حملتها الصحف الأيام وراءا لأيام ، بل الشهور والسنوات فى معركة السياسة والحزبية ، التى اشترك فيها عشرات من الكتاب — كان هذا جزء من تاريخنا الفكرى — ويمكن القول بأن العقاد قد كتب فى هذه المرحلة ما يزيد على خمسة آلاف مقال سياسى :

فما قيمة هذا الحصاد الضخم : هل كان كله فى سبيل العراك الداخلى ، هل كان كله شتائم مقذعة ، وحملات عنيفة . هل كان نقداً لكل شىء دون تقدير لأى عمل صالح . هل كان جرياً مع حزبه فى اتهام الحزب الآخر بالخيانة ؛ ذلك ما يحتاج إلى تقويم شامل ودراسة واسعة .

وأبرز أحداث حياة العقاد هى :

* اعتقاله وسجنه عام ١٩٣١ تسعة شهور على أثر محاكمته .
* تحوله من الوفد ١٩٣٥ بعد هجومه على وزارة نسيم .
* هجرته إلى السودان ١٩٤٢ عندما وصلت قوات روميل إلى العلمين .

— وقد بدأ العقاد حياته الصحفية عام ١٩٠٧ بالتحرير فى جريدة الدستور . وهو أول من أجرى الأحاديث الصحفية من الوزراء والكبراء فى الصحف ، وكان حديثه الأول مع سعد زغلول وزير المعارف نشره فى (مايو ١٩٠٨) فى جريدة الدستور التى كان يصدرها فريد وجدى ، ثم كتب العقاد فى مجلة البيان ١٩١١

وحرر فى جريدة المؤيد . وكان يوقع مقالاته أحيانا بامضاء (ع . م . العقاد) وعمل رقيبا إبان الحرب العالميـــة الأولى ثم كتب فى الأهرام وفيها ترجم بلاغ ملنر وكان لترجمته ضجة، حيث نشرت الصحف الترجمة لعبارة ملنر هكذا : ان الغرض من التحقيق اعطاء الاستقلال (تحت أنظمة دستورية) أما العقاد فترجمها (تحت أنظمة حكم ذاتى) .

وقد التقى فى هذه الفترة الباكرة بسعد زغلول ومحمد فريد ومحمد عبده ومصطفى كامل وعلى يوسف ، وكان أشدها تأثيراً فى نفسه محمد عبده وسعد زغلول ، فقد أحب محمد عبده وسار فى اتجاهه وتشيع له . قال[1] : رأيته فى أسوان ثلاث مرات مرة فى المدرسة ومرة فى مباريات الكرة ومرة فى حفلة افتتاح الخزان ، وأشار إلى أن أستاذه المرحوم محمد فخر الدين عرض كراسته على الأستاذ الامام ، فلما تحدث معه « لم يحجم » العقاد عن مناقشته . هنالك قال الشيخ محمد عبده :

— «ما أجدر هذا أن يكون كاتبا بعد» وقد صور العقاد إعجابه بالشيخ عبده فقال :

« إن إعجابى بالشيخ عبده كان من أكبر المؤثرات فى حياتى العامة وتزويدى بالقدوة الصالحة فى الاستقلال بالرأى والجاهرة بالعقيدة ولو ذهب الأمر مذهب التحدى والمخاطرة وقلة المبالاة بما يكون » .

أما سعد زغلول فقد ارتبط به العقاد أعظم ارتباط ودافع عن سياسته كل دفاع

* وقد صور العقاد فى مذكراته التى نشرتها آخر ساعة . عمله فى الصحافة قبل الحـــرب العالمية الأولى : فقد عمل فى الدستور وفى

(١) المصور — ١٦ أبريل ١٩٤٩

الأخبار التى كان يصدرها يوسف الخازن . وعمل فى المؤيد بعد وفاة على يوسف إبان رئاسة أحمد حافظ عوض لتحريره ؛ ثم انقطع عن الصحافة خلال مدة الحرب العالمية . ثم اتصل بالأهالى وعبد القادر حمزة ولم يرد أن يعمل فى اللواء « لأننى [1] فى محادثتى الأولى مع مصطفى كامل لم يشجعنى على مزاملته فى عمل دائم ،وقدوصورته لى رجلا معتدا بذاته ، ضيق الحظيرة لا يسمح حتى للفكاهة أن تفتح عليه بابا ليصحح قولة قالها أو رأيا ارتآه » .

وكان قد اصطدم به وهو يدرّس بالمدرسة الإسلامية فى أسوان حين حضر لزيارة المدرسة ؛ ويقول العقاد فى صدد الحديث عن سبقه لكتابة فن الأحاديث الصحفية « بقى لى فى الصحافة المصرية باب واحد أستطيع أن أقول أننى كنت أول السابقين إليه ، ذلك هو باب الأحاديث مع الوزراء والساسة فلا أعلم أن أحداً من الصحفيين المصريين سبقنى إلى إجراء حديث عام مع وزير مصرى أو رئيس شرقى يسمع له قول فى السياسة » وعنده أن ذلك لم يكن من المعقول فى صحافة مصر فى عهد الاحتلال قبل حادث دنشواى وقيام الأحزاب .

يقول « تجنبوه معذورين حتى خطر لى أن اقتحم هذا الباب لأول مرة فكان افتحامى إياه عنوانا لصفحة جديدة من تاريخ الوطنية المصرية» قد أجرى الحديث الأول مع سعد زغلول فى وزارة المعارف وأجرى غيره مع الغازى (أحمد مختار) قومسيير الدولة العثمانية فى مصر .قال « وكنت أعلم أن حديثاً يتطرق إلى نظام الجيش فى عهد الاحتلال ويتفوه به أكبر القادة العثمانيين فى مركزه الرسمى بالديار المصرية لن يخلو من ضربة تقض مضاجع المحتلين » .

---

(١) مذكرات العقاد — حياة قلم — آخر ساعة (مايو ١٩٥٠) .

وصور العقاد موقفه من المؤيد وصاحبه (على يوسف) فقال :

لم يحتفظ المؤيد باعجاب الجيل الناشىء إلى زمن طويل ، لأن صاحبه قيد نفسه بسياسة الخديو عباس الثانى فى كل صغيرة وكبيرة فكان يحمل على المحتلين إذا اشتدت الخصومة بينهم وبين الخديو . ويسكت عنهم إذا صفت العلاقات بين الجانبين .

وبلغ من هوادة الشيخ على فى مسألة الجلاء انه سمى حزبه (حزب الإصلاح على المبادىء الدستورية) كأنه لا يكره من المحتلين دعوى الاصلاح إذا سلموا بتوسيع حقوق الأمة الدستورية فى انتظار الدستور . وازداد هذا التحول شيئاً فشيئاً حتى بلغ حد العداء .

وقال : ان على يوسف لم يجامل المحتلين قط لمنفعة يستمدها منهم ، بل لمرضاة الخديو فيما يراه حسب الظروف والضرورات .

ولكنه لم يلبث أن أنصفه حين قال : أنه خدم الشرق كله بصحيفة المؤيد التى كانت تقرأ فى كل بلد إسلامى من الهند إلى بلاد الملايو إلى مراكش وشواطىء افريقيه الغربية وممالكها الداخلية . قال : كان المؤيد مدرسة ثقافية علمت الشرقيين كثيراً من مقاصد الاستعمار » .

ولعل هذا الجو الصحفى الذى عاش فيه العقاد هو الذى أبعده من تيار على يوسف والمؤيد ، وتيار مصطفى كامل واللواء . فهو يقول :

لم أعرف عقيدة فى الوطنية غير عقيدة مصر للمصريين ، ولم أعرف ميزاناً للزعامة القومية أصدق وأشرف من هذا الميزان[1] .

ولعل محبته لمحمد عبده هى التى ربطته بتلميذه سعد زغلول .

---

(١) المصور — ٨ إبريل ١٩٤٩

كما صور العقاد الصحافة فى هذه المرحلة - قبل الحرب العالمية الأولى - فقال : ان منها ما كان يؤيد الاحتلال ويرى أن الخير لمصر فى محالفة المحتلين وتسميتهم بالمصلحين وعلى رأسها (المقطم).

ومنها ما يحارب الاحتلال ويشايع السياسة الفرنسية على إعتقاد أن فرنسا تناوىء الانجليز وتصادق الدولة العثمانية وعلى رأسها (الأهرام) .

ومنها ما يحاسن الاحتلال تارة ويخاشنه تارة أخرى ولا يلح فى طلب الجلاء وتقوم بهذه الدعوة صحيفة (المؤيد) .

ومنها مايحارب الاحتلال عن غير هواده ولايني عن طلب الجلاءويقوم بهذه الدعوة صحيفة « اللواء » .

« وغنى عن القول أن هوى الناشئة جميعا كان مع هذه الصحيفة ولم تشأ المقدمات التى نشأت عليها أن أوافق اللواء من ناحية وأعارضه من ناحية أخرى ، فقد كنا مع عطفنا على الدولة العثمانية تأبى أن نقيد إستقلالنا بسيادتها على بلادنا » .

ويقول العقاد : «أنه لم يكن من دعاة العثمانية ولم يذكر السلطان عبد الحميد بكلمة خير إلا حين إذن باعلان الدستور » .

وفى طريق المرحله الصحفية الأولى للعقاد قبل دوره الهام بعد الحرب الأولى، تحدث فى مذكراته عن عمله بمراجعة الصحف العربية ومراقبتها فى ظل الأحكام العرفية وقال أنه اختلف مع مستر هور نيلوز الرقيب العام فى نشر بعض الأخبار التى عدوها مقلقة .

وأشار إلى أن أهم الصحف خلال الحرب العالمية الأولى هى :المقطم والأهرام.

وكانت كل منهما ورقة واحدة من صحيفتين لا متسع فيهما لنير البرقيات والأنباء المحلية وأنباء الدواوين .

ثم أشار إلى عمله فى جريدة الأهالى مع عبد القادر حمزة .

وقال إنها كانت لسان حال رئيس الوزراء محمد سعيد باشا إلى أن سقطت وزارته وقامت بعدها وزارة حسين رشدى التى أعلنت الحماية على مصر فى عهدها، « فلبست الأهالى بعد ذلك لباس المعارضة فى حدود الظروف التى تسمح بها الحرب والرقابة » .

وكانت هذه المعارضة تقوم على أساسين : أحدهما الخصومة الوزارية بين سعيد ورشدى والآخر ! وإيمان سعيد باشا ببقاء السيادة العثمانية فى استنهاض الحجة القانونية أو الحجة الدولية على الإحتلال والحماية ، فلما ظهرت الدعوة الوطنية على يد الوفد المصرى بقيادة « سعد زغلول » وافترقت الخطة العامة بين الصحيفة والوفد تركتها وعملت فى الصحيفة التى كانت تجرى يومئذ على تلك الخطة .

وكانت فاتحة عصر جـــديد فى حياة مصر وفى حياة الصحافة وحياتى الصحفية » .

× كما أشار العقاد إلى الأزمة التى مرت بها الصحافة فى هـذه الفترة — فترة ما قبل الحرب العالمية والتى استدعت إعادة قانون الصحافة القديم — ولعله أراد الدفاع عن سعد زغلول وزير الحقانية الذى أعاد قانون المطبوعات فذكر أنه بعد وفاة مصطفى كامل وعلى يوسف « لم تلبث الصحافة أن صارت إلى الأقلام التى لا تحسن شيئاً كما تحسن أن تسقط معاذيرها وأن تمهد العذر لمن يتمحلون العلل عليها . ولا نخال أن حاكماً حراً أو مستبداً كان يعييه أن يتمحل العلل للحجر على الدعوة الصريحة إلى القتل وإهدار الدماء ومن أمثلتها ما نشر فى ديوان (وطنيتى) من أبيات يقول فيها :

هل سال فى مصر الدم ... أم هل أفاق النـــوم
ومضوا إلى أهل الضلا ... ل فأعدموا من أعدموا

فإنه لمن سخافة القائل أن يتهم بالاستبداد حكومة تسمح بنشر هذا التعريض ، فإن لم تكن مستبدة فمن السخف أن يحاسبها على منع التعريض وتحريمه . فما كانت حكومة حرة أو مستبدة لتحاسب على هذا المنع وهذا التحريم .

وكأنما كانت الصحافة فى سباق بينها على تدبير المعاذير للسلطة التى تعمل على تقييدها والحجر عليها ، فقد كان الصحفيون الأسبوعيون فى ذلك الحين يستبيحون كل محظورة فى التشهير واستغلال الفضائح وافتراء الأكاذيب لاغتصاب الأتاوات التى لا موعد لها ولا حدود لتكرارها باسم الاشتراكات أو التبرعات الوطنية[1] » .

بعد الحرب الأولى

كان كتاب الوفد بعد الحرب العالمية الأولى هم : المنفلوطى ؛ وعبد القادر حمزه والعقاد وحافظ عوض وقد جرى التنافس بين العقاد والمنفلوطى فقال العقاد لسعد زغلول أن المنفلوطى ليس إلا منشئاً .

ولاشك أن الجانب الذى اختاره العقاد كان أصدق الجوانب ، فقد كان الوفد هو القوة الشعبية الضخمة التى كونتها ثورة ١٩١٩ ، غير أن تمزق جبهة الوفد إلى حزبين : هما حزب الوفد وحزب الأحرار الدستوريين ، قد حول المعركة الصحفية إلى خلاف على الحكم والأفراد . ولقد مضى العقاد إلى النهاية فى تأييد سعد زغلول والوفد ومهاجمة خصومه من الأحرار الدستوريين ثم حزب الاتحاد ثم حكم كلا من محمد محمود وصدقى فى خلال فترة حكم كل منهما الرجعى الاحتلالى .

وكان أسلوب العقاد فى كتاباته السياسية بالغ العنف حتى وصف بالصواعق ، وكانت مقالاته تنشر دون أن يراجعها رئيس التحرير أو يحذف منها ، وإلا فالويل له من غضبة

(١) مذكرات العقاد (آخر ساعة) مايو ١٩٥٥

العقاد . ولقد أدى هذا إلى كثير من المشاكل ، فقد نشر العقاد عندما زار المندوب السامي البريطاني (لورد جورج لويد) مدينة المنيا وهيأت له الإدارة إستقبالا كاستقبال أصحاب العروش مقالا حمل فيه على اللورد الإنجليزي وعلى المحتفلين به حملة شعواء غضب من أجلها[1] فلما وجهت تهمة التحريض إلى سعد زغلول أجاب في صراحة : إنها تهمة لا أدفعها وشرف لا أدعيه .

ومن ذلك أن العقاد نشر هجوما على شوقي في البلاغ في يوم حفل تكريمه والبلاغ إذ ذاك صحيفة الوفد وسعد هو رئيس الاحتفال وقد حمل العقاد حملات سياسية ضخمة على عدد كبير من خصوم الوفد (حتى عام ١٩٣٥) فلما تحول عن الوفد غير رأيه في كثير من خصومه الذين هاجمهم من قبل وفي مقدمتهم زعماء حزب الأحرار الدستوريين ، وبدا التناقض في رأيه إزاء كثير من المسائل غير أن العقاد يرى حين يسأل عن أعنف معاركه مع خصومه يقول : أشهد أني ما وجدت القلم ينبعث في يدي إنبعاثا إلى القول القارص العنيف كما كان ينبعث في الرد على خطب الهلباوي وأحاديثه فردودي عليه فيما اعتقد كانت أعنف ما كتبت على الإطلاق .

* * *

وفي حماسة الحملات الحزبية هاجم العقاد (سنة ١٩٢٤) رجلا من اشراف الرجال هو : أمين الرافعي وانقاهم قلما وضميراً هو : وهو الرجل الناصع الذى أختلف مع سعد وظل قديسا من شهداء الصحافة والكرامة والمثل العليا .

ولم يرق إلى منزلته في النزاهه والصدق والتمسك بالمثل الأعلى صحفي في عصره .

كما هاجم الحزب الوطني وسخر به وسخر بمصطفى كامل كما هاجم عبد الرحمن الرافعي عام ١٩٣٥ .

---

(١) محمد طاهر الجبلاوي ص ٦١١ من كتاب « العقاد : دراسة ونقد »

وكان للعقاد بعد خروجه من الوفد مساجلات مع توفيق دياب والجهاد — ومع عبد القادر حمزه والبلاغ ومع الدكتور هيكل والسياسة فى نماذج متعددة :

يقول محمد زكى عبد القادر فى مذكراته[1] :

إن العقاد كان يعارض هيكل ذات مرة ، فلم يعرض لمقاله ولكن عرض لشخصه ولمح تلميحا ، بل صرح تصريحاً بأن هيكل كتب ما كتب وهو غير واع ، كان فى غيبوبة اشتهرت عنه حينئذ » .

وقد أشار العقاد إلى هذه المعارك فى رده على زكى عبد القادر[2] فقال « إنه قد فاته أطراف من تلك المناقشة من العقاد ومنها « إنه محمود يمسح فيه الناس أقدامهم وأن يصدق عليه وصف المسدس الذى عرف من ابن زيدون الشاعر الأندلسى ومعناه أنه ذو صفات ستة منها إنه « ديوث وزنديق وسارق » وإنه وإنه ..»

ولم يقم صدام كبير بين العقاد وطه حسين « بالرغم من أنهما كان يختلفان حزبياً ، ذلك لأن العقاد جامل طه حسين أبان معركة الشعر الجاهلى بالرغم من الخصومة الحزبية ، ولذلك فإن طه حسين عندما جاء إلى الوفد جامل العقاد فأهداه إمارة الشعر . ومن عجب أن طه دخل الوفد والعقاد خرج منه .

ولقد استغل المرحوم مصطفى صادق الرافعى الصحف التى تخاصم العقاد فهاجمه فيها ، كتب ضده فى جريدة البلاغ بعد أن خرجت على الوفد ، فلما عاد العقاد إليها وخرج من الوفد هاجمه فى الجهاد .

وأبرز معارك العقاد هى : معركته مع حكومة محمد محمود ١٩٢٨ وكان قد أطلق

---

(١) الجيل الجديد ١٦/١١/١٩٥٩

(٢) الأخبار — ٢٣ نوفبر ١٩٥٩

عليها وزارة اليد الحديدية ، إذ أعلن رئيسها أنه سيحكم البلاد بيد من حديد .
فكتب العقاد مقاله :

(يد من حديد ولكن فى ذراع من جريد) .

× وجاءت معركته الكبرى التى قدمته إلى المحاكمة . وكان البرلمان قد عقد إجتماعا خاصاً للنظر فيما يدبر للحياة النيابية ووقف العقاد خطيباً فقال :

« إن الأمة على إستعداد لأن تسحق أكبر رأس يخون الدستور أو يعتدى عليه » ولما كان ذلك الكلام موجهاً إلى القصر ولم يكن فى المستطاع محاسبته وهو متمتع بالحصانة البرلمانية . فقد لجأت إلى إحصاء ما كتبه من مقالات فى جريدة «المؤيد الجديد» وقدم إلى المحاكمة بتهمة العيب فى الذات الملكية . وفى مقالاته المتتالية التى كان يكتبها عن الرجعية وأعمالها وقدم إلى المحاكمة فى ٣٠/١٢/٢٢ وحكم عليه بالحبس تسعة شهور .

فلما خرج من السجن توجه إلى ضريح سعد وكتب قصيدته :

عداتى وصحبى لاإختلاف عليهما سيعهدنى كل كما كان يعهد

وقد بدأت هذه المقالات فى ٩ سبتمبر سنة ١٩٣٠ وجرى إتهامه بأن الملك يناهض الأمة فى أمانيها ويريد استذلالها واستعبادها ومعاملتها معاملة السائمة ، وأنه ذكر بأن الرجعية كانت لا تزال حرباً على الأمة وقد بذلت كل ما فى وسعها لتأخير استقلال البلاد وإبقاء الحماية مضروبة عليها .

وعندما خرج من السجن حرر فى جريدة مصر (١٥ أغسطس ١٩٣١)

• ثم كانت حملته على وزارة نسيم باشا فى جريدة روز اليوسف ، (بدأت هذه الحملة فى سبتمبر ١٩٣٥) . هذه الوزارة التى كانت تلقى التأييد من الملك والانجليز وحزب الوفد .

ومما يروى أن النحاس باشا غضب لهذه الحملة وأرسل إلى العقاد يقول :

— أنا زعيم الأمة وأؤيد الوزارة فما عساك تصنع يا عباس ياعقاد

قال العقاد : أنت زعيم الأمة لأن هؤلاء أنتخبوك . ولـكنى كاتب الشرق بالحق الآلهى . لن تنتهى برية هذا القلم الأوقد انتهى أجل هذه الوزارة .

وقد خرج العقاد وجريدة روز اليوسف[1] من الوفد على أثر هذه الحملة .

وعندما أراد إصدار جريدة الضياء ١٩٣٧ كادته الحـكومة بشراء أعدادها جملة من متعهدى الصحف[2] :

× هاجم العقاد معاهدة ١٩٣٦ فى جريدة مصر الفتاة .

× واشترك العقاد فى مهاجمة وزارة الوفد التى ألفت بعد توقيع المعاهدة مع صاحب البلاغ فى حملة ضخمة استمرت عاما كاملا .

وقد قبض عليه وحقق معه على أثر مقاله (إذهبوا وحدكم ولا تأخذوا الدستور معكم) الذى نشره فى البلاغ أول سبتمبر ١٩٣٧ فلما خرج بعد أعتقاله أربعة أيام كتب مقاله (أهذه زعامة) قال فيه : سعيدذلك الصحفى الذى لايفوته فى الحبس شىء من الدنياغير كلام النحاس باشا ؛ وقدسقطت الوزارة يوم ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ فشيعها العقاد بمقاله المشهور (دالت دولة المهرجين) .

وهكذا أصبح العقاد كاتب الوفد الأول عدو الوفد الأول .

وكان العقاد يهاجم الوفد هجوماً عنيفاً كما كان يدافع عنه دفاعا عنيفاً ، ومن هنا دحض رأيه القديم الذى قاله عام ١٩٣٢ من أن « مصر كلها وفدية

---

(١) ترك العقاد جريدة روز اليوسف فى ٢٠/١٢/١٩٢٥

(٢) محمد طاهر الجبلاوى . كتاب العقاد دراسة وتحية

وستظل وفدية ما دامت لها قضية وطنية وما دام لأهلها أمل فى الحرية » .

ولعل العقاد لم يكن جامداً على البقاء فى صف الوفد وهو يتحول من قوة وطنية إلى ما وصفه أحد زعماء الوفد من أن الوفد تحول إلى زعامة وتطورت الزعامة إلى زعيم .

ولكن العقاد الذى تحرر من طغيان الوفد وتحوله ، تعاون مع أحزاب الأقليات ، وربما كان ارتباطه بالسعديين يرجع إلى الصلة الشخصية والارتباط الخاص الذى يرى وجه التقدير له ككاتب ممتاز .

وقد أخذ على العقاد إنه لم يكن ذا منهج سياسى واضح . وربما كان ديموقراطيا على الطريقة الغربية . ومع ذلك فقد هاجم العقاد مذاهب أربع هى : الفاشية والنازية والشيوعية والصهيونية . وله فى السياسة مقالات ساخرة منها : طبيب الكالو . وعلوبه يكره الأوباش ، وحلمى عيسى على الربابة .

وهو يكتب مقالاته باللون الأحمر فى الصباح ثم يعود فى المساء إلى مراجعتها

وكان يكتب فى مطلع حياته بالقلم الرصاص ويقول إنه كان يفضل الكتابة بالرصاص لانه لا يحوجه إلى تكرير حركة اليد بين الصفحة والدواة ، ومن عادته فى ذلك أنه يختار الورق الابيض غير المسطور « لانى جربت أن مراعاة السطور تصرف ذهنى عن الموضوع » .

يقول : وأبدأ المقال وفى ذهنى جميع أصوله ونقطه مرتبة على الجملة حسب

---

(١) ولد العقاد فى عام ١٨٩٩ فى أسوان

التصلسل المنطقى ، ولكنى إذا مضيت فى الكتابة عرضت لى حاشية من هنا وملحة من هنالك تطرأ فى عرض الكلام ولا تغير شيئاً من جوهر المقال » .

ويقول أنه « يكتب فى كل مكان خلا من الضوضاء » .

« أما إذا لم تقيدنى الضرورة بمكان معين فأكثر ما أكتب وأنا مضطجع على الفراش وثلاثة أرباع مقالاتى السياسية كتبت كذلك ..

هذا فى النثر ، أما فى الشعر فيغلب أن أنظمه وأنا أمشى أو أسير فى الخلاء .

وإذا شطبت على الكلمة أثناء الكتابة عنيت بأن أطمسها طمساً تاماً . كأنى لا أريد أن تتراءى لنظرى بعد ذلك ويكثر الشطب إذا كنت مشغول الذهن منحرف المزاج .

أما زمان الكتابة فشرطى الوحيد فيه ألا يكون بعد تناول الطعام » .

ويصور العقاد خطته فى النقد والمناقشة فيقول :

«خطتى فى المناقشة أن أعمد إلى أقوى الحجج بداءة فأجتهد فى تقويضها ، ثم أقفوها بأضعف الحجج . وقد أعود إلى ما فيه مساك من القوة ، وربما كانت هذه الخطة مفاجأة للقارىء ولكنها مفاجأة لا تخلو — كما شاهدت بالتجربة — من تأثيرها المنشود وأفضل الكتابة منفرداً لا يحيط بى أحد » .

وقد صور العقاد الصحافة فى رأيه فقال أنها جمعت بين الخير والشر «فمن خيرها أنها سريعة الفعل فى نشر المعرفة وبث الدعوات القوية واستنهاض العزائم لمكافحة السيطرة الأجنبية وترقية اللغة ودوام التفريق بين لغة العلم ولغة البيت والسوق .

ومن شرها ولا ريب أنها شغلت الناس بسفاسف الأمور وطلبت الرواج

والانتشار بإثارة الفضول وتزويد القراء بما يرضيهم دون ما ينفعهم من الآراء والأنباء ،وأنها ضلت زمام الجماهير لمن يستطيع أن يشترى أقلامها أو يسخرها وأن الاقبال عليها بصرف القراء عما هو أفضل منها وأولى بالانصراف من أنواع المطالعة والتحصيل المفيد[1] .

* * *

وقد أجاب العقاد عن سؤال عن أقسى ما كتب من فصول .

فقال : أشهد القارىء أنني ما وجدت القلم ينبعث في يدى إنبعاثا إلى القول القارص العنيف ، كما كان ينبعث في الرد على خطب الهلباوى وأحاديثه فردودى عليه فيما أعتقد كانت أعنف ما كتبت على الاطلاق .

* * *

ولا يختتم الحديث عن العقاد (الصحفى) دون الاشارة إلى هجرته إلى السودان بعد وصول الألمان إلى (العلمين) وعودته بعد وقت قليل عندما ردهم الانجليز على أعقابهم .

وكان العقاد يحارب بقلمه فى صف الديمقراطية الغربية ضد الألمان وله كتابه عن هتلر وهجومه العنيف على النازية والفاشية .

---

(١) مجلة صوت الشرق — (اكتوبر ١٩٥٤) .

محمود عزمى

الاهرام — السياسة — الجهاد

صحفى مفكر، حرر فى صحف العلم والمحروسة والأفكار والأهرام والسياسة ووادى النيل وأصدر مجلة الاستقلال ١٩٢٢ والشباب ١٩٣٦، ورأس تحرير جريدة روز اليوسف اليومية واشترك فى تحرير أخبار اليوم وعرف بلونه الحر الدستورى حيث قضى أول فترة فى حياته فى السياسة، كان له دور فى كتابة البرلمانيات وتصوير محاورات المجالس النيابية ونقد جلساتها، ترك الأحرار الدستوريين وغادر جريدة السياسة وهو رئيس تحريرها بالنيابة أثناء غياب الدكتور هيكل فى أوربا عندما أصدر الأحرار قرارهم بإيقاف الدستور والحياة النيابية (١٩ يوليو ١٩٢٨).

عمل محرراً دبلوماسيا للسياسة الأسبوعية والجهاد وراسل من أوربا كوكب الشرق والبلاغ، سافر بعد عودة لجنة ملنر ١٩٣٠ مراسلا للأهرام فى مفاوضات سعد الأولى فى باريس ولندن واشترك مع الوفد الرسمى (١٩٢١ و١٩٢٩) فى المفاوضات وعمل سكرتيرا للخديو فى أوربا وعمل صحفيا فى لندن وسافر إلى الحجاز. وراسل السياسة فى مدينة لوزان أثناء انعقاد مؤتمر الصلح بين تركيا والحلفاء.

وهكذا عاش « محمود عزمى » حياة متحركة قلقة، بين الصحافة والتدريس، فى كليات القاهرة وبغداد، وقد ذكر فى كتابه (خبايا سياسية — القاهرة ص ١١٨) انه اشتغل بالسياسة فى آخر أكتوبر ١٩٢٢ مندوبا لدى مؤتمر لوزان حتى فبراير ١٩٢٣ ثم استأنف الاتصال بها مراسلا برلمانيا بعد افتتاح البرلمان فى مارس ١٩٢٤ ثم عمل سكرتيرا لتحريرها وكاتبا لافتتاحياتها التى كان عليها دائما مسحة البحث والتحليل بينما كان هيكل رئيسا للتحرير يدبج (حديث

اليوم) وهو المقال الجرىء المعبر عن اتجاه الأحرار الدستوريين وبينما كان توفيق دياب ممهوداً له بالحملات وما تستدعيه من مهاجات وما إلى المهاجات» .

وقد عرف محمود عزمى بالجرأة البالغة فى إعلان رأيه ، فقد هاجم سعد زغلول فى برلمان ١٩٢٦ وكان رئيسا لمجلس النواب ، و كان سعدقد أبدى رأيه فى موضوع من الموضوعات المطروحة عليه من على منصة الرئاسة ، (وكان عزمى) المراسل البرلمانى لجريدة السياسة فتناول هذا المظهر بالنقد ، وصدرت السياسة فى الصباح وفيهاقوله: «إن سعد باشا على منصة الرئاسة إنما يمثل المجلس كله ويمثل الأمة كلها . ولا يستطيع هذا التمثيل الشامل أن يدلى برأى فردى فى موضوع تجرى فيه المناقشة فى المجلس ، لـكن سعد باشا نائب ، ولم يسقط عن طريق نيابته أن يدلى بآرائه الفردية ، لـكن له هذا الادلاء عن غير منصة الرئاسة . فإذا هو أراد استعمال حقه فى الـكلام الفردى فليعهد بالرئاسة لأحد الوكيلين ومغادرة منصة الرئاسة وليأخذ مكانه بين الأعضاء وليطلب الـكلمة لتمط إياه نائبا محترما عن السيدة .

وقد عنّ لسعد زغلول فى نفس اليوم أن يتـكلم فإذا به يعهد بالرئاسة لأحد الوكيلين وينزل ليتـكلم من منصة النواب » .

وكان موقفـه من جريدة السياسة من المواقف البـارزة البعيدة الأثر فى الصحافة .

لماذا انسحبت من تحرير السياسة

قال: لم أكن فى حياتى الصحفية كلها إلا مقيدا نفسى عاملا من أجل المصلحة العامة لا أصدر فى تصرفاتى وفى آرائى إلا عن عقيدة راسخة مهما قام فى سبيلى من عقبات ومهما بعد ما بينى وبين الجماعة من مسافة الخلف .

وهكذا كنت يوم عملت فى جريدة «العلم» إلى جانب المرحوم أمين الرافعى سنة ١٩١٢ إذ كنت كما كانت كثرة المصريين الناجهين عضوا فى الحزب الوطنى، وهكذا كنت يوم توليت تحرير جريدة الأفكار ١٩٢٠ أدعو النـاس إلى قبول مشروع ملنر، لـكن على أن يعرفوا انه ليس الاستقلال الذى ينشدونه بل خطوة فقط إلى جو يسهل فيه العمل لتحقيق هذا الاستقلال . وهكذا كنت يوم أصدرت جريدة الاستقلال أهيب فيها بلجنة الدستور أن تصوره متمشيا مع نتائج العمل فى البلاد الدستورية .

وأشار عزمى إلى أنه تولى رئاسة تحرير السياسة أثناء غياب هيكل . غير أنه على أثر صدور قرار الأحرار الدستوريين بحل مجلس النواب وتأجيل الحياة النيابية ثلاث سنين قابلة للتجديد . والقضاء على حرية الصحافة التى كان مفروضاً أن الدستور جعلها خالدة بالنص على استحالة تنقيح المادة التى تنص عليها لأنها من المواد المقررة للحرية والمساواة أمام هذه الـكارثة الـكبرى لم تـكن لى مندوحة عن الانسحاب من تحرير جريدة السياسة » .

(عزمى ودياب)

وقد ارتبط محمود عزمى مع توفيق دياب — وكانا قد تركا حزب الأحرار وجريدة السياسة — على أثر قرار إيقاف الدستور ، واتفقا على إصدار جريدة (وادى النيل) فلما اشترط صاحبها الأستاذ الـكازة إن تـكون على مبادىء الوفد وافق توفيق ، وعارض عزمى وطلب : أن يكون هدفها « العمل على استرداد الدستور واستكمال الاستقلال » :

غير أن توفيق دياب أعلن انضمامه للوفد فى ١٤ نوفبر ١٩٢٨ خلال الاحتفال بعيد الجهاد القومى . وبقى محمود عزمى مستقلا عن الأحزاب . وظلا يعملان فى جريدة وادى النيل ألى ١٦ ديسمبر إذ صدر القرار بالغاء الجريدة ،

ثم أصدرا بعد ذلك جريدة (الشرق الجديد) ثم ألغيت ؛ هنالك اتجه (محمود عزمى) إلى مراسلة الصحف فى الخارج واتفق مع السياسة الأسبوعية على ذلك .

فلما سقطت وزارة محمد محمود تقدم توفيق دياب للانتخابات على مبادىء الوفد ونجح ، وأصدر جريدة (اليوم) ١٩٢٩ وعمل عزمى مع دياب فيها .

ثم آثر عزمى البقاء فى أوربا فى عهد صدقى . . وعمل مع الخديو فى باريس ثم استقال وقصد إلى لندن يعمل مراسلا للجهـاد ثم مر بمصر فى طريقه إلى الحجاز وعاد من بلاد العرب حيث عمل محرراً دبلوماسيا فى الجهاد . ثم حل خلال ذلك على المهد . ثم استقال من الجهاد .

ولعل أبرز جوانب عزمى أنه أول مفكر سياسى دعا إلى الفـكرة العربية بصورة علمية بعيدة عن العواطف والـكتابات الإنشائية فقد طالب بتوحيد برامج التعليم فى الدول العربية وتوحيد النقد ورفع الحواجز الجمركية وتوحيد السياسة الخارجية للدول العربية .

وعن ذلك مقالاته فى السياسة الأسبوعية ١٩٢٩ ومقالاته فى الجهاد ومنها مقال ١٢ يوليو ١٩٣٤ -- « الوحدة العربية فى سبيل التـكوين الجدى : هل سيظل موقف مصر الرسمية على ما هو عليه » .

(تجربة الصحافه)

وقد روى محمود عزمى فى كتابه « خفايا سياسية » كثيرا من مغامراته الصحفية ولعل أهمها فى هذا المجال خبطته الصحفية الشهيرة فى الحصول على مشروع ملنر فى مفاوضات الوفد المصرى الأول ١٩٢١ :

يقول : علمت أنه قد سلم لورد ملنر سعد باشا مشروع الاتفاق ، فقصدت عدلى باشا وكان يتناول العشاء . وسألته ماذا تضمنه المشروع فسرد على عدلى باشا

مواده واحدة واحدة ، إلى أن انتهى منها جميعاً ، فهممت مهرولا ، فسألنى إلى أين ، قلت: إلى مكتب التلغراف . قال: لا بل إلى سعد باشا أولا . فقد يكون له رأى فيما يرسل للبلد وما لا يرسل ، قلت : وهو كذلك ، وقصدت إلى فندق كارلستون .

وكانت الساعة السابعة قد اكتملت وكانت غرفة الاستقبال فى مقر الوفد غير منارة كل مصابيحها . وكان بها سعد باشا ومعه حمد الباسل باشا وواصف غالى والمكباتى فتقدمت إلى الرئيس سائلا : هل تسلم مشروع ملنر . فقال نعم . قلت : وماذا تضمن المشروع ؟ فأجاب : هذا إشكال . فقد تعهدنا بعدم إذاعته قبل وصوله إلى القاهرة . قلت : ولكنه عندى ؛ قال وماذا تعرف عن مضمونه . فسردت ملخص مواده بالترتيب . قال وكيف عرفته ؟ قلت من عدلى باشا ، قال: لا غبار عليه ، فالذين تعهدوا هم أعضاء الوفد وحدهم . قلت: انى كنت قاصدا إلى التلغراف لأبعث به الأهرام ، لكن عدلى باشا طلب إلى أن أستشيركم فى صدد ما يرسل منه وما لا يرسل . قال بل يرسل كله . واستدرك فى الحال (ولكنا أرسلناه للجنة الوفد فى بمصر) قلت ولكن على أن ابعث به لجريدتى . قال : لقد بعثنا به مستعجلا . قلت: لكن يجب أن أؤدى واجبى الصحفى . فأعاد أن البيان قد أرسل بطريق الاستعجال ففهمت من هذا الالحاح أن البيان لم يرسل وأن سعد باشا لا يريد أن يصل علمه إلى أحد فى مصر قبل أن يصل إلى اللجنة المركزية وفهمت سبب سؤال الباشا عن كامل سليم ورودا فى ثلاث مرات .

وأردت أن أبعد عن الأذهان أنى سأسبق الوفد فى الإعلان ، فقلت: أن مكتب التلغراف قد أقفل على أى حال ، واليوم يوم أحد ، والمكتب يغلق أيام الآحاد فى الساعة الثامنة ، وكان هذا صحيحا بالنسبة لمكتب التلغراف بشارع البرلمان ولم يكن صحيحا بالنسبة لمكتبه الرئيسى الذى يظل مفتوحا طول النهار وطول الليل أيام الأسبوع وأيام الآحاد .

وسألت سعد باشا رأيه فى مشروع ملنر فأجابنى بتحليل موقفه بصفته مصرياً وبصفته رئيساً للوفد ووكيلا عن الأمة فى المطالبه بالاستقلال ثم بتحليل موقف أمثال (أمين الرافعى)الذين يطالبون بما يطالبون به(من المنبع إلى المصب) وبتحليل غيرذلك من المواقف التى لانطاوع الظروف بعد على أذاعةالآراء بشأنها، وأطلت الجلسة عمداً حتى لا أدع الشك فى أنى ذاهب إلى التلغراف يتطرق إلى نفس أحد ، وفى منتصف الساعة الحادية عشرة أستأذنت فى الانصراف وهرولت إلى مكتب التلغراف الرئيسى فحررت برقية وسلمتها فى منتصف الليل وحسبت حساب نقلها إلى القاهرة والفرق بين لندن والتوقيت فى مصر وأدركت أن البرقية ستصل بعد أن يكون الأهرام قد أعد للطبع فجرأت أن أضيف كلمتين هما « أصدروا ملحقا » وكان ما حسبت حسابه فلم تصل البرقية حتى الساعة السادسة صباحاً وأصدر الأهرام على غير عادته ملحقاً فى الساعة العاشرة صباحاً .

وكان الأستاذ دومانى هو الذى يشرف عادة على شحن عفش أعضاء الوفد فلما قصدت ضحى اليوم التالى إلى المحطة لأعود مع الوفد إلى باريس وجدته منهمكا ووجدت جيوبه مملوءه بالأوراق يخرج بعضها ويدخل البعض الآخر ويخشى إلا يلحق القطار ، وأراد دومانى أن يخرج تذكرته فخرجت من جيبه ورقة صفراء اللون . واللون الأصفر هو لون ورق البرقيات التى ترسل للخارج من انجلترا فلما رآها دومانى بهت وصاح : لقد نسيت أرسال البرقية . سألت أى برقية ؟ فقال البرقية بمشروع ملنر .

فدللته على مكتب التلغراف على الرصيف وقصدت أنا إلى القطار أقص القصة كلها على سعد باشا التى ضحك لها كثيراً .

وتحدث محمود عزمى عن عزمه على البقاء فى أوربا أبان حكم إسماعيل صدقى قال: « لأنى أدركت أن حياة الأحرار بمصر فى عهد صدقى باشا لن تكون بحيث تمكنهم من توجيه مواهبهم التوجيه الذى يحسبونه الوحيد فى مثل تلك الظروف التى يتولى الحكم فيها صدقى باشا ، وكان صدقى باشا قد أصدر دستوره (دستور ١٩٣٠) وكان برلمانه قد انعقد ، وكان هو قد استصدر قبل إنعقاد برلمانه بيومين أو ثلاثة أيام مرسومين بقانونين عدل باحدهما أحكام قانون المطبوعات ومواد قانون العقوبات المتصلة بالصحافة ، وعدل ثيانيهما قانون الجنسية إذ أضاف إلى حالات اسقاط الجنسية الواردة فيه حالة جديدة خاصة بالمصريين المقيمين فى الخارج والذين يتصلون بأى نوع من أنواع الاتصال بهيئة أو مكتب أو جماعة يتصل هى الأخرى أى نوع من أنواع الاتصال بحكومة نظامها الاجتماعى مخالف لنظام مصر الاجتماعى وفهم أيام صدور هذا المرسوم الثانى أن (الشيوعية) هى التى سيقضى مجرد الاتهام بها اتهاما أداريا بأسقاط الجنسية عمن يراد أسقاط الجنسية منهم من المصريين المقيمين فى الخارج .

وراجت الاشاعات من القاهرة إلى باريس أو غير باريس من المدن التى يقيم فيها المصريون « غير المرغوب فيهم » من صدقى باشا ونظامه وراحت تجرى بأسماء معينة بين هؤلاء وهؤلاء يقول أنهم المقصودون بذلك التشريع الاستثنائى المستعجل .

وقال أنه وصل إلى القدس ولكنه رفض أن يقصد إلى القاهرة وكتب لأحد اصدقائه يقول : أنه مصمم على إلا تطأها قدماى وأهلها على ما هم عليه من (خنوثه) إذا يقابلون أعتداء صدقى باشا على الدستور والحريات ، ذلك الاعتداء القاسى البشم بالرضا والسكوت » .

وأشار محمود عزمى فى مذكراته أنه قصد فى ١٣ مايو ١٩٣٤ إلى جده فى طريقه إلى ميدان القتال بين السعودين واليمن مراسلا حربياً لجريدة ديلى أكسبريس .

* * *

ومحمود عزمى هو الصحفى المصرى الوحيد الذى سمح له بالسفر إلى المغرب أبان الاحتلال الفرنسى وكان ذلك بدعوة من السلطات الحاكمه .

وقدوصف محمودعزمى بالتجديدوالجرأةفى تغريب الحياةالفكرية المصرية ، وكان فى ذلك مندفعاً إلى مثل دعوات زواج المسلمة بالكتابى وتحديد نسب المسيحين فى المجالس النيابية وغيرها والدعوة إلى ثقافة البحر الأبيض المتوسط التى كانت تحمل لوائها فرنسا وكان يطلق عليها « الثقافة البيضاء المتوسطة » وكذلك اسرافه فى الدعوة إلى القبعة .

غير أن محمود عزمى لم يلبث أن تحول قليلا عن هذا العنف وحمل لواء الدعوة إلى القومية العربية على أثر زياراته لبلاد العالم العربى .

وقد عرف بكلماته الغريبة أمثال « أيتاليا » « وبريتانيا » وأطلاق كلمة (بلاد العربية) على الشرق العربى .

وكانت أبرز أعماله الصحفيه (١) أسفاره إلى أوربا لحضور المؤتمرات والمفاوضات و (٢) كتاباته عن جلسات مجلس النواب ومداعباته وسخرياته بالنواب الوفديين .

ومن مواقفه ذات الدلالة استقالته من جريدة السياسة وهو رئيس لتحررها — أثناء غياب هيكل فى أوربا — على أثر ايقاف محمد محمود الدستور وتعطيله للحياة النيابية ثلاث سنوات قابله للتجديد .

ولقد كان لمحمود عزمى رأيه فى مظهر الأمور وأعماقها ، ومن ذلك أنه عندما أرسلت أدارة المطبوعات (أغسطس ١٩٣٤) إلى الصحف تطلب إليها أن تكف عن نشر صور المستحمات على شاطىء البحر ، علق عليه بقوله :

هل تلك الوسيله التى تلجأ إليها أدارة المطبوعات مطالبه الصحف بالكف عن نشر تلك الصور هى الوسيلة الناجحة لمعالجة الموضوع .

هل أخفاء الداء يكفى للقضاء عليه وابراء المصاب منه وهل اقتحمت يوماً سياسته وهى ترى الخطر محدقاً بها فتدفن رأسها حتى لا ترى صائدها .

تقول ذلك وتترك الشواطىء المصرية غاصة بأولئك المستحمات على هذا النحو الذى تشكو من نقل صورة للجمهور ويعتب على الصحف نشرها هذه الصور المنكره فكأنها تبيح هذا المنكر وتتركه يراه الناس لحما وعظما عاجزه إلا عن تحميل الصحف مسئولية نقل هذا الواقع المباح علنا على مرآى من رجال الاداره والبوليس (١) .

---

(١) الجهاد — ١١ أغسطس ١٩٣٤ .

إبرهيم عبد القادر المازنى

الأخبار — السياسة — البلاغ

ترك التدريس إلى الصحافة ، وكان قد كتب فى الدستور ١٩٠٧ مع العقاد وفى جريدة وادى النيل ، وفى مجلة البيان ١٩١١ — ١٩١٤ غير أنه بعد ثورة سنة ١٩١٩ أشتغل بالصحافة فى جريدة الأفكار فالأخبار (١٩٢٢) مع أمين الرافعى . وكتب مقالات وطنية «بإمضاء» مطلع : وقيل أنه كان يكتب فى صحف الوفد وصحف خصوم الوفد فى وقت واحد ، ورأس تحرير جريدة الكشاف التى أصدرها أحمد عبود[1] وتوقفت بعد قليل ثم رأس تحرير جريدة الاتحاد ١٩٢٦ بعد أن تخلى عنها الدكتور طه حسين ثم عمل فى السياسة (١٩٣٠) ورأس تحريرها ١٩٣٢ بدلا من الدكتور هيكل عندما أصدر إسماعيل صدقى قراره بإبعاد رؤساء التحرير الذين صدرت فى ضدهم أحكام . ثم أنتقل إلى البلاغ (١٩٣٤) فاستقر بها طويلا فقد عمل بها ثم كتب فى جريدة الأساس وأخبار اليوم أواخر أيام حياته .

وفى خلال ذلك كتب فى المجلات الأدبية الكبرى كالهلال والرسالة والثقافة بل لقد جاء وقت كان المازنى يكتب فى جميع المجلات التى تصدر فى القاهرة . وقد عرف المازنى باتجاه واضح ، فهو لم يكتب للوفد وإنما كان يكتب فى صحف خصومه . وكتاباته الأولى فى الأخبار كانت وطنية خالصة ولم تكن حزبية فلما اختلفت هيئة الوفد وأنقسمت ، لم يطمع فى أن يتعصب لحزب من الأحزاب .

وقد كان أسلوب المازنى من أساليب البلاغة والأزدواج فى مطالع الشباب

---

(١) اقرأ قصة جريدة الكشاف فى ملحق الكتاب

ثم تحول أسلوبه وخفف من بلاغته وجرى مجرى الكتابة الصحفية ، ولكنه ظل محتفظاً بأصالته فى كتاباته الأدبية الخالصة . وكان يطرز مقالاته بالفكاهة والسخرية .

غير أنه يقف على النقيض تماما من العقاد وطه حسين فقد خلت مقالاته السياسية من الهجاء والطعن والاسفاف والتجريح فهو لا يخاصم بعنف وإنما يغمز فى لطف ، ويسخر ويتهكم ويجرح ولكن لا يسيل الدماء .

وقد صور تطور أسلوبه الصحفى فقال : إن اتصالى بحياة الناس بفضل الصحافة قد فجر فى نفسى ينابيع جديدة وأكسب أسلوبى نبضاً ليس من الوجع بل من الحيوية وأفدت مرونة كانت تنقصنى أنا وتنقص لغتى وأسلوبى وأصبحت قادراً بفضل الصحافة أن أكتب فى أى وقت وفى أى موضوع وفى خلوه أو بين الناس» .

ويعلل المازنى سخريته وتهكمه وأشتباكاته الصحفية فيقول : كنت فى حداثتى لا أرتدد أن أؤدى وظيفة جر الشكل فى معارك الحارات وقد شببت عن الطوق جداً ، ولكنى أرى آخرتى ما زالت معقودة باولاى . فقد طوفت ما طوفت ثم أنتهيت إلى الصحافة وعدت إلى جر الشكل [1] .

× ولعل رأى المازنى فى الأحزاب السياسية يصور الدوافع التى جملته يتحول من صحيفة إلى أخرى دون أن يتقيد بحزب معين يقول [2] :

«ماهذه الأحزاب السياسية التى نراها ، أليست صورة أخرى للاشراف الذين عفى عهدهم الزمن والذين كانوا لا ينفكون يقتتلون على السلطان والمجد ، والأحزاب

---

(١) كتاب (خيوط العنكبوت) للمازنى

(٢) كتاب (من الناقدة) ص ٨٥

تطلب الحكم وتزعم انها صادقة ، لأن غرور الإنسان يجعله يتصور أنه أقدر عمن عداه ، ولأنه لا داعى لأن يفرض المرء أن هذا الحزب أو ذاك إنما ينشد الحكم ويسعى لولاية الأمر ليسىء عمداً فما يفعل ذلك إلا عدواً أو خصم للجماعة كلها .

ولكنها كاذبة حين تزعم أن غايتها الخير للجماعة وحدها وأنها لا تبغى لنفسها جاها أو سلطاناً ولا يعنيها أن تنعم بمزايا الحكم . وكل حزب فى الدنيا عبارة عن أحزاب شتى ، وكل من فيه ينشد البروز والارتقاء إلى القمة . والحرب دائرة أبداً بلا فتور . والسلاح لا يلقى فى ليل أو نهار . ونسأل عن الخير العام للجماعة فى كل هذا فلا نراه وإنما نرى منافسات واحقاداً ودسائس وسبابات لا آخر لها » .

وعلى ضوء هذه النظرة كان يتعامل مع الأحزاب ، ولذلك لم يتصل بها أتصالا كاملا ، ولقد كانت كتاباته فى (الأساس) بدافع الزمالة القديمة للنقراشى . ولقد اتفق له أن كتب فى جريدتين معا كما كان يكتب فى الأساس والبلاغ معا أو فى الأساس وأخبار اليوم فى وقت واحد . بل أنه كان يكتب عام ١٩٢٦ فى صحيفة الاتحاد وفى صحيفة معارضة لها فى وقت واحد .

وقد أشارت مجلة آخر ساعة إلى هذا المعنى (العدد ٤٨٤) فقالت : لم ينتفع المازنى بالصحافة السياسية لأن تقلبه فى رأيه حرمه من جميع المنافع ، والتقلب فى الرأى دليل على صحة الوجدان فما يعيش على رأى واحد فى جميع أدوار حياته إلا من يعيش طفلا يجهل حياته معنى التنقل » .

وقد أضطرت جريدة البلاغ أن تتخذ قراراً بتنحية المازنى عن الكتابة بها بعد أن عادت إلى صف الوفد بعد وفاة عبد القادر حمزة عام ١٩٥٠ .

ويرى الدكتور مندور أن الصحافة قد جنت على أدب المازنى بطول الزمن وطغت عليه بعض الشيء بعيوبها المعروفة وقال أن[1] من الحق أن الصحافة لا تحمل الوزر كله وإنما يشاركها فيه كبار كتابها عندما يطمئنون إلى ذيوع صيتهم ، واستحواذهم على ثقة الجماهير وإعجابها وإقبال أصحاب الصحف عليهم لترويج صحفهم فتقل قسوتهم على أنفسهم » .

وقد أحس المازنى بأثر الصحافة على أدبه ووصف هذا الأثر (بالجناية) فكتب عن الصحافه وجنايتها على الأدب فقال : أنها قد تغريه — أى الكاتب — بأمرين على الخصوص[2] السطحية : وبعبارة أخرى اجتناب الغموض والتعمق والاكتفاء بأول وأسهل ما يرد على الخاطر ابتغاء التخفيف على القارىء واتقاء الأثقال عليه ومن هنا يخشى أن يعتاد الأديب الكسل العقلى .[3] أن الصحافة قد تدفع الأديب إلى توخى مرضاة القارىء العادى فيحرص على ذلك حرصا قد يفسد عليه أدبه ويضيع مزيته ويفقده قيمته[4] .

المازنى فى السياسة

وقد صور محمد زكى عبد القادر فى مذكراته عمل المازنى فى جريدة السياسة قال : التحق المازنى بتحرير جريدة السياسة ١٩٣٠ وكانت تجربة جريدة « الكشاف » التى أصدرها أحمد عبود قد فشلت ، وكان المازنى رئيساً لتحريرها (وكان قبل ذلك رئيساً لتحرير الاخبار)فلما أقفلت أبوابها التحق بجريدةالسياسة

---

(١) و ٤ محاضره عن ابراهيم المازنى للدكتور محمد مندور
(٢) ص ١٩٦ مجلة الكتاب ج ٥ السنة الأولى (مارس ١٩٤٦)
(٣) الجيل الجديد — ١٦ / ١١ / ١٩٥٩

وقد أذيع من المازنى حينئذ أن قدمه مبروكة ، وأنه لايكاد يتصل بجريدة حتى تقفل أبوابها وكان الرجل مظلوما من غير شك .

وكان فى السياسة يكتب المقال الافتتاحى فاذافرغ منه انتقل إلى غرفة الدكتور هيكل وتلاه عليه .

وكثيرا ما كنت اسمع هيكل يقهقه ؛ وهو يستمع إلى مقاله فيهز « المازنى » يديه القصيرتين . ويقول : يستاهلوا ! .

كان الرجلان يظنان انهما يقتلان الوفد بهذا الكلام .

ولم يكونا فى الواقع يبلغان شيئا ، وكان المازنى شيطن الله البلد ستخرب إذا تولاه الوفد.

احتراف الصحافة

وتحدث المازنى عن إحترافه الصحافة فقال :

إنتظمت فى مدرسة المعلمين لكى أصبح معلماً ولكنى شعرت برغبة شديدة إلى الأدب وامتلكنى الهوى به وألح على شيطانه فكنت أحرر بعض المقالات الأدبية وأبعث بها جريدة الدستور والجريدة .

نشأ عندى لذلك ميل إلى الاشتغال بالصحافة ، حتى إنى عندما تخرجت من مدرسة المعلمين سنة ١٩٠٩ عرضت على المرحوم الأستاذ عبد العزيز شاويش أن اشتغل بالصحافة وكان رئيساً لجريدة اللواء فنصح لى بأن أزاول مهنـة التعليم وأصرف ذهنى عن الاشتغال بهذه المهنة فتوظفت فى المدرسة السعيدية ونقلت إلى الخديوية فدار العلوم .

وتملكني الهوى بالصحافة فى ديسمبر ١٩١٤ بعد قيام الحرب بشهر واحد فقدمت إستقالتى وحاول رجال وزارة التعليم أن يثنونى عنها .

وعزمت على إصدار صحيفة باسم (الديوان) ولكن السلطة العسكرية لم تصرح بها إلى أن أصدرت مع العقاد كتاب الديوان .

ولما قامت الحركة الوطنية هربت من الاشتغال بالتعليم وانغمرت فى الحركة وكان وقتئذ أمين الرافعى يعمل لإصدار (الأخبار) وطلب منى أن أعمل معه فى الجريدة . ثم عملت فى جريدة وادى النيل . فالأخبار واشتغلت بجريدة النظام . ثم طلب منى عبد القادر حمزه مقالات للاهالى .

تطور أسلوبه الأدبى

وتحدث المازنى عن تطور أسلوبه فى الصحافة فقال[1] :

كان ما صرفنى عن التعليم وألحقنى بالصحافة . فكابدت فى أول الأمر شدة عظيمة ، لأنى أعتدت الكتابة على مهل ، وألفت ما كنت أتكلفه من الجزالة والفخامة ولا يكاد يتسنى فى الكتابة للصحف لأنها فى عجلة وهى تأبى أن تتمهل أو تمهل وآلاتها تدور فى أوقاتها بلا تقديم ولا تأخير ، فكنت أكتب فى البيت لأكون فى فسحة من أمرى ، ولأتقى عواقب العجلة الشيطانية ، وتأثيرها السىء — فيما كنت أرى — فى أسلوبى الفخم . وعلى ذكر الأسلوب أقول أن الظن الشائع هو أنى كنت متأثراً فى البداية بالجاحظ وهذا صحيح ، ولكن أصح منه فيما أعلم أنى كنت مفتونا بأسلوب الجرجانى « صاحب دلائل الإعجاب وأسرار البلاغة » على أن هذا شىء قد مضى .

---

(١) مجلة الكتاب — مارس ١٩٤٦

ووجدت على الأيام أن الكتابة فى البيت لا تتفق ومطالب العمل الصحفى وأن ما أتكلفه من التجديد وأعنى بتخيره من الألفاظ ، يجعل ما أكتب نابيا قلقاً فى موضعه ، ولم أكن راضياً عن الأسلوب الذى تكتب به الصحف ، ولكن عدم الرضى عن لغة الصحافة لا يستوجب أن أذهب إلى الطرف الآخر ، وفى الإمكان التوسط ، وتبينت على الأيام أن لغتى القديمة فاترة أو خامدة ، وأنى كأنى قطعة متخلفة من زمان مضى ، وأن الحياة الجديدة لها لغتها ، وأن اتصالى بحياة الناس بفضل الصحافة قد فجر فى نفسى ينابيع جديدة ، وأكسب أسلوبى نبضا ليس من الوجع بل من الحيوية . وأفدت مرونة كانت تنقصنى أنا وتنقص لغتى وأسلوبى وأصبحت قادراً بفضل الصحافة . أن أكتب فى أى وقت وفى أى موضوع .

وتقول تجربتى أنى كنت قبل العمل فى الصحافة أشبه بمومياء محنطة ، فلما دخلت فى الصحافة أحسست بالدماء تجرى فى عروق هذه المومياء ، وأنها أصبحت قادرة على موافقة الحياة فى أكثر من موضع واحد ، وأنها صارت تنظر وتحس وتفكر وتنطق كما ينطق الأحياء .

وإن هذه التجربة تفيد كذلك مرونة فى الأسلوب — أسلوب الكتابة وأسلوب التناول — فهى مدرسة نافعة أو قل لازمة للأديب .

وتحدث المازنى عن أحرج ساعة فى حياته الصحفية قال :

حدث أثناء إشتغالى بجريدة الأخبار أن حضرت إلى منزل أخت لى من أبى كانت مريضة مكثت عندى أياما مدة طويلة واستسلمت للقضاء . وكنت فى ضيق شديد لست أنساه إلى الآن ، ليس معى ما يواريها بطن القبور .

وذهب إلى معطفى فتذكرت أن جيبى لا يحوى غير ستة مليمات .

تشجعت وبعثت إلى الحانوتى وأمرته أن يقوم بتجهيز الميته ودفنها ثم أحاسبه فى آخر اليوم ، ودعوت الفراش وطلبت منه أن ينصب الخيام . واعتزمت متى تم هذا الأمر وأنتهى دفن الميتة أن أخلص للحانوتى والفراش حيث تدور المقابلة المعركة بينى وبينهما على ثمن الكفن وآجر الدفن .

وبقيت على تلك الحال من الساعة الخامسة صباحاً إلى الثانية عشر مساء . وفى آخر لحظه حينما كانت نبضات قلبى ترتفع وتنخفض لمحت من بعد المرحوم أمين الرافعى مقبلا . ولمادنا اسلمنى ما كنت أحتاج إليه من نقود .

وتحدث المازنى عن تجربة الكتابة عنده قال :

«إذا بدأت الكتابة فيندر جداً أن أتوقف بعد ذلك، ولكن الصعوبة هى أن أبدأ . وإستهلال الكلام هو الذى يحيرنى دائما ويشق على، وأحسب هذا راجعاً إلى حالة عصبية أو إلى ما يسمى (الايحاء الذاتى) فقد ظللت أقول لنفسى كلما هممت بعمل أو قول أو كتابة أن الخطوة الأولى هى العسيرة والتى يكثر قبلها التردد حتى إذا خطاها الإنسان صار ما بعدها سهلا — نسبياً على الأقل — ظللت أقول هذا لنفسى وللناس حتى وقر فى ذهنى ورشح فى نفسى وبدأ أثره فى كل ما ألمح حتى من شئون الحياة العادية كما إنى أكره أن أضطر إلى حذف الكلمات وأفسادها وترميجها أى شطبها فى فاتحة الكتابة .

ولست أستطيع أن أكتب إلا فى اللحظة الأخيرة التى ليس بعدها أخرى وأحسب هذا راجعاً إلى الكسل من ناحية وإلى طبيعة العمل الصحفى اليومى من

---

(١) مجله كل شىء — ٢٣ يناير ١٩٣٢

ناحية أخرى، فقد تعودت أن لا أكتب إلا على مكتبي في الجريدة فليس لي في بيتي عمل سوى القراءة أما الكتابة في البيت فقد قاربت المستحيل .

وقد نسيت الراحة والأجازات منذ اشتغلت بالصحافة .

وقد تخطر لي الفكرة أزهى بها وأنوى الكتابة فيها وأنا فرح مسرور مستبشر فإذا بي بعد دقائق أو ساعة أو ليلة قد نسيتها جملة أو تفصيلا فأكاد أجن .

ومما أعتقده هو أني لا أفيد شيئا من خواطرى كائنا ما كانت فأنتظر حتى يلهمنى الله سواها . وكثيراً ما أحس حين يستغرقني الموضوع كأني أكتب ما يملى على فأكتب وأنا لا أكاد أفهم .

ولست أعود إلى ما أكتب بعد الفراغ منه مهما كان حرصى عليه وعنايتى به فإني سريع الملل والضجر . ويندر جداً أن أستطيع تغيير شيء فيه .

كان خطي في أول عهدي أقرب إلى الرقعة ثم لم يزل يتغير فيدنو من النسخ ثم من الخط الفارسي حتى استقر على حد بينهما فلا هو نسخ ولا هو فارسي .

ذكريات صحفية

وقد أشار المازني إلى ذكرياته الصحفية في مقال كتبه في (١٥ نوفمبر ١٩٤٨) فقال إنه حمل عام ١٩٢٢ حملة عنيفة على الوزارة وعلى الحزب الذي يناصرها (حزب الأحرار الدستوريين) وكان الأستاذ العقاد يقوم بحملة أشد وأعنف (في البلاغ) ثم وقعت جريمة وحشية أعتبر الكتاب المعارضون مسئولين أدبيا[1] عنها ، ودعاني أمين

(١) كان ذلك مقتل قطبين من أقطاب الأحرار الدستوريين على باب جريدة السياسة هما محمود باشا عبد الرازق وحسين زهدى .

بك الرافعى وأخبرنى أنه علم أن رئيس الوزارة قد يصدر أمراً بنفيى أنا والأستاذ العقاد، وقال لى : أعد حقائبك وأبلغ صاحبك يستعد ويحسن أن تختار سويسرا أو إنجلترا ومن إحداهما تراسل (الأخبار) فلا تحمل هما ولا تقلق على أسرتك فإنها فى عنقى ما دمت حيا ، وأعددت الحقائب وبت مؤرقا طول الليل انتظر أمر النفى وتنفيذه فإذا بالوزارة تستقيل فى فحمة الليل فنجونا ولم نكد ."

وأشار المازنى إلى أنه وقف من وزارات شتى موقف المعارضة قال « ولكنى كنت أتناول الرأى أو العمل بالنقد . وكنت أحرص على أن اتقى أن أتناول صاحب العمل أو الراى بقذف او سب او إهانة بأى كلمة جارحة . ومع ذلك لم أسلم من تحقيقات النيابة . وكان أكثر ما يجرى فيه التحقيق مما لا يد لى فيه .

ولم أقدم للمحاكمة سوى مرتين : فى الأول برئت فى النهاية ، وفى الثانية حكم على بغرامة، وكنت مريضاً ولكن المحكمة أخذت بمبدأ غريب وضعه مستشار إنجليزى لوزارة الحقانية فى عهد الإحتلال وهو أن رئيس التحرير مسئول إلا إذا كان خارج القطر .

الصحافة فى رأى المازنى (١٩٤٩)

كانت[1] الصحافة قبل ربع قرن صحافة رأى ، أى أنها كانت تقدم العناية بالرأى الذى يمن لأصحاب الشأن فيها ولكتابها ، على العناية بما عدا ذلك ، حتى الصحف المستقلة التى لا يعنيها أن تواصل الخوض فى كل موضوع أو تذهب مذهب المعارضة أو التأييد .

---

(١) مجله روز اليوسف (العدد السنوى) م ١٩٤٩ .

وكانت اللهجة حامية فى الصحف الحزبية مع التحرر من الوقوع تحت طائلة القانون .

ولم تكن الشئون الاجتماعية تستأثر فى الأغلب بعناية الصحف ولا عجب فقد كنا فى أعقاب الثورة الوطنية . وكانت الحالة مضطربة لا تستقر على حد ، والحوادث الجسيمة تتوالى والخلاف بيننا وبين الإنجليز على أشد ما يكون ، والثورة النفسية باقية على حالها .

أما فى السنوات الأخيرة فقد تغيرت الدنيا وتغيرت الصحافة تبعالها وتطورت مع الزمن وما زالت الصحافة : صحافة رأى فى الأغلب والأعم . وحدث تطور آخر فى الوقت نفسه ، فقد كانت الصحافة عملا غير تجارى وكان يكفى الصحيفة من الربح ما يعينها على الاستمرار ، على أن الخسارة لم تكن تحول دون الاستمرار .

. . . وقد أغرى الصحافة طلب الرواج بشىء من الاسفاف إلى تملق الجمهور ومصانعته واجتذابه بما يرضيه ويقع فى نفسه موقعاً حسنا وهو فساد لأن الصحافة مدرسة وليست ملهى .

المازنى والقومية العربية

لعل أبرز جوانب المازنى السياسية الصحفية هو جانب إيمانه بالقومية العربية ودعوته لها وسبقه فى هذا معظم كتاب جيله ، ولاشك هذا يدل على نفاذ تفكيره وصدق إيمانه بأمته وتطلعه إلى المستقبل . فقد اتجه المازنى نحو القومية العربية على أثر رحلته إلى العراق وسوريا ولبنان وفلسطين أعوام ١٩٣٤ و ١٩٣٥ و٣٦

وقد بدا (المازنى) هذه المقالات فى جريدة البلاغ فى ٩ يوليو ١٩٣٤ بمقالة ((روح الديموقراطية فى الشرق العربى) ثم توالت مقالاته :

البلاغ :	الفكرة العربية : نشأتها وتطورها	١٠ يوليو ١٩٣٤
«	شهداء الثورة السورية	١٣ و١٤ يوليو ١٩٣٤
«	عربية لبنان	٢٦ يوليو ١٩٣٤
الرسالة :	القوميه العربية	(٢٦ أغسطس ١٩٣٥)
البلاغ :	رحلتى إلى بغداد	٢٥ فبراير ١٩٣٦
«	وجوه شبه بين مصر والعراق	٢٦ « ١٩٣٦
«	جميل صدقى الزهاوى	٢٧ فبراير وأول مارس ١٩٣٦

وقد لاحظ المازنى أنه يوجد فى الشرق العربى الجزيرة والعراق وسوريا (أى فلسطين ولبنان والشام) ضرب من الديموقراطية لا تعرفه مصر : فنى جزيرة العرب تنادى الفرد من الرعية باسمه عاطلا من الألقاب ويحتكم معه إلى القاضى .

وفى لبنان كما فى فلسطين لا يتميز الناس بألقابهم أو مناصبهم ولا يكون التفاوت بينهم على مقدار الغنى ودرجة اليسار إنما يكون بالسيرة فى عمومها .

وفى زيارة المازنى لسوريا زار قبر يوسف العظم شهيد ميسلون : وكتب يقول « وقد زرت قبره وحدى ، وأنا أتمنى أن يكتب الله لى مثل مصرعه فى سبيل قومى [1] .

---

(١) البلاغ ١٤ يوليو ١٩٣٤ .

وقد صور (المازنى) أهمال مصر فى فهم قضية الوحدة العربية ووجه أهل وطنه إلى مفاهيم القومية العربية « من دواعى الأسف أن أقول أن أمال هؤلاء الوطنيين لقيت فى كل قطر من الأقطار العربية صدمة عنيفة فقد رأو أن المصريين مشغولون إلى حد كبير بقضيتهم الخاصة عن كل ماعداها . وأنهم لا يكادون يبالون ما يصيب جيرانهم وأخوانهم العرب ، وأنهم قلما يعلمون أو يكلفون أنفسهم أن يعرفوا ما يجرى فى هذه الأقطار الشقيقة ، وأنهم يخافون على قضيتهم أن تضرها العناية بقضايا الأقطار الشقيقة ، ولست فى موقف اللائم لقومى. ولكنى لاأستطيع إلا أن أعرف بأن المصريين جروا زمنا على إهمال هذه القضايا حتى ليندر إلى الآن منهم من يحيط بتفاصيلها على خلاف سوريا والعراق وفلسطين فان علم أبنائها بأمور مصر وأحوالها دقيق » .

وفى هذه المقالات تحدث المازنى عن شهداء الثورة السورية : فكتب عن أحمد مريود ورشيد طليع والكندى والدكتور قنبار والمسلى ثم تحدث عن (الفكرة العربية) ١٠ يوليو ١٩٣٤ فقال :

الفرق بين الجامعة الاسلامية والفكرة العربية ، هو الفرق الذى أوجدته الظروف وخلقته المناسبة العارضة، وشخصية القائمين بالدعوة ، ومثل الأستاذ الإمام أو الزعيم الأفغانى معذور إذا اصطبغت الفكرة فى ذهنه بالصبغة الاسلامية لأن تاريخ العرب هو تاريخ الإسلام والمدنية العربية نشأت مع الاسلام وفى ظله وبفضله ولكن الزمن وسع الفكرة من ناحية وضيقها من ناحية أخرى، فصارت الفكرة العربية جامعة للمسلمين وغير المسلمين وتحررت من هذا القيد الذى يخلط الدين

بالسياسة ويعرضها لعقبات وعراقيل ومكايد من الداخل والخارج .

وقال : أن أول مظهر عملى للفكرة العربية على قدمها كان فيما نعلم بعد إعلان الدستور العثمانى ١٩٠٨ .

وأشار إلى أن (الفكرة العربية) لم تكن خيانة الترکيا وإنما كانت رد فعل لحركة التتريك .

وتحدث المازنى عن (عربية لبنان) فقال : انما أعنى العربية التى يتعلمها أهل هذه البلاد ، فانها مختلفة عن عربيتنا نحن المصريين من وجوه ، والاختلاف يشمل اللفظ والتركيب والنطق وهم فى بعض ما يستعملون أفصح ، ونحن فى البعض الآخر أقرب إلى الفصحى .

* * *

وقد خلص المازنى من مقالاته هذه إلى القول[1] .

لقد رأيت أوربا فنشتنى وأضجرتنى وثقل على نفسى الإحساس لعزها وذلنا وسبقها وتخلفنا وقوتها وضعفنا . ولم أزل منذ ذلك الحين أتلفت بقلبى إلى البلاد العربية التى مزقها الجهل والاستعمار وما أنفك أسعى الى أن أعرفها بلدا بلدا كلما تيسر لى ذلك (توفى فى ١٢ يوليو ١٩٤٩) (١٨٩٠ – ١٩٤٩) .

---

(١) البلاغ ١٩٣٦/٢/٢٥ .

طه حسين

السياسة — الاتحاد — كوكب الشرق

كتب فى المؤيد والجريدة قبل الحرب وكتب فى السياسة والاتحاد وكوكب الشرق والوادى والبلاغ والأهرام بعد الحرب .

ولم يكن طه حسين صحفيا محترفا فى كل الأحوال . فقد كان يكتب وهو فى الجامعة أولا ثم أصبح لا يكتب إلا فترات انفصاله عن الجامعة فى تاريخ طويل .

بدأ كتاباته بعد ثورة ١٩١٩ فى الأهرام مع هيكل وتوفيق دياب ومحمود عزمى وغيرهم من المثقفين الذين عادوا من أوربا ، وكان واضحا أنهم يتجهون اتجاه حزب الأمة القديم ، وهو الطريق الذى مهده لطفى السيد لأصحاب المصالح الحقيقية كما أطلق عليهم كرومر .

وكذلك أصبح المثقفون خدما لهذا الجانب دون جانب الشعبية الكبرى والمتصلة بحرية الوطن وحقوقه ؛ ولذلك سرعان ما أندمجت هذه المجموعة فى جريدة السياسة لسان حال حزب الأحرار الدستوريين فى أكتوبر ١٩٢٢ وباعدت بينها وبين التيار الوطنى الذى لم يلبث أن تحول أيضا إلى تيار حزبى وصراع سياسى حول الحكم ومقاعد البرلمان . غير أنه ظل إلى فترة طويلة يحتفظ بلونه الشعبى الجماهيرى الواضح ، أما حزب الأحرار وصحيفة السياسة فقد كانت تمثل جانب الأثرياء وأبناء البيوت الكبيرة والاقطاعيين وأصحاب المصالح .

وكان الدكتور هيكل قد أخذ مكان لطفى السيد فى قيادة المعركة لهم ، وكان جريدة السياسة إمتداداً للجريدة ، كما كان حزب الأحرار إمتداداً لحزب الأمة فقد ضم حزب الأحرار أبناء حزب الأمة من كبار الأسر والبيوت .

وكتب طه حسين فى السياسة منذ ١٩٢٢ حتى ١٩٢٦ حيث رأس تحرير جريدة الاتحاد لسان حزب الاتحاد الذى أنشأه الملك فؤاد ليضرب به الوفد وكان الحزب وجريدته مع حزب الأحرار وجريدته أول الأمر على وفاق باعتبارهما جبهة ضد الوفد غير أن طه حسين لم يلبث أن ترك « الاتحاد » وعاد يكتب فى السياسة على فترات، وقد كتب طه فى الاتحاد والسياسة مقالات يومية (افتتاحيات) كانت كلها هجوما على سعد زغلول والوفد .

وكان يكتب مقالاته الاسبوعيـة يومى الاثنين والأربعاء . يلخص يوم الاثنين بعض القصص الفرنسية المـكشوفة ويكتب يوم الأربعاء (حديث الأربعاء) وهى الفصول التى تعرض فيها للحياة الاجتماعية فى أواخر عهد الأمويين وأوائل عهد العباسيين ووصفها بالدعارة والمجون، وقال إن هذا العصر عصر شك ومجون وعبث وأعلن أنه يرفض اسباغ صفة الجلال والتقديس الدينى على التاريخ الإسلامى .

ولم تلبث أن وقعت الواقعة عام ١٩٢٦ عندما صدر كتابه (فى الشعر الجاهلى) وحملت صحف الوفد وخاصة (كوكب الشرق) لواء الحملة عليه يقودها عدد كبير من المفكرين فى مقدمتهم مصطفى صادق الرافعى وشكيب أرسلان ولطفى جمعة ومحمد أحمد الغمراوى وعبد المتعال الصعيدى ومحمد عبد المطلب وكان اللون السياسى والصراع الحزبى واضحا فى توجيه هذه المعركة فإن النواب الذين حملوا لواء المعركة فى مجلس النواب كانوا من الوفد وكانت صحف الوفد هى التى أفسحت صدرها لنشر مختلف المقالات التى لم تكن نقداً للـكتاب بقدر ما كانت هجوما على الأحرار الدستوريين وطعنا فى طه حسين وسخرية بالمثقفين الذين يخدمون أغراض المستشرقين من ناحية ويعملون عند رجال البيوت والأسر الاقطاعيين

المنفصلين من جماعة الشعب والمرتبطين بالانجليز والقصر ، وكانت هذه هى المحنة الأولى التى واجهها طه حسين وحمل فيها على الصمت حين طلب إليه أن يدعها تمر عاصفة فى فنجان ، ثم انقطع طه حسين عن الصحافة السياسية فترة ، حتى وقعت القارعة الثانية فى حياته الفكرية ، وهى إخراجه من الجامعة ومن وزارة المعارف فى عهد إسماعيل صدقى ١٩٣١ بعد أن أثيرت فى مجلس النواب حملة جديدة ضده تتعلق بالدراسات المتحدة التى كان يقدمها للطلاب فى الجامعة وتجددت معها الحملة مرة أخرى حول كتاب الشعر الجاهلى .

وقد حدثت قارعته الأولى فى وقت كان الائتلاف قائماً بين الأحرار الدستوريين والوفد ولذلك أخمدت المعركة وحفظ التحقيق ، ولم يلبث طه حسين أن عاد إلى الجامعة مرة أخرى فى عهد وزارة محمد محمود (١٩٢٨) .

كما كان الأمر مشابها فى المرة التالية ، فقد كان الوفد والأحرار الدستوريين فى شبه ائتلاف لمقاومة حكم اسماعيل صدقى بعد أن أنشأ حزباً وألغى دستور ١٩٢٣ وأنشأ دستورا جديداً وأقام مجلس نيابيا زائفاً .

غير أن طه حسين فى هذه المرة آثر أن يخطو خطوة مثيرة ، فقد انتقل من صفوف الأحرار الدستوريين إلى صف الوفد وأعلن أنه سيكتب فى جريدة كوكب الشرق فى موعد حدد .

وقد سألته فى تعليل هذا الانتقال من صفوف الأحرار إلى صف الوفد فقال : لقد جرت العادة أن يتغير الناس كلما ترتفع بهم السن فينتقلون من الشمال إلى اليمين وينتقلون من الثورة إلى الاعتدال أما أنا فقد انتقلت من اليمين إلى الشمال ، لقد وجدت الأحرار الدستوريين والسعديين قد ائتلفا وكنت أفهم أنى أكتب معهما ثم بنى الأحرار على السعديين مع الوفديين ، هنالك تحولت إلى الوفد » .

واعتقد أن الوفد لم يكن يمثل « اليسار » فى ذلك الوقت بل انه كان قد بدأ يتحول تحولا خطيراً عن رسالته الشعبية ، ويدخل فى نطاق اقطاع مماثل لاقطاع حزب الأحرار الدستوريين ، بعد أن بعد العهد بينه وبين ثورة ١٩١٩ وقد ضاعت أهدافها وغاياتها فى خلال المعركة الطويلة التى دارت حول مناصب الحكم وكراسى البرلمان وشطرت الأمة إلى شطرين ثم إلى ثلاثة وأربعة .

وفى هذه الفترة كتب طه حسين فى كوكب الشرق ثم حرر جريدة الوادى ثم عاد إلى عمادة كلية الآداب فى نهاية عام ١٩٣٤ وانصرف عن الصحافة السياسية تقريباً .

غير انه لم يلبث أن مر بأزمة أخرى عام ١٩٤٦ عند ما حكم السعديون والأحرار الدستوريين معا ، فقد بدأت الحزبية تهز مركزه وهو إذ ذاك مديراً لجامعة الأسكندرية فاستقال وأصدر مجلة الكاتب المصرى ثم قصد إلى أوربا فأقام بها على أمل ألا يرجع إلا بعد تغير الحكم .

وقد صور هذه الفترة فى كتابه « رحلة الربيع » قال :

كنت قد تركت فى مصر شراً ونكراً وإثما . وخرجت وفى نفسى شىء من شرها ونكرها وإثمها . وإنى لظالم للحق ولنفسى حين أحفل بهذه الضفادع البائسة التى تملأ جو مصر نقيقاً » .

وفى ختام هذه الفترة كتب توفيق الحكيم مقالة عن الأديب المهاجر وعاد طه عند ما دعته محطة الإذاعة إلى إلقاء بعض المحاضرات ، وأحرز إذ ذاك جائزة الدولة من الملك فاورق — وكان الرأى اقتسامها بين العقاد وبينه ثم أ كلت لكل منهما الفا من الجنيهات ، وجاء الوفد إلى الحكم وأصبح طه حسين وزيراً للمعارف .

ولا شك أن طه حسين قد أثار فى الصحافة السياسية المصرية كثيراً من المعارك ، كما أثار معارك أخرى فى التربية والثقافة والفكر .

فقد بدأ هجومه على الأزهر منذ ١٩١٠ فى (الجريدة) كما هاجم الإسلام ١٩١١ ولعل مصدر ذلك هو خلافه مع رجال الأزهر فى هذه الفترة . غير أن طه حسين عرف بالأسلوب المنيف الساخر فى الهجاء إلى درجة وصفها داود بركات رئيس تحرير الأهرام بقوله « لو أنا آخذناه على سبابه كما بقى عنه شىء يسمى طه حسين » فقد هاجم الوفد عند ما كان قوة وطنية كبرى ، وحالف خصومة ، وقال أنه يزدريه ووصفه ووصف سعداً بأقسى عبارات الإساءة ، وقال انه زعيم حزب لا زعيم أمة ، ثم انضم إلى الوفد فى حالة تصدعه وانهياره وتحول عن خصومه ، ولذلك فقد بدت آراءة السياسة متعارضة متناقضة .

فقد وصف سعد بأنه عظيم وهدد بعد اتصاله بالوفد بكشف أسرار الأحرار الدستوريين ، وعاش حياته الفكرية فى كنف الأحزاب والزعماء : عبد الخالق ثروت وعدلى يكن ومحمد محمود ومصطفى النحاس ومدح فؤاد وفاروق ، وقال عبارته الخالدة « نضر الله وجه فؤاد العظيم » وعرف بأسلوبه الفكرى الذى يثير الشبهات والشكوك ولا يقطع بشىء .

فقد هاجم الأدب الجاهلى ودعاه منحولا ثم أحيا أدب الأساطير المتصل بسيره النبى .

ومدح صديقه هيكل ثم حمل عليه عندما استفاقت فى نفسه معانى اليقظة إزاء مؤامرات وكشف أسرار المستشرقين ودعوة التغريب وهاجم العقاد ثم دفع إليه لواء امارة الشعر بعد أن تحول إلى صفوف الوفد وكان العقاد كاتبهم الأول .

وهاجم طه : المنفلوطى ثم تحول عن رأيه فيه ، وهاجم أحمد شوقى فى صدر حياته للخلاف الحزبى حيث كان محمد محمود رئيس حزب الأحرار

يحتضن (حافظ إبراهيم) ثم تحول عن رأيه فيه بعد ، وأيد حكم محمد محمود باليد الحديدية ثم هاجمه بعد أن انضم للوفد .

من الأحرار إلى الوفد

وقد كان انضمام طه حسين إلى الوفد حدثا كبيراً فى محيط الصحافة فقد صدر (كوكب الشرق) فى ٨ مارس ١٩٣٣ بمقال عنوانه طه حسين (المامة صديق عليم) هو (حافظ عوض) وقد شغل المقال الصفحة الأولى بأ كلها قال :

حدث سياسى حقا قمين بأن نحفل له ايما حفل ، وخليق بأن نؤمن به لجد خطورته ، وبليغ أثره فى الصحافة المصرية ، وذلك أن طه حسين يشترك بقلمه الفياض فى الصحافة المصرية وفى الأزمة المصرية الحالية » .

وحافظ عوض نفسه هو الذى هاجم طه حسين (كاتب الأحرارالدستوريين) عام ١٩٢٦ بمناسبة صدور كتابه (الشعر الجاهلى) وأفسح صدر صحيفته للهجوم عليه . وقد ارتفع أجر طه حسين فى هذه الفترةارتفاعا ضخما ، فقد دفعت له كوكب الشرق مائة جنيه شهريا وهو أكبر رقم حصل عليه صحفى فى ذلك الوقت .

و كتب طه حسين أول مقالله تحت عنوان (عهد) يوم ٩ مارس ١٩٣٣ قال :

أى شىء يستطيع العاملون أن يقدموه إلى مصر فى هذه الأيام التى قصت فيها الأجنحة . وشدت فيها الألسنة فلا تقول إلا بحساب » .

وأعلن النحاس باشا فى تصريح له ٩ مارس ١٩٣٣ : إنى لمغتبط باشتراك النابغة الكبير الدكتور طه حسين فى تحرير الكوكب على المبدأ الوفدى الذى دلت الحوادث على أنه مبدأ الحق ودين الأمة التى قامت عليه نهضتها نحو غايتها السياسية فى الحرية والاستقلال .

وقالت كوكب الشرق فى محلياتها : أن طه حسين تحدث فى حفل أقيم له فى دار محمود بسيونى عضو الوفد ونقيب المحامين (الكوكب ١٤ مارس ١٩٣٣) بمناسبه رئاسة تحرير كوكب الشرق فقال كلمة بليغة «عبر فيها عن أحساساته العميقة نحو الوفد المصرى والنحاس باشا ، واعلن شعوره بالغبطة ، كما تحدث فى بلاغة مؤثرة عن مابثه الوفد والرئيس الجليل من عطف عليه منذ ترك الجامعة » .

ولم يلبث طه حسين أن كشف عن رأيه الجديد فى الوفد (٢٩ إبريل ١٩٣٣) فقال : ليس الوفد اسما ولا لفظاً وإنما الوفد قوة حقيقته قائمة يستطيع كل إنسان أن ينظر إليها وأن يمتحنها وأن يحقق فيها النظر ويلح عليها بالامتحان » .

وعندما حلت ذكرى سعد زغلول فى ٢٣ أغسطس ١٩٢٣ كتب مقالة المشهور (عظيم) قال فيه : رحم الله سعداً . . لقد ايقظ مصر وعاهدها على أنه سيحول بينها وبين النوم عن الحق . ولقد وفى لها بعهدة حيا وهو يوفى لها بعهده ميتاً ، ولقد جمل نفسه وجعل أمته غصة للمستعمرين » .

والعجيب وقد كان الدكتور طه من أكبر المهاجمين لسعد أن يقول بعد تحوله وندياً فى شأن سعد مهاجماً أصدقائه القدامى وقد كان لسانهم فى رأيهم يقول : لقد كانوا يرون حب الشعب لسعد واجتماع الشعب كله حول سعد وأتباع الشعب كله لسعد فيأبون أن يصدقوا ما يرون أو يعترفوا به ويمضون فى حرب سعد ومذهبة وفى التنكيل بسعد وأصحابه ، ينفقون فى ذلك أوقاتهم وجهودهم ويتلقون فى ذلك الهزيمة تلو الهزيمة » .

ثم لم يلبث طه حسين أن هاجم الإسلام فى ظل قوة الوفد وهاجم بالذات النص على دين الإسلام الذى ورد فى الدستور قال :

أن للدولة المصرية ديناً رسمياً هو الإسلام قال « ولو قد استشارنى أولئك أو هؤلاء

لطلبت إليهم أن يتدبروا وأن يتفكروا قبل أن يضعوا هذا النص فى الدستور » .

وفى معركة التبشير التى حملت لواءها كل الصحف اليوميه ضد حكومة إسماعيل صدقى لم يكتب إلا كلمات عائمة ، وسخر طه حسين من المعركة مع أنه فى جريدتة خصم للحكومة : وقال : من المحقق أن الإسلام لن يضعف أن خرجت منه (نظلة غنيم) وأن المسيحية لن تقوى إذا دخلت فيها (نظلة غنيم) .

ولم يلبث طه حسين أن هاجم السياسة والأحرار الدستورين (١٦ مايو ١٩٣٣) فاتهم السياسة بالتواء طرق التفكير فيها وأساءة الظن بمقول قراءها .

سعد فى رأى طه حسين

وصف طه حسين رئيس تحرير جريدة الاتحاد (سعد زغلول) فى جريدة الاتحاد ١٩٢٦ بقوله :

أمر سعد لا يقف عند حد فهو ذليل ولكنه مثير . هو يلجأ إلى العرش ولكنه يناهض العرش . وهو يستوفد الناس من الأقاليم لا ليذهبوا إلى القصر بل إلى داره هو . أن أمر سعد لمنكر وأن فيه لاسراراً ودخائل بسوء سعداً أن تكشف (١ / ٣ / ١٩٢٥) وقال : نعم : يلعب بكل شىء . يلعب بارآئه وعصاره . يلعب بأنصاره وسامعيه . يلعب بنفسه أيضا، يكفى أن تقرأ هذا الكلام الذى يلقيه سعد على الناس كل يوم ، وتنشره صحفه فترى أن الرجل فارغ البال يلعب بالناس وبنفسه وارائه .

وقال : ليس سعد رجل ثورة وليس هو رجل حرب ، وليس هو رجل واحد وإنما هو ثرثار سريع الحركة مشموذ يقوى إذا ضعف خصمه ، ويذوب إذا قوى خصمه .

× وكتب طه حسين رئيس تحرير جريدة كوكب الشرق عن سعد ١٩٣٤ فقال :

إنما الرجل العظيم كتاب خالد ، لم يضعه الدهر لجيل بعينه ، ولا لشعب بعينه وإنما وضعه للاجيال جميعاً وللشعوب جميعاً ؛ يعرف الناس أوله ولكن لا يعرفون له آخراً يستطيعون أن يعرفوا أول هذا الكتاب حين يعرفون مولد هذا الرجل ونشأته ولكنهم لن يعرفوا آخر الكتاب إذا عرفوا موته ، لأن هذا الموت لا يختم حياة العظماء ولعله يبدأها . أو يبدأ خير أجزائها وأعظمها عناء ، لأنه يزيل منها العناصر الفانيه ويبقى منها العناصر إلى لا تقبل الفناء .

كان حازما إذا قال أو فعل ، وكان عازماً إذا هم أو أمضى ، وكان أبياً إذا سيم الضيم ، عصياً إذا دعى إلى الخسف ، عزيزاً إذا أريد على الهوان . جمع الله له قلباً ذكياً وأنفاً حمياً وضميراً نقيا وخلقاً رضياً . أجمع المصريون على حبه وإكباره ثم أختلف المصريون فيه بعد الثورة فسلمت له كثرتهم الضخمة وعددهم الرائع . ونهضت له جماعة منهم تقاومه وتخاصمه وتحاوره وتساوره ماوسعتها المقاومة والمخاصمه ، وما أطاقت المجاورة والمساوره» .

الملك فؤاد وسعد زغلول

وكتب طه حسين فى جريدة الاتحاد (مارس ١٩٢٥) يقارن بين سعد والملك فؤاد فقال :

× ولكن صاحب الجلالة الملك فؤاد من لم ينس الجامعة التى انشاها لحظة ولم يعرض عنها حينا . وكيف ينساها وهى ابنته وكيف يعرض عنها وهى غرس يده (١٧ / ٣ / ١٦٢٥) .

× وأمر سعد على أن يعلن فى مجلس النواب ، وقد كان رئيس الجامعة حين انشئت فباعها للانجليز ، أقبل سعد وأصحابه إلى الحكم فنامت الجامعة ونام مشروعها . أجبر على أن يعلن أنه لا يفهم الجامعة ولا فائدة الأمة منها ولا يفرق بينها وبين وزارة المعارف .

× إنهم — أى أصحاب سعد — معترفون بأنهم أعداء العرش والخارجون عليه والناهضون له ، أن سعداً يحرض على مظاهرات ينادى فيها به ملكا ويعتدى فيها على السدة الملكيه . أن سعد وأصحابه ينذرون الملك بأنهم سيثورون عليه ويحرضون عليه (١٩ / ٣ / ١٩٢٥) .

× أمثال صاحب الجلالة (الملك فؤاد) قد طبع فى نفوس رعيته عميقاً ، فليس يخلو منه ألا قلب مريض أو نفس معتله ولا عجب ولا غرابة ، فالمصريون مدينون له ولأبيه إسماعيل ولجده العظيم محمد على ، لا نقول بما وصلوا إليه من رقى بعد انحطاط وما ظفروا به من عزة بعد ذله . بل نقول أنهم مدينون لهؤلاء العظماء الثلاثة حتى بما يملأ نفوسهم من أمل فى الاستقلال التام وحتى بما يدفعهم إلى السعى فى تحقيق هذا الاستقلال التام . فقد كان هؤلاء العظماء الثلاثة عقل مصر الذى به تفكر ، وقلب مصر الذى به تحيا . ولولا هؤلاء العظماء لظلت مصر كما كانت فى أوائل القرن الماضى غنيمة تتنازعها الأطماع وتستبق إليها الشعوب .

على أن جلالته (الملك فؤاد) قد سار سيرة أبويه فلم يقصر همه على المسألة الخارجية وإنما رأى أن الحياة الداخلية والخارجية للامة . إنما هما وجهان لشق واحد فى حياة الأمة فسعى فى أصلاح الامرين جميعاً ، ذلك لأن صاحب الجلالة هو الذى يعرف هذه الأمور فى أناة وذكاء وحكمة وتنزة عن الهوى » .

الملك فاروق

وكتب فى ٢٤ / ١ / ١٩٣٦ عن الملك فاروق فقال :

« فالمصريون مجمعون على حب مليكهم لأنهم يرون فيه صورة بارعة لمصرهم الخالدة ورمزا كريماً لوطنهم العظيم . وهم يرون فى شخصه العظيم وإسمه الكريم أمنية صدقت وأملا تحقق » .

وهذا نموذج من أسلوب النقد من طه حسين: «قل أنه أحسن الناس جلسة في شرفة الـكونتنتال وأرشق الناس حركة في الرقص وأرفق الناس في الأخذ في مخاصرة الراقصات، وقل أنه أعذب الناس صوتاً وأجمل الناس شكلا وقل أنه أفصح الناس لساناً وأرقهم بنانا وقل أنه أذكى الناس قلباً (يقصد حلمى عيسى) ثم يتحدث عنه مع زكى الابراشى رئيس الخاصة فيقول : كلاهما أعلم بالأدب من صاحبه وكلاهما أجهل للادب من صاحبه وكلاهما أقدر على فهم الأدب من صاحبه وكلاهما أعجز عن فهم الأدب من صاحبه، أحدهما أديب كصاحبه والآخر غير أديب كصاحبه [1]» .

وهكذا عاش طه حسين يسخر قلمه للملوك ورؤساء الأحزاب : أحزاب الاقطاع ويتحول من حزب إلى حزب ومن رأى إلى رأى حسبما تقتضيه الظروف دون منهاج مرسوم أو هدف واضح في كتاباته السياسية أو الأدبية .

وقد عرف طه حسين بهجومه على الشاعر شوقى، وقد تحول عن هذا الرأى بعد وكتب في تمجيد شوقى .

غير أن إحدى الصحف — إذ ذاك — كشفت عن سر هجومه على شوقى فقالت (١٩٣٢/١١/١) .

ومما لا ريب في أن الدكتور طه حسين ، وهو أحد السنة دولة محمد محمود باشا إنما جاء ينافق من شوقى بعد مماته ، وينسب إلى حافظ بعد مماته أيضا ، ما نسبه إليه ليشفى حقد دولة الباشا على شوقى لأن حافظ رحمه الله لم يستطيع بعد أن وضع دولته تحت تصرفه وما له وما يملك ليهدم شوقى — هدمة فلم يشف حقد الباشا عليه ولم يطفىء غليله . ولـكن هل يستطيع طه حسين أن يؤدى المهمة التى عجز صاحبه حافظ بشهادته عليه — أن يؤديها ، وهل في مقدور هذا الرجل أن يناطح من صخرة شوقى أكثر من أن يتحطم قرنه دون النيل منها .

(١) الوادى (١٤ نوفمبر ١٩٣٤) .

فكرى اباظة

(الأهرام — المصور)

ابتكر فكرى أباظة اسلوبا جديدا فى الكتابة السياسية كان بدعا فى الصحافة المصرية . وقد رحبت به جريدة الأهرام وكاد أن يوقفه عليها وحدها .

وقد عرف أسلوب فكرى أباظة بالسخرية والمرح والنقد اللاذع على نحو متميز يختلف به عن أسلوب صنوه : محمد التابعى .

ولست أدرى لماذا لم يخلق أسلوب فكرى أباظه مدرسة كما فعل أسلوب التابعى . وربما كان إصرار فكرى أباظة على أن يظل صاحب اللون الوطنى المحايد وعدم اندفاعه إلى معركة الصراع العنيف بين الاحزاب ومجاملاته ولباقته فى الخصومه هو الذى حال دون خلق هذه المدرسة .

وقد استمر فكرى أباظة يكتب باسلوبه الخاص فى الأهرام وفى المصور ولايزال . ولم يغيره كما فعل التابعى .

وربما كان لطابع فكرى أباظه الخاص فى أنه لايحب التجريح ويؤثر المجاملة مع جميع التيارات والمعسكرات أثر فى توقف هذا اللون أو تجمده، ذلك أن هذه الفترة لم تكن فترة حياد فقد كانت الأحزاب تظن أن من ليس معها فهو عدوها غير أن هذا الموقف من فكرى أباظة قد مكنه من الحكم السليم على الأمور وخول له أن ينقد كل ما يراه معارضا للاتجاه الواضح الصريح لمصلحة الحركة الوطنية وهو مالم يتمكن غيره من الكتاب الذين ارتبطوا بالاحزاب الحاكمة من القيام به، فقد كان الكاتب فى الحزب مؤيد لحزبه فى كل تصرف معارض لخصمة فى كل عمل مهما كان هذا التصرف سيئا أو هذا العمل حسنا .

وقد شارك فكرى أباظه فى العمل الصحفى بعد ثورة ١٩١٩ ، بمقالات نشرها فى الأهرام كان لها رنة وصدى ووجدت إقبالا من القراء لما حملت من روح الدعابة والفكاهة والسخرية و(القفش) وكانت النقدات السياسية جافة حاده ، ولعله قد قرأ ليعقوب صنوع وعبد الله نديم وحافظ عوض، وقد شجعه داود بركات على التزام اسلوبه الخاص فى الصحافة وقال عنه : أنه أخرج الكتابه الصحفية من الجمود إلى الحركة ومن الانقباض إلى الانبساط ، وصور فكرى أباظه اتجاهه إلى اسلوب السخرية فأرجعه إلى أنه كان مضطهدا فى طفولته لما أطلق عليه عبارة « قبيح منظره » لذلك اضطر أن ينحو إلى جانب الاستهزاء بكل شىء ، واتصل فكرى أباظه بسعد زغلول وعارضه فلما غضب عليه اعتذر بقوله : نحن الفاشلين إذا لم نكبر على أكتافكم فكيف يعرفنا الناس .

* * *

وقد واجه فكرى أباظه الحركة الوطنية مواجهة صريحة بغير مواربة، وكانت له أراء لم تنشرها الصحف الحزبية — وكان ينشر مقالاته من ١٩١٩ إلى ١٩٢٦ فى الأهرام، وكان يوالى كتاباته فى الأهرام على فترات متباعدة بعد ذلك — فكتب ضد مشروع ملنر وهاجم الانجليز وهاجم اسماعيل صدقى وهاجم عيد ١٣ نوفبر ١٩١٨، وتعرض من أجل كثير من كتاباته للمحاكمة ، ومن ذلك أنه هاجم اللوردالنبى فى مقال نشر ١٩٢٤/٥/٢٥ فى الأهرام بمناسبة توديعه وأجرى التحقيق مع المسئولين فى جريدة الأهرام ، وتم الاتفاق على أن ينام التحقيق حتى يسافر اللورد اللنبى .

غير أن فكرى أباظه لم يلبث أن استقبل خلفه (اللورد لويد) بمقال قال فيه عنه أنه (جلاد عباى) وكان دفاعه القانونى أن اللورد اللنبى استقال فزالت عنه صفه التمثيل السياسى لبريطانيا وأن اللورد لويد لم يقدم أوراق اعتماده

كان مقاله: خيال وسياد (١٩١٩/١٢/٥) أول مقاله فى هذه المركة[1] حيث رد على جريدة التيمس التى أشارت إلى سلوك المصريين من استئثار الانجليز بالوظائف الكبرى فلجأ إلى دوسيهات بعض كبار مصلحة الرى وإلى احصاء من عدد كبار الموظفين الانجليز فوجد النسبة فادحه فى المرتبات والوظائف .

وكتب فى نوفمبر ١٩٢١ موجها خطابه للانجليز ساخرا من تسلطهم على خيرات[2] البلاد : هنيئا لكم أيها الانجليز ؛ تمتعوا بجونا الصافى ومناخنا الصحى وأرضنا الخصبة وماليتنا السخيه ووظائفنا العليه . وامرحوا ذات اليمين وذات اليسار فكأنما الله فى أرضه خلقت لتكون بيننا وبينكم على المشاع » .

وهاجم فكرى أباظه تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ الذى جاء بالانتخابات والنظام النيابى البرلمانى : يقول : كنت اعتبرها نعمة . كنت أخطب وأقول لأصحابى : ستختلف الاحزاب وستتمزق العائلات والبيوتات ، سيتفرع زعماء الجهاد للمسائل الداخلية ويهملون القضية ، سيتحول (الجهاد) نحو الحكم لا نحو الانجليز . سيلطم الانجليز البرلمان عدة لطمات ليفضحوه ويهزئوه ويمرمطوه وقد كان[3]

٥ وهاجم فكرى أباظه عيد ١٣ نوفبر ١٩١٨ الذى أطلق عليه (عيد الجهاد الوطنى) وقال[4] أن هذا العيد يشير إلى ذكريات اليمه ما كان يجب أن تحتفل بها أمه، فقد سلم زعماؤنا الثلاثه فى ذلك اليوم بالتبعية الانجليزية كما يتضح تماما من نص المحضر الذى حرروه .

وهاجم عيد ١٥ مارس فى أبان الاحتفالات به وقال أنه ويوم ١٣ نوفبر عيدان رسميان يجب أن يشطبا ، بل يجب أن يكونا يومى حداد وسواد « ولكن مغالطات البلد فوق كل منطق وكل ذوق سليم » وقال ومن عجب أنه ما من وزارة وطنيه

(١ و٢ و٣ و٤) مذكرات فكرى أباظه فى المصور، أغسطس — ديسمبر ١٩٤٩

ولدت بعد سنة ١٩٢٢ قد جرؤت على أن ترضى الحق والتاريخ وتلغى هذين العيدين» .

× وهاجم فكرى أباظه رسل باشا حكمدار العاصمة الانجليزى الذى كان يحمل لواء محاربه المخدرات ، وهو الرئيس الأعلى لتجار المخدرات ، هاجمة على طريقته بأسلوبه الساخر (١٩٢٦/١٢/٢٢) الأهرام تحت عنوان :

صاحب الفضيلة رسل باشا

فى البلاد سم قتال يهدد السعادة المنزلية والقواعد الدينية والصحة العمومية . وهو « الكوكايين »

اقسم لك . إن تلك الحصون التى بناها ويبنيها الانجليز من النار والحديد ، وإن تلك الفرق الاحتلالية برماحها وسيوفها . وقنابلها ومدافعها ، وأن سلخ السودان حياة مصر من مصر ، وان ذلك الانقسام الناشب مخالبه بين أبناء الوطن الواحد . اقسم لكم أن هذه العناصر منفرده أو متحدة لا تهدد « مصر البائسه » بأكبر مما يهددها الكوكايين » .

وكان له مع كل مندوب بريطانى يرد مصر رسالة مفتوحة :

كتب إلى جورج لويد فى ٦ أكتوبر ١٩٢٥ (الاهرام) من فكرى أباظه إلى كرومر الثانى .

رحم الله كرومر الاول وأهلا وسهلا بكرومر الثانى

صاحبك الله ياسير جورج لويد . أفزعتنا إذا بعثت من القبر ، ذكرتنا بعهد الذل الدائم والظلم القائم. ذكرتنا بدنشواى ومشانق دنشواى وسجون دنشواى ذكرتنا بهذا الذئب والنماج حين ذكرت أنكم تشعرون بأن قناة السويس جزء ممتد من (دوفر)

فما رأى فخامتكم فى أننا نشعر أن (دوفر) جزء ممتد من قناة السويس .

كفى مزاحا ياسيدى العميد ، وتمثيلا على المسرح .

خدعوك إذ أفهموك أن مصر قد ماتت . لا والله : لئن أردت أن تكون حقا كرومر الثانى ، فاعلم أن على يدك أنت سيصفى الزعماء المصريون حسابهم بين أنفسهم . وسيبقى الحساب المصير بيننا وبين العدو الكبير .

× وكتب إلى المندوب السامى البريطانى برسى لورين فى ١٩٣٢/١١/٩ يقول :

هل بلغتك البشرى : المادة نمرة ٥ من قانون الوفد والمادة نمرة ٤ من قانون الهيئة الوفدية شطرتا الوفد الجبار التاريخى العتيد شطرين ، اشتعلت نار الحرب الأهلية بين طلاب الحركة الاستقلالية وأبطال الحركة الاستقلالية وجنود الأمانى القومية ووكلاء الأمة — المسكينه — المصرية .

ابتسم بالله عليك بل أضحك بل قهقة وأشرب كأسا من الوسكى على صحة الفشل . لم نعد نسمع من أفواههم جيما ألفاظ . الدماء ! قبور الشهداء ! الضحايا . الموت الزؤام !

بل أصبحنا . نسمع أسماء الغرابلى والمادة خمسة والمادة أربعة، سيدى أقول لك الحق : أنا مكسوف » .

وعاد يكتب « من فكرى أباظه إلى برسى لورين » فى ١٩٣٢/١٢/١٧ انشق الوفد كما ترى . وقامت الحرب الأهلية فى دوائره المدنية والريفية وغط الحزب الوطنى فى النوم العميق فاتخذ نادية فى المغاور والكهوف والأديرة . وأوشك أن ينتقل إلى رحمة مولاه . وخس حزب الأحرار الدستوريين ونحل وهزل حتى أصبح هيكلا ... وهيكلا من الهيا كل الأثريه . وتثاءب حزب الاتحاد وقنع بشرب القهوة واب الزد فى ناديه ونسى البلد ومافيه . أما حزب الشعب فهو مأمون العواقب ، حلو المناقب ، كريم السجايا . كثير المزايا .

أما « الاحتلال » فهى كلمة لم أسمعها من زمن ، ولم أقرأها من زمن . فأين دويها وطنينها وزئيرها . والله إنى لخجول » .

* * *

ومن خطاباته المفتوحة ، خطابه إلى اسماعيل صدقى وهو رئيس الحكومة فى ٢٦/٧/٣٢ « أنت لست فى حاجة إلى الأطباء وإنما أنت فى حاجة إلى الراحة من نفسك ومن جبروتك على بدنك وصحتك ومن عنادك وقوة شكيمتك .

وقد حكمت عامين طويلين بسطت فيهما سلطانك على القلوب والألسنة والأيدى ، فدانت لك مصر بالأجسام والأبدان » .

وهاجم فكرى أباظه علماء الدين الذين كانوا يحيون ليلة القدر فى دار المندوب السامى :

ومن خلال هذه العبارات الساخرة الفكهة كان فكرى أباظة يقول كل شىء مما لم يكن يقال صريحا واضحا .

وهو مثلا عند ما يريد أن يصور الحياة فى القاهره فى ظل الاحتلال فى أوائل عام ١٩٢٣ يقول فى كلمة موجهة منه إلى توفيق دياب (الأهرام ١٠/١/١٩٢٣)

« علمت أنك انقطعت عن سهراتك اللذيذة فى بار اللواء ، واعتدت العودة لمنزلك مبكراً قبل أن يخيم الظلام ، من عهد الحوادث الأخيرة ومن عهد إنتشار الساكى الانجليزى فى الشوارع والميادين .

معك حق . لقد تأكد لى بدليل حسى قاطع أنك كنت حكيما جداً ، جدا فى إضرابك عن السهر ، وفى مقاطعتك للعساكر الانجليزية فى الليل ، حيث يأبى مزاجهم الرقيق إلا مداعبة السائرين المساكين .

آه يا أستاذ . ما هذه البلاوى التى تنتابنا هذه الأيام ، ضغط على حرية الكتابة ،

ضغط على حرية الخطابة ، ضغط على حرية التصرف فى الأموال ، ضغط على حرية مقابلة الأصدقاء . ضغط على حرية التكلم فى التلفون ، وأخيراً ضغط على حرية السهر ، واحسراتاه لو ضغطوا على حرية « الأكل والشرب » إذن فقل علينا السلام .

أود أن أحادثك طويلا ولكنى مريض نوعا وخائف نوعا وأكره جو سيلان نوعا » .

رأى فى الصحافة

وقد صور فكرى أباظه رأيه فى الصحافة المصرية (١٩ أغسطس [1] ١٩٤٩) قال :

أن الصحافة المصرية مع الحزن العميق كانت تتمتع بكل حريتها فى عهد الاحتلال .

ولو قرأو ما كان يكتبه كتاب الأمس فى سنى ١٩٠٨ — ١٩٠٩ — ١٩١٠ لفغروا أفواههم من الدهشة والذهول .

أننا نتقهقر فى ميدان الحرية الصحفية ، فان قانون العقوبات فى ذلك الزمن الغابر — أى منذ أربعين عاما — لم يكن بهذه الشدة ولا بهذا العنف ، فلم تكن الصحافة تحس أن حريتها مقيدة بأى قيد أو مهددة بأى تهديد .

ما كانوا يعرفون فى عهد الاحتلال حتى قبل الحرب العظمى الأولى ، تلك الألفاظ والعبارات المطاطة التى حشرت فى مواد قانون العقوبات حشرا وما كانوا يعرفون المصادرة ، وما كانوا يعرفون تعطيل الصحف والإلغاء ، كل هذه من صنع الحكم الوطنى المصرى منذ ١٩٢٤ .

فاذا قارنت بين إحصائيات القضايا الصحفية فى تلك السنين وهذه السنين راعك الفرق الشاسع مع مراعاة إختلاف الظرف وإختلاف الحكم .

---

(١) مذكرات فكرى أباظه — مجلة المصور

أن الصحافة فعلت المعجزات إذ تقدمت هذا التقدم العظيم ، ووثبت تلك الوثبة الهائلة رغم ما اعترض طريقها من عقبات وحواجز ومواقع وفخاخ .

والمدهش أنك حين تحلل نجد أنه لم يكن بين حكام ذلك الزمن الغابر وزراء من أبناء المهنة ، أى من الصحفيين ، بعكس وزراء الحكم الوطنى من ١٩٢٤ إلى ١٩٤٩ ففيهم عدد من أبناء المهنة الذين اتخذوا الصحافة حرفة لهم .

وثم ظاهرة أخرى أدعى للدهشة ، وهى أن أكثر وزراء الحكم الوطنى عام ١٩٢٤ كانوا من ضحايا النشر الصحفى . فلقوا مالقوا من مطاردة ونفى وحبس ، ومع ذلك ما يلبثون أنه يعتلوا كراسى الحكم حتى ينسوا الماضى وتخرج مصانعهم مواد الخنق والتضييق » .

* * *

فاذا استعرضنا حياة «فكرى أباظه» الصحفى فى هذه المرحلة حتى عام ١٩٤٠ نجده كاتبا ساخراً فكها ، ولكنه إلى ذلك صريح جرىء كشف كثيراً من أكاذيب السياسة وخداعها ، وهاجم الأعياد الكاذبة فى ١٣ نوفبر و ١٥ مارس وهاجم علماء الأزهر لأحياء ليلة القدر فى دار السفير البريطانى وغيرهامن المواقف .

ولكننا لاننسى له موقفه فى مهاجمة الشيخ أبو العيون ووقوفه فى صف إبقاء البغاء وعدم إلغائه ، وقد رد عليه الشيخ أبو العيون فى الأهرام ٢٦ سبتمبر ١٩٢٦ فقال :

أن إلغاء البغاء تهمة فى نظر فكرى أباظه ، واضيعة الدين والشريف . أيقول ذلك وهو من أسرة طيبة طاهرة تغار على الاحساب والأنساب .

الصحافة إزاء الأحداث السياسية

« فترة مابين الحربين »

(١٩١٩ — ١٩٣٩)

- المعركة بين الوفد والاحرار الدستوريين .
- المعركة بين عبد العزيز فهمى وسعد زغلول .
- المعركة بين الوفد والحزب الوطنى .
- معركة حكم الأقليات (محمد محمود — اسماعيل صدقى)

الصحافة إزاء الاحداث السياسية

ماذا كان موقف الصحافة المصرية من الأحداث .

كانت أبرز الأحداث فى هذه الفترة هى ما أطلق عليه « القضية الوطنية » وهى المعركة السياسية مع الاستعمار ؛ وقد تفرعت هذه المعركة فأصبحت معارك: الاستقلال والدستور والحياة النيابية والصراع حول الحكم والمفاوضات .

وحول هذه المعركة اختلفت الصحف الكبرى فكان لكل منها رأى :

قبل ثورة ١٩١٩ كانت الاهرام والمقطم والمؤيد واللواء والجريدة ، كل منها تمثل اتجاها أزاء كل مسألة : الأهرام فى موقفها بين بريطانيا وفرنسا . والمقطم فى لونها البريطانى الواضح ، والمؤيد فى اتجاهها الخديو ، واللواء فى اتجاهها الوطنى، والجريدة فى لونها المحافظ المهادن للاستعمار .

وفيما بعد ثورة ١٩١٩ : كانت الاهرام والمقطم والسياسة والبلاغ وكوكب الشرق والجهاد تمثل اتجاهات واضحة؛ ذهب الحزب الوطنى الذى كان يدعو صراحة إلى الجلاء ويواجه الانجليز بالخصومة الواضحة والمعارضة المكشوفة ، وجاء الوفد الذى يهادن الانجليز ويلتقى بهم فى منتصف الطريق . وبقى الاهرام والمقطم جريدتان حياديتان تمثل كل منهما اتجاهها ، وقد حلت « السياسية » محل « الجريدة » ، كما حل حزب الأحرار الدستور بدلا من حزب الأمة . واختفى ذلك الاتجاه الواضح الصريح فى خصومة الانجليز ، وحلت محله جبهة « الوفد المصرى» المتفاهمة التى قبلت المفاوضة ، ثم انقسمت بعد خلاف عنيف إلى حزبين هما : الوفد الذى يمثل القوة الشعبية والأحرار الذى يمثل أصحاب المصالح والبيوتات

والاقطاعيين . وكان صدور تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ مقدمة لإعلان استقلال مصر وصدور الدستور وإنشاء البرلمان والمفاوضات وبدأ عهد جديد ، هو عهد الاستقلال دارت فيه معركة الصحافة بين الأحزاب حول الدستور والبرلمان والحياة النيابية والمفاوضات .

ومن طريق الوفد تحولت الكلمات من الجلاء إلى الاستقلال . ومن الوطنية إلى السياسة ، ومن مواجهة الاحتلال البريطانى ، إلى الصراع الداخلى وقد إمتد هذا الخلاف واتسع نطاقه وتمزق الوفد إلى أحزاب ومستقلين .

وكان الوفد يعلن دائما أنه ممثل الأمة الحقيقى صاحب التوكيل ، وقد خرج أغلب موقعى التوكيل عن الوفد ، ومع ذلك فالوفد هو الوكيل الفعلى ، لا يستطيع حزب آخر أن يدعى مشاركته فى هذا الحق .

وكما بدأت المعركة حول أحقية رئيس الأغلبية أم رئيس الحكومة فى إجراء المفاوضات ، وتعددت مشروعات المفاوضة منذ مشروع ملنر ١٩٢١ إلى معاهدة ١٩٣٦ حيث جرت مفاوضات سعد وعدلى وثروت والنحاس ومحمد محمود .

ودارت المعركة حول الدستور الذى شكلت له لجنة من غير الوفد ، ثم دارت حول تطبيقه وحول الانتخابات وحول الأغلبية البرلمانية وحل البرلمان بعد اجتماعه الأول ، ودارت المعركة حول وزارات الأقليات ، وأهمها وزارة زيور بعد وزارة سعد زغلول التى استقالت على أثر الانذار البريطانى لحادث السردار .

ثم كان انقلاب محمد محمود صاحب اليد الحديدية وانقلاب إسماعيل صدقى عميل الاحتكارات البريطانية الأول : أوقف الدستور والحياة النيابية ثلاث سنوات قابلة للتجديد ، والثانى ألغى دستور ١٩٢٣ وأنشأ دستوراً جديداً انبثق عنه برلمان جديد وحول هذين الانقلابين دارت أعظم المعارك الصحفية .

ثم دارت معركة أخرى حول إعادة دستور ١٩٢٣ وتصريحات مستر هور وموقف الوفد من وزارة نسيم وهى المعركة التى وقع الخلاف فيها بين العقاد وجريدة روز اليوسف اليومية وبين الوفد، ثم كانت المعركة الصحفية الكبرى هى معركة معاهدة ١٩٣٦ التى اعتبرها الوفد معاهدة الشرف والاستقلال ، وهاجمتها الصحف الأخرى ، كما هاجمها الحزب الوطنى وعدد من الكتاب والنواب .

وفى خلال هذه الفترة : اتحد الوفد والأحرار الدستوريين مرتين : المرة الأولى عام ١٩٢٦ عند تشكيل حزب الاتحاد والمرة الثانية ١٩٣٦ عند تشكيل حزب الشعب وهما الحزبان اللذان صنعهما الملك لمقاومة تيار الحركة الوطنية .

وكان الحزب الوطنى موضع هجوم حزب الوفد متهما بأنه حزب خيالى يتعلق بالملحقات وزيلع وهرر . ويرجع هذا إلى أن الحزب الوطنى الذى كان يقود الحركة الوطنية قبل الحرب العالمية الأولى قد فقد نفوذه الشعبى بعد ظهور الوفد الذى حمل الزعامة بعد الحرب مع الاختلاف الواضح فى منهج كل منهما .

وكان أبرز عوامل هذا الخلاف هو قبول الوفد التفاهم والمفاوضة مع الانجليز على النحو الذى دعا إليه كرومر وأيده حزب الأمة ، بل لقد تردد أن سعد زغلول كان من مؤسسى حزب الأمة وإن لم يشترك صراحة فى عضويته ، لذلك فإن الوفد كان يهاجم موقف الحزب الوطنى المعارض لاتجاه الوفد فى التفاهم مع الانكليز وقبول الاستقلال بالتجزئة ، وكان الوفد يهاجم الحزب الوطنى ويتهمه بأنه خيالى ويهاجم رئيسه حافظ رمضان هجوما شخصيا .

غير أن الخلاف الحقيقى فى مفاهيم السياسة إنما يمثل اتجاهين واضحين ، هما الاتجاه الشعبى الذى يمثله الوفد ، والاتجاه الارستقراطى الذى يمثله الدستوريون وكان هذا طبيعيا . ذلك أن كلا من الحزبين يمثل قوة تختلف عن الأخرى

فالوفد يمثل الشعب والطبقة الوسطى والفلاحين وطبقة الموظفين والعمال وصغار أصحاب رءوس الأموال ، بينما يمثل الدستوريون طبقة الاقطاعيين وأصحاب الأطيان والبيوتات وهم أعضاء حزب الأمة القديم ، هذه الطبقة التى أطلق عليها كرومر (أصحاب المصالح الحقيقية) وهى الطبقة التى صنعها الاستعمار فعلا بعد الاحتلال وأعانها على الثراء والبروز ليضرب بها الطبقة التركية القديمة المتصلة بأسرة محمد على والتى كانت لاتتكلم العربية وتسيطر على التيار العثمانى الإسلامى وتوجهه دون أن ترتبط بالوطن المصرى أو تصاهر المصريين وتعتبرهم عبيد الأرض « الفلاحون » بينما تمثل طائفة الدم الأزرق والارستقراطية التركية ، ولا يمنع هذا من الإشارة إلى أن مفاهيم الوطنية عند الوفد قد تغيرت عن مفاهيم الوطنية عند الحزب الوطنى وخطت خطوة نحو الواقعية والتفاهم مع الانجليز وقبول الحكم مع وجود الاحتلال وفى ظله وتحت نفوذه وسلطانه .

صحف الأحزاب

ويمكن القول إجمالا بأن الصحافة كانت تمثل رأى أحزابها أو فى الأغلب رأى زعيم الحزب ومفهومه السياسى . فمفاهيم سعد زغلول هى رأى الوفد ومفاهيم عدلى يكن هى رأى الأحرار الدستوريين ، وكذلك كان حزب الاتحاد وصحيفته تمثل وجهة نظر الملك فؤاد وحزب الشعب يمثل رأى إسماعيل صدقى ولم يمنع هذا من أن يطوى الحزب حقيقة هدفه أو غرضه وراء مظاهر خلابه، فقد كان الأحرار الدستوريون يمثلون مصالحهم كاقطاعيين ورأسماليين ، ولذلك كانوا يؤمنون بالارتباط ببريطانيا وكان صدقى باشا صاحب حزب الشعب يمثل الاحتكارات الاقتصادية البريطانية ويمثل وجهة نظر الملك من ناحية الحكم وسلطانه ورغبته فى وتوسيع نفوذه والحد من سلطة الأمة .

وبالجملة فإن الأحزاب كلها كانت تؤمن بعظمة بريطانيا وتخشاها وتعتقد أنه ليس من المستطاع أن تقاومها أو تخسر صداقتها . فحكام ما بعد ثورة ١٩١٩ من مدرسة واحدة أصلا ، هى المدرسة التى نشأت فى ظل الاحتلال البريطانى منذ ١٨٨٢ فى خلال جيل كامل ، هذا الجيل الذى لم يكن يستطيع أن يؤمن بالمعانى الوطنية الكبرى .

ولقد كانت الصحافة صورة لتفكير هؤلاء الساسة ، ولذلك اختفت فى هذه الفترة النزعة الوطنية الجريئة التى كان يمثلها مصطفى كامل وعلى يوسف ، وتغلب التيار التعقيلى الذى بدأه لطفى السيد فى الجريدة . وكان الحديث فى الصحف لا يتصل بالاستعمار البريطانى أو الاحتلال بقدر ما يتصل بالخلاف الداخلى بين الأحزاب :

وهذا مظهر واضح فى صحافة ما بعد الحرب العالمية الأولى ، فبعد أن كانت المعركة قبل الحرب تدور حول الجلاء والحرية ؛ تحول الحديث أو انصب بعد ثورة ١٩١٩ حول الخلاف الداخلى والمشاكل الحزبية الوصول إلى الحكم أو اسقاط الحزب الآخر ، ولذلك توالت الوزارات من كل لون ، لا يبقى منها حزب فى الحكم إلا فترة لا تتجاوز العام لترتفع إلى كراسى الحكم وزارة أخرى وحزب آخر وفى خلال ذلك تجرى مفاوضات وتفشل فى الوصول إلى حل للقضية المصرية ، وهكذا ظل المسرح لا يهدأ ولا يستقر عليه حزب ما ، ووزارات تسقط وأخرى ترتقى ، وانتخابات تجرى وبرلمانات تشكل ومفاوضات تجرى ثم تتوالى المسرحية مرة أخرى . والصحف لها فى هذه المعارك دوران : دور خلال وجود أحزابها فى الحكم وهى فى هذا الدور تكيل المديح لوزرائها وأعمالهم وتهاجم خصومها بقوة وتنكل بهم وتكشف من أخطائهم وتتهمهم بالمروق من الوطنية .

ودور خلال وجود أحزابها خارج الحكم وهى فى هذا الدور تلقى المصادرات والتقديم للنيابة والمحاكمات والسجن وتبحث فى نفس الوقت عن موارد من أموال الأعضاء لتتمكن من مواصلة الصدور .

أما الاخراج والموضوعات الأنيقة والأسماء اللامعة فى الصحف فـكل هذه وسائل كان يراد بها كسب القراء، ومع ذلك فان صحف الوفد كانت أكثر الصحف رواجا وكان يزداد رواجها فى فترة خروج الوفد من الحـكم ، وهى تحمل على الأحزاب الأخرى أو ما نسميه حكم الأقليات .

أما صحف الأحرار الدستوريين والشعب وغيرها فقد كانت تفرض أبان حكم هذه الأحزاب على العمد والأعيان، وقلما كانت توزع مع الباعة الذين كانوا رفضون فى بعض الاحيان حملها .

ولم يكن للأسماء اللامعة فى صحف الأحرار الدستوريين أهمية فى نظر الجماهير التى كانت منساقة وراء الفهم الجماهى الوطنى .

ولا شك كانت صحف الوفد أصدق هذه الصحف وطنية ، وذلك مع التحفظ بالنسبة لـكثير من معانى الفهم الوطنى الحقيقى ، واندفاع الوفد الى ميدان الصراع حول الحـكم تماما كالأحزاب الأخرى .

لذلك فان كل المعارك السياسية التى وقعت ، لم تـكن جدية بل لم تـكن تهدف إلى العمل الوطنى الـكبير ، فقد ضعفت الحماسة لهذا العمل ، وتوارت خلف الصراع على الحـكم ، والوصول اليه ، حتى جاء اليوم الذى أصبح الوصول إلى الحـكم بأى وسيلة هو الهدف الحقيقى لـكل حزب .

كما كشفت الصحافة عن ضعف كل هذه الأحزاب أمام بريطانيا ، فقد تجمد ما اطلقت عليه الأحزاب « القضية المصرية » وذلك بعد أن حرك الاحتلال البريطانى هذه الأحزاب وزعمائها وصحفها كما تحرك قطع الشطرنج .

وجملة القول ان الصحف كانت تعمل عند الأحزاب خاضعة لها ، كما أخضع لقوى الأحزاب جميع المثقفين فى البلد الذين عملوا فى الصحف فى خدمة أهداف

الأحزاب ، وكانت أحزاب الأقلية أكثر استئثاراً بالمثقفين الذين تعلموا فى أوروبا ، أولئك الذين عملوا خداما لأهداف الاقطاعيين وأبناء البيوت ممن لا يحملون ثقة أوطانهم ولا يعملون فى المعركة الوطنية الا كطرف مرتبط ببريطانيا أو القصر . وربما كانوا مضطرين إلى هذا الاتجاه فإن حزب الاغلبية كان لا يبالى كثيرا باحتضان هذه الثقافات

ولقد هزأ الدكتور هيكل بالعمل الصحفى اليومى وكشف فى استهانه عنه حين قال فى إحدى رسائله إلى طه حسين :

« ثم ماذا ترانى أنتجت ؟ دعك من فصول يومية تكتب فى الصحف أنت أعرف الناس بتفاهة ماينفق من مجهود فى هذه الفصول ، ودعك من العمل فى حزب سياسى فأنت أدرى بالسياسة المصرية . ماهى وما مبلغ الجهد فيها » .

الصحف المحايده

وفى الجانب الآخر : تقف الصحف المحايدة ، أو الصحف غير الحزبية وهى : الأهرام والمقطم ونزعتهما معروفة فهما يمثلان النفوذان الذين يتنازعان فى مصر أحدهما عن طريق الثقافة واللغة والاقتصاد والصالونات وهى فرنسا التى كان ظهيرها الاول فى القصر الملكى والأمراء وبقايا الأسر التركية والاوستقراطية التى لا تتكلم العربية وتنظر إليها باحتقار .

والثانية : النفوذ القائم فعلا بالاحتلال وهى بريطانيا :

هذه الصحف لم تكن تتحدث كثيرا فى الخلافات الحزبية ولا تتدخل فى معاركها إلا على نحو أو آخر ، فجريدة الاهرام تصادق كل الاحزاب وخاصة ما كان منها فى الحكم ، وتجامل كل التيارات المتصارعة على نحو يزيد بلبله الخواطر ، وبشيع روح التمزق فى جبهة الشعب الفكرية وهى إلى هذا تهاجم آراء بريطانيا واتجاهاتها .

أما المقطم فهى تمثل رأى بريطانيا فى مختلف المسائل : التعليم ، السياسة ، الحكم ، الاقتصاد .

وفيما عدا ذلك كانت الاهرام والمقطم أكثر اهتماما بالشئون الاجتماعية والاقتصادية وكل مايتعلق بالمسائل العامة التى تشغل الرأى العام ، وكان الاهرام يتناول هذه المسائل على مستوى المثقفين ، أما المقطم فـكانت له أهمية كبرى لدى الفلاحين والقرويين ، لانه ينشر كل ما يتعلق باخبار القطن والزراعة والبورصه وفتح الحياض وأسعار الحبوب والخيش، وكان الاهرام يشاركه فى هذه الابواب، ولـكن الانصاف يقتضينا ان يقول ان كل هذه الابحاث والدراسات التى كانت تنشر فى المقطم والاهرام انما كانت تمثل وجهة نظر البيوت الاقتصادية الاجنبية وأصحاب رؤوس الاموال والمسيطرين على الاسواق وكبار التجار .

وكذلك فى عرضهما للاحداث والحروب والاخبار العالمية إنما كانا يمثلان وجهة نظر الدول الاووبية ؛ بريطانيا فى المقطم وفرنسا فى الاهرام ومع هذه النظرة إلى موقف الصحافة أزاء الاحداث السياسية فاننا لاننـكر أن كان للاهرام مواقف واضحة فى الوطنية أزاء بعض الاحداث الهامة ، ربما تـكون قد اضطرت اليها اضطراراً تحت ضغط الرأى العام .

ولعل أبرز هذه الاحداث فى الفترة السابقة للحرب العظمى هى معركة مد إمتياز قناة السويس التى حمل لواءها محمد فريد فى جريدة اللواء . وكان احرازه نصوص هذه الاتفاقية السرية قبل أن تعقد عملا صحفيا كبيرا وكان استغلال هذه النصوص فى سبيل مقاومة هذه المؤامرة عملا رائعا حقق انتصاراً وطنيا ضخما هو رفض هذه الاتفاقية .

وقد امتدت هذه المعركة فى كل الصحف (من ٦ أكتوبر ١٩٠٩ إلى ابريل عام ١٩١٠) .

ووفق الخطوط التى رسمتها الصحف كان موقفها من الاحداث : فالمقطم

تهاجم اللواء والحزب الوطنى وصحفه و كتابه وزعمائه على طول الخط وتنمى على اراثهم واتجاهاتهم ، كما تهاجم (المؤيد) باعتباره مواليا للخديو.

وكذلك هاجمت ثورة سنة ١٩١٩ ووصفتها بأنها مجموعة « مظاهرات » واضرابات وقلب لبعض عربات الترام وخروج على القانون .

ونمت المقطم اعتزال اللورد كرومر للخدمة فى مصر كما نمته الجريدة بينما هاجمته اللواء . وأعلنت المقطم والجريدة انه استقال لأسباب صحية بينما قالت اللواء أنه أخرج على أثر الحملة التى شنها مصطفى كامل على بريطانيا بعد حادث دنشواى

كما استقبلت جريدتا المقطم والوطن اعلان الحماية على مصر (١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤) بالترحيب والتهليل .

وكان موقف المقطم من وفاة مصطفى كامل ومحمد فريد شيئا قليلا من العزاء وشيئا كثيرا من النقد والسخرية .

وكان موقف المقطم من حوادث دنشواى (٢٨ يونيه ١٩٠٦) واضحا فقد حملت على الصحف الوطنية واتهمت اللواء والحزب الوطنى بأنهما مصدر التهييج الذى دفع الفلاحين إلى قتل الضابط البريطانى .

وكان للصحافة موقفها ازاء أحداث هامة فى تاريخها :

* مقابلة ١٣ نوفبر ١٩١٨ .
* ثورة ١٩١٩ .
* لجنة ملنر .
* مشروع ملنر .
* معركة الانقسام بين عدلى وسعد .
* معارك الدستور .

مقابلة ١٣ نوفبر ١٩١٨

كانت أولى الأحداث بعد الحرب العالمية مباشرة هي: مقابلة ١٣ نوفبر ١٩١٨ التي قام بها الباشوات الثلاثة سعد زغلول وعبد العزيز شعراوي وعبد العزيز فهمي للعميد البريطاني

وقد ظلت الصحف تهلل لهذه المقابلة وتكبر طوال الحياة السياسية الحزبية التي نؤرخ لها وحتى ثورة ١٩٥٢ . بل أعتبر هذا اليوم عيداً أطلق عليه عيد الجهاد الوطني كانت يحتفل به جميع الأحزاب السياسية — ماعدا الحزب الوطني — كل عام وهي : الوفد والأحرار الدستوريين والحزب السعدي والكتلة فيما بعد . وكانت الصحف تصور هذا اليوم على أنه من أبرز مواقف البطولة وأنه فاتحة الجهاد في سبيل الاستقلال وكان هذه واحدة من مخادعات الحزبية للشعب . فان النظرة الأولى إلى محضر هذه المقابلة يصور مدى ما فيها من الضعف والهزيمة والاستهلال الردىء للحركة الوطنية بعد الحرب العالمية .

ويكفي أن نسجل ما قاله سعد زغلول زعيم هذه المدرسة السياسية الكبرى ورئيس هيئة الوفد التي تألف منها بعد: حزب الوفد والأحرار الدستوريين والاتحاد والسعديين والكتلة والشعب .

قال سعد زغلول : «متى ساعدتنا انجلترا على إستقلالنا التام فاننا نعطيها حماية معقولة على عدم تمكين إية دولة من إستقلالنا أو المساس بمصالح انجلترا ، فنعطيها ضمانة في طريقها للهند ، هي قناة السويس بأن نجعل لها دون غيرها حق إحتلالها عند الاقتضاء ، بل نحالفها على غيرها ونقدم لها عند الاقتضاء ما نستلزمه المحالفة من جنود » .

ووافق شعراوي باشا على بقاء المستشار الانجليزي وقال : أننا نكون أصدقاء للانجليز . أما عبد العزيز فهمي فقد أعلن أنه من حزب الأمة القديم صديق الانجليز .

وقد أعلن عبد العزيز فهمى فيما بعد (نوفمبر ١٩٤٥) أن هذه المقابلة لم تكن فى شأن مفاوضة الانجليز أو التفاهم معهم على الاستقلال وإنما كانت بشأن تخفيف قيود الأحكام العرفية واضاءة القاهرة بعد أن انتهت الحرب .

* * *

ولم تجرؤ إحدى الصحف الحزبية على مهاجمة «عيد ١٣ نوفمبر» لأنها جميعاً كانت مشتركة فيه ، غير أن الحزب الوطنى وبعض كتابه هم الذين هاجموا هذا العيد وقد كتب فكرى أباظة مهاجما له فى الأهرام

* * *

وهذه صورة ١٣ نوفمبر كما رسمها الوفد عام ١٩٢٤ بعد أن تولى الحكم فى خطاب ألقاه مكرم عبيد على الجماهير :

اليوم عيد الثورة : ثورتنا السلمية ، لا ثورة العنف ، لأن العنف ليس من عناصر الثورة أو من مستلزماتها . بل هو طارىء سيء من طوارئها . وإنما وانى أسألكم والحزن يعقد لسانى : هل نحن عائشون فى الثورة أم فى ذكراها ، وهل نحن سامعون لصوتها أم صداها . وهل نحن صانعوا الثورة أم وارثوها ، وهل نحن خطباؤها أم مؤرخوها ؟ أجيبونى بما تطمئن إليه نفسى فإن فى النفس حيرة وفى القلب حسرة .

غير أنى وإن حزنت فليس هو الحزن المميت . حزن الشك والقنوط . كلا فإنى أومن أننا وان لم نكن فى ثورة فالثورة لاتزال فينا . وإن لم تنبعث من شعورنا فهو لا يزال فى القلب دفينا . وإن لم تنهمر دموعنا فقد تجمعت فى مآقينا . وإن لم يحن وقت استشهادنا فلا تزال الوطنية تنادينا .

لذلك يجب أن نحتفل بعيد الثورة وذكراها ، فالذكرى لا تورث حسرة إذا اقترنت ببريق الأمل ، والماضى لا يطويه الزمن .

فلنحتفل بهذا اليوم فهو يومنا ؛ نعم انه يوم كسائر الأيام ، يغبره ظلام الليل شبحا بعد أن ابتسم للنور وليدا، ولكنه يوم قضيناه من شبكة الحياة طريداً فألبسناه من نهضتنا ثوبا مصريا مجيدا ، وأخذنا به على الزمن عهداً جديداً . أن يصوغ له من أنفسنا نارا ومن عزائمنا حديداً وان نموت فى الحركة كراما على أن نحيا عبيداً . ها كم يومنا دون سائر الأيام يمر على الناس يوما ويعود علينا عيدا » .

ولا يعطى هذا الكلام شيئا واضحا عن يوم ١٣ نوفمبر أكثر من القول بأنه عيد الثورة وذكراها .

ويصور سعد زغلول مشاعره فى عيد ١٣ نوفمبر ١٩٢٦ فيقول :

« أن الفضل الذى نسب إلى فى مثل هذا اليوم لم يكن لى وحدى ، ولكن لى شركاء فيه ، أحدهم توفى (يقصد شعراوى) فقد كان ثالث الثلاثة الذين رفعوا أصواتهم فى ذلك اليوم بالاستقلال، وربما كان نصيبه من هذا الفخر أوفر من نصيبى وأذكر أيضا — وإن كنا على خلاف — ولكن الحق حق ويجب على مثلى ألا يكون فى صدره حقد، وأن لا يمنعه شيء من قول الحق ، لحضرة عبدالعزيز بك فهمى فى ذلك الوقت أحد الثلاثة الذين اشتركوا فيما تذكرونه اليوم فان كان هناك فضل يستحق التمجيد منكم فالفضل راجع لهذين الصاحبين » .

ومعنى هذا أن سعد زغلول يعتقد بأن العمل الذى تم فى هذا اليوم يستحق الفخار لأنه كان رفعا للأصوات بالاستقلال . وأن مثل هذا العمل يستحق التمجيد .

ثورة ١٩١٩

لم تستطع الصحف أن تكتب عن ثورة ١٩١٩ فى حينها كما وقعت وعلى حقيقتها ذلك أنه لم يكن خلال الحرب العالمية الأولى أبان قيام الثورة صحيفة وطنية واحدة . أما المقطم والوطن فقد كان موقفها منها موقف الاتهام والتصغير، أما الأهرام فقد كان موقفها طيبا فى حدود ما استطاعت نشرة عنها إذ كانت الصحف عامة فى ظل رقابة الأحكام العرفية .

وقد كتب الأهرام فى ١٨ مارس ١٩١٩ فى خلال أيام الثورة[1] يقول :

مرت بنا أمس مواكب المتظاهرين من ناشئه الأمة المصرية وعلمائها ومن ادبائها وعمالها ومن صناعها وكل مرتبة فيها فتجلت وهى تمر مواكب مواكب يحقق فوق رؤسها العلم المحبوب ويكرم كل موكب فيها بتحية الأهرام والدعاء لها، تحية قرعت الاذان فهبطت إلى القلوب وتمشت بإجزاء النفس التى نبتت فى هذا الوادى الخصب والبلد الطيب الامين »

وردت الأهرام على حملات الصحف الانجليزية عن المصرين وأخلاق المصرين فى ثورتهم، وما ادعته كذبا من تطرفهم فى مطالبهم وخصومتهم لنزلائهم الاجانب وأيدت تكذيباتها بشهادات من بعض الارمن والانجليز المحليين يؤيدون حسن سلوك المصرين إبان ثورتهم وانهم لافبار على تصرفاتهم (١٢ ابريل ١٩١٩)

وعادت الأهرام فى أول يناير ١٩٢٠ فى التعليق على أحداث العام الماضى : فكتبت مفصلا عن رأيها فى ثورة ١٩١٩ قالت .

« فى » نوفبر ١٩١٨ القى المتطاحنون فى ساحات الوغى سلاحهم فارتجت الأرض بصوت السلام — أما نحن المصريون فأن خمود جذوة الحرب كان حربا علينا فتكشف لنا ذلك الخمود والهمود فى الغرب عن أمل ضاع وثمرة جهاد قرن كامل ذهب ... وقيدت أيدينا عن العمل والسنتنا عن الشكوى وأرجلنا عن السعى

---

(١) اقرأ ما كتبه المقطم عن ثورة ١٩١٩ فى الفصل الخاص به

فنضبنا فى أرضينا لا نفسنا فضبه سجلها يوم «١٣ نوفبر ١٩١٨» ومايليه من الايام حتى إذا وصلنا إلى ١٥ مارس ١٩١٩ كتبنا على صفحة مصر بدمائنا ما كتبناه فى ١٣ نوفبر باقلامنا وأعلناه بالسنتنا وذدنا وطننا فى شهر مايو ويونيو ويوليو وأغسطس من تلك الضحايا ولم نبخل بها فى سبتمبر وأكتوبر ونوفبر وديسمبر . واستصرخنا العالم كله مستغيثين بالذين قالوا بافواههم وأقلامهم أن هذه الحرب لهى حرب انقاذ وخلاص .

فاوفدت انكلترا — التى استكتبت فى سجل مؤتمر الصلح الدول عهدا ببسط حمايتها علينا دون استشارتنا وإرادتنا — وفداً جليلا على رأسه وزير كبير للتحقيق فى أمرنا والوقوف على حالتنا : فقبل أن ينقضى العام الماضى نشر هذا الوفد بلاغا لين العباره مملوءاً بالوعود الطيبة فوقفنا نفتش فى طياته وثناياه عن أمانينا التى وعد بتحقيقها ولانزال نفتش وننقب ، ونحن نعلم أنها أقوال . هل هم يريدوننا لهم أصدقاء محبين أم هم لايزالون على ذلك العهد القديم يريدوننا لهم أتباعا مسخرين»

لجنة ملنر

وعندما قدمت إلى مصر لجنة ملنر بعد ثورة ١٩١٩ لم تؤيدها الاصحفية واحده هى المقطم ، أما الصحف جميعا فقد واجهتها بالخصومة ، وقد بدأت هذه المعركة المشرفة للصحافة عندما نشرت جريدة النظام التى كان يصدرها (سيد على) كلمة موقع عليها من رجل مجهول يدعو فيه المصريين جميعا إلى مقاطعة لجنة ملنر .

وكان ذلك هو مقاد الحركة التى قامت بها الصحف وفى مقدمتها الاهرام التى حذرت المواطنين من أخطاء الفرقة والانقسام فى عدد من المقالات فى أغسطس ١٩١٩ ونشرت عدداً من الرسائل كلها تدعو إلى إحالة اللجنة على سعد زغلول « حتى لاتفشل الثورة ولاتبتعد عن أهدافها الحقيقة »

ومن أهم هذه المقالات افتتاحية الاهرام ٣/١/١٩٢٠

ومقال عبد الرحمن الرافعى (فلنحذر المناورات السياسية) افتتاحية الاهرام ١٩٢٠/١/٧ ومقال تحت عنوان (يتباحثون فى شأننا وهم الخصم والحكم) يوم ١٩٢٠/١/٩

مشروع ملنر

وكانت دراسة مشروع ملنر الذى قدم إلى سعد زغلول كأول مشروع للمفاوضات بين مصر وبريطانيا من أهم المعارك التى شغلت الصحف . أما المقطم فقد أيدت المشروع وطالبت باستعمال العقل وقبول المشروع ، أما الأهرام فقد أفسحت صفحاتها للكتابه من جميع الجوانب فكتب فيها هيكل والعقاد وتوفيق دياب ومحمود عزمى وطه حسين وداود بركات

ولم تبد الأهرام موافقتها على المشروع ولكنها سمحت بنشر تأييدات المشروع ومعارضاته .

وكتب توفيق دياب (١٥ سبتمبر ١٩٢٠) يقول : امتننا اليوم نخيره فى أن نقبل استقلالا مع قيود أو نظل فى قيود ليس معها استقلال .

ومن مشروع ملنر بدأ الخلاف بين جناحى الوفد ، هذا الخلاف الذى اتسع بعد ذلك ، حين عاد أعضاء الوفد المخالفين لسعد إلى مصر واحداً بعد الآخر . وكان مفهوم عمل الوفد حسبما آمن به جناح عدلى وصدقى ولطفى السيد وعبد العزيز فهمى هو ماعبر عنه لطفى السيد فى قوله كما أورده الدكتور هيكل فى مذكراته « تنظيم العلاقة بين مصر وانجلترا فى حدود الحماية » .

وكان موقف سعد زغلول هو مهاجمة الحماية والمطالبة بالغائها تماما والاستقلال التام

وقد ظهر الخلاف حول مائدة المفاوضات فقد كان ملنر يتحدث مع عدلى بالانجليزية التى يجهلها سعد ، وعدلى يتوسط بين سعد وملنر وفى سعد اصرار وفى عدلى تساهل .

وهكذا واجهت الصحافة معركة الانقسام بين سعد وعدلى وهى أعنف معركة فى هذه الفترة قد شغلت الصحافة وبرز فيها رجلين هما ســعد زغلول من الوفد وعبد العزيز فهمى عن الأحرار الدستوريين فقد كان فهمى أعنف خطباء الجناح الذى إنفصل عن الوفد وكان أشد خصوم سعد وقد كون من بعد حزب الأحرار الدستوريين.

وبدأت المتاعب بعد العودة من أوربا فقد احتفل باستقبال سعد إستقبالا رائعا وأقيمت حفلات متعددة له تحدث فيها عن الخلاف كما تحدث عبد العزيز فهمى وغيره فى حفلات أخرى أقيمت لهم .

وألف عدلى الوزارة واتجه إلى إجراء المفاوضات مع بريطانيا ووقع الخلاف حول من يرأس وفد المفاوضات . هل يرأسه رئيس الوزارة وهو الممثل الرسمى للدولة أم رئيس الوفد وهو ليس فى منصب حكومى، وطالب سعد برآســه وفد المفاوضات وأن يكون للوفد أغلبية فى هذه الهيئة فلما شكل الوفد المسافر للمفاوضات برئاسة عدلى قاطعه الوفد ووضح الانقسام فى أقسى صورة وهاجمهم سعد وقال : «أن حزب الأمة عاد إلى بدايته وانتهى إلى غايته» وأصر على مبادىء معينة هى :

* الاعتراف بالاستقلال التام الداخلى والخارجى .

* إلغاء الأحكام العرفية والرقابة على الصحف قبل البدء فى المفاوضات (وهى الأسس التى تجاهلها سعد بعد أن تولى الحـكم واختلف أمين الرافعى معه بشأنها وحمل عليه وعلى الوفد حملات عنيفة فى جريدة الأخبار وعرفت باسم معركة (تعديل الأساس) .

فلما سافر عدلى إلى لندن أعلن سعد : أن جورج الخامس يفاوض جورج الخامس متهما عدلى بأنه من عملاء الانجليز .

وقد اتخذ الانجليز من الخلاف بين سعد وعدلى حجة فى الضغط على عدلى وإذلاله، وكان هذا مصدر الفصل فى الخلاف، حيث كون هذا الجناح حزب الأحرار الدستوريين برئاسة عدلى (أكتوبر ١٩٢٢) وصدرت السياسة اليومية لسانا للحزب الذى تكون من :

محمد محمود . حسن عبد الرازق . حمد الباسل . لطفى السيد . محمد على علوبة . عبد العزيز فهمى . حافظ عفيفى .

ولم يشر برنامج حزب الأحرار الدستوريين إلى كلمة الجلاء . وكان أبرز مظاهر سياسته التفاهم والتساهل مع الانجليز فى متابعة لحزب الأمة على نفس الأسس بل نفس الأفراد . محمد محمود ابن محمود باشا سليمان وحسن عبد الرازق ولطفى السيد وهم أبرز مؤسسى حزب الأمة وبانشاء حزب الأحرار برز الوفد كقوة وطنية أشد تطرفا وإيمانا بحقوق الأمة فقد كان الأحرار يفاخرون بسياسة المحاسنة والتساهل مع بريطانيا ولأنهم من طبقات أبناء البيوتات فقد أطلقوا على أتباع الوفد « الرعاع » .

وقال سعد زغلول فى الرد على ذلك «أفتخر بأنى من الرعاع مثلكم . لو كانت هذه الحركة قاصرة على الطبقة العليا لما قامت لها قائمة ولما انتشرت كل هذا الانتشار ولما انتصر المبدأ الوطنى فطبقة الرعاع هى الطبقة الأكثر عدداً فى الأمة والتى ليس لها صالح خاص » .

وقد وقفت الأهرام تحمل لواء الدعوة إلى الاتحاد وعدم الاختلاف وهاجمت دعاة الانشقاق منذ أول أيام الخلاف ، وكتب داود بركات مقالاته الشهيرة « تعالوا إلى كلمة سواء» الأهرام — سبتمبر وأكتوبر ١٩١٩ .

ووقفت فى صف سعد زغلول والوفد وعندما عاد سعد كتبت إفتتاحيتها (أياب الإمام) ٣٠ مارس ١٩٢١ وقالت : من منبع النيل إلى مصبه يحيا سعد الساعة تحية يتساءل معها التاريخ هل حيت مصر قبل سعد أو غير سعد بمثلها» .

وعندما وقع الخلاف مرة أخرى عادت الأهرام إلى الدعوة وحـدة الصف (٣٠ ابريل ١٩٢١) « تنادى الأمة كبيرها وصغيرها ، خاصتها وعامتها بصوت الوطنية القرون بصوت المصلحة . وما عهدنا الأمة إلا ماوية هذا النداء مصغية إلى هذا الصوت ، لقد وقعت أزمة بين زعمائنا ولـكن رجال الأمة وكبارها أخذوا يعالجون هذه الأزمة بالتى هى أحسن ... » .

ولـكنها سمحت مع ذلك لمحمود عزمى أن يكتب ويقول : أن تعدد الأحزاب طبيعى حتى فى البلاد غير المستقلة وحتى فى مصر (نوفمبر ١٩١٩) .

وعندما أصدر الخارجون عن الوفد بيانا فى ٧ مايو ١٩٢١ نشرت الأهرام لهم بيانهم ، ومضت تنشر لهؤلاء وهؤلاء .

وقد أشار ابراهيم عبده فى كتاب (الأهرام فى ٧٠ سنة) إلى هذا المعنى فقال: أن الأهرام كانت تؤيد سعد زغلول مثلما كانت تؤيد مصطفى كامل و (أن إعجاب صاحب الأهرام ومحررها بسعد لم يمنع الصحيفة نفسها أن يكون مسرحا للجهاد الجميع، فعلى صفحاتها اختصم الفريقان بل من على صفحاتها أطل أنصار الحزب الوطنى فـكتب فـكرى أباظه مقالاته المتعددة (٢٨ مايو ١٩٢١) وكتب أنصار عدلى يؤيدونه ويفندون حجج خصوم الوفديين وفى مقدمتهم هيكل وطه حسين وتوفيق دياب الذى كان له باب يومى باسم (حديث الصباح) .

« ولما نفى سعد مرة أخرى انضمت الأهرام إلى شيعة سعد إنضماما ملحوظا ففتحت صدرها لمقالات أنصار سعد » .

وتحدث الجانب الآخر وهاجم سعد واتهمه بالغطرسة والسيطرة على أعضاء الوفد ، والانفراد بالرأى والتصرف . والبعد عن التفاهم وكان هذا يعنى تماما الفرق بين اتجاه الوفد واتجاه الأحرار ، وأحرار الوفد على مطالب الاستقلال وتساهل الأحرار ومحاسنتهم للانجليز .

وفى خلال نفى سعد زغلول المرة الثانية صدر تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ بسعى من ثروت باشا وبدأ إعلان الإستقلال ووضع الدستور . وكان رجال حزب الأحرار الدستوريين هم أبطال هـذه المعركة فان لجنة الأربعين عضواً شـكلت فى الأغلب منهم ، حيث لم يشرك الوفد الذى طالب بجمعية تأسيسه . وقد أطلق سعد زغلول على هذه اللجنة « لجنة الأشقياء » .

وأفسحت الأهرام صدرها لمقالات الدكتور هيكل فى بعد تصريح ٢٨ فبراير وسمحت بنشر كل ما قدم لها عن الدستور . وقد اشترك فى هذه المقالات عدد كبير من الـكتاب .

وحمل أمين الرافعى فى جريدة الأخبار رأى الوفد فى إنشاء جمعية تأسيسية معارضا لجنة الأربعين فلما بدأت اللجنة عملها واصل مقالاته القانونية والسياسية فى كل ما يتعلق بالدستور ومواده عارضا نماذج مختلفة من الدساتير الحديثة وما يتعلق بنظم الحـكم والاستفتاء والبرلمان وحقوق الشعب وحقوق الملك .

وكان أبرز المعارك فى هذه الفترة هى : حق الأقليات والنص عليه فى الدستور واشترك فى هذه المعركة عزيز ميرهم وتوفيق دوس وعبد الحميد بدوى وطه حسين وسلامة موسى ومحمود عزمى .

وكان رأى توفيق دوس وسـلامة موسى إعطاء الأقليات حقوق محددة فى الدستور بالنسبة للمناصب الوزارية وأعضاء البرلمان وعارض هذا عزيز ميرهم وعبدالحميد بدوى؛ وقال المعارضون أن هذا يصدع وحدة الأمة ، ووقفت الأهرام فى صف المعارضة .

وكان السودان من أهم معارك الدستور وقد حمل لوائها فى الأهرام الدكتور محجوب ثابت الذى كتب عشرات من المقالات .

كما دارت معارك حول حق المرأة فى الحياة السياسية والبرلمان المصرى .

المعركة بين الوفد والدستوريون

حملت جريدة السياسة لواء الحملة على الوفد وسعد زغلول منذ صدرت ، وهاجمته في جميع المواقف بالسنة كتابها : هيكل وطه حسين وتوفيق دياب وعزى وكان معنى هذا هو: تحول الصحافة من القضية الوطنية إلى الخلاف الشخصى، فقد كان سعد هو الهدف الذى تنطلق إليه قذائف جريدة السياسة . ومن الناحية الاخرى كانت جريدة البلاغ و كوكب الشرق هى التى تصد الضربات باقلام العقاد وعبد القادر حمزه وحافظ عوض وفى خلال فترة تولى سعد الحكم كان هجوم جريدة السياسة أشد تركيزا يحمل طابع المنطق فى كتابات هيكل وطابع السخرية فى كتابات طه حسين وكانت جريدة البلاغ تمثل الصحيفة الحكومية الرسمية للوفد .

وقد وجدت «السياسة» من شخصية سعد زغلول مجالا ضخما للهجوم فقد اتهمته بالدكتاتورية والتعصب لرأيه والسعى لتكوين دولة زغلولية . وفرض سلطانه على انصاره دون أن يكون فيهم من يعارضه أو يجرؤ على معارضته .

وكان فشل سعد فى المفاوضات سبيلا أخر للهجوم والاتهام وتذكيرا بدور سعد زغلول فى مقابله ١٣ نوفمبر ١٩١٨ وحديثه مع المعتمد البريطانى من النقطة العسكريه ثم كان الهجوم العاصف بعد استقالة سعد على أثر حادث السردار واتهام سعد بالهرب من الميدان وعجزه عن جمع الأمة لمواجهة بريطانيا : ثم اتهام السياسة لسعد بأنه صنيعة الانجليز فى قصة طويلة عن موقفة من كرومر ومكماهون وملنر واتهام سعد بأنه هو الذى أنشأ اسلوب القذف والقذع فى المساجلات السياسية .

وفى نفس الوقت كان العقاد وحمزه فى البلاغ يردان الصاع صاعين، ويهاجمان بعنف وكان اسلوب العقاد أشد عنفا وعباراته أشد قسوة وفى كلا الطرفين كانت

كل من السياسة والبلاغ يتهم حزب الاخر بأنه عصابة وأن أعضاءه سماسرة للانجليز ، يخدعون الشعب ، وتصفهم بالمأجورين ، وتصف أعمالهم بالختل والـكذب والتضليل.

وهذه نماذج من هذه المعارك :

(سعد وجريدة السياسة)

كتب طه حسين (ديمقراطية أم طغيان) ٢٥ يونيو ١٩٢١ (الأهرام)

« . . ولـكن سعداً كان الزعيم فما كاد يعلن خلافة لخصومه وانشقاقه عليهم حتى اجتمع عليه الجمهور وسمى غيره منشقا ووصف خصومه بالمروق .

وليس ما وقع فى مصر الآن الا حربا بين مبدأين مختلفين : أحدهما مبدأ قيادة الجمهور إلى منفعته المحققة عن طريق النظام والقانون أى من طريق الديمقراطيـــة المعتدلة المنظمة . والآخر مبدأ الاستئثار بما للجمهور من قوة وسلطان والاستبداد باسم هذا الجمهور وسلوك الطرق المعقولة وغير المعقولة إلى اكراه الخصوم على الإذعان أو كم أفواههم وعقد ألسنتهم فان أردت عبارة واضحة موجزة فقل أن فى مصر الآن حربا بين الديمقراطية والطغيان .

× وكتبت السياسة بعد وزارة الوفد الأولى ٢٨ يونيه ١٩٢٤ قالت:

فلم يكادوا يتبوءون مقاعدهم حتى انفضح ما يكنون وظهر ما يخفون فاذا اخلاصهم لمصر إخلاص لأنفسهم ، واذا حبهم للوطن حب لذواتهم واذا حقوقهم للبلاد وتضحيتهم فى سبيلها انما هى تضحية بالبلاد على مذبح شهواتهم ومآربهم . وأى مآرب وأى شهوات . أكثر الشهوات خسة وحقارة وضعه : شهوة الجيب والبطن ، شهوة المال يبتزونه من خزانة الأمة لأنفسهم وكذلك لم تكن إلا أيام حتى أظهر الوطنيون ان الوطنية عندهم هى التهام الوطن بانفسهم وحتى كان هؤلاء الرهبان المتعففون المتدلهون بحب أمتهم أكثر الناس شراهـــة ونهما وكذلك

استأسد الثعلب واستنثر البغاث وكذلك ظهر هؤلاء مرتزقة لايبغون من وراء النيابة غير جاه كاذب يدلون به على ناخبيهم وغير مال كانوا يسمون اليه عن طريق الرزق الحلال .

× وكتب طه حسين فى السياسة تحت عنوان ضعاف (١١ مايو ١٩٢٤)

« . . سعد وأصحابه ضعاف يخافون الحق ويفزعون منه ويذعرون من النقد ويضطربون له . ضعاف لا يستطيعون أن ينهضوا للحجة بالحجة ، ولا يستطيعون ان يقرعوا الدليل بالدليل . ضعاف يشعرون شعوراً جليا واضحا وضوح النهار بأن ثقة الناس بهم مضطربة لأنهم لم يكسبوها كسبا حلالا وانما خادعوا الناس عنها خداعا وضللوا الناس فيها تضليلا . وقد بدأ الناس يفيقون وأخذ الحق يزيل عنهم غشاوة التضليل فاضطرب المخادعون وذعر المضللون وبسطوا أيديهم يمسكون هذا الستار الكثيف مخافة أن ينجلى فيبصر الناس» .

× وكتبت السياسة (٤ نوفمبر ١٩٢٤) تحت عنوان: حكومة دستورية أم أسرة زغلولية :

قال سعد زغلول : أؤكد لك ان لى أقرباء كثيرين وكثيرين جدا فى الغربية وفى أنحاء كثيرة من الأرياف وانما آسف من اعماق قلبى انهم ليسوا من ذوى الخبرة والكفاية والا لعينتهم فى مختلف الوظائف فأقيم بذلك إدارة زغلولية حقا ، زغلولية إسماومعنى ولحاودما .

انه فى حالة تساوى الخبرة والكفاءة بين قريب لى وغير قريب . أفضل دائما القريب لأنى اثق به طبعا فى تنفيذ سياستى وإدارة أعمال الحكومة حسب رغبتى (الابتريه ٣ نوفمبر ١٩٢٤) .

وقالت السياسة : ما الذى دفع سعد باشا الى مثل هذه التصريحات المدهشة

وما الذى ادى به الى مواجهة الأمة على هذه الصورة التى تخالف قواعد الحكم فى كل بلد متمدين . والتى تمنى ان سعد باشا لاثقة له إلا باقاربه .

الجواب بسيط : ان سعد باشا يسمع الان من كل جانب ان النـــاس من انصاره ومن غير انصاره قلقون للتعيينات التى تمت وهو يعلم ان هذا القلق قد امتد الى طوائف الأمة جميعا .

من حق سعد ان يقول هذا لأنه يرى الأمة راضية بكل ما يعمله ويقوله ويراها راضية بنتيجة محادثاته مع مكدونالد وبانفراد الانجليز بالأمر بالسودان .

لا تقل لى أن ذلك غير صحيح . وان الناس ممتعضون ولكنهم يكظمون امتعاضهم وشكواهم فليس من حق من فقد الشجاعة الأدبية ان يكون له رأى او ان تسمع له شكوى ما دام الناس يملئون ثقتهم فالحكومة حره تتصرف كما تشاء وتدير الأمر كما تهوى .

× وقالت السياسة تحت عنوان (الحكومة انا) ٥ نوفمبر ١٩٢٤

لقد قال سعد باشا من أشهر أنه الأمة ، وان احراجه احراج للأمة ، وكان ذلك يوم كان يقول انه يسعى لتحقيق مطالب الأمة ، وقد رأيت كيف حقق هذه المطالب واليوم يقول سعد باشا انه الحكومة وانه يجب ان يكون مطلق اليد فى الحكومة لإصلاح الحكومة .

× وكتبت جريدة السياسة بعد فشل مفاوضات سعد (٢٣ اكتوبر ١٩٢٤)

لقد أمضت البلاد ثلاث سنوات لا تسمع فيها من الكتاب ومن الخطباء الا المطاعن الشخصية تهاجم بها فريق فريقا ويسعى كل من طريقها ليتهم خصومة بأنهم مسئولون عن كيت وكيت مما حصل فى الماضى ثم لايعرض احد على الأمة خطة للنجاة ولا طريقة للخلاص من انجلترا مع بقاء وحدة الأمة سليمة .

× وقالت السياسة تحت عنوان : لماذا رفض سعد باشا اليوم ما كان قد عرضه بالأمس (٢٤ أكتوبر ١٩٢٤).

سعد باشا أول من أوحى للانجليز بهذه الفكرة (النقطة العسكرية البريطانية) لأنه كان أشد المصريين إحتفاظا بها ولأنه لم يعرض عنها فى المفاوضات الأخيرة إلا لظروف خاصة ، هذا الوحى وهذا الاحتفاظ وهذا الأعراض لا نقول نحن به من عندنا وانما تنطق به الوثائق والمستندات ونحن نكتفى بعرضها على القارىء ليكون له حكم فى مسألة لا نثيرها فى هذه الظروف إلا للتاريخ ولينصف الناس فى حكمهم إذا ما طلب أليهم أن يحكموا . فقد أوحى سعد باشا للانجليز بهذه الفكرة قبل أن ترد لمصرى بخاطر أوتمر لانجليزى ببال .

أوحى لهم بها فى يوم ١٣ نوفمبر ١٩١٨ وهو اليـــوم الذى قابل دولته فيه السير رجنالد ونجت مع زميله والذى انفرد فيه بالرد على السير ونجت عند ما عرضت مسألة الدفاع عن مصر فقد ورد فى محضر الوفد فى هذا الشأن مانصه :

قال ونجت : ولكن مركز مصر حربيا وجغرافيا يجعلها عرضة لإستيلاء كل دولة قوية وقد تكون غير انجلترا .

قال سعد : نحن متى ساعدتنا انجلترا على إستقلالنا التام فاننا نعطيها ضمانة معقولة على عدم تمكين أى دولة من إستقلالنا ، ضمانة فى طريقها إلى الهند .

وكتبت جريدة السياسة بقلم هيكل (٢٥ نوفمبر ١٩٢٤) بعد إستقالة سعد من الوزارة « نعم ؛ ولم تكن إستقالته هذه المرة لهوا ولا لعبا ولا عبثا ولا تحديا وانما إستقالات وإستقالات جادة . ولكن الله أراد أن يهوى نجم الطغيان فى أوقات حرجة وظروف منكرة .

وكان من الحق على رئيس الوزارة المستقيلة لو أنه يعرف نفسه حقا ، ويقدر نفسه حقا ، ، كان من الحق عليه ألا يؤلف وزارته ولا تورطه نفسه وأصحابه والأمة فيما ورطهم فيه من شر الأمر ونكره ، ولكن رئيس الوزارة المستقيلة لم يكن يعرف نفسه ولم يقدرها .

نعم كان سعد مضللا للناس ولنفسه يوم أسرف فى الوعد وأرسل القول على علاته ليظفر بالكثرة البرلمانية . مضللا للناس ولنفسه يوم خيل إليه أن الفوز الانتخابى فتح مبين فتعجل القضاء ووثب إلى الحكم من غير أناة ولا ترفق .

قامت وزارة الشعب على تضليل الشعب والعبث به وكانت نتيجة وزارة الشعب نكبة وطنية منكرة وكارثة قومية فاحشة . سياسة ضعف منكر وغطرسة منكرة .

ضعف يذهب برئيسها إلى أن يعلن فى البرلمان أن ليس لديه تجريده تحفظ حقوق مصر فى السودان . وغطرسة تبيح لرئيسها أن يعلن إلى الناس أن له من المطالب ما يعلم حق العلم أنه لن يجاب إليه .

× وكتبت السياسه فى ٤ ديسمبر ١٩٢٤ « الديكتاتور — سعد زغلول » قالت :

أما وزارة سعد باشا فكان مرجع ضعفها إلى أن أعضائها لم يكن لهم بجانب سعد مقام الزميل بجانب زميله يدلى بالرأى ويتقدم بالحجة فى إستقلال وحرية فاذا أخذت الأصوات أعطى كل صوته بالرأى الذى يقتنع به بل كان هؤلاء الأعضاء لا يفترون يكررون فى أحاديثهم وفى خطبهم ما يدور بخاطرهم من الايمان بدولة الزعيم الجليل سعد باشا زغلول .

وكان يكفى أن يقول كلمة لتكون هى النافذه من غير مناقشة ولا بيان .

وكان ضعف الوزراء وإذعان الأغلبية البرلمانية مصدر قوة مطلقة لسعد باشا ، وهي مصدر قوة لكل من يطمع في أن يكون طاغية · حاكما بأمره ، وليس أضعف من الطاغية في معالجة الشئون الدولية لأن اقتناعه ولو أخطأ كان لاقرار الأغلبية هذا الخطأ ، ولأنه إذا وجد نفسه أمام قوة كقوة انجلترا وخشي مصادمتها حرصاً على مجده وعلى بقاءه في الحكم لم يكن لهذه الأغلبية إلا أن تخشى المصادمة هي الأخرى .

× وكتبت جريدة السياسة في ٢٨/١٢/١٩٢٤ تحت عنوان « سعد باشا صنيعة الانجليز » :

.. يوم كان لورد كرومر يصنع له المديح في تقريراته السنوية ويوم ولاه وزارة المعارف ويوم كان يخطب مودعا له على مرسح الأوبرا · وليس جديدا ولا ابتداءا أيضا أن سعد باشا قد استمر صنيعة الانجليز يوم أعلنت الحماية البريطانية على مصر ، ويوم جاء نائب (صاحب الجلالة البريطانية) يتولى منصبه لأول مرة في مصر فذهب صاحبنا لاستقباله يقول : إنه رأى البشر يتهلل من أسارير هنري مكماهون .

وكذلك يوم دخلت مصر في جهادها الحالي ويوم قال أن لتقرير ملنر مزايا لا يستهان بها بل يوم وافق عليه موافقة في تلغراف بلغ لبعض الجرائد قبل أن يصل إلى لجنة الوفد المركزية .

وكان صنيعة الانجليز يوم جاءت وزارة عدلي باشا وتلهف هو على المفاوضات ورئاستها وخشي ألا يشترك فيها لما أبداه من صلف وخروج على كل ما عرف من تقاليد فأوفد صنائعه إلى دار المندوب يطلبون الاتفاق معه واستدعاءه للمفاوضة ·

ويوم مظاهرات طنطا أعلن مراسل إحدى الجرائد الإنجليزية أن ما وقع من حوادث إنما كان سببه أن الحكمدار هناك ليس انجليزيا كما هو الحال في

القاهرة ويوم كان فى جبل طارق وأعلن موافقته لما أجرى من بتر فى الدستور خاصا بنصوص السودان من حيث اعتباره جزءاً من مصر .

ويوم أعلن أنه مدين بخروجه من جبل طارق إلى أحرار الانجليز وعمالهم وأنه ليس لمصرى يد عليه فى هذا .

ويوم أعلن أنهم الخصوم الشرفاء المعقولون» .

× وفى قضية جريدة السياسة (٢٣ يونيو ١٩٢٤) قال وهيب دوس .

لقد كان الفضل لسعد وأنصار سعد فى تدريب آذان الجمهور أثناء الخمس سنوات الأخيرة على الاستراحة لألفاظ القذف والقذع بما نادوا به فوق المنابر من فحش القول وبذىء التعبير .

سعد يريد أن يكون الحاكم بأمره ولكن بتصديق النواب . ليست هذه الحالة النفسية جديدة فى سعد وهى لم تلابسه أو يلابسها بتوليه الحكم فهو شديد الكره لمن يعارضه شديد الحرص على اتباعه من أن يتأثروا بمعارضيه . فقد قال : إن الجرائد الوزارية شريكة الاستعمار والحمد لله انكم لا تقرءونها » ثم عاد فقال : « بكره بقى سأقرأ أنا الصحف الوزارية — مش انتم — وأقول لكم فى اجتماع آخر حتى تعرفوا الجماعة اللى مابتقروهش إيه قالوا » .

× وتناول هيكل فى السياسة مفهوم (السعدية) عندالوفديين ٢٦ سبتمبر ١٩٢٣

قال : إن سعداً وكبار أنصاره يجعلون السعدية شرط الاخلاص ومقياسه فمن لم يناصر سعداً واخوانه ظالمين أو مظلومين ومن لم يقل بكل ما يقولون به ولو اعتقد نقيضه . ومن عقب لهم على رأى أو خالفهم فى فكرة لم يحبسها فى صدره ولم يباعد بينها وبين لسانه وشفتيه فهو مارق وهو خارج على الأمة وهو غير

وطنى . لماذا يريد سعد واخوانه أن يجعلوا الناس كلهم عقلا واحداً وأن يضموا مذهبا واحدا من خرج عليه فقد خرج على الوفد .

× ومن مقالات طه حسين تحت عنوان « بغاة » فى السياسة ٢٥ ديسمبر ١٩٢٤ يقول :

واقسم لقد بغى سعد وأصحابه على اخوانه فأسرفوا فى البغى . وأقسم لقد طغى سعد وأصحابه على إخوانهم فأسرفوا فى الطغيان وأقسم لقد حق على كل مصرى أن ينهض لهذه الطائفة الباغية الطاغية فيردها إلى طورها وينزلها منزلتها .

أعرض سعد وأصحاب سعد وأذناب سعد ونأو بجانبهم (عن الاتحاد) ونصبوا لمواطنيهم أشنع الحرب وأشدها نكراً فأفسدوا عليهم الأمر داخل مصر وأغروا بهم الخصم خارج مصر وبلغوا من هذا العداء لوطنهم ما أرادوا فنكلوا ببلادهم تنكيلا .

وبلى سعد مرارة خصومة « الشرفاء المعقولين » وعرف سعد أن الانجليز خصوم مهما يكن حظهم من الشرف والعقل فهم خصوم لن نظفر منهم بشىء إلا إذا وقفنا منهم موقف الأمة المتحدة .

ازدرى الدستور ازدراء ونكل بخصومه تنكيلا ، وضحى بالحرية المقدسة فى سبيل شهواته المنكرة ثم فاوض الانجليز فلم يظفر منهم إلا بذلك الفشل المنكر .

ثم كانت الكارثة المنكرة وعصفت بالبلاد هذه العاصفة العنيفة فأسلم سعد وولى مدبراً وانزوى فى طرف من أطراف الصحراء حينا وكان الحق عليه إذ أدركه الجبن من مواجهة الانجليز أن يصطنع الشجاعة فى توحيد كلمة الأمة لتواجه الانجليز .

١ — الوفد وجريدة البلاغ

ويمثل دفاع العقاد وعبد القادر حمزة وجريدة البلاغ أسلوب الوفد فى المعارك الصحفية السياسية فى هذه الفترة وهو اسلوب يختلف عن طريقة الاحرار الدستوريين

× قال العقاد (٤ سبتمبر ١٩٢٣) فى البلاغ :

دع كتابهم المأجورين فالأمة لم تحفل ولن تحفل بما صنعوا ويصنعون، مرتزقة يطلبون قوتهم وقد سخرت أقلامهم عن أن تفوتهم بالصدق فراحوا يطلبون عيشهم بالختل والمداجاة ولم تحفل الأمة بكتاب مأجورين وإذا شكت أو تألمت فإنما تشكو مكايد ساداتهم ونتألم من دسائس مستأجريهم .

× وكتب العقاد فى ٥ سبتمبر ١٩٢٣ : ليست الطاهرة فى مقدوركم وإذا أردتموها فأنتم مأخوذون بسحر المطامع الشخصية وليس فى طاقتكم أن تعرفوا قيمة الحياة بغيرها ، فإذا صدفتم عنها بعض الشيء قادكم سحرها مقهورين ، فليس عندكم إلا الخديعة تحاولون أن تستروا بها هذه المطامع .

× وكتب العقاد فى ١٣ سبتمبر ١٩٢٣ :

أين الباشا والبكوات عدلى والمكباتى ولطفى السيد ومحمد على وعبد العزيز فهمى وهل هم أحياء يمشون بين الناس يسمعون حديثهم أو صرعى درجوا فى الأكفان . وغيبتهم القبور وإذا كانو أحياء يمشون بين الناس ويسمعون حديثهم فالهم صمتوا كالأصنام لا ينطقون .

لا تقولوا اننا شرفاء لا ننزل إلى دفع تهمة فالذين يتهمونكم ليسوا فرداً أو أفراداً فى عدد أصابع اليد الواحدة أو الاثنين إنما هم أمة بأسرها ...

× وكتب المقاد ١٨ سبتمبر ١٩٢٣ تحت عنوان تحية الرئيس :

مرحبا بالبدر الطالع فى جنح ليلة مدلهمة ضل بها السارى لا يعلم أى طريق سلك ولا أى مذهب يذهب . مرحبا بالنبع الصافى ظفر به الظامىء الهيمان بعد مسير أيام طوال فى صحراء محرقة لا يرى فيها لامعاً من أرضها غير التراب .

مرحبا بقميص يوسف تلقاه يعقوب :

× وكتب فى البلاغ يقول تحت عنوان : التفاف الأمة حول الرئيس : دسيسة سافلة جديدة للمدليين :

كان السفهاء الأدلاء من عصبة الخوارج غير الوطنيين لا يزالون منذ عهد قريب يثيرون الجدل ويحثون التراب حول كفاءاتهم المكوسة وزعامتهم الموهومة فيهولون على الناس بكفاءة ثروت مثلا إذ استطاع الحكم العرفى البريطانى .

× وكتب عبد القادر حمزة : يتفق ولكن رأساً واتفاقاً شريف :

. . فعدلى باشا وعصبته هم سماسرة سوء ، والانجليز يعرفون ذلك ويعرفون معه أن الأمة ترفض هذه السمسرة فإن كان هناك محل للاتفاق فمصر ترغب فيه ولكنها كما قال سعد تتفق بينها وبين الانجليز رأساً بدون سمسرة . ثم تريد بطبيعة الحال أن يكون الاتفاق شريفا .

× وكتب المقاد فى ٢٢ يناير ١٩٢٤ تحت عنوان « حزب ينفرط عقده ولا تفلح المكابرة فى رد الحياة له » قال :

وماذا بقى من حزب الاحرار الدستوريين ؟ لا شىء إلا الجريدة التى حاولت

أن تروج لهم فاخفقت ولبثت الشهور والايام تنشر التهم الكاذبة حول الوفد ورئيسه ثاراً منها للهزيمة التى منى بها الحزب . وهذه الجريدة هى الشىء الوحيد الذى يذكر الناس بأن هناك حزبا كان اسمه حزب الاحرار الدستوريين .

× وكتب العقاد فى ٢٨ فبراير ١٩٢٤ يقول :

لقد نشأ حزب الاحرار الدستوريين من جماعة العدليين ، ونشأ العدليون من الدعوة إلى زعامة عدلى ، وهاهو عدلى يتخلى عن الزعامة ويثبت ما قلناه وقاله المنصفون من أنه لا يصلح لزعامة امه ، ولا يقدر على الجلاء والجهاد فى تحقيق مطالبها . فمن الواجب أن تنهار هذه الدعوة التى قامت حوله وأن ينسحب بانسحابه من ميدان السياسة المصرية كل مادخل معه من المزاعم والخلافات .

وليذكروا أنهم العدليون كما عرفوا فى كل حين ، ولا عدليون من بعد عدلى الذى طلق السياسة ومابقى بها حلالا ونسب حزبه إلى الدستور وما أجترأ على أن يستعمل من الدستور حق أصفر صفير من الناحيتين .

× وكتب العقاد فى البلاغ أول يونيه ١٩٢٤ تحت عنوان متبجحون قال :

فات هؤلاء الائمة أن فى الرؤس عقولا تزن الرجال وتمحص الأعمال ، فات هؤلاء الاطفال فى السياسة ، إن الناس فى مصر من أدناها إلى أقصاها يذكرون لهم سيئاتهم ولا ينسون منها واحدة ، وهل ينسى الناس ماأفسد الدستوريين من أخلاق أيام عرائض الثقة ، وما آذوا من أحرار الموظفين إنتقاما من عقائدهم الوطنية وماظلموا من إناس لعدم انضمامهم إليهم .

× وكتب فى ١٥ يونيه ١٩٢٤ يقول :

الصحيفة التى لم تكن تجمع قرش من رأس مالها إلا بالغصب والاعتداء على الحرية والتى لم تظهر فى عالم الوجود إلا لتأييد الانتخابات القهريه التى أعدوا

لها العده ورسموا لها الخطة ، والتى لم يتسم حزبها باسم الاحرار الدستوريين إلا ليقدم باسم الحرية والدستور والمجلس النيابى الملفق إلى تقييد الأمة بقيود ٢٨ فبراير ٠

مثل هؤلاء تمطل صحيفتهم أيها الناكيد المشائيم ، اذهبوا وفضوا الاختام من تلك الصحيفة ودعوا تلك الطغمة تكتب ماتريد فما هؤلاء بأهل لشهادة صحيحة ولازائفة ٠

صحف الوفد ولطفى السيد

كما ركزت الصحف الوفديه هجومها على لطفى السيد بالذات باعتباره رأس المدرسة الفكرية التى بدأت فى جريدة الجريدة وكانت السياسة وكتابها ومنهاجها امتداداً لها . وكان للطفى السيد دوره فى إنشاء جريدة السياسة وهو الذى اختار الدكتور هيكل رئيسا لتحريرها ٠

وقد هاجم عباس حافظ لطفى السيد فى كوكب الشرق (١٩٢٩/١٢/٨) بعد أن تولى الحكم فى وزارة محمد محمود قال :

كان أحمد لطفى السيد من أول نشأته السياسة سمساراً وكان فى القضية العامة شاهداً زوراً وصنيعة ماجوراً . وراح فى المهزلة الاخرى يعمل مستخفيا مستوراً إذ كان المدير الفنى لهذه الفرقة السليمانية

كان أحمد لطفى السيد فى الجريدة صحفيا ٠ ومضى يومذاك فى الصحافة رجميا وفى الادب ماكرا شيطانيا . فنى السياسة راح يخدم حزب الأمة وهو حزب الاعيان ولمامة سلمان ، وفى التفكير كان متشككا سفسطانيا كونتان وفى الادب العاجز عن البيان فاخترع شيئا مزوراً ودعاه خاطرا مبتكرا واسماه اللغة المصرية وكانت حيلة صبيانية لأنه لم يستطيع أن يرتفع إلى العربية فأراد أن يتخذ لغة الكتابة

عربة يد ليسرح عليها بالجريدة هاربا من النقد ، ولكن عربيته الضعيفة سقطت وجنح بها الجواد الاهوش فتهشمت فرجع من هذا الأمل الكاذب المخيف ومشى من الجريدة راجلا إلى دار الكتب .

يقولون هو ناقل ارسطو إلى العربية . وهى دعوى كاذبة وسخرية يعرف صحتها موظفو دار الكتب فقد ترجم له فيها بعض الكتاب فخرج التعريب مزور الاسلوب . ولئن كان قد خلص من عامية اللغة المصرية اللطيفة فلا يزال فاتر التركيب نابى العبارة ركيك البناء ضعيف الاداء . .

« كلمة الرعاع »

وفى المعركة بين مفاهيم الوفد والاحرار الدستوريين السياسية هاجم عبد الرحمن عزام كلمة (الرعاع) التى يطلقها الدستوريون على جموع الشعب الملتفة حول الوفد، قال:

لقد كان المفهوم من عهد المرحوم اللورد كرومر أن أبائنا الوديعين المعتدلين من الاغنياء المترددين على قصر الدباره يكونون خلاصة أصحاب المصالح الحقيقية وكان يلحق بهم فى هذا الصنف كل رجل يتمتع بجاه أو عال ويبدأ من الطائشين أمثال المرحوم مصطفى كامل الذى قوى بحماسته فكرة الجلاء والذى غرس فى الشباب روح النهضة الدستورية فكان يكفى وقتئذ المرء للدخول فى الزمره الممتازة من أصحاب المصالح الحقيقية أن يسمى نشاط مصطفى تهوراً ورعونة وصراحته حماقة وإيمانه الوطنى طيشا .

ذهبت أيام مصطفى وتبدلت الأرض غير الأرض وجاءت سنة ١٩١٩ فاختلط أرباب المصالح الحقيقية بالرعاع وظهرت وحدة الأمة . والآن أصبحت الحاجة ماسة لتعريف جديد صريح فعلى الوزراء والوكلاء الذين أظهروا كلمة أصحاب المصالح الحقيقية من مكنون التاريخ أن يبينوا للناس ماذا يقصدون بها .

(السياسة والأسلام)

× كما تصدى البلاغ الأسبوعى لمهاجمة كتاب جريدة السياسة فى فترة من الفترات التى حملوا فيها لواء الدفاع عن الاسلام إثر ما عزى إلى مكرم عبيد من كلمات . فكتبت فى ١٨ سبتمبر ١٩٢٩ تحت عنوان : كتاب السياسة يدافعون عن الاسلام قالت :

« سبحانك ربى ما أبلغ حكمتك « السياسة » تذود عن الدين وتناضل عن كرامة الرسول . أى شىء دها السكون فعكس دورته . وأى معجز بدل من الظلام الحالك نوراً وضاحا ومن السواد القاتم ضياء بهيجا .

رحماك اللهم وغفرانك فقد كدنا نضل ، وشارف العقل أن يذل ، جريدة السياسة تذود عن الدين وتناضل عن كرامة الرسول .

السياسة لا تحيد عن مبدأ مغروس فى طبائع كتابها ولا تتحول عن فكرة عرفت عنها من بدء خلقها المشئوم إلى هذا الأمس القريب .

ومثل السياسه لا تخطو نحو الصالح مطلقا . فماذا عساه تريده من هذا الاتهام الموهوم ولأى أمر تحركت أفاعيها ودبت تنفث سموم التفريق والدس باسم الدفاع المزعوم ..، داخلت الشك فى سلامة نظرى وساورنى الريب فى معرفتى للأحرف الأبجديه ، فأخذت أقلب الوريقة المسطور فيها ذلك الهراء والتخريف فاذا هى « السياسة » بعينها ، دع عنك أن ملاحدة السياسة وهم أعلم الناس بما ينطوى له قولهم فى اتهام مكرم بسبب النبى (ص) من كذب وبهتان . دع عنك أن هذه الدموع التى يسكبونها اليوم على الدين وكرامة الرسول ماهى إلا دموع الفاجرات وبكاء الاجيرات . دع عنك كل هذا ثم سائلها بحق السماء متى كان لها أن تذكر الدين والنبى وتدفع عنهما عدوان المتدين ، سائلوها أين الثقافة العصرية وإلحاح الشك العنيف وأين روح البحث الحرر . ونور العقل المفكر . أين الحكومة اللادينية

ومملكة محمد الدنيوية . أين إختلاط نظم القضاء فى عهده . وتأليفه القصص لأثبات صلة العرب باليهود . أين أساطير اسماعيل وابراهيم وحديث التوراة والانجيل والقرآن عنهما أيضا . أين الفلسفة العمياء والمبادىء المرجاء . أين ديكارت وروسو وأشباهما والنظراء . هل أذنت شمس مبادئهم بمغيب ودق الناقوس لرحيلهم كما سيدق لنميها فى القريب . قولوا لزعماء السياسية هل كنتم فى غواية فاهتديتم ؟ .

(محمود أبو الفتح بين الأحرار والوفد)

ومن متناقضات الآراء ما سجله البلاغ فى نوفمبر ١٩٢٧ من آراء لمحمود أبو الفتح صاحب المصرى والمدافع عن الوفد فى ذلك الوقت عن مقال نشره الأهرام ٦ أكتوبر ١٩٢٩ فى دفاعه عن الأحرار الدستوريين قال :

أمامنا أمثلة شتى لما تمضى عليها سنوات قليلة . فاننا لانزال نذكر تهم الخيانة التى كنا نكيلها لبعضنا البعض فرشدى باشا رشاه الانجليز بخمسة ملايين . وعدلى باشا أعطاه الانجليز سنة ١٩٢١ سبعة ملايين وثروت باشا أخرج دستوراً أعرج على يد لجنة من الأشقياء ... وتصريحا (تصريح ٢٢ فبراير) كان فى وقت ما نكبة وطنية كبرى .

ومن الجانب الآخر تكال التهم لسعد ورجال سعد فقيل عرابى الثانى . وقيل عباد مصالح يجعلون مطامعهم ومصالحهم الشخصية فوق مصلحة الوطن ، وقيل حزب السنمائة ثم هدأت سورة الغضب واستقرت النفوس وامتدت الأيدى ورأينا سعد وعدلى وثروت ورشدى يتعاونون من جديد ... »

وصور (البلاغ) عوامل إنشاء حزب الأحرار الدستوريين فكتب تحت عنوان :

[فى أحضان السياسة الاستعمارية نشأ حزب الأحرار الدستوريين]

قالت : فى أحضان السياسية الاستعماريه وفى ظل ظليل من عنايةدار الحماية ورعايتها برز حزب الأحرار الدستوريين فى ميدان السياسة المصرية قوة زمامها ليس بيدها بل بيد دار المندوب السامى بعد أن فشلت مفاوضات كرزون وأضرب كل مصرى عن تشكيل وزارة .

كانت السياسة الانجليزية تعلم أن هذا النفر ليس فى ذاته قوة إلا أن يستمير من السياسة الانجليزية قوتها ونفوذها وإلا أن تفرغ عليه دار الحماية من سلطانها العقلى

المعركة بين الوفد والحزب الوطني

وشغلت الصحف بالمعركة بين الوفد والحزب الوطني ، فقد حمل الوفد حملات عنيفة على الحزب الوطني متهما رجاله بالخيال والبعد عن الواقعية .

ولقد كان للحزب الوطني أنصار يؤمنون به ويرون في أهدافه ما يجعلهم يترددون أمام مواقف الوفد بعد الحرب العالمية الأولى ، لذلك كان هجوم الوفد على الحزب الوطني بالغا . وقد ألقى أحمد ماهر خطابا في ٢٥ أكتوبر ١٩٢٣ حاول أن يسفه فيه أهداف الحزب الوطني قال :

لم يكن سعد باشا قبل سنة ١٩١٨ مؤلفا لحزب من الاحزاب ، ولكن الحزب الوطني كان موجوداً ، وكان له تاريخ مجيد فلماذا أيها السادة فضلت الأمة أن تسمى وراء سعد . وأن تؤيد سعداً والزمت رجال الحزب الوطني أن يمتنعوا عن السفر إلى اوربا قائلين لهم : إن وكيلنا سعد وإننا لا نثق إلا بسعد ولا نريد أن يتكلم عنا إلا سعد السبب واضح ظاهر : من ١٩٠٩ إلى ١٩١٩ لم يذكر حافظ بك ولا من كتب سيرته شيئا من أعمال الحزب الوطني فهذا النوم العميق الذى دعا الناس إلى الابتعاد عنهم ، لما رأوا سعد يتقدم للدفاع عن حريتهم بالشجاعة التي يعرفونها .

وإنني حين أقول الحزب الوطني أقول ذلك تساهلا لأن الحزب الوطني الآن إنما هم عدد قليلا يعدون على الاصابع ، عملوا على نقض مبادىء الحزب الوطني وهم الآن يفخرون بمصطفى كامل ويفخرون بفريد وهم الآن يحاولون أن يستغلوا مجهودات هذين البطلين .

إن هؤلاء الاشخاص لا يمثلون الحزب الوطني وإن الذين يمثلون الحزب هم سعد وأصحاب سعد .

مات فريد فى غربته فما الذى حصل ، بين أعضاء الحزب أغنياء كثيرون فهل قدروا الرجل وعملوا الواجب عليهم ، كلا : وانما الذى تقدم لينقل جثة فريد بك كان رجل من رجال سعد وكلكم تعرفونه فهو الحاج خليل عفيفى .

ان مبدأ الحزب الوطنى يمكن ان يحصر فى انهم يطلبون استقلال مصر والسودان والملحقات،والوفد يطلب استقلال مصر والسودان ولم يطلب الملحقات.

كان رجال الحزب الوطنى يقولون لانجلترا قبل ان نتفق معك لا يجب عليك فقط الجلاء عن مصروالسودان بل يجب أيضا أن تعمل على محاربة فرنسا وايطاليا وبلجيكا حتى تردى الينا هذه الملحقات .

الواقع ان المفاوضة هى النقطة التى يدعون انهم فى خلاف بشأنها مع الوفد، ليست من المبادىء وانما هى وسيلة ، هى طريقة يحسن الالتجاء اليها إذا سنحت الفرص ويجب الامتناع عنها إذا كانت الفرص غير ملائمة .

« الجلاء قبل كل مفاوضة » لا يمكن فهمه لأنه إذا تم الجلاء فلماذا تحصل المفاوضة بعد ذلك،على أن نفس الجلاء إذا تقرر يستلزم مفاوضة لبيان كيفية حصوله فمركز الحزب الوطنى غيرمفهوم من هذه الوجهة .

ان نظرية «دولية المسألة المصرية» جرت علينامساوىء كثيرة . كانت تجعل رجل الحزب الوطنى يتقربون من فرنسا كثيرا ،تقربوا من فرنســا فماذا كانت النتيجة : كانت انها ساومت على حقوقنا واتفقت مع الانجليز على أن تخلى لهم الطريق فى مصر ليخلوا لها الطريق إلى مراكش . إذا يجب أن نقول أن مسألة مصر تخص المصريين وحدهم دون غيرهم ويجب أن نقررها نحن دون غيرنا . فنظرية دولية القضية المصرية نظرية فاسدة » .

* * *

ثم توالت حملات الصحف الوفدية على الحزب الوطنى ورجاله فكتب عزيز ميرهم فى البلاغ ٦ سبتمبر ١٩٢٣ تحت عنوان :

نغمة جديدة للحزب الوطنى تؤثر فى نظرياته السابقة

انا نعلم أن الحزب الوطنى قاوم فكرة المفاوضة وقد كانت هذه المقاومة من مميزاته التى جملته فى صف وباقى المصريين فى صف آخر ٠

اعتبر المصريون المفاوضة وسيلة من الوسائل المؤدية إلى الاعتراف بحقوقهم ، وليس أحد ينكر على الأمة أن تتخذ جميع الوسائل الموصلة إلى غايتها بما فيها طرق باب المفاوضة ولكن للحزب الوطنى نظرية أخرى تمنعه من طرق باب المفاوضة وهى اعتباره المسأله المصرية مسألة دولية لا يصح حلها باتفاق بين انجلترا ومصر بل بمعاهدة دولية فى مؤتمر دولى . »

[ثم هاجم البلاغ عبد العزيز شاويش عندما تقدم للانتخابات فى ١١ يناير ١٩٢٤ تحت عنوان :

(إفتراءات الشيخ شاويش)

أما الشيخ شاويش فكاتب ولكنه مهيج يحتاج إلى رقيب والاشط قلمه ، وقدما شط هذا القلم فشق وحدة الأمة وكم تجاوز الحد فكان سببا فى تعطيل وايقاف واغلاق صحف اللواء والعلم والشعب ٠

وقد جره قلمه إلى السجن لتقريظ كتاب « وطنيتى » وبمقالة « اليوم نقتل دنجرا » ومجلس النواب ليس فى حاجة إلى كتاب هذه صفتهم ويعترف للشيخ بشىء من الاطلاع فى اللغة والدين ولكنا رأيناه حين هبط أخيراً أرض مصر لم يتأدب بأدب القرآن بل مشى فى القطر مرحا وشمخ بأنفه إلى السماء واحتقر كل من عداه حتى الخديو السابق ٠

ثم رأيناه يتعمد الكذب بسوء قصد ضد مزاحمة فى الترشيح لمجلس النواب ولا ينزه قلمه ولسانه عن الطعن والسباب » .

[وقد ظلت صحف الوفد تهاجم الحزب الوطنى وتقف من أهدافه ودعواه موقف الازدراء وتهاجم رئيسه على نحو شخصى بعيد عن الخصومة الشريفة حول الاهداف .

وكان للعقاد بالذات مواقف هجوم عنيفه بالنسبة لأمين الرافعى الذى حمل أنظف قلم فى الصحافة المصرية .

ومقال (الوصولية الكبرى) الذى كتبه العقاد عن الحزب الوطنى فى جريدة روز اليوسف اليومية فى ٥ مايو ١٩٣٥ يمثل قمة هذا الاتجاه : قال :

فى مصر أحزاب كثيرة تختلف فى القوة والضعف . ولكنك لو بحثت عن حزب من هذه الأحزاب قد أمعن فى الضعف والوصولية غاية الامعان لم تجد حزبا أضعف ولا أشد وصولية من الجماعة التى تسمى نفسها بالحزب الوطنى ، ولا تعمل فى السياسة إلا أن تستفيد دائما وان تكتب البيانات الخاوية التى تذكر الناس بوجودها من حين إلى حين .

هل تغضب الانجليز . لا ؛ لأن الانجليز يعلمون أنها تساعدهم على غرضهم الأول من هدم الوفد وهدم الدعوة الوطنية .

(وكان هذا قبل أن يشترك العقاد فى عملية هدم الوفد بنفسه) .

هل قامت وزارة قط فى مصر فلم يؤيدها الحزب الوطنى المزعوم فى إبان قوتها واقتدارها على توزيع الوظائف والمقامات .

إذن ما هى الوطنية عند هؤلاء الوطنيين المتطرفين النبلاء ، ماهى الوطنية التى يحسبون الوفاء بحقها معجزة من المعجزات وفضيلة تعلو على غيرهم من المصريين بها .

الوطنية هى ان يربحوا من الانجليز ويربحوا من الوزارات ، ولا ينسوا أن يربحوا من الأمة أيضا بدعوى التطرف والشغف الأفلاطونى بالملحقات .

... وإذا كان عبد الرحمن الرافعى يعلم أنهم نسوه ، فليعلم انه على خطأ فى حسبانه ، وأن الناس لا يزالون يذكرون أن هذا الأستاذ الغيور هو مرشح فى الانتخابات الصدقية الزيورية .

« لو يعلم الاستاذ الوطنى المشور — يقصد عبد الرحمن الرافعى — أن الناس لا ينسون أن حسن نشأت باشا لم يجد غيره آلة يسخرها فى إحراج سعد فى أيام وزارته الاولى فكان يلقى على الوزارة بمجلس النواب تلك الأسئلة المطبوخة المدبرة للاحراج ، فالمصادمة فالاسقاط ، وفى أى وقت كان يطبخ تلك الاسئله حول مسألة السودان أو يتلقاها مطبوخة من طهاتها ، فى الوقت الذى كان الانجليز يتهمون فيه سعداً باضرام نار الثورة بين السودانيين »

ولا شك كان الخلاف بين الحزب الوطنى والوفد كان عميقا وذلك نتيجة للخلاف بين مفاهيم السياسة بينهما وبين قوة الحزب الوطنى قبل الحرب وشعبيته الكبرى التى هدمها الوفد بقبوله الحكم على غير أساس الجلاء .

كما هاجم توفيق دياب فى جريدة الجهاد ما أسماه (1)

الحزب الذى مات بين أعضائه

قال :

غير مجهول ان رجالا من الحزب الوطنى درجوا على سيرة قساوسة العصور الوسطى ينهون عن المنكر ويباشرونه ويدعون الى المثل العليا ويهبطون فى أعمالهم إلى الحضيض :

إنهم أبعد خلق الله عن مبادىء الحرب العظمى هم أعضاء اللجنة الإدارية للحزب الوطنى .

---

(1) الجهاد ٣٠ مارس سنة ١٩٣٠

ان مبادىء الحزب العظمى مناهضة الظلم ومجاهدة الاستبداد والدفاع عن الحرمات والبذل السخى من المال والجهد والحياة فماذا فعل الحزب الوطنى .

لقد لان رجال حكومة محمد محمود وترفق بها واتخذها بعضهم وسيلة لقضاء المآرب واشباع المطامع الارضية ولكى يخدم الحزب الوطنى وزارة الديكتاتورية فى أيامها الاخيرة وينفحها ببعض التأييد السلبى أحجم عن نشر تقريره فى نقد مقترحات هندرسون .

واليوم ينشط الحزب الوطنى بقوة خفيه ويهب من رقاده الآن لا ليذيع نقده للمقترحات ولكن ليتهم الوفد بالتفريط ويرميه بالتهاون .

لم يكن هكذا مصطفى ولا كان فريد ... لقد ترك الزعيمان ميراثا وطنيا للامة ولم يعد شأن أعضاء الحزب الوطنى الا أنهم كالشيطان كان ملاكا ثم فسق عن أمر ربه

* * *

وهاجم عباس حافظ (عبد الحميد سعيد) من كبار زعماء الحزب الوطنى (١٩٣٠/٢/٩ — كوكب الشرق): قال

عبد الحميد سعيد : أكذوبه سياسية اصبحت معروفة للجميع . وتهويشة دينية معروضة للجميع ، بل شيخ طريقة دجال فى مرقعة وطيلسان واكمام واسعة وارادن ولحية مبتذلة وهجمه عنترية على قصع الفت والتسقية وسبحة مستطيلة وعكاز ضخم . وهو أجهل ما يكون بالدين وان حشر نفسه رئيسا للشبان المسلمين .

بين عبد العزيز فهمي وسعد زغلول

وكانت معركة عبد العزيز فهمي مع سعد زغلول هي أقوى هذه المعارك ، فقد كان عبد العزيز فهمي من أول الذين خرجوا عن الوفد وأذاع تصريحات متعددة عن المفاوضات، وقد كرم المحامون عبد العزيز فهمي في ٢٧ ابريل ١٩٢١ وحضر الاحتفال كثير من أنصاره . وقال الهلباوي : أن الوفد تألف وعبد العزيز فهمي هو [يد سعد وقلمه] وسافر الوفد وعبد العزيز مدة السنتين التي اغترب بها عن وطنه المستشار الأمين والحد الجامع للأفكار بين رجال الوفد فيما بينهم والرسول الصادق إذا احتيج لرسالة مع أهل السياسة أو الصحافة . والكاتب النحرير الحلال لكل عقدة أو مشكلة قانونية أو إجتماعية» .

وقد روى عبد العزيز فهمي في ٢٧ أغسطس ١٩٢١ خلافه مع سعد : فقال أنه كان لا يحترم رأى الأغلبية ويعمل بالانفراد ولا يقبل أى طريق من طرق العلاج . كما وصفه بحدة التعبير، وذكر أنه قال له أحدنا : أننا مسافرون لمصر لندرس الأحوال هناك، ونكتب لك عنها أولا بأول فقال : أنا غير محتاج لكتاباتكم وأنا مطمئن» ووصفه بأنه جواب جارح ثقيل .

وقال: أن سعد زغلول مولع بهدم الرجال العاملين لا لعلة سوى إعتقاده أن رفع شأنه لا يقوم إلا على إنقاض غيره .

وقال: أنه بعد سفرهم أرسل سعد في عقبهم تلغرافا وصل قبل وصولهم — « فلما وصلنا الشاطىء وجدنا جمهوراً عظيما على الرصيف ، وقرأنا تلغراف سعد المشهور الذي يسفه فيه أحلامنا ويسوىء سمعتنا ويحذر الناس منا — وقال أن سعد غدر بسته

من اخوانه فى عرض البحر معلقون بين الماء والسماء غدراً يتعمد به القضاء عليهم وإهدار شرفهم .

وقال : أن على ماهر حدث سعد زغلول عن التلغراف فقال سعد : أنا أذبحهم قبل أن يذبحونى « ياللهول وبالشناعة » هل بنيناك لتهدمنا واحييناك لتميتنا وهل أهلونا ونبو وطننا عندما وكانوا فى قضيتهم قد قدمونا قربانا لك لتذبحنا .

وأشار إلى أن سعد قال فى إجتماع للوفد : أن الأولى أن يكون الغرض من إجتماعنا هو أن نتعاون على مصالحنا الخاصة .

وقال أن أحد أتباعه كتب فى صحيفة سيارة ذات يوم : أنا لا نأذن لرأس أن يرتفع إلا الرأس الذى ينحنى أمام عظمتنا .

وقال : أن سعد لم يقلع عن هذا المسلك ، وأن أساسه نفسية خاصة وجدت من الحوادث ميدانا عظيما للتمرن فقويت واشتدت فهى لا يمكن أن يغيض لها ماء أو ينضب ينبوع، تلك النفسية كما صرحت لكم هى الأنانية، وحب العظمة لا يقف فى مظاهرها عند حد وكلما عورضت هاجت وأخرجت من خواصها أفانين متنوعة . وقال أن أحد عشر من إخوان سعد الخمسة عشر إنفصلوا عنه » .

وقد أشارت الصحف إلى أن هذا الخطاب هو أخطر خطاب سياسى فى تلك الفترة .

وقال عبد العزيز فهمى فى ١٣ نوفبر ١٩٢١ وهو ذكرى المقابلة المشهورة :

إستطعنا ان نؤلف الوفد وأن نجهر به وأن نطلب فى نفس يوم الهدنة يوم ١١ نوفبر ١٩١٨ مقابلة السير ريجنلد ونجت الذى حدد لمقابلتنا يوم ١٣ نوفبر وقال أن الفضل لرشدى وعدلى والملك فؤاد .

وقد هاجم العقاد عبد العزيز فهمى فى (١٤ فبراير ١٩٣٠) .

فقال : كان أشد المنشقين حقداً على الزعيم الفقيد ، هو عبد العزيز فهمى باشا وكان الناس يعجبون لهذا الحقد الذى لا يخبو أو ذلك الثأر الذى لا ينسى . ويتساءلون ماذا صنع سعد يا ترى بعبد العزيز حتى يوغر صدره عليه كل هذا التوغر وذهب فى العداء الشديد إلى أقصى مداه ولبث فى خصومته وحنقه طوال أيام سعد وبعد مماته لا يتراجع . مازالت الأيام حتى أظهرت الحقيقة وكشفت للناس عن خبيئة صاحبهم فاذا هو حيقة لا يطاق وحقود يتطوع بالحقد المضطرم لأتفه الأسباب .

الصحافة فى معركة حكم الأقليات

(حكم محمد محمود)

مرت السياسة المصرية بعد ثورة ١٩١٩ بثلاث مراحل : المرحلة الأولى وهى مرحلة المفاوضة مع بريطانيا وتمزق الوفد المصرى إلى هيئتين ونفى سعد زغلول للمرة الثانية ، وسيطرة الفريق الذى انفصل عن الوفد على امداد مقدمات الحكم الجديد وهو صدور تصريح ٢٨ فبراير وإنشاء والدستور غير أن عودة سعد باشا من المنفى وإجراء الإنتخابات قد حقق أغلبية ساحقة للوفد تولى سعد باشا على إثرها الحكم (١٩٢٤) فترة قصيرة جرى خلالها المفاوضة مع بريطانيا وانتهت بالفشل ثم كان حادث السردار الذى أحرج سعد زغلول وأدى إلى استقالته .

فى خلال الفترة الثانية : أنشأ الملك فؤاد ١٩٢٦ حزب الاتحاد وأيد إنشائه حزب الأحرار الدستوريين ورحبت به جريدة الأحرار السياسة ثم اختلفت معه ثم قام الائتلاف بين الوفد والأحرار ضد حزب الاتحاد والحكومة المؤيدة له ومعسكر الملك غير أن هذا الائتلاف بين سعد وعدلى وثروت لم يلبث أن تحطم بعد وفاة سعد زغلول ١٩٢٧ وقامت وزارة وفدية خالصة ثم أقيلت .

وتولى الحكم لأول مرة حزب الأحرار الدستوريين ١٩٢٨ وهو أول حكم يقوم به حزب الأقلية حيث قام محمد محمود رئيس الحكومة والحزب بتعطيل الدستور ثلاث سنوات قابلة للتجديد .

وكان هذا هو أول إنقلاب سياسى تتولى فيه الحكم حكومة تحارب الأغلبية وتتهمها بالخطأ .

وقد أطلقت السياسة لسان حال الأحرار الدستوريين : على إيقاف الحياة النيابية كلمة « تعليق الحياة النيابية » وقالت فى تبرير ذلك : ان مصر لم تحكم إلى الآن لا بمقتضى الأساليب الدستورية بالمعنى الوارد فى الدستور ولا بمقتضى المبادىء الديموقراطية كما يفهمها الغربيون وسبب ذلك راجع — إلى حد ما — إلى المسلك الذى تسلكه البلاد فى سعيها إلى تحقيق استقلالها .

وقالت :أن البرلمان الأول الذى التأم برئاسة سعد زغلول كان يخضع بكل ارتياح وبلا اعتراض ما لكلمة ذلك الزعيم الذى أكسبته ممارسته الطويلة سلطة عظيمة، فكانت حكومة البلاد فى الواقع حكومة مطلقة تصرفها يد رجل فرد . ثم تلت ذلك حكومة إدارية برئاسة زيور باشا كنتيجة لحادث مقتل السردار . ذلك الحادث الذى نشأ عن سوء إدارة الوفديين الذين عجزوا عن كبح جماح العنصر المتمرد ، حينذاك وقف سعد زغلول جانبا وعطل الدستور ، وطلب أن تؤدى المساعى التى كان ينادى لها محمد محمود باشا وآخرون إلى إعادة النظام الدستورى وقد وفقوا لذلك فى سنة ١٩٢٦ .

« واستمرت حكومة الائتلاف وكان قوام هذا الائتلاف : الأحرار الدستوريين والوطنيين والوفديين ، ولكنه اتضح لسوء الحظ أن زعماء الأكثرية فى الائتلاف والنواب والشيوخ لم يدركوا تماما الفرق بين التهييج السياسى والعمل للاصلاح الداخلى . وبعبارة أخرى لم تكن البلاد تتمتع بحكومة برلمانية ، بل كانت تتحكم فيها لجنة دكتاتورية هى اللجنة التنفيذية البرلمانية للحزب الوفدى ، وضاعت ثقة رجال الحكومة شيئا فشيئا بمقدرة زعماء الأغلبية واستقامتهم ونزاهتهم وصار لا بد من إحداث تغيير » :

ووصفت جريدة السياسة الوفديين . بأنهم كانوا دائما متطرفين مهيجين ، وانهم وصفوا الاعتراف باستقلال مصر من جانب انجلترا بأنه كارثة وطنية واعتبروا

أنصار هذا التصريح خونة للوطن يعملون لصالح الانجليز . ووصف الوفد لجنة الدستور — وهي التي ألف أعضاؤها فيما بعد حزب الأحرار الدستوريين — بأنها لجنة الأشقياء .

قالت « وفي غضون ذلك عاد سعد باشا من المنفى وجعل يشجع الحركة التي كانت موجهة ضد النظام وضد الاعتراف باستقلال مصر وضد الدستور وتمكن بذلك من الحصول في الانتخابات على فوز لم يسبق له مثيل في التواريخ النيابية[1] »

* * *

وقد اشتهر محمد محمود باشا بلقب صاحب اليد الحديدية لأنه في أول تصريح له بعد تولى الوزارة في ٢ يولية ١٩٢٨ قال : وسأضرب بيد من حديد على كل عابث بالأمن وعامل لاضطراب حبل النظام العام » وقال في مذكرته الوزارية الخاصة بحل مجلس الشيوخ والنواب :

أصبحت الحياة النيابية أداة لطغيان تلك الفئة واستبدادها مستعينة بأكثرية اضطرت إلى ممالأتها أو مداراتها بين رجل مخدوع فيها وآخر يخشى شرها وثالث يطمع في خيرها ولذلك عجزت تلك الحياة النيابية عن تحقيق أخص ما يرجى فيها من انفاذ الاصطلاحات المختلفة في المرافق العامة للبلاد .

ولما كان البرلمان في حالته الحاضرة لا يعين على الوصول إلى الحالة الطبيعية التي تتوق إليها البلاد وجب ألا يكون من ناحية أخرى عقبة في سبيل الأخذ بالأسباب الموصلة لها لذلك لا ترى الوزارة بداً من حل المجلسين وتأجيل الانتخابات إلى الوقت الذي يرجى فيه أن تتجلى إرادة الأمة على وجهها الصحيح » .

---

(١) كتاب اليد القوية (مجموعة خطب محمد محمود)

وقد سجل الدكتور هيكل رئيس تحرير جريدة السياسة موقفه من تأييد حكم محمد محمود فى هذه الفترة وموقف الدكتور محمود عزمى الذى تنحى عن العمل فى فترة غياب الدكتور هيكل فى أوربا .

قال : كنت أعلم أنه ستعلق الحياة النيابية ثلاث سنوات قابلة للتجديد وكانت الحكومة ترجو أن تقضى خلال هذه السنوات الثلاث على الدجل السياسى ورأيت فى هذه الخطة صراحة محمودة . ذلك أن الشعب فى رأيها مضلل لا يمكنه أن يحكم على الأشياء حكما سليما .

وقد أفضيت بهذه المعلومات إلى زميلى الأستاذ محمود عزمى وسألته أهو مستعد للدفاع عن هذه السياسة عن عقيدة واقتناع ، وأخبرته أنى مستعد لإلغاء سفرى إذا لم يكن هو مقتنعا بما ذكرته له ، وقد أكد لى أنه مؤمن بأن هذه الخطة هى الوحيدة الملائمة للموقف وأنه سيكون قويا فى الدفاع عن « تعليق » الحياة النيابية غاية القوة . غير أن الأستاذ محمود عزمى لم يلبث أن ترك جريدة السياسة وانضم للمعارضة .

وقال فيما قال — إنصافا من نفسه لحكم محمد محمود : كانت[1] الحكومة تأخذ هذه المعارضة — أى الوفد — بشدة تزيد أحيانا على ما تقتضيه الظروف .

كما استقال فى هذه المناسبة من جريدة السياسة قطب آخر من أقطابها هو هو : توفيق دياب ، فقد كتب مقالا فى الأهرام يعلن براءته من الانتماء لحزب الأحرار الدستوريين ولم يلبث أن انضم إلى الوفد .

---

(١) انظر فصل محمود عزمى ورأيه فى هذا الموقف .

صحف الوفد

وقد واجهت صحف الوفد حكم محمد محمود بعاصفة عنيفة من الهجوم السياسي وحمل « العقاد » أكبر قسط من هذه الحملات :

كتب العقاد في ٢٢ نوفبر ١٩٢٩ (كوكب الشرق) يقول :

« قال محمد محمود ليس الحزب السياسي بكثرة انصاره فإن كثرة الأنصار عرض تأتي به ظروف وتذهب به ظروف » أنت كذاب يا صاحب الدولة ويجب أن تسمع أنك كذاب ، أنت دجال يا صاحب الدولة ويجب أن تسمع أنك دجال ولا تقول شيئا إلا كما يقول ويفعل الـكذابون الدجالون ثم أنت غبي جهول يا صاحب الدولة ويجب أن تسمع أنك أنت غبي جهول ، فالتفاخر بقلة الأنصار قصة تليق بحصة المحفوظات حين ينشد التلاميذ قصيدة السموءل التي يقول فيها (وما ضرنا أنا قليل عديدنا) .

متى قالوا محمد محمود : الا ليقولوا قبل غيرهم أنه هو . المقل الغبي الذي كانت مكانته في صحيفة حزبه لا تساوي قبل الاورد لويد نشر إعلان صغير ، ليس في الوفد أكفاء مثل محمد محمود . خيبة الله عليك يا بعيد ، ألا تسمع بشيء في الدنيا يسمى الحياء ، ألم يقل لك قائل مرة أن لـكلمة الحياء مدلولا يظهر على الوجوه ، ولقد علمنا كيف يتعزى هذا المنحوس في محنته التي تطير بعقله الضئيل وعزمه القليل وقلبه الهزيل .

وكتب العقاد في ٢٥ نوفبر ١٩٢٩ : تبا لها من نزالة لم يوصف بمثلها إنسان ، تبالهم من أنذال لا يلزمون موقف الانزال ، صديق جدير بالأحرار الدستوريين ، هذا الصديق ومحمد محمود انجليزي لا أكثر ولا أقل . هذا الجورج لويد المغرور .

× وكتب العقاد فى ٢٦ نوفبر ١٩٢٩ (كوكب الشرق) تحت عنوان :

مجنون فى يده سيف :

لافلأجل أن تصبح مصر مستعمرة بريطانية قام محمد محمود فى الحكم وافترى على المصريين ما افتراه من الكذب والتشهير ولأجل أن تصبح مصر مستعمرة بريطانية صنعوا كل ماصنعوه ·

سحقا لهؤلاء من أنذال اخساء ، فلئن كان فى الجرائم ماهو أكبر من جريمتهم فلن يكون إلا الوقاحة التى يواجهون بها الناس بعد ما أسلفوا لهذا البلد كل تلك الخيانة والكنود ولاجرم لايستحى أمثال هؤلاء إلا إذا أرغمتهم على الخزى سلاسل الاقياد وغيابات السجون .

× وكتب العقاد فى ٤ يناير ١٩٣٠ تحت عنوان (الكفاءة) قال :

قالوا : إنه تعلم فى أكسفورد . قلنا ماذا تعلم فى أكسفورد · قالوا : إنه تعلم الاقتصاد والتاريخ الحديث ، ولكننا لم نعرف له أثراً واحد بل لم نسمع له كلمة واحدة ولا حرفا واحدا يدل على علم بالاقتصاد أو اطلاع على التاريخ ·

ونذكر أن مراسل صحيفة أسبوعيه سأله : أى رجل فى العصر الحديث هو عندك أعظم الرجال فقال : نابليون · كلمه يقولها كل مسئول لم يفتح كتابا ولم يدرس أى تاريخ من التواريخ؛أرأيت أيها القارىء إلى الفلاح الريفى الساذج الذى ينزل القاهرة ولا يعرف فيها إلا بنك سيمان ، أن هذا لهو بعينه الفلاح محمد محمود حين ينزل عالم التاريخ الحديث ولا يسمع فيه إلا باسم نابليون ·

ماذا كان عمله فى الوزاره إلا الالة التى يشترك فى إدارتها اللورد لويد ، ولطفى السيد وحافظ عفيفى ومحمود عبد الرازق ·

إن الفرق بين الرجل المحبوب الموثوق به والرجل الممقوت المحتقر لأبعد وأكبر من أن يقاس عليه .

وإن الوفد بين مهانة محمد محمود باشا فى إنتظار رحمة خصومه وبين عزة مصطفى النحاس باشا فى جميع مواقفه لمن أعظم الفوارق بين النقيضين ، وأن الفرق بين من تولية الأمة ومن يوليه غاصب الأمة لهدم دستور الامة واستقلال الامة لهو البون الذى لايسبر غوره ولايدرك مداه .

× وكتب عباس حافظ فى (كوكب الشرق ١ ديسمبر ١٩٢٩) من محمد محمود يقول : أيها الخله ادخلى مسكنك لئلا تحطمك الاقدام ، سقط لويد وتردى الصعيدى الفتوة فى الهوه ... امغالطة أمة بحالها وبلد ، أيها الولد ، وهذه لغة الاراجوز يامحمد يختفى اللاعب وراء اللوح فيموج لسانه ويلوى حنكه ويرسل سقط الكلام ومزول الاغانى يحسبه المتفرج الساذج ، من حركات الدمية الخشنة ، وقد كنت فى كل ذلك الدور السخيف (أراجوزا) يابن محمود وفى تاريخ مصر الحديث ستظل قصتك أخر الدهر نكتة مرزوله » .

٢ — عهد صدق

وكان تولى اسماعيل صدق الوزارة — عهدا آخر من عهود الانقلاب وحكم الاقليات ، وقد ألغى اسماعيل صدق دستور ١٩٢٣ وأقام دستوراً جديداً عرف بدستور ١٩٣٠ وكان حكم صدق حكما دكتاتوريا لأنه لم يكن له حزب ولم يكن مؤيدا من هيئة سياسية بل ألف حزبا إنتهى بنهاية حكمه وقد حمل لواء الخصومة والمعارضة لصدق باشا فى أول الامر : الوفد وصحفه : البلاغ وكوكب الشرق والجهاد ووقفت جريدة السياسة فى صف صدق باشا وأيد الدستوريون صدق باشا أول الأمر ثم اختلفوا معه على الحكم فمادوا يهاجمونه ويتفقون مع الوفد على مقاومته .

وبذلك قامت الصحف الاربع بالهجوم بينما كان يؤيد صدق باشا جريدته : الشعب وجريدة الاتحاد لسان حزب الاتحاد .

فلما استقال صدق باشا شيعته الصحف حسب خصومتها أو ولائها له .

× قالت كوكب الشرق ٦/١٠/٣٣: لقد ذهب صدق باشا مشيعا بالهزيمة تقتفى أثره وبالنقمة تتبع ذكره ، غير مرضى عنه حتى من أوليائه وغير مؤيد حتى من أتباعه فلم يترك وراءه سوى الارزاء فادحه مكدسة ، تثقل كاهل الامة وتعوق سيرها بل وترجع بها إلى الوراء أجيالا ، لقد أودت الوزارة الصدقيه بحقوق البلاد فلم تخلف غير الدمار فى كل مرفق من مرافقها وكل ناحية من نواحى نشاطها .

× وقالت جريدة الشعب فى نفس اليوم :

فالرجل — أى صدق — دستورى بطبيعته حريص على أن تستمر الحياة النيابية فى طريقها دون أن تصادفها من العقبات مايحول دون نموها ، مؤمن بأن خير الوسائل لاستمرار الحياة النيابية ونموها حتى تبلغ مرتبة الكمال ، هوصونها عن أن تكون ميدانا لتضارب السلطات وطغيانها بعضها على البعض ، فالذين يصورون صدق باشا عدوا للحياة النيابية لايصدرون فى هذا التصور إلا عن أحد أمرين ، أما جهلهم بطبيعة صدق باشا أو ما تمدهم التضاليل حرصا على مصالحهم الشخصية .

× وعندما استقال صدق من حزب الشعب الذى أنشأه علقت الصحف على هذا النحو :

قالت الجهاد (صحيفة الوفد) ٧/١١/١٩٣٣ :

وهاهو صدق باشا يجنى حيا ثمرات سيئاته وسخيف تصرفاته وهو يقتنع بعد لجاجه ومكابره إن كل مابناه زائل . هاهو يرى بعينه أين يكون من الحزب الذى أسسه وبالغ فى تصوير غايته ونهايته .

سقطت وزارة صدقى وكان سقوطها بغير سبب صحى كما تحمل الدكتور الآبق المستضعف من معازير ، وهوى الطاغية كارها ، ثم أراد أن يغضب لمركز زال أو سلطان ذهب فتلقى درسا رادعا ألزمه الصمت وحمله على الخضوع » .

× وفى نفس اليوم كتبت جريدة السياسة تودع صدقى بعد استقالته من الحزب « لعله يذكر جحود هؤلاء الاعضاء الذين جمعهم من كل فج وناحية وما اسدى لهم من فضل وما أغدق عليهم من نعم ، ولعله يذكر مافى انكار الجميل من تدهور خلق يهوى بالامة التى تتفشى فيها وتحتاج السنين الطوال إلى مكافحته وعلاجه ، ولعله يذكر إنصراف هؤلاء الناس عنه بعد أن خلقهم خلقا لغير شىء إلا الجرى وراء منافعهم العاجلة ومصالحهم المادية ، لعله يذكر هذا كله ويأسف لهذه الدعارة الخلقية التى هوت بطائفة من النفوس فهلهتها وجملتها تعدو فى ركاب كل من يلقى إليها من فتات مائدته بما يشبع بطونها ويسدنهمها إلى الفائدة العاجلة والثروة المجموعة يعلم الرجل ولا يعلم .

الصحف فى موقف واحد

- كيف واجهت الصحافة المصرية فى يوم واحد حادثا واحداً : إن هذه الصورة تعطينا تقييما صحيحا لرأى الصحافة ولمدى قيمة هذا الرأى فى كتابة التاريخ :

فى يوم نوفمبر ١٩٣٢ سرى خبر بإنقسام فى صفوف الوفد انتهى بخروج ثمانية أعضاء منه . وقد واجهته كوكب الشرق والجهاد (وهماوفديتان) والشعب (لسان حزب الشعب) والاتحاد (لسان حزب الاتحاد) .

× قالت كوكب الشرق[1] (تحت عنوان) الزعيم فوق الجميع .

« إن هذه الأمة الحساسة المتقطعة تنظر إلى زعيمها المحبوب ورجالها الموثوق بإخلاص بقلوب واجفه وعيون شاخصة متنظرة كلمته الحاسمة وعزمته الصارمه .

---

(١) ١٩٣٢/١١/٩ و ١٩٣٢/١١/١٠

وإذا كان خصوم الوفد قد فرحوا بما أسموه شقاقاً فى الوفد، فقد آن لهم أن يهدموا صروح الفرح التى أقاموها بأيديهم وأن يتجرعوا الحقيقة التى منها يرون خذلان باطلهم وفناء ادعاءاتهم فهذا الخلاف لم يقع فى صفوف الأمة والحمد لله . ولـكنه وقع فى قلوب الذين أرادوه .

وقالت (الجهاد) تحت عنوان (ثبات الوفديين[1]) :

إلا فليعلم صدقى باشا وليعلم أنصاره ومكرموه إن الوفد روح سرت وتغلغلت ورسخت فى نفوس الملايين فى أبناء مصر وإن (مصطفى) يحل اليوم فى نفوسهم فى مكان (سعد) أحب دولته أم كره ، خطب أم سكت، لوح بالوعد أو أبرق بالوعيد، هدد بالقوة أم لوح بغصن الزيتون ، والله مع الأمة مادامت الامة ووفدها مع الزعيم .

× وقالت جريدة الشعب (١٢/١١/١٩٣٢ تحت عنوان الـكارثة الوفدية :

فالواقع إذن أن الـكارثة التى منوا بها أفقدتهم البقية الباقة من صوابهم ودفعتهم إلى هذا الموقف الذى أراد (الشعب) أن لا يخوض فيه ، وأن يمسك قلمه عن النزول إليه لان البلاد بحاجة إلى مواجهة صعابا وإلى أن لا تشتغل بالها فئة من النفعيين لم يحفظ تاريخ نهضتها الحديثة منهم إلا أنهم كانوا حجر عثرة فى سبيل تقدمهم ووقفوا عقبة كاداء فى سبيل نشاطها وهل كانت البلاد تقيم لهم وزنا وهم موحدوا الرأى حتى يمـكن أن تعبأ بهم اليوم أو بعد اليوم » .

× وقالت جريدة الاتحاد تحت عنوان (الوزاره والوفد) فى ٣/١١/١٩٣٢ «وإنه ليخطىء من يظن أن وزارة صدقى باشا تعبأ بهذا التشجار أو تعتبره اهتماما، فالأمر لا يعدو إن وفديين يتنازعون ، ووفديين يرهبون فريقا منهم ، ووفديين يخافون فيميون عن الـكلام ووفديين يضطهدون أخرين منهم وبعباره أصح إن المسأله مسألة إناس كانوا يملـكون أسباب النجاح فتنـكبوا طريقه وعاراً على كل ما يضمن الفشل ثم انقضى دورهم » .

---

(١) ٤/١١/١٩٣٢

معارك الهجاء والجدل السياسى

(بين الصحف والكتاب)

* المعارك بين الصحف .
* المعارك بين الكتاب .
* تناقض الكتاب .
* بين صحافة الرأى وصحافة المنفعة .

١ — المعارك بين الصحف

١ — معركة البلاغ والجهاد .

٢ — معركة البلاغ وكوكب الشرق .

٣ — معركة البلاغ والجهاد وكوكب الشرق .

٤ — معارك جريدة البلاغ .

١ - معركة البلاغ والجهاد

[بين العقاد وعبـــد القادر حمزة]

تحولت «البلاغ[1]» عن الوفد بعد إنفصال أعضائه الثمانية [يناير ١٩٣٣] فهاجمتها «الجهاد» بقلم صاحبها توفيق دياب وأكبر محرريها العقاد. وكان العقاد محرراً بالبلاغ منذ ١٩٢٣ إلى ١٩٢٩ لذلك دارت المناقشة على نحو مثير يكشف عن حقيقة دور الصحافة فى الثقافة والفـكر العربى المعاصر .

هاجم العقاد عبد القادر حمزة والبلاغ لخروجها عن الوفد ثم خرج هو عن الوفد بعد ذلك عام ١٩٣٥ وعاد إلى الـكتابة فى البلاغ ثم عادت البلاغ بعد وفاة صاحبها إلى الوفد وهاجمها العقاد مرة ثالثة .

● عبد القادر حمزة (ديسمبر ١٩٣٢) البلاغ :

× يريد صاحب الـكلمة الفاحشة فى مجلس النواب (يقصد العقاد) ومحرر جريدة الجهاد أن يلجأ إلى كلمات الفحش يرصها رصا . ولن نجاريه فى هـذا لأننا نناقش بالبرهان والحجة ، لا بالفحش والقحة ، والعاجز المفحم هو الذى يفر من المناقشة فى الوقائع إلى رمى الشتائم ليدارى بها فضيحته .

---

(١) البلاغ ١٥ اكتوبر ١٩٣٣ .

كان غرضنا أن نفضح أمام القراء السر الوضيع فى غل دائم يحمله بعض الناس على البلاغ ، وما نزلنا على فضح هذا السر إلا بعد سنة كاملة لم يكف هؤلاء الناس فيها يوماً واحداً عن الخوض فى عرض البلاغ .

هذا الأستاذ عباس العقاد لا يطيب له عيش إلا بأن ينهش فى لحم البلاغ . والبلاغ مع هذا صاحب أعظم فضل عليه لأنه أواه وأحسن إليه يوم كان بائساً طريداً ويوم تقدم إلينا يرجو أن نجبر كسره . ونعينه على نكد الحياة فلم نوصد الباب فى وجهه بل فتحناه على الرغم من أننا لم نكن فى حاجة إليه ولا إلى عمله ثم جعلنا ننفحه من وقت إلى وقت بما يشجعه ويقيم إوده .

فكان يكتب إلينا من أسوان :

حضرة الأستاذ الجليل : وردنى خطابكم وفيه الحوالة بالمبلغ الذى تفضلتم فسميتموه تبادل منفعة فشكراً لكم وسأولى الكتابة إلى المحروسة غير واقف عند الحد الذى عينتموه كلما وجدت من الفراغ والموضوعات مايدعو إلى الكتابة .

١٩٢٢/٣/٢٠ العقاد

هذا الخطاب كان بدء الصلة بين العقاد والبلاغ . كما نسميه « تبادل منفعة » رغبة منا فى الا نشق عليه قبول الأجر عن مقالات لم نطلبها ولم نكن فى حاجة إليها . وكان ماندفعه إليه مقصوداً منه الإحسان ليس غير .

« أما الآن فلا مع له إلا أن يأكل لحمنا لغير سبب . ولقد اتصل الأستاذ بالبلاغ بعد ذلك ، وظفنا فيه ثم خرج منه بعد سبع سنوات فلم نقل فيه إلا خيراً . ومع أنه كان قد بسط لسانه بالسوء فينا على أثر خروجه فلم نقابل هذا السوء بمثله بل عطفنا عليه حينما حوكم أمام محكمة الجنايات منذ عامين . وكتبنا عنه كما نكتب

عن أكرم الناس، ولكن العقاد استمر بعد ذلك يقذفنا بالسوء ويثير علينا الثائرة، ولو كان يناقشنا في رأي من الآراء لقلنا : لكل إنسان رأيه ثم ناقشناه، ولكنه لا يناقش بل يأكل العرض ويتهم . وهو الآن لا يزعم أقل من أنه صاحب الفضل على البلاغ وصاحبه ومحرريه .

وهو كاذب في دعواه على البلاغ أنه أخرجه ١٩٢٩ ليجمل هواه مع الحكومة وأثبتنا على أنه مدخول المبدأ مدخول العقيدة وأنه إنتقل إلى جريدة اللواء ١٩٢٤ ليخدم الحزب الوطني ضد سعد زغلول من أجل خمسة جنيهات فقط فرقا في المرتب الشهري . وأنه كتب في جريدة اللواء وفي جريدة الأخبار مقالات بغير توقيع حمل فيها على سعد بينما كان يعمل في البلاغ خادما لسعد . وأثبتنا أن ضغينته على البلاغ ضغينة لا تبرأ : سببها أن البلاغ آواه يوم كان محتاجا إلى الإيواء، وأحسن إليه يوم كان محتاجا إلى الإحسان وليس أقوى ولا أعمق ولا أشد تلظيا في بعض النفوس من ضغينة سببها ومنشئها الإحسان .

٢ — كان « العقاد »[1] في عام ١٩٢٤ محررفي البلاغ فينصر علنا سياسة الوفد ثم يمضي في الوقت نفسه سراً إلى ادارة جريدة الأخبار فيكتب فيها بتوقيعات مستعارة طعنا في سياسة الوفد وسعد زغلول . منها مقال بتوقيع (ع) عنوانها (أسلفه أو كالمعتاد) الأخبار ٢٧ أكتوبر ١٩٢٤ قال فيه :

قالوا أن قطاراً خاصا سينقل الاورد اللنبي من محطة سيدي جابر إلى القاهرة كالمعتاد. وأن ضابطا انكليزيا برتبة البكباشي المصري موجود بدار المندوب السامي كسلفة. وقد علمت اليوم من مصدر ثقة أن بعض جنود مصريين من الكتيبة الأولى المشاة سيعملون بالمفوضية الانجليزية كمراسلات . فهل لدى وزير الحربية علم بهم وهل هناك كسلفة أم كالمعتاد » .

---

(١) البلاغ — ١٤ أكتوبر ١٩٣٣ .

× وكتب العقاد فى نفس اليوم فى البلاغ :

نحن نغتبط بالخطوات الجريئة التى يخطوها دولة الرئيس فى تطبيق الدستور ويقابل تقليد الوزارة والوكالة للشبان الأكفاء بالترحيب والسرور ونحمد الله أن جعل نهضتنا قائمة على التعاطف بين الحنكة والشباب .

٣ — وكتب عبد القادر حمزة مقالا ثالثا تحت عنوان [العوامل الشخصية وكيف بلغت فى بعض ظروف السياسة المصرية] قال :

وقام :(أى العقاد) فى مجلس النواب فقال كلمته الكبيرة ، أوقل الفاحشة التى يعرف الواقفون على بواطن الأمور أنها هى التى أطاحت بمجلس النواب وبالبرلمان وبالحياة النيابية وبدستور ١٩٢٣ ثم لما سئل أمام المحكمة أنكرها ، وحاول أن يتخلص منها بعد أن قالها على مسمع من مائتى نائب .

كان جريئا أعظم الجرأة فاحشا أعظم الفحش ثم أخذ بها إلى المحكمة فكان جريئا أعظم الجرأة أيضا ، ولكن فى أنكار ما قال بعد أن حلت من وراء قوله النكبة بالبلاد .

وذكر أن العقاد قال أن الوفد رفض أن يعطيه فلوسا جزاء سجنه وأنه لهذا اعتزم أن يكتب مهاجما للوفد .

وقال عبد القادر حمزة[1] إن العقاد ترك البلاغ فى فبراير ١٩٢٩ ولم تستقل وزارة محمد محمود إلا فى أكتوبر من تلك السنة .

لماذا خرج العقاد من البلاغ : كان يتناول ٤٠ جنيها ويكتب مقالة ، ولما عطل البلاغ ٤ أشهر إعتذرت له بعد مرات كثيرة عن صرف مبالغ ، فاذا به يثور ثم يخرج من ردهة المكتب ويتفوه فى صوت عال بألفاظ شتم موجهة إلىّ أمام

(١) البلاغ — ١١ أكتوبر ١٩٣٣ .

الموظفين الذين كانوا مجتمعين ثم خرج منصرف إلى داره وبعث إليه زميلا دعاه إلى العودة في اليوم التالي وتسوية مسألة النقود فرفض فقلت : إنني اكتفي من الأستاذ العقاد بأن يعتذر عما صدر منه ، فقال إنه ينكر ألفاظ الشتم . فقلت إذن أكتفي بأن يقول هذا الانكار أمام الموظفين فلم يقبل ولم أقبل أيضا أن يشتغل معي من يعرف الموظفون أنه شتمني وأنه لم يعتذر لي وقد اعترف العقاد بثورته على الوفد بعد خروجه من السجن .

ثم نشر صاحب البلاغ[1] ما ورد إليه من إبراهيم المسيلي المحرر باللواء : بأن الشيخ شاويش عدل عن استخدام العقاد في جريدة اللواء . وشهد المسيلي بأن العقاد أرسل إلى محرر اللواء بعض مقالاته في سبيل تجربة ومعرفة الأسلوب الذي سيكتب به في اللواء مؤيدا لمبادىء الحزب الوطني معارضا لسياسة الوفد وسعد زغلول فنشرت بغير توقيع بناء على طلبه .

وروى عبد القادر حمزة[2] قصة انتقال العقاد إلى الحزب الوطني وجريدة اللواء فقال : في شهر من شهور ١٩٢٤ استدعاني سعد باشا وأخبرني أنه علم أن الحزب الوطني يتفاوض مع العقاد لينتقل إلى اللواء . ولم يكن للحزب الوطني من سبيل غير أن يثير حملة صحفية شعواء على سعد زغلول بعد سقوطه في الانتخابات ، لذلك أعاد الحزب جريدة اللواء وشرع يجمع لها المحررين ، وفكر المرحوم شاويش في الأستاذ العقاد فطلب من المازني أن يخاطبه فخاطبه المازني فقبل العقاد وقابل شاويش واتفق معه . واختلف في المرتب . ورفض عبد المقصود متولي ، وكان من رأيه أن الشخص الذي يتحول بهذه السهولة من مبدأ إلى مبدأ ومن صف إلى صف لا يؤمن جانبه . ولا تفيد خدمته . وقد كتب في خلال ذلك مقالات نشرت في اللواء .

---

(٢) البلاغ — ١٢ أكتوبر ١٩٣٣

(١) البلاغ — ١٣ أكتوبر ١٩٣٣ .

وهناك جانب آخر ، ذلك أن الأستاذ العقاد جاءنى بعد بضعة أيام من الخبر الذى ألقاه إلى سعد باشا فقال لى : انه ينقطع من اليوم عن العمل فى البلاغ لأنه سيعمل فى اللواء . فقلت : أنت حر وذهب إلى مكتبه بضع دقائق ولم أشعر إلا وهو يفتح باب غرفتى بشىء من العنف ويدخل وقال : ألست تأسف إلا على أننى لم أخبرك من قبل بعزمى على الخروج . ألا تعرف أنه لا يوجد فى البلد عقادان بل يوجد عقاد واحد . وخرج حاملا أوراقه وأبلغت الأوامر إلى سعد باشا .

ولكنه جاء اليوم التالى وإذا بالعقاد يدخل هذه المرة هادئا وديعا : وقال : أنت تذكر ما حدث بالأمس ، لكنى أريد الآن أن أرجع إلى مكانى فى البلاغ فقلت:لا مانع عندى . قال : ليكن ما حدث أمس نسيا منسيا .

وأبلغنى أخبار المفاوضات التى دارت والمقالات التى أرسلها إلى اللواء وأنه حضر مأدبة غداء فى دار اللواء قبل ذلك بيوم واحد .

حملة العقاد على البلاغ

كان العقاد قد هاجم البلاغ فى ١٦ يناير ١٩٣٣ فى مقال بجريدة الجهاد فقال : تحت عنوان « حقيقة البلاغ » .

طارت نقطة الغين وانكسر ذنبها فأصبحت (البلاء) بعد كانت البلاغ وإنما على نفسها وعلى من يكمن وراءها لا على من نريد لهم البلاء ، وقد ظن الناس أن صحيفة البلاء أخذت تنحرف عن مبدأ الوطنية والقديم فى أيام الانفصال الأخير ، وأنها كانت قبل ذلك تمشى فى سبيل سواء ولو مشية الهزيلة العرجاء ، أما الحقيقة فهى أن تلك الصحيفة كانت تخدم الوزارة (وزارة صدقى) جهد ما تستطيع أن تخدمها » .

فلما هاجمه عبد القادر حمزة كتب فى الجهاد ١٥ أكتوبر ١٩٣٣ تحت عنوان (طريد المحاماه يفضح أكاذيبه) فقال :

ليس أهون من الكذب على رجل طردته المحاماة كما طردت صاحب البلاغ وليس أهون من الكذب على رجل يتقلب فى المبادىء كما يتقلب ذلك المحامى الطريد والصحافى الزائف .

زعم أننا اشتغلنا بتحرير اللواء فكذبناه فانكفأ يقول أننا لم نشترك بتحريره فعلا وإنما كتبنا له تحت التجربة مقالات نشرناها فيه بغير إمضاء .

وترك اللواء وجاء يزعم أننا كنا نحمل على سعد فى الأخبار .

وغاب يوما وجاء ينقل لقراءه قطعة من تلك الصحيفة بامضاء (ع) يزعم أنها من كتابتنا ويقول انها نشرت فى يوم ٢٧ أكتوبر ١٩٢٤ وقد شاء الله أن يوقع المنكود فى شر أعماله ويفضح وصمة الكذب فى فضيحة المهتوك الذى لا ستر له من صفاقته ولا هرائه، فأنساه أن الأيام التى زعم أننا كنا فيها نتسلل إلى الأخبار كانت أشد أيامنا حملة على تلك الصحيفة وسخرية لصاحبها وحزبها .

ففى سبتمبر من تلك السنة أحرجنا صاحب الأخبار بمسألة الطماطم المشهورة واضطررناه إلى إيراد الشواهد (١٠ أكتوبر) قلنا : والأبله أمين الرافعى ماذا يقول :

يقول ان سعداً أخطأ بمحادثاته التى أسفرت عن تصريح انجليزى شر من تصريح ٢٨ فبراير فسياسة الانجليز التى بسطوها فى الكتاب الأبيض هى إذن نتيجة المحادثات التى طالب بها سعد بجميع حقوق البلاد .

كذلك يقول ذلك الأبله مع أنه يذكر قبل ذلك ببضعة سطور أن الكتاب الأبيض قد ظهر وان الحكومة البريطانية لم تغير موقفها العدوانى الذى وقفته حيال السودان » .

---

(١) نشر توفيق دياب هذا المقال فى (الجهاد) مره أخرى فى ٧ سبتمبر ١٩٣٧ بعد أن عاد العقاد إلى البلاغ وهاجم الوفد .

وكنا فى تلك الأيام خاصة لا نذكر صاحب الأخبار إلا باسم « الأبله » الذى يسيل لعابه ولا نعرض له إلا لنسخر به ونرد عليه . فالملفق الكاذب عبد القادر حمزة يريد من الناس أن يصدقوه إذ قال لهم أن صاحب الأخبار يثور تلك الثورة فى الرد علينا وكان ينفجر من الغيظ فى مساجلاتنا ليشعرنا إذا تسللنا إليه ودسسنا فى صحيفته ذلك الحذر الذى رواه لقرائه .

ولماذا يصدقونه فقط لأن قائله هو الرجل الصادق الأمين طريد المحاماة وعنوان التقلب فى المذاهب والآراء ولأنه منصف خال من الغرض لم يمتلىء صدره بوغر النقمة وسعار الغيظ وضيق الكرب والحيرة» .

٢ ـ معركة البلاغ وكوكب الشرق

بين عبد القادر حمزة وحافظ عوض

[وقع الخلاف بين الصديقين القديمين صاحب البلاغ وصاحب الكوكب بعد أن تحول البلاغ عن الوفد وحرص الكوكب أن يكشف دخيلته فى سبيل كسب قراء الوفد بمفرده من باب المنافسة . ولذلك جرى السجال بينهما] :

● عبد القادر حمزه (البلاغ) ٩ أكتوبر ١٩٣٣ .

حافظ عوض رجل يعرف الناس أنه يطلب القرش أينما وحده وقد حاول عدة مرات فلم ينجح .

لما حدث فى الوفد ذلك الحادث وأبدى البلاغ رأيه فيه ، وظن حافظ أن الفرصة حانت فى إدراك فرضه جمل يوجه للبلاغ التهم .

أن الكوكب وصاحبها حافظ بك يتعارك مع البلاغ على الرغيف وهذا العراك هو السر كل السر فيما يراه الجمهور من ثورات الكوكب على البلاغ .

وقال حمزة : أن حافظ عوض قابل فى مارس هيكل ومحمد محمود على أثر عودتهما من لندن صيف ١٩٢٩ وأظهر لهما إستعدادة لتأييد المقترحات التى كان محمد محمود عائداً بها إلى مصر . وعندما وصل محمد محمود كان على وشك أن يستقيل فلم يعد حافظ بك يرى لنفسه مصلحة فى أن يحافظ على عهده فنكث به ولو تأخرت الاستقالة شهراً لكان حافظ قد وفى لعهده .

أنه يقول باطلا لا يحفزه إلى قوله غير سعيه إلى الرغيف ، ورغبته فى الحلول محل البلاغ كان عليه أن يعرف الصداقة القديمة ويرعى حقها . ويذكر أنه عاشر كاتب

السطور عشرين عاما أو تزيد فلم يعرف عليه نقيصة واحدة فى حياته السياسية . وإن كان يعرف فى نقيصة تعيب الرجل فى شرفه فليعلنها .

● حافظ عوض : كوكب الشرق — ١٠ أكتوبر ١٩٣٣ .

علم الله أننى ما كنت أنتظر من الصديق القديم صاحب البلاغ أن يخرج أمس عن واجب اللياقة وتقدير ذكريات الماضى البعيد والقريب ، أنه هو الذى أساء فى النهاية إلى نفسه صحفيا بعد أن أساء إلى نفسه محاميا . كيف أنقذ من السقطة الأولى وكيف كان ذلك الانقاذ بادخاله الصحافة فى الجريدة أولا وفى الأهالى ثانيا ثم كيف أنقذ أيضا من الأهالى بالاسكندرية .

وكان ما كان منا من مساعدة فعالة فى نقلها ونقل محررها الصديق القديم من سياسة إلى سياسة ومن مدينة إلى مدينة حتى صار إلى ماصار إليه . إن كان يؤلمه اليوم أنه بعد أن هبط وبعد أن ارتفع بعد السقوط مرتين، فى إستطاعتنا هذه المرة أن نساعده أو ننقذه مما وقع فيه هو بنفسه بخروجه عن الوفد وانضوائه تحت راية الوزارة الحاضرة ...

٣ — معركة البلاد والجهاد وكوكب الشرق

بين عبد القادر حمزة وتوفيق دياب وحافظ عوض

× عبد القادر حمزة (ديسمبر ١٩٣٢) البلاغ :

النظرية التي يصدر عنها (صاحب الجهاد) هي أن الرئيس يرجع في كل ما فعله إلى استفتاء الأمة وان الأمة أيدته وهذه نظرية تختلف كل الاختلاف عن النظرية التي يتمسك بها الأستاذ حافظ عوض صاحب كوكب الشرق وهي أن الزعامة لا تتقيد وأن أعضاء الوفد ليسوا بجانب الرئيس إلا كأركان الحرب بجانب القائد ، لهم أن يشيروا وللرئيس أن يفعل ما يشاء ولهذا أحب أن لو اتفق الزميلان على نظرية واحدة يخرجان بها للجمهور ، لا أن يخرج كل منهما بنظرية تنقض نظرية أخيه فيحملان بعض الناس على أنهما يخرجان كذلك ليريا أي النظريتين تروج وأيهما يميل الى قبولها الجمهور .

إن الأمة أصل والوفد قام على أساس الوكالة عنها ، وذلك ما لا شك فيه كما لا شك أن الأمة التي أعطت الوكالة في سنة ١٩١٨ هي نفسها الأمة التي لها الآن أن تقرها أو تنزعها . ونحن كلنا طلاب دستور وقد جاهدنا في سبيله ستين عاما أو تزيد . وأساس هذا الدستور أن الأمة مصدر جميع السلطات .

تلك مبادىء أساسية دافع البلاغ عنها طوال حياته .

نعم ، ينبه البلاغ إلى أن من الخطر الشديد أن نفعل الآن باسم الديمقراطية ما ليس من الديمقراطية . وباسم الشورى ما ليس من الشورى . وباسم حرية الآراء ما ليس من حرية الآراء ، فاننا إذا تركنا نفوسنا تخدعنا في ذلك وانزلقنا في هذا المنزلق فقد ضللنا الطريق وقضينا على حركتنا الوطنية بأيدينا .

فى سنة ١٩٢١ كنت أحرر (الأهالى) وكان مشروع ملنر معروضا على الأمة وكان رأيى فيه أنه نوع من الحماية ، وكانت تأتى إلى مصر أنباء بأن الوفد يوشك على أن يقبل المشروع ويعتبره إستقلالا فكنت أعارض فى هذا القبول بلين تارة وبعنف تارة أخرى . وكان سعد باشا ممن يصيبهم رشاش هذه المعارضة ، بل كان يصيبه الكثير منها فى بعض الأحيان .

وكانت الأهالى هى الجريدة الوحيدة التى تقول بهذه المعارضة فى وقت كان لا يزال قريبا من الثورة ومن تأليف الوفد .

ومعارضتى لمشروع ملنر يثيرونها الآن ضدى ، وهى شرف لى ؛ الموضوع أننى كنت أتمسك بالاستقلال وأعارض مشروع ملنر لأنه ينافى الاستقلال . فلما جاء مندوبو الوفد وحبذوا المشروع ودعوا الأمة إلى قبوله عارضتهم ، ثم كان لى أن اعتقد أن الوفد ميال لقبول المشروع فعارضته ونقدت مسلكه ومسلك رئيسه فى الجملة » .

معارك جريدة البلاغ

واجهت جريدة البلاغ هجوما طويلا من الصحف الوفدية بعد أن تحولت عن الوفد (يناير ١٩٣٣) .

قال المقاديها جمها وهو من كبار كتاب الوفد قبل أن يعود إليها عام ١٩٣٧ ليحارب منها الوفد .

× طارت نقطة الغين وانكسر ذنبها فأصبحت البلاء بعد أن كانت البلاغ ولكن على نفسها وعلى من يكمن وراءها ، لا على من تريد لهم البلاء وتقيهم العناية كل بلاء الا فيما يهون على الأحرار، وقد ظن ناس ان صحيفة البلاء أخذت تنحرف عن مبدأ الوطنية القويم من أيام الانفصال الآخير وانها كانت قبل ذلك تمشى على سبيل سواء ولو مشية الهزيلة العرجاء ·

أما الحقيقة فهى ان تلك الصحيفة كانت تخدم الوزارة جهد ماتستطيع ان تخدمها دون أن تنكشف فكانت تخدمها يوم نشرت أخبار الاعراس الصدقية وزعمت ان المئات من الوجوه والسروات ذهبوا وحدانا وزرافات يحيون أفراح الوزير ويزفون التهنئة والتبريك .

● وهاجمت جريدة المصرى — لسان الوفد إذ ذاك — جريدة البلاغ فى (٧ يناير ١٩٣٨) أبان حكم محمد محمود الذى حاربه البلاغ عام ١٩٢٩ قالت :

« أوليست جريدة البلاغ الآن هى نفسها التى كان صاحبها الاشيب المتقلب يضع على رأسها عبارة (أيها المصريون : اذكروا دائما أن لكم دستوراً · وأن هذا الدستور عطل يوم ١٩ يوليو ١٩٢٨) اى فى عهد محمد محمود باشا . أليست

البلاغ اليوم هى القائلة فى (١١ سبتمبر ١٩٢٩) أى فى عهد ربها الآن وعدوها السابق « الحق الذى نعرفه نحن ويشاهده الآن كل المصريين ان الدستوريين هم أعدى أعداء المعاهدة ، وانهم كانوا ينتصرون لها فى الظاهر .

إلا انهم يعادونها ويدسون لها فى الباطن . وأن اليوم الذى تتم فيه التسوية ويصفو الجو هو اليوم الذى لا تبقى فيه حاجة لان يستخدمهم الانجليز ضد الأمة وهو كذلك اليوم الذى تخلص فيه للامة سلطتها » .

* * *

• وكتب توفيق دياب رئيس تحرير جريدة الجهاد (١١ يونيه ١٩٣٨) مهاجما البلاغ قال :

ان جريدة البلاغ كانت تزين أحد وجهها بكلمة خالدة من كلمات سعد هى أن « الحق فوق القوة والأمة فوق الحكومة » .

وعلى وجها آخر قول سعد « يعجبنى الصدق فى القول والاخلاص فى العمل وان تقوم المحبة بين الناس مقام القانون » .

وكان الناس يعجبون كيف تستبقى البلاغ هذه الآيات الكريمة مرسومة على وجهها وهى تحارب مدلولها ومعانيها فى كل عدد من اعدادها . وبقلم كل كاتب من كتابها منذ سنوات ، حتى إذا وليت الحكم وزارات لا تمت إلى الامة بسبب ولا إلى دستورها فى بعض العهود بصلة جعلت البلاغ نفسها درعا يتلقى بها الحملات من تلك الوزارات وانتزعت من جعبتها التى لا تخلو سهاما من الباطل سددتها إلى خصوم الحكام الغاشمين .

لذلك قرر محرر البلاغ ان ينزع فى اليوم العاشر من شهر يونيو الماضى — من وجهيها تلك الحليتين فبدت البلاغ سافرة لا يحجب خديها ولا جبينها طلاء .

وبذلك قررت ضمنا مبادئها الجديدة فى شجاعة لا تحسدها عليها وهى أن القوة فوق الحق والحكومة فوق الأمة .

— ٢ —

المعارك بين الكتاب

١ — معركة العقاد وتوفيق دياب .

٢ — معركة العقاد ومكرم .

٣ — بين العقاد وخصومه .

٤ — بين أمين الرافعي والعقاد .

٥ — بين العقاد وشوقي .

٦ — بين توفيق دياب وخصومه .

معركة العقاد وتوفيق دياب

كان العقاد من أكبر كتاب الوفد وقد كتب في جريدة البلاغ ١٩٢٣ــ١٩٢٩ ثم حرر في كوكب الشرق بعد ذلك ثم في المؤيد الجديد .

وفي ديسمبر ١٩٣٠ حوكم بشأن مقالات له اعتبرت ضد الملك وحكم عليه بالسجن تسعة شهور ثم كتب بعد خروجه من السجن في جريدة مصر ثم استقر في جريدة الجهاد منذ صدورها حتى غادرها إلى جريدة روز اليوسف عام ١٩٣٥ وفيها اختلف مع الوفد وخرج عليه .

وفي جريدة روز اليوسف بدأت المعركة بينه وبين الوفد؛ فهاجمه رجلان: توفيق دياب صاحب الجهاد ومكرم عبيد سكرتير الوفد . ورفعت الجهاد لواء الحملة عليه :

واليك ما قاله عنه توفيق دياب قبل أن يخرج من الوفد وبعد أن خرج :

× قال عنه في ٩ يوليه ١٩٣١ في جريدة الضياء :

انبعثت أنوار العقاد أمس من ظلام السجون .

نور اليقين الراسخ كالطود المكين .

ونور الفكر المترامي الآفاق المتجدد الموجات البعيد الغور كأنه العباب .

ونور العاطفة المشتعلة بمشاعر الحق والحرية والجمال .

× وقال توفيق دياب في تكريم العقاد يوم ٢٧ ابريل ١٩٣٤ .

كتب منذ النهضة الوطنية بضعة آلاف نقدا فيها الشخصية القوية والنفحة اللوذعية والحجة الدامغة والسخرية اللاذعة .

فمن أين للعقاد تلك المرونة النفاذة فى التعبير ، وتلك السهولة المتنغمة عن الاكثرين مع ما تميز به من جزالة اللفظ وجلال السياق .

العقاد معجزة الصحافة العربية كما هو معجزة الأدب العربى . مجاهدا صادق الجهاد فى الحومتين . مجليا . بعيد السبق فى الحلبتين .

× قال توفيق دياب فى الجهاد بعد أن وقع الخلاف بين العقاد والوفد .

تمادى[1] الأستاذ العقاد فى غلوائه . والأستاذ بطبعه حقود ظلوم ، وهل يجهل أحد أن شوقى العبقرى بحق الشاعر بالفطرة لم يكن له عدو بين أبناء العربية أعدى من العقاد . لا ، ولعله ولا سبب سوى أن نـكب الله شوقى بعبقرية الشعر فى عصر أدركه العقاد .

أجرمت الطبيعة اذ أسبغت على غير العقاد ومن نعمتها ما لم تسبغ بعضه على العقاد . ولـكن لا حيلة فى مواهب الطبيعة . إذن فلينـكرها العقاد عنادا أوليـكفر بها عتوا ، وليرم ذلك الموهب الفذ بكل نقيصة . وليؤلب عليه وعـلى شعره المحاربين من أطفال الأدب وأدعياء الشعر المغمورين .

وبهذا حسب العقاد انه شاد أو يشيد لنفسه مجداً فوق اطلال ذلك المجد الذى كتب له الخلود .

ولما عجز الأستاذ — وكان جديراً بعشرات مثله أن يعجزوا — عن هدم

---

(١) الجهاد — ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٣٥ .

شوقى حيا ، عمد إلى قبره يحاول نبشه وأتى ذكراه يحاول طمسها فى قلوب الأدباء والمتأدبين .

وجزى الله الدكتور طه حسين فقد أفلتت من لسانه كلمة أمير الشعراء فى تلك الحفلة التى أقامها من أقامها لتكريم الأستاذ . على أن طه نال جزاءه ونزلت به العقوبة وكذلك عاقبة المحسنين إلى العقاد ، وهم لا ينالون عقوبتهم إلا على يده وبلسانه وقلمه . وقد نالها طه وهو غائب يقضى أجازة هذا الصيف خارج الديار ، فقد حمل الأستاذ الوفى على وزارة المعارف ووزيرها فى فصول طوال[1] .

وكان من دوافع حملته أن وزارة المعارف محابية مجارية جائرة لأنها اشترت من رسالة لطه حسن لا يعدو ثمنها خمسة قروش ثلاثة آلاف نسخة فى حين أنها أشترت من كتاب محمد هيكل أربعمائة فما نذكر من ثورة الأستاذ

ولكنها الحلة الكريمة الملازمة للاستاذ أبت أن تفارقه فأثاب طه الذى لبسه خلة الأمارة وهذا الثواب ، وكم فقد طه من ثقة الأدباء بهذا الذى صنع وكم اتهموه من الغض من مكانة الشعر فى سبيل الصداقة حتى أسند ذلك اللقب إلى العقاد .

× وما كان[2] يعنينا إن نعرض لأخلاق هذا الرجل عايسره أو يسخطه لولا أنه مشتغل بالحياة العامة وله قلم فى السياسة المصرية أحسن الناس به الظنون طوال السنين حتى ساء الصالح العام أن يخالفه حين يفرض عليه الوطنية المصرية إلى غير ما يهوى فتكشفت نفسه عن خبايا لم تكن مجهولة كل الجهل ولكنها ظلت محجوبة عن الأبصار حتى فضحها غضبه لهواه .

× فلما خرج العقاد من السجن كانت عقيدتنا هى التى نشرت له ما نثر وما

---

(١) معنى ذلك أن الصحافة تجارة ولا قيمة حقيقية له وإننا نحب فنقول كل كلمات البطولة ونكره فنقول كل كلمات الرزيلة .

(٢) ٢٤ سبتمبر ١٩٣٥ — الجهاد

نظم فى تلطف وعطف شديد عرضت عليه مائة جنيه فى الشهر . ويعلم الله كم كان هذا العرض قادحا لو قبله الأستاذ لأثقل ميزانية الجريدة وإنما أردت به الضحية لكاتب مهما يكن أسباب سجنه فقد كان أحد كتاب الوطن .

وشكرنى العقاد وطلب إلى تأجيل جوابه يومين أو ثلاثة رأى فى خلالها أن يتعاقد مع جريدة أخرى هى جريدة مصر .

فلما سئل كيف آثر « مصر » على « الجهاد » أجاب بأنه يريد أن يكون على رأس جريدة يقول لصاحبها « هات قهوة » فيحملها إليه بنفسه دون امتعاض ، فقد كان ذلك لسان العقاد ، ولسانه بذىء لذاع حتى لأولياء نعمته .

لكن العقاد جبار ، جبار العقل كما يزعم ، فإذا شئت فهو جبار الحقد ، جبار الحسد لكل نعمة يرى ظواهرها على مخلوق ، وانقضت الستة شهور ، ثم لزم العقاد بيته يفكر وينعى مصيره على الدنيا وعلى الوجود وعلى جهل الأمة بمقداره وتنكرها لآثاره حتى تعرض عن جريدة هو رأسها المدبر — أى ممولها المدمر — فكان يهذى فى المجالس بالسخط على الوطنية الوفدية والوفديين وكان وجود العقاد كعدمه فى الجهاد فلم يزدد ذيوعها نسخة واحدة ، ومما يروى أنه بينما كان داخلا إلى دار الجهاد ذات ليلة وقع نظره على جمع من عمال الصف جالسين وكان من سوء حظهم أنهم لم يفطنوا إلى وصول العظيم الجبار والصنديد الفوار أمير الشعراء ، وشيخ الخفراء عباسيا العقاد فلم ينهضوا واقفين ، فوقف على الافريز وصاح بهم صيحة أفزعت إليه محررى الجهاد .

كيف تظلون جالسين والعقاد يقترب منكم أيها الكلاب ؟ فلما قالوا له انهم لا يعرفونه قال : أوفى مصر من لا يعرف العقاد أيها الحمقى الجاهلون وطلب فصلهم جميعا .

توفيق دياب ! بقلم العقاد

(الفضائح الدامغة للمهرج السياسي الدجال — ٢٥ سبتمبر ١٩٣٢) .

كتبت أمس ويالخزى ما كتبت : **يخونك العيش والملح يا أستاذ ياعظيم، عيش الجهاد لا عيش ، مبارت،** كان عملى فى الجهاد فضلا لصاحب الجهاد فى عنقى يعيرنى به الآن لأنى كنت فيه عالة لا تعود عليه بخير .

فليعرف القراء الحقيقة؛ إذن ما دام هذا الجاهل قد أبى إلاأن يعرفوها ويجزوه بها أعدل الجزاء . لقد كان توفيق دياب يجلس فى مكتبه وفى بيته بلا عمل فى التحرير ولا فى الادارة غير قبض الأموال والبحث عن ضيعة يقتنيها أو عقار يشتريه . وكان الأسبوع بعد الأسبوع والشهر بعد الشهر ينقضى قبل أن يكلف نفسه كتابة مقال من ذلك الهراء الذى تسود به الصحف ولا يعقل هو لا ويعقل أحد ماذا يعنيه . أما الصحيفة فما كان يجود عليها بدرهم فى تحسين لازم أو زيادة ضرورية ما دام قادراً على الكسب وجمع الأموال وشراء الضياع .

وقد سجن صاحب الجهاد فلم أنقطع من العمل غير أسبوع واحد فى السنة مع الحاجة القاهرة الى الراحة والعلاج والرياضة مبالغة حتى فى العناية بالصحيفة فى غيبة صاحبها .

ولما تركت الجهاد لم يستطع صاحبه أن يعوض عملى فيه بأقل من سبعة أو ثمانية من الكتاب الدائمين أو المتطوعين .

تلك هى فائدة الجهاد منى فماذا كانت فائدتى أنا من الجهاد : مرتب لا يساوى عشر ما كان يكسبه توفيق دياب فى الشهر الواحد علنا ولا عشر ما كان يكسبه سراً من مصادر السحت المعهودة .

وسيدهش القراء أبلغ الدهشة إذ يعلمون أنه — حتى هذا المرتب — لم أكن أستوفيه فى كل شهر إلا مقطعا ممطوطا مؤجلا من وعد إلى وعد وبيمين بعد يمين حتى لا انتفع به ولا أدرى كيف أعول عليه لأننى لا أعرف متى يأتى وكيف يكون حسابه عند الحاجة إليه .

ولو أن هضم الحقوق واختلاس الأجور والاكثار من المواعيد والأقسام التى برع فيها واستهلكها كما برع فيها أجمعون كان اضطراباً تقضى به قلة المال وشح المورد لكان له عذر مقبول .

ولكنه يماطل ويسوف ويقسم ويأكل حق الصفاف والكاتب فى اليوم الذى يعقد فيه صفقة بألوف الجنيهات على شراء ضيعة كبيرة يتفق على شرائها مع عبد الفتاح يحيى ويكتبها بعد ذلك باسم زوجته .

بل فى الشهر الذى ماطلنى فى دفع مرتبى وأنا ذاهب إلى رأس البر المتواضع التماساً للراحة القليلة والاستجمام اليسير — كان هو يستأجر فى الإسكندرية قصرا من قصور بولكلى بأربعمائة جنيه فى أشهر الصيف ويستأجر سائسا (جروما) يركب إلى جانب السائق ليبادر إلى النزول عند وقوف السيارة كى لا يفتح البك باب السيارة بيده الشريفة ولا ينتظر السائق حتى ينزل إليه .

وعلى هذا النحو يفهم الرجل الشريف تجارة الصحافة وتجارة الوطنية وتجارة الأخلاق ويطعن فى أخلاق العقاد لأن عمله فى الجهاد لم يكن إلا مروءة مضاعفة من الاخلاص للعمل والقناعة بما دون حقه والصبر على مكاره الغبن الخسيس والوفاء لمن لا يستحق الوفاء » .

٢ — معركة العقاد مع مكرم

حيرة عباس العقاد : حقيقة الكاتب وما كتب بقلم مكرم عبيد

من هو العقاد[1] ...

لست أعرف فى من أعرف رجلا كعباس العقاد يرى الناس مركزه فى شخصه فلا يعنيه أن يضحى بكل شخص . وبكل عاطفة . وبكل فكرة . فى سبيل شخصه ونزوات شخصه وشهوات شخصه .

ولما كان الرجل لا يرى فى كل شيء غير شخصه ، ولا عقيدة له إلا فى شخصه . فهو مسلوب العقيدة أو فى القليل ضعيفها .

فهو لا يؤمن بالله — لا عن فكرة أو دراسة — بل لأنه — سبحانه — قد شاء أن يكون العقاد أقل مالا أو جاها من زملائه ومنافسيه الصحفيين .

لذلك يلاحظ الناس على كفره بالله تعالى طابعا خاصا يميزه عن سائر الملحدين هو طابع الانتقام !!

فهو لا ينكر الخالق ولا يحفظه لنفسه بل يعلنه للناس حاقداً متهكما كلما أحس بمرارة الفشل تأكل صدره فتراه يقسم متهكما .

(والله الذى لا وجود له) من غير ما داع إلا الانتقام لشخصه من الخالق العظيم .

وكذلك هو لا يؤمن بالوطن إلا إذا اتفقت الوطنية مع مصلحته الشخصية والكم سمعته وصمه غيرى يصب اللعنات على الملايين الأربعة عشر من المصريين

---

(١) الجهاد — ٦ أكتوبر ١٩٣٥ .

لأنهم لم يقدروا مواهبه الممتازة حتى بارت بضاعته وأفلست جريدة مصر التى كانت تحمل هذه البضاعة الكاسدة لجمهور الناس .

كذلك لايؤمن العقاد بالوفد إلا إذا قبض أجره من مال الوفد ، وكذلك لايؤمن العقاد بزعامة أو بفكرة ، وها هو اليوم يكفر بالزعامة التى تدمها ويهاجم المبادىء التى طالما دافع عنها .

ولعل أبرز صفة فى العقاد : أنه لا يؤمن بصديق أسدى إليه إحسانا فما جزاء الإحسان عنده إلا الكفران .

وكنت أنا المحامى الذى تطوع للدفاع عن قضيته ولما خرج من السجن سعيت وألحقته بجريدة مصر مقابل أجر شهرى ما كان ليحلم به طول حياته (١٠٠ جنيه شهريا) ثم لما حل الكساد بالجريدة على يده وخرج منها جاءنى يبكى ويستبكى طالبا نفحة من مال الوفد تساعده على قضاء عطلة الصيف على شاطىء البحر .

وبعد ذلك توسل بى إلى العمل فى جريدة الجهاد مقابل أجر كبير ...

بدأ العقاد حياته العامة وحياته الصحفية بمراقبة الصحف المصرية تحت إشراف السلطة العسكرية البريطانية فى أثناء الحرب العظمى .

ولكن إذا كان عجيبا أن يقبض العقاد أجراً فى مقابل رقابته للصحف المصرية وخدماته للسلطة العسكرية البريطانية فأعجب به منه أن يتقاضى العقاد أجراً من الوفد المصرى مقابل خدماته للأمة المصرية .

ولهذا النقص الخلقى علة : هى علة العلل عنده . فهو رجل ضعيف الثقافة ، ضعيف الخلق . ولكنه فى الوقت ذاته حاد الذكاء . فاذا ما قرأ كتابا لم يتفهم جوهره والتقط منه قشوره . وإذا ما أقدم على عمل كان له من ذكائه دفعة ومن خلقه رجعه .

ولدينا على غرور العقاد أمثلة لا يكاد يصدقها العقل ... لأنها بلغت عنده مبلغ جنون العظمة ، فقد حدث أن اشتبك مع سعد رحمه الله فى مناقشة حادة فلم يقم سعد لرأيه وزنا . فقال العقاد مغتبطا (أنا خلقت الوفد من قلمى) فضحك سعد ساخراً منه ، ولما خرج أشار إلى أحد الزملاء إلى وقاحته فقال سعد « داروا سفهاءكم » .

ولفت النحاس باشا العقاد إلى ما كتب قائلا أنه يحبذ الانتقاد ولكنه يكره التحامل ؛ فأجاب متعاظما « أنا كاتب الشرق » .

فقال النحاس : وأنا يسرنى أن أكون رئيسا على كاتب الشرق .

* * *

لست أعرف جعجاعا . أقل طحنا وأكثر جبنا من عباس العقاد ، كانت محاكمته فضيحة مزرية برجولة الرجال . فقد كان المسكين يقف أمام المحكمة والذلة تهبط باذنيه والرعدة تسرى بين جنبيه ولكم أدعى المرض وتصنع احتباس الصوت عسى أن يرأف به قاضيه أو يقلل سجانه .

* * *

وما أن خرج البطل من السجن حتى أبتلع حماسته ولطف حدته فكنت تقرأ مقالاته فتكاد لاتعرف أسلوبه . لأن أسلوبه من الصنف العنيف بينما السجن من الصنف المخيف لذلك ترك السجون لغيره وراح هو يكتب بميزان ويتعمل الحكمة والاتزان .

كان لنا صلة بالسلطة العسكرية شبيهة بالصلة بين العقاد وبينها مع الفارق البسيط ، هو أن السلطة العسكرية بمثتنا إلى سيشل بعيدا عن الأراضى المصرية بينما استخدمت العقاد لمراقبة الصحف المصرية .

كان عباس العقاد هو الكاتب الوحيد الذى يتناول من الوفد (أجراً شخصيا) أو مرتبا شهريا قدره ثلاثون جنيها وكان يقبض هذا المرتب طوال حياة الزعيم سعد رحمه الله وظل يقبض طوال زعامة النحاس · مزدوجا مع المرتب الذى كان يتقاضاه من البلاغ وبعض الصحف الأخرى فإذا ما تأخر راح يهدد ويزمجر ، مهدداً بتسخير قلمه لجهات أخرى مناوئه للوفد .

وهذه بعض أقواله فى محاكته :

« هل يسمح لى الرئيس بالوقوف فى حرم المحكمه لأن لى كلمة وصوتى منحاش ولكن ارجو للمحكمة على الى أبين لها كثرة ما ألبسه من الثياب لقد مضى على فى السجن أكثر من ٥٥ يوما وأنا مصاب باحتقان فى الزور وزكام وسعال يتجدد فى الصباح والمساء — إن الزنازنة لاتدخلها الشمس، ماذا يحدث فيها ليلا إذا تغطيت أرتعش من الرعده من شدة العرق الذى يسيل منى بسبب رطوبة الارض وإذا تغطيت بغطاء خفيف تألمت وأحسست بالبرد، أنا أطلب الشمس، أنا أطلب الشمس »

مكرم عبيد دساس مطبوع

« يخلق الدسية لمصلحتة لالوطن ولالطائفة »

كتب العقاد يرد على مكرم عبيد تحت هذا العنوان فقال :

لست[1] أعرف « ظاهرة نفسيه » تكشف لنا عن طبيعة هذا الانسان كما كشف عنها محاباته لرجل مثل توفيق دياب على كاتب هذه السطور .

فقد كنت أدافع عنه يوم كان يشتمه توفيق دياب . وكان دفاعى عنه فى الوقعه بينه وبين الغرابلى مأثرة يذكرها مدى حياته لو كان ممن يذكرون وأنا بعد هذا وذاك أقدم وفدية وأقرب إليه حتى فى موقع المولودين فى أعلى الصعيد .

---

(١) روز اليوسف — ١٦ أكتوبر ١٩٣٥ .

فهذه القربات الكثيرة أحرى أن تكسبنى محاباته إن كان لابد من المحاباة أوتدنينا إلى التماثل فى شرعة المساواة .

ولكن هذه القرابات جميعا لاتساوى ذرة واحده إلى جانب القرابة الأخرى التى تجمع بينه وبين توفيق دياب فى قرارالطبيعة ودخيلة التكوين وتعنى بها قرابة التهريج والوصوليه واستغفال الناس باسم الوطنية فإن إنسانا كمكرم عبيد لايفهم ولايستطيع أن يفهم إن رجلا يرفض المنافع وهى ميسورة له يكون ربما من الغفلة والسذاجه وماله هو والسذج المغفلين . هؤلاء يرضيهم بكلمة أو ضحكة أو ابتسامة أما « الناس الشطار » فهؤلاء هم الذين يفقهون تبادل المنافع ويتفاهمون على ما هنالك من الاسرار .

ولولم يكن التهريج فطرة فى تكوين مكرم عبيد لما كانت محاباته لتوفيق دياب وأشباهه ظنا أو خاطراً يخطر على البال إنما التهريج فى طبيعة مكرم عبيد دسائس علنية والدسائس عنده تهريجات خفية ، وليعذرنا الاستاذ إذا نحن استعرنا هذه الكلمة من اسلوبه المرتجل ، فليس كل ارتجال كذبا ولو اصطفاه اسلوب مكرم عبيد وحقيقة مكرم عبيد .

لسنا عبيدا ياعبيداً : — بقلم العقاد (١٧ كتوبر ١٩٣٠)

إما أننى كنت أناقش سعداً فهذا صحيح لاريب فيه ، ولكنى كنت اناقشه فى خطبة العرش وفى قانون الجيش وفى السياسه العامة ولا اناقشه لأقول له كما افترى هذا المافون المافول : إننى خلقت الوفد بسن قلمى ،

انى ماتناولت قط من الوفد مرتبا وأنا فى غنى عنه وإننى ماتناولت مرتباقط وأنا أجد الكفاية فى عملى فى النيابة أو فى صحيفة من الصحف ، وانى كنت

اتقاول مرتبا من الوفد يوم كانت الوزارات التى اهاجمها تغلق كل صحيفة أكتب فيها وتعرض على مئات الجنيهات ولاتطلب منى عملا ولا قولا غير السكوت .

وإذا كان هذا عاراً ياوغد فقل لى أخزاك الله . فيم كان الوفد يجمع الالوف من الجنيهات بل مئات الالوف من الجنيهات باسم القضية الوطنية وإسم الاعمال السياسية .

أتراه كان يجمعها يا وغد لتنفق أنت منها سبعة عشر ألف جنيه فى لندن لاتقدم عليها حتى الساعة أقل حساب ..

أتراه كان يجمعها يا وغد لينعم النحاس باشا وحده بمرتب يتقاضاه بغير إنقطاع من سنة ١٩٣٠ إلى أن تولى رئاسة الوفد .

من أين جاء النحاس باشا بالسبعمائة الجنيه التى بذلها بين مهر وشبكة وهدية لخطيبته الأولى قبل أن يحال بينه وبين الزواج .

أى والله على هذا الغرام ومهور الزواج وعرابين الوسطاء والشفعاء ينفقون ويعيرون العقاد ثلاثين جنيها يأخذها حين تحاربه القوة فى رزقه ويرفضها حين يجد الكفاية من عمل صحفى يؤديه .

والآن ماذا يريد الوغد أن يقول بذلك الكلام الذى أزرى به وعصطفى نحاسه ولم يرتفع إلى موطىء النعال من كاتب هذه السطور .

ويقول المهتوك المفضوح[1] أننى جبان لأننى بينت المحكمة سوء المعاملة التى ألقاها فى السجن بكلام سمعه جميع الحاضرين ولا تجدى فى تحريفه رواية الأفاكين المزورين ، فماذا كان ينبغى أن أفعل ، أ كان ينبغى أن أجعل عقوبتى «الموت مرضا»

---

(١) روز اليوسف ٨ أكتوبر ١٩٣٥

بدلا من الاعتقال إلى حين ، أكانت الشجاعة أن أنكر سوء المعاملة ، وأنا مصاب من رطوبة السجن بنزلة خانقة توشك أن تتحول إلى مرض خطير ، وعلى ذكر القضية والدفاع يمنُّ على المسكين أن دافع عنى يوما كأننى لم أكن أدافع عنه كل يوم .

عباس العقاد جبان ... أما الشجاع فهو الرجل الذى كان يبكى على صورة امرأته فى مستشفى السجن وهو غير مريض .

ويقول « ما أن خرج البطل من السجن حتى ابتلع حماسته ولطف حدته » .

فهذه صحيفة مصر لم أبدأ الكتابة منها بعد خروجى من السجن إلا وقد بدأت الحملة على الاستعمار وواليت الكتابة والدعوة إلى الجهر بخطة العداء والمقاطعة ونشر الدعاية حتى اضطر الوفد إلى إعلان تلك الخطة بعد شهور ، أنه لكاذب من الصنف الرخيص لأنه كذوب ضعيف الذاكرة .

العقاد يغير رأيه مرة أخرى

ثم عاد العقاد فغير رأيه فى مكرم عبيد فكتب مقدمة كتابة المكرميات قال :

صاحب المكرميات بحق وليد تلك المدرسة العريقة فى قديمها وحديثها ، ومن عرف هذه الحقيقة يعرف لماذا يعنى صاحب المكرميات بجميع هذه المحسنات فلا تخلو خطبه أو فصل فصوله من سجع تتلوه تورية ويمتزج بها جناس هنا وطباق هناك ، ولا يزال موفقا فى اختيارها كل التوفيق حيثما ذهب طوع السليقة فى هذه الخطب والفصول .

تلك هى مدرسة الأدب الحديث التى نشأ على تراثها المجيد مكرم عبيد فى صباه فلا يسع القارىء الذى يتابع الصفحات إلا أن يرى فيها الأسلوب الطبيعى

---

(١) صدر فى عام ١٩٤٧

المقول لمن ورث ذخائر المدرسة القفائية من يوم أحتفظت بروح النثر والشعر كما صاغهما البهاء وابن مطروح والقاضى الفاضل والعماد .

فأما تفسير الشخصية فى أدب المكرميات فهو أنها من وحى رجل يجمع بين هبة الأديب ونشاط السياسى صاحب الأعمال .

فما من أديب موهوب إلا وله طريقة فى تنبيه وعيه الباطن الذى ترجع أليه جميع الهبات الفنية .

أما طريقة مكرم فى تنبيه وعيه الباطن فهى الطريقة التى توائم الأديب الذى يقرن بالأدب عملا آخر بل أعمالا أخريات .

ومن ثم كان أروع ما كتب مكرم هو ما كتبه وحى الساعة الأخيرة وهو يحسب أنه قد ضاق به الوقت أو سيضيق عن انجازه .

و كذلك نرى أن هذه المكرميات هى من ثمار الأدب المطبوع فى بابه وأسلوبه».

٣ - بين العقاد وخصومه

كان العقاد كاتب الوفد الأول منذ ١٩٢٣ إلى ١٩٣٥ كتب المقال الافتتاحى فى الصحف الوفد : البلاغ وكوكب الشرق والمؤيد الجديد ومصر والجهاد وروز اليوسف اليوميه ثم وقع الخلاف بينه وبين الوفد فى سبتمبر سنة ١٩٣٥ فتحول مع جريدة روز اليوسف عن الوفد فكان أعنف كاتب ضد الوفد ، فلذلك كانت له خصوماته العنيفة ومواقفه المتضاربة .

وقد سجلت صاحبه جريدة روز اليوسف فى مذكراتها أسباب الخلاف بين العقاد والوفد فقالت :

«يرجع هجوم العقاد على التصرفات السياسية الوفديه إلى اليوم الذى أعلن فيه موعد زواج النحاس باشا فقد كتب فى نفس اليوم الذى زف فيه النحاس باشا إلى زوجه مقالا افتتاحيا لجريدة روز اليوسف دفع به إلى المطبعة ليجمع فى الساعة الثانية عشرة تقريبا وقد حمل عنوان تلك المقاله : (عريس أم رئيس) .

وجمع عمال المطبعة سريعا مقاله العقاد إستعداداً لأن تظهر بهذا العنوان فى صدر الصفحة الأولى . وقد حاول العقاد مغادرة إدارة الجريدة فى الوقت الذى علم فيه محمود عزمى وروز اليوسف بخبر المقال فهرولا إلى غرفته متوسلين إليه أن يكتب مقالا غيره ورفض العقاد أن يحضر فقابل رفض أن ينتزع مقاله من مكانه وتستبدل به مقال آخر وإلا فإن عقده فى الجريدة يفسخ فى الحال .

ومن العجب أن جريدة يومية كبرى تطبع نسخه واحده بالروتاتيف من مقال العقاد الذى أبى أن يغادر الجريدة إلا وفى يده نسخه يقرأ منها المقال . ثم غير المقال الرئيسى بمقال آخر لمحمود عزمى » .

وكان العقاد قد ألقى فى حفل القرآن الميمون للنحاس (١٣ يوليه ١٩٣٤) قصيدة عامره نشرت فى جميع صحف الوفد استهلها يقول :

يا زعيم البلاد عنك انبئى بعض يوم وأنت خير منيب

باسم مصر أزجى تهانى مصر لأمين على اسم مصر حسيب

مصطفاها إذا دعا من دعاها واشرأبت إلى السميع المجيب

عن رعى أمة وأرشد جيلا إن رعى أسرة فغير عجيب

العقاد وهيكل

وهاجم العقاد الدكتور هيكل فى السياسه عدة مرات واتهمه بأنه من الحشاشين فى بعضها . وفى أبان حمله للعقاد على الحلبادى ودفاع السياسه عنه كتب مهاجما هيكل قال :

« مادمنا فى ذكر الكتب فاعلم إذن أن مستجدى العطف كما تستجديه الارامل هو من يسمى كتابا فى وصف باريس وما فيها باسم ولده الميت (يقصد كتاب ولدى للدكتور هيكل) ولامحل لولده الميت فى صفحة من صفحات الكتاب

ويقول لهيكل : أيها المفتون :

تذكر مصالح الوطن والمصالح الشخصية ، فلاأشرفك بالمقارنة بينى وبينك فى هذا المقام . ولا ألتفت إلى هذا اللغو الذى لاتصل إلى منه ذرة غبار ، ولكنى أقول لك لوأن العقاد كما تزعم لما امتلأت به نفسك هذا الامتلاء حتى لتسمع بالموت ولاتسمع باسم العقاد . ولما أذهلك الحسد له عن كل صواب حتى اتحسده أن يقابل فى دار عملك مقابلة الحفاوه والاكرام (وكان العقاد قدزار جريدة السياسة فى إحدى أحفالها فاستقبل بالهتاف وامتنعت السياسة عن نشر هذا الخبر).

* * *

كان هذا فى ٣ نوفبر ١٩٣١ ثم تغيرت الدنيا وترك العقاد الوفد واحتفل بتكريم هيكل فى (١٨ مارس ١٩٣٨) وأنشد العقاد قصيده فى هيكل استهلها بقوله :

يا هيكل الاداب طاف به   حجاجها وتجمعوا وفدا
لا زلت بالفاروق معتصما   وبسدة الفاروق مستندا

المقاد والهلباوى

وهاجم العقاد ابراهيم الهلباوى لأنه مجّد ذكر عبد القادر حمزه وهيكل فى حربهما مع اسماعيل صدقى ولم يذكره ، فكتب فى جريدة مصر (أول نوفبر ١٩٣١) يقول :

اسمع ، هذا . ما أنت بالذى يخفى العقاد أو يبرزه والعقاد معروف حيث لا يسمع لك بوجود . ومقروء حيثما لفظ حرف عربى تحت قبة السماء . فليس سكوتك ولااطنابك بالذى يعنينى، وليس بى أن أقومك وأردك إلى صوابك وأنت فى هذه السن التى لا تجدى منها تقويم ولا يرد منها صواب عازب . إنما يعنينى أن أؤدبك وأؤدب أمثالك وأظهر الناس على خليقتك وخلائق أمثالك ،لأن من يأنف المروءة لا يطيق أن يترك هذه الخليقة بغير جزاء وبغير إظهار ،لقد حاولت أن تحضب العقاد نكرة فى الكتابة والوطنية فابحث عن رجل واحد يلقى حسبانك هذا بغير الضحك والازدراء . فما أنت بلاقيه .

أما أنا فأسمع ما أقول فيك فلا أجد من الناس وأنت منهم إلا من ينادى صدقت . صدقت فيما تقول أقول إنك محامى دنشواى ، وأقول أنك لم تظهر إلا فى غفلة الزمان . وأقول أنك لم تصافح سعدا مجد لسعد ولا غيرة على الدستور .

بين العقاد ولطفى السيد

وفى مجال المركة السياسيه هاجم العقاد لطفى السيد هجوما عنيفا قال :

بقى الاستاذ الفيلسوف الذى لا يستقيم فى رأسه فكر والذى لم يتول عملا قط إلا كان فيه آله لمرؤسيه أو تبعا لمسخريه والذى لم يفلح قط فى عمل تولاه ولم يكن تاريخه كله الا خيبه بعد خيبه، وأضحوكة وراء أضحوكة، وإدعاء يتلوه إدعاء ،والذى أراد أن يقيم حكم ألفاشزم فى مصر ببضعة أفراد مع أن حكم ألفاشزم فى إيطاليا لم يقم إلا بأربعة أخماس الايطاليين والذى لاتعرف لماذا هو استاذ ولماذا هو فيلسوف إلا لأنهم يسمونه هذا فى صحيفة الاحرار الدستوريين ماهى كفاءة هذا الاستاذ الفيلسوف[1] أهى كفاءة عالم ، أم هى كفاء مشترع ٠

أم هى كفاءة أديب ، أم هى كفاءة نقاده ذواقه فى مختلف الفنون ٠

أيا كانت كفاءته من هذه الكفاءات فهناك أمر لاريب فيه هو أنك تضمه وزيراً وتقابل بينه وبين أى إنسان من سلك الوزراء فإذا الاستاذ الفيلسوف لامحاله هو المرجوح فى الكفاءة الوزاريه وفى ملكة الجهد والتنظيم ٠

بين العقاد والرافعى

وانتهز مصطفى صادق الرافعى خصومة العقاد مع الوفد فكتب بجريدة كوكب الشرق[2] مقالا تحت عنوان (أحمق الدولة) بدون توقيعه الصريح ورمز إليه بكلمة (كاتب ينم عليه قلمه) قال :

برز العقاد فى هذه الأيام بروز الجريمة كانت ملتبسة بالبراءة مختفية فى الشبهة ثم طاشت فألقت بأدلتها لقضائها ٠

وقد كان هذا الرجل أحمق وكنا نعرف منه ذلك ونعده كالحمق ، ولكنا الآن

---

(١) كوكب الشرق — ٦ يناير ١٩٣٠ .
(٢) كوكب الشرق ٥ أكتوبر ١٩٣٥ .

أكبرنا حمقه وأعظمنا بلاهته . إذ دل بنفسه على أنه عجيبة العجائب في هذا الباب ، وأثبت للبلاد كلها أنه الرجل الذى خلقه الله خلقة تصلح بشكلها وهيئتها ومبانيها وأوصافها ومعانيها . أن يقوم في شرح جميع معانى الحمق اللغوية وفى الدلالة عليها مقام خريطة الجغرافيا في درس الجغرافيا بحيث تجد فيه تلك الألفاظ اللغوية معانيها الحية وخصائص معانيها ونوادر خصائصها .

تقول العرب : الأوكع . هو الطويل الأحمق .

وتقول العرب : الا وره الذى به وره . هو الرجل الذى تعرف فيه أشياء من أعقل العقل . ثم تعود فتنكر منه أشياء من أسخف السخف ويكون فيه حمق يطيش به ويوبقه ،وله مع ذلك مخارج من الذكاء واللؤم والخبث يخرج بها خروج من يضلل الناس عن حقيقته .

« فما ترك العقاد أحداً يشك أنه خريطة جامعه لرسوم الحمق كلها وطرقها العظيمة وشعابها الدقيقة .

وقد بلغ الرجل من خفة العقل والطيش والتحمق والتساقط والتهور والرقاعة والمهاترة والبذاءة والدناءة بلغ من ذلك أنه لم يعد خريطة جامعة فحسب . بل أصبح بمفرده مستشفى مجانين ملتائين بكل لوثة ، مصابين بأكثر آفات الجنون وبأثقلها وأسمجها خاصة

نعم أن في البلاد أربعة من العظماء يشهدون للعقاد أنه قادر على أن ينال من ... هؤلاء : أولا : عباس محمود العقاد : وثانيا : العقاد عباس محمود : وثالثا : أمير الشعراء العقاد : ورابعا : العقاد هو العقاد .

وكتب مصطفى عبد اللطيف السحرتى تحت عنوان العقاد يهدم نفسه قال:[1]

نقدنا أدبه بميزان أمين فاذا بالعبقرية التى يصطنعها له مرضى النفوس خرافة صارخة. وأدبه ملىء بغموض الجهال وشعره صورة من نفسه الملتوية وثقافته المحدودة .

وقد زاد شعورنا خيبة عندما تورط كاتب كبير فخلع أمارة الشعر على هذا الرجل الذى ما استسغنا أدبه وشعره فى يوم من الأيام ومن يوم أمارته رأيناه جرسه الله فى مجالسه أو فى مباذلة يصغر من شأن الأدباء المصريين ، وعلى رأسهم المرحوم شوقى بك ولم يقف الأمر عند هذا بل انبرى يحقر شاعرية شيلى الشاعر الانجليزى الخالد .

وجاء دور الشاعر الهندى الصوفى تاغور فاذا به لا يراه جديراً بنقده ونقل إلينا أحد مجالسيه أنه قال أن تاغور لا يزيد فى مستواه عن تلميذ من تلاميذه .

وحمل على زعيم مصر الأوحد وعلى سياسته الحازمة . وقد كان أول من رتل المديح له ودان بزعامته .

العقاد وأحمد نجيب الهلالى

وفى مقالات مخالب القطط التى كتبها نجيب الهلالى فى جريدة المصرى تناول العقاد فى ١٩٣٨/٢/١٩ : قال :

قالت البوبيفاء الشقاء :

---

(١) كوكب الشرق — ٤ اكتوبر ١٩٣٥ .

كان العقاد يتقاضى من صاحب الجهاد سبعين جنيها شهريا كل شهر وكان مازال أعزب — ولم يك يشركه فى مسكنه سواى.

على أنه إنصافا لى وله ؛ ينبغى أن أقول : أنه كانت هناك بيناوات أخرى ، يختلف إلى قفص العقاديين آونة واخرى ، ولا تقيم بها إقامة دائمة على نحو ما كنت، وكان العقاد — والعقاد فى البخلاء وماهو فى الكرماء! — مغلولة يده إلى عنقه فيما يتعلق بنفسه وذوى قرباه مبسوطة يده كل البسط — وواعجباه — فيما يتعلق بخلانه .

وكان لا ينصرم من الشهر سبعة أيام حتى تذهب الجنيهات السبعون بدداً : فاذا ذهبت أصبح العقاد « غير مبسوطون » .

وبدأ الأخذ والرد والجذب والشد والجزر والمد فى طلب النقد والتماس القرض واستصراخ المدد ... وكان يجأر جأراً ويجاهر مجاهرة .. ويعلن على رءوس الاشهاد أن طلاب سلعته والمزايدين على بضاعة ، والمساومين على قلمه وضميره وذمته ووطنيته، يسدون عليه المسالك ويقفون له بالمرصاد وأنه مستعد أن يسحق الوفد إذا ظلت هذه طريقته فى (النقد) .

٤ - بين أمين الرافعي والعقاد

تعد معركة أمين الرافعي والعقاد من أقسى المعارك الصحفية وأشدها أثراً في تصوير مدى اضطراب القيم الأخلاقية والإنسانية في الصراع الحزبي ، فأمين الرافعي في نظر جميع المؤرخين بلا استثناء: إنسان رفيع القدر وصحفي ممتاز بالغ الايمان بفكرته ورأيه وهو من انظف الصحفيين يدا وقلما وقلبا. غير أنه بعد أن اختلف عن حق مع سعد زغلول كان لا بد أن يصيبه من قلم العقاد رشاش كثير أو قليل .

كتب أمين الرافعي موجها كلامه إلى سعد والوفد يقول (الأخبار — ٣٠ أغسطس ١٩٢٤) .

إننا لا نعرف التسليم أمام أية قوة ، بل أنتم الذى عرفتموه في مواطن كثيرة ، أنتم وزعماؤكم وقادتكم . كنتم في مقدمة الهاتفين للحماية المحتفلين بضربها على مصر ، وقد فعلتم ذلك نفاقا للانجليز أو خوفا منهم ، بينما كنا نحن في ظلمات السجون لأننا أبينا على أقلامنا التي أوقفناها على خدمة قضية الاستقلال أن تخط حرفا واحداً في سبيل الحماية المقوتة.

كنتم تمرحون في ظل الحماية وتمتدحون حكم الحماية وتستبشرون خيراً برجال الحماية بينما كنا نطوى الليل والنهار فوق الأسفلت بزنزانة سجن الاستئناف وفي معتقل درب الجماميز وبجانب المجرمين في ليمان طرة وأخيراً في زنازين السجن الأسود بالجيزة .

تحملنا كل ذلك لأننا آثرنا ظلمات السجون على ما كنتم تنعمون به من الأنوار التى نظمتها الحماية .

تحملنا كل ذلك لأن ضمائرنا أبت أن تجارى ضمائركم فى صرف الناس عن التمسك بالاستقلال وفى تهوين أمر الحماية .

فهل ثم بعد ذلك على القول بأننا أذعنا للقوة وتراخينا أمام القوة وخشينا بطش القوة .

لقد أوذينا منكم كما أوذينا من الأجنبى الغاصب فلم نتحول فى أى لحظة عن واجبنا لأننا لم نحمل لغير الله ولغير ضميرنا سلطانا علينا . أما أنتم فقد كثر من لهم سلطان عليكم ، وها أنتم اليوم تنادون بأن سلطان الانجليز يجب أن يخضع الوزارة له ويجب أن تسلم الأحزاب لحكمه لأنه سلطان قوة ..

وما دامت مصر ليس لها قوة مادية فلا مندوحة لها عن التسليم .

هذا هو السم الذى تنفثونه فى الصدور لتحاولوا تبرير ضعف الوزارة واستسلامها .

على أننا سألنا أولئك الكتاب الذين أباحوا لأنفسهم أن يحملوا راية الهزيمة التسليم دفاعاً عن الوزارة كيف تتفق تلك الدعوة الهزيمية مع شعار (الاستقلال التام أو الموت الزؤام) .

هل كان هذا الشعار مجرد أحبولة لغش الأمم والسخرية منها ، والتضليل بها حتى إذا أصبح السعديون فى كراسى الحكم بعد أن كانوا فى كراسى المعارضة دفنتم هذا الشعار كما دفنتم غيره من المبادىء وصار لا حاجة للاستقلال ولا للموت زؤاما كان أم غير زؤام .

رد العقاد : كلمة إلى أغرار الهواء (البلاغ — ١ سبتمبر ١٩٢٤)

علق العقاد على عبارة أمين الرافعى حيث قال : إن الوزارة المصرية لم تحصن

أن تستخدم قوة مصر المعنوية فى إجلاء الانجليز ولا فى اضطرارهم إلى الاعتذار عما فرط منهم فهى لذلك مقصرة فى واجبها مفرطة فى حقوق مصر » .

« إنك يا سيدى الأستاذ أمين تعتمد على القوه المعنوية أيضا ، ولذلك تتقى حجارة الغوغاء على زجاج نوافذك ولا تجاريهم بهذه القوة المعنوية إذا هجموا على دارك بل تلجأ إلى قوة الشرطة .

وإلى الآن لم تخترع يا سيدى الأستاذ أمين آلة وطنية تحول بها القوة المعنوية كما تحول قوى البخار والكهرباء . .

ليت للقوة المعنوية وزارة كوزارة الحربية فكنا نتقدم إلى الأستاذ أمين ليتولاها ويرينا كيف كان يجردها على انجلترا ، و كيف كان يحل بها قضية أربعين سنة فى أربعين ساعة أو أربعين دقيقة ، يقول الأستاذ الأمين : انتم وزعماؤكم وقادتكم كنتم فى مقدمة الهاتفين للحماية المحتفلين بضربها على مصر وقد فعلتم ذلك نفاقا للانجليز وخوفاً منهم بينما كنا نحن فى ظلمات السجون : فمن هم هؤلاء يا أستاذ ؟

إن كنت تعنى سعداً فإن سعداً قد سجن من أجل رأيه السياسى قبل أن تولد أنت على ما نظن ولم يمض عام كامل على عودته من السجن والنفى من أجل ثورته على الحماية ، وإن كنت تعنينى أنا فلقد ضاق بى بلدى فى أشد أيام الحماية وقد صودرت فى رزقى مرات وهددت فى أمنى وراحتى وعرضت لى محن كثيرة فى سبيل رأيى لم تعرض لك ولا جربت مثلها .

الأبله أمين الرافعى

وعاد العقاد إلى مهاجمة أمين الرافعى فى ١٠ أكتوبر ١٩٢٤ (البلاغ) فقال:
[والأبله أمين الرافعى ماذا يقول : يقول إن سعداً أخطأ بمحادثاته التى

أسفرت عن تصريح انجليزى أسوأ أثراً من تصريح ٢٨ فبراير ، فسياسة الانجليز التى بسطوها فى الكتاب الأبيض هى دون نتيجة الحادثات التى طالب فيها سعد بجميع حقوق البلاد . كذلك يقول هذا الأبله مع أنه يذكر قبل ذلك ببضعة سطور أن الكتاب الأبيض قد ظهر ، وان الحكومة البريطانية لم تغير موقفها العدوانى الذى وقفته حيال السودان .

هل غاية ما يريده السياسى المحنك والوطنى الغيور والمعارض المقدام ، أن يكتب هذه المطالب فى مذكرة وترسل فى البريد أو على أسلاك البرق ولا تقال لماكدونالد وجها لوجه بكلام يجرى من اللسان وتسمعه الآذان .

وإذا كتب سعد ذلك وكان جواب الانجليز عليه ما أجابوا به فى الكتاب الأبيض ، أيكون سعد حينئذ جانيا على مصر مضيعا لحقوقها أم يكون الزعيم الحكيم والوزير الحفيظ على حقوق البلاد ، لانه استملى النصيحة من أمين الرافعى وجلس تحت يديه ليوحى إليه ما يكتب وما يعمل وما يقول .

رد أمين الرافعى

الأخبار (١٤ أكتوبر ١٩٢٤)

كان جديرا به — أى العقاد — أن يعنى بدرس موضوع جليل آخر هو الانصاف ؛ فقد حمل حملة شعواء على صحيفة الحرب الأحرار لأنها كتبت مقالا تحت عنوان (إلى السفهاء) ولا ندرى لماذا اختص هذه الصحيفة بحملته دون الصحف الوزارية التى تسود أعمدتها كل يوم بجميع أنواع السب والشتم والاهانة ، هل يقرأ حضرته هذه الصحف أم أن عين الرضى لا تبصر عيوب الأصدقاء .

ومن الغريب أن عبارة (السفهاء) التى يتخذها حضرة الكاتب دليلا على أن المعارضة غير شريفة وردت منذ يومين فقط فى مقال كاتب فى أحدى صحف الوزارة

فقد كتب يخاطب المعارضين قائلا « إذن أيها السفهاء المارضون .. » فلماذا تكون كلمة السفهاء فى الصحف الوزارية نقداً شريفا ، بينما يراها حضرة الكاتب فى صحف المعارضة معارضة غير شريفة .

على أن لفظ السفهاء الذى يتقزز منه حضرة الكاتب يعد هينا جدا ونقطة صغيرة فى محيط السباب الذى يسبح فيه الآن حضرات الكتاب الوزاريين ، وإذا كان حضرته ينشد الحقيقة باخلاص فليفتح أى صحيفة وزاريه فى أى يوم وفى أى ساعة ثم ليقرأ ما فيها من أوصاف « الخيانة والمروق والإجرام وبيع الذمم والتحريض على ارتكاب الجرائم وتلويث الأيدى بالدماء وخدمة الإنجليز » وغير ذلك من الألفاظ الرشيقة والتى يستخدمها كتاب الوزارة » . ا . هـ

مسكين أمين الرافعى

× وقالت جريدة السياسة تعليقا على هذه المعارك (١٢ أبريل ١٩٢٤) : مسكين أمين الرافعى : لم تثنه تلك الهزة السعدية الهائلة عن المضى فى المطالبة بوضع أساس المفاوضات مبينا بالبرهان ما فى ذلك من اطمئنان الأمة إلى نتيجة المفاوضات بعد تلك الاحتياطات فكأن المسكين يريد أن يموت وإلا ما جازف بإمعانه فى المخالفة وآثر سخط بيت الأمة على المخالفة .

لست أدرى ما فائدة ما يقول به من تعديل الأساس وما زالت الثقة برئيس الوفد تملأ صدور الناس . وهل تخشى المفاوضات بغير التحفظات ونحن أمام « خصوم شرفاء معقولون » جلهم من السعديين المخلصين الأصليين .

* * *

وعاد العقاد إلى نشر شتائمه لأمين الرافعى عندما هاجمه عبد القادر حمزة واتهمه بأنه كان ينوى العمل فى الأخبار عام ١٩٢٤ وعلقت جريدة الجهاد على هذا الموقف فقالت :

« ذهب العقاد إلى المقبرة وأخرج منها جثمان الفقيد الكريم أمين الرافعي وراح يشبع بطنه من هذا الجثمان الطاهر نهشا وتمزيقا ؛ يقول عن المرحوم الرافعي أنه «أبله يسيل لعابه» وليس بضائر العقاد أن يقول عن أمين ما يقوله في وقت وجوده على ظهر هذه الدنيا .

ولكن ما يرتجف له ضمير الصحافة أن كاتبا كالعقاد يقع في جدال مع صاحب البلاغ فلا يدافع عن نفسه إلا إذا نبش قبر صحفي كريم طواه الردى منذ سنين وراح يشتمه ويسبه كأنه يقف أمامه في الخصومة والجدل .

وهو بعد هذا شقيق الأستاذ عبد الرحمن الرافعي الذي تطوع بالدفاع عن العقاد منذ أيام » .

٥ — بين العقاد وشوقى

احتفل فى ٣٠ إبريل ١٩٢٧ بتكريم الشاعر أحمد شوقى فى مهرجان ضخم ضم عدداً كبيرمن أعلام العالم العربى والاسلامى برئاسة سعدزغلول زعيم الأغلبية الوفديه . وفى صباح أول مايو ١٩٢٧ طلعت جريدة البلاغ بمقال افتتاحى بها فى مهاجمة شوقى بقلم العقاد تحت عنوان « تكريم النوابغ » ولطالما سجل العقاد فخره بأنه هاجم شوقى فى صحيفة سعد الذى رأس الاحتفال بتكريم شوقى .

قال العقاد : نود أن نرى تكريما كريماً لا أعلانا يشترى بالمال أو المصانعة والمجاراه .

أن لنا فى شعر شوقى وفى صاحب الشعر رأيا معروفا لا يحولنا عنه ما يحول الناقدين والكاتبين فى هذه البلاد .

أما الشعر فمجمل رأينا فى أنه لم يرتفع بنفس قارىء واحد إلى أفق فوق أفقه ولم يفتح لقارىء واحد نهجا من الأحساس أوسع من نهجه ولم يعلم أحداً كنه الحياة ولازين لأحد شيئاً من صور الحياة .

أما صاحب الشعر فمجمل رأينا فيه أننا لم نر ولن نرى ولم نسمع ولن نسمع برجل مثله نصب للتكريم فى أمة تفهم معنى الكرامة والرجولة والانظمه — على الرغم من كل شىء — يستوجب من أحد عرفاناً بحق أو تنويها بفضل فإنه هو لا يعرف حقا لإنسان ولا يطيق أن ينوه بفضل إنسان .

وحسبنا من هذا أنه لما علم فى السنة الماضية أن حافظ ومطرانا يلقيان شعراً فى الاحتفال بالمقتطف لم يشأ أن يلقى فيه قصيدة ورأى أن لايشاركه أحد من الشعراء فى ذلك المقام ؟

وها نحن نرى مطرانا وحافظا يبجلانه ويبايعانه ويعترفان بأمارته !

إنما هو الجبن لا الوفاء والضعف لا الأغضاء · خافا أن يتهما بالحسد فوقفا هذا الموقف الذى لا يرضيانه وبالغا فى الثناء مبالغة فى الهرب من ذلك الاتهام ·

ضجة التكريم من بدايتها إلى نهايتها أن هى دعاية شوقية يقوم بها الرجل لنفسه ويستخدم ماله ووسائله التى ما فتىء يستخدمها فى بث الدعاية وشراء الثناء ·

والبادئين بالدعوة إلى التكريم هم من أصحاب شوقى وزملائه فى المعيه الخديوية وممن لا علم لهم بالشعر أمثال شفيق باشا ومحمد على دولار وأمين واصف وحافظ عوض وهم قوم لا جامعة بينهم ألا أنهم زملاء شوقى فى المعيه الخديوية ويبقى بعد ذلك دليل الاجماع من الصحف المأجورة فى الترويج والتحبيذ ونفخ الزامير ودق الطبول ولو أنها ذكرت غير شوقى مره كلما ذكرت شوقى عشرا لقلنا صحف تعرف الحق وتهتم بالشعر ·

بل مالنا لا نقول أن شوقى مابرح يحتال على الصحف اليومية منذ سنة ليسكتها أو ليسير بها فى زفة التكريم والتهليل . بل مالنا لا نقول أن هذا الرجل لا يعرف الوفاء ولا يبذل من عاطفته شيئاً ألا فى غرض من أغراض الانانية والاعلان ·

لقد كرم صاحب الكوكب فى داره ثم مات لمحرر السياسة ولد فرثاه بقصيدة فهل لمحبة كان ذلك أو لحزن أو لصدق فى العزاء . كلا ، بل هو للانانية والاعلان والتمهيد ليوم التكريم .

ولو كان مثل شوقى يخلص العزاء لإنسان لعزى الأستاذ أمين الرافعى فى ولده الفقيد، وهو الذى كان يلازمه فى جريدة الأخبار والأستاذ الرافعى أحق بالعزاء لأنه رجل نكب فى ماله وفى جسمه وولده وأشرف على الشيخوخة .

ولكن شوقى لا يعرف هذا ولا يفهم ذلك المعنى من معانى الصداقة والوفاء، شوقى يعرف أن الأخبار قد احتجبت بعد إلقبوع وأن السياسة لا تزال تظهر وتقرأها القارءون فمحررها أذن يعزى بشعره ومحرر الأخبار لا يستحق الفراء، ولسنا نذكر التقلب فى السياسة ولا التذبذب بين الزعماء ولا الرياء الذى تكشف حتى صار ضرباً من الصدق الصراح فهذا كله من صفات شوقى التى بطل فيها القول واتفق فيها الانصار والخصوم، ما أهون أمة كاملة يستطيع رجل مثل شوقى أن يدارى فيها (الشمس) بورق البنكوت أو بروح الخجل من مواجهة الحقائق فى وضح النهار .

اليوم يحتفلون بشوقى فيضمون على رأس المحتفلين به أحمد شفيق باشا على ما به من جهل بالشعر والعلم وفهاهه وسخف وجمود . وقد رآه الناس أمس يتناول الورق بيسراه ويظل يشير ويضرب فى الهواء بيمناه ويلحن فى تلاوة ما كتب له أضعف اللحن واجهله .

أنا رجل أنظم الشعر وأكتب فى الأدب فيمناه بكل ما يقسم به إنسان لو أننى علمت أن ليس يقرأ شعرى ويمير أدبى ألا أناس كهذا الباشا لما قلت بيتاً ولا حفلت بكتابة .

٦ — بين توفيق دياب وخصومه

كان توفيق دياب من كبار كتاب « السياسة » جريدة الأحرار الدستوريين، وقد هاجم الوفد هجوما عنيفاً حتى غير رأيه فى ٢١ يوليه ١٩٢٨ عندما كتب فى الأهرام مقاله الشهير «من الأعماق» وهاجم فيه الأحرار الدستوريين عندما أوقفوا الدستور والحياة النيابية ثلاث سنوات قابلة للتجديد وطالبهم بأن يتركوا الحكم للأغلبية وقال :

عزيز على مصر أن تطعن فى حياتها النيابية مرتين أحداهما بيد المحتلين منذ عشرات السنين ، والآخرى اليوم بيد وزيرنا وكيل الأحرار الدستوريين (يقصد محمد محمود) وفيلسوفنا شيخ الديمقراطين (يقصد لطفى السيد) .

وكان توفيق دياب من الكتاب الدستوريين وأعنفهم على الوفد وكتابه وقد هاجم مصطفى لطفى المنفلوطى بمقال فى الأهرام (١١ أكتوبر ١٩٢١) جمل عنوانه (ثلاثون فرية فى مقال واحد) جاء فيه :

معارك الصحافة

نظرات قصيرة سطحية لا تتناول غير ظواهر الأشياء وهى عن بواطنها فى غفلة وعماية . وعبرات حاول فيها أن يكون روائيا مؤثرا مكان نادبة تبكى وتنتحب فلا يشاركها فى عويلها المملول غير النوكى الذين لا عوز لفطنتهم وغير ذوات الأمزجه السوداء من عجائز النساء .

انبرى اليوم صاحبنا إلى عالم السياسة فسود ثلاثة أعمدة فى صدر جريدة كان شرها محبوساً فى مدن الاسكندرية فإذا به قد تحول إلى العاصمة منذ عهد قريب

تحولت إلى القاهرة فبرز شرها فى لون قاتم جديد وانشر الوان تتغير بتغير الظروف انتهازا للفرص واصطياداً فى الماء الوبىء القذر ؛ ثلاثون أكذوبة لفقها أستاذنا الروائى الحزين ترمى بجملتها مخالفى سعد باشا من غير تعقل ولا روية - شأنه فيما يهجم عليه من قصص النوابغ من أهل الغرب فى نظراته وعبراته التى لو شاء لها القدر فنقلت إلى اللغات التى منها تعرب لكانت أضحوكة أهل النقد والأساطين من رجال الفن .

توفيق دياب و حافظ عوض

وهاجم توفيق دياب - (حافظ عوض) صاحب الكوكب فى جريدة السياسة (أول يناير ١٩٢٣) فقال :

ليس من الوطنية فى شىء ولا من الحكمة أن تلهو أقلامنا بأمثال حافظ عوض عن الغرض الاسمى الذى جعلناه لأنفسنا عقيدة ودينا : أن للأمة مشاغل وشؤونا هى أجل خطرا أو هى أحق بالعناية من هذا القمس المتخبط فان ذكرناه فانما نذكره فى معرض تنبيه الأمة إلى شره المخبوء حينا المفضوح أحيانا .

أما اليوم فان أمره وأمر زمرته الوزارية قد أصبح مفضوحا لا سبيل فيه إلى خديعة أو رياء فاذا ذكرت اليوم لفظ الصحافة الوزارية عرف الناس لأول وهلة أى الصحف تريد ثم تقززوا واشمأزوا لأن أناسا ممن احترفوا الصحافة كانوا يزعمون بالأمس أنهم مصريون لا يهمهم سوى مصر ، فما هو أن أضاء الحق فاذاهم ماليون تجار لا يهمهم سوى التجارة والمال .

على أنى لست على هذه الحثالة الصحفية بمسيطر وما كنت لأعرض لهم ولا انتزل فأنفق هذا المداد الطاهر فى رسم أسمائهم على هذا القرطاس الطاهر لولا أنهم يمكرون بمصر حين يبتغون المكر بنا ولولا أن بهم من الجرأة والأقدام ما لا يزال

يزين لهم أن يسمو أنفسهم رجالا يخدمون الوطن كما يخدمه الرجال ، وهذه دعوى هى غاية الخطر نخشى أن تجوز على طائفة من البسطاء فيحسبوا احسننا ماليس بالحسن وصدقا ماليس بالصدق وشريفا من طلق الشرف ثلاثا .

× وقال توفيق دياب فى الدفاع عن الأحرار الدستوريين، ومهاجمة عبدالقادر حمزة صاحب (البلاغ) فى ٩ يناير ١٩٢٣ :

« الحق أن حملة الأقلام التجارية (يقصد كتاب الوفد) قد أعيتهم الحيل فى محاربة الأحرار الدستوريين فأصبحوا لا يكتبون إلا حماقات ولغواً وأنهم ليعلمون علم اليقين أن الأحرار الدستوريين منذ تألف حزبهم وظهرت جريدتهم كانوا ومازالوا أشد الناس حرصاً على إلغاء الأحكام العرفية وإصدار الدستور .

× وعاود الهجوم فى ١٥ يناير ١٩٢٣ (السياسة) فقال :

أن هذا العنصر من الصحافة المصرية لوصمة عار فى جبين الوطن يجب أن تمحى ولا سبيل إلى محوها إلا بأعراض ذوى العبرة عنها كما يعرضون عن أبشع الرزائل والمخازى . ليس معقولا ولا جائزاً أن تنخدع أمة بأضاليل أربعة أو خمسة من أسفل تجار الوطنية المغشوشة فتظل بهم واثقة وعلى بضاعتهم مقبلة .

فكيف بأمة خدعها أولئك الأربعة فملأو الدنيا صخبا ونداء بجمعية وطنية فما إذا مضت وزارة وجاءت أخرى سخروا من الأمة قائلين :

لقد كنا نتخذ من هذا الإلحاح فى الطلب مجرد وسيلة فى ذهاب وزارة ومجيء أخرى » .

التحول إلى الوفد

ثم يلبث توفيق دياب أن تحول إلى الوفد وهاجم الأحرار الدستوريين بنفس العنف :

وفى مقال له ١٦ نوفمبر ١٩٢٩ (كوكب الشرق) يقول :

لقد انقضى عهدهم — يقصد الأحرار الدستوريين . رفعت من بين أيديهم موائد الشر ، ولكنهم مازالوا يجترونه من أجوافهم كما يفعل البعير الجائع .

لنفرض أن الوفد سيفسد الأحكام فهل دواء ذلك استعباد شخصية الملايين ليحكمها غداً فرد من أسيوط بعد أن كان يحكمها أمس زميل له من ساحل سليم ؟

لقد عرف الشعب هؤلاء الناس وهم من مصر بمثابة الوبر الواهن والظفر المقلوم من جسم الأسد .

أن المصريين قد عرفوا هذه الطفيليات بالأمس وهم سيعرفونها غدا . أنهم نفوا هذه الطفيليات من جسمهم .

وقد ظنت الأمة أن العبرة الأخيرة قد نفعت الدكتاتور الزائل ومن يأخذون أخذه ويجرون على سنته .

أن لهم أن يلهوا ولكن ليلعبوا بالنرد والشطرنج وكرة القدم .

فأما أن يلعبوا بمصير الأمة ويتخذونها كرة يقذفها صولجان الدستوريين مرة وصولجان الاتحاديين مرة أخرى فكلا ألف كلا » .

٣ ـ تناقض الـكتاب

لعل أبرز مايلاحظ الباحث فى تاريخ الصحافة المصرية فى فترة مابين الحربين هو ذلك التناقض فى الرأى والتنقل بين صفوف الأحزاب .

× توفيق دياب من الأحرار الدستوريين إلى الوفد

× طه حسين من الأحرار الدستوريين إلى الوفد

× عبد القادر حمزة من الوفد إلى خصوم الوفد

× عباس العقاد من الوفد إلى خصوم الوفد

١ — تناقض العقاد

أراء العقاد فى دوره الأول

رأى العقاد فى الوفد

«نحن نقرر الحقيقة لأمراء فيها حين نقول أن الأمة وفدية على بكره أبيها إلا أفراد قلائل صدمتهم على سبيل الاجتماع مآرب النفوس وحذاذات الصدور . أن خصوم الوفد ليعلمون هذه الحقيقة كما نعلمها ويؤمنون بصدقها أشد من إيمان بعض الوفديين بها»[١]

إن مصر كلها وفدية وستظل وفدية مادامت لها قضية وطنية ومادام لأهلها أمل فى الحرية[٢] .

النحاس ومحمد محمود (٣)

كان النحاس محاميا ناجحا ذائع الصيت مشهوداً له بين المحامين والقضاة حتى اختارته وزارة الحقانية لوظيفة القضاء إعترافا بذلك الفضل الذى لم يعرف إلا القليلين ولما تولى القضاء كانت أحكامه مضرب المثل فى الدقة والعدل ودلائل العلم بالقانون .

محمد محمود ولى الوظائف الادارية فدل على طبيعة فيه لا تنسى العصبية وعقل لا يفقه روح الحكم الحديث فى هذه العصور ، وكانت قضية التعذيب فى إقليم البحيره وصمة بل جريمة كادت أن تلقى به فى السجن .

ولم يتولى الوظائف بكفاءته كما ولى النحاس باشا بل كانت الوظيفة مكافأة لأبيه على علاقته بالمحتلين ، وأعصابه لأمير البلاد . ولم يكن عنده من حسن

---

(١) ١٢ مارس ١٩٢٥ — البلاغ
(٢) ١٢ أغسطس ١٩٣٢ — الجهاد
(٣) ٤ يناير ١٩٣٠ — كوكب الشرق

الكياسة مايستبقى به المكافأة لولارعاية الانجليز لأبيه . وقالوا تعلم فى أكسفورد قلنا ماذا تعلم فى أكسفورد ، قالوا أنه تعلم الاقتصاد والتاريخ الحديث أو حضر دروسا ولكننا لم نعرف له أثر واحداً بل لم نسمع له كلة واحدة ولا حرفا واحداً يدل على علم بالاقتصاد أو اطلاع على التاريخ .

النحاس باشا أحبط مكيدة اللورد لويد وقطع حجته وكشف غرضه وسلك المسلك الوحيد الذى يمكنه من الحكم ووزن الأمور، أما محمد محمود فما كان عمله فى الوزارة إلاعمل الآلة التى يشترك فى إدارتها اللورد لويد واطنى السيد وحافظ عفيفى ومحمود عبد الرازق وكل من أملى عليه خطه .

ولا نعرض للاخلاق والكرامة الوطنية فإن الوفد بين الرجل المحبوب الموثوق به والرجل المحقوق المحتقر لأبعد وأكبر من أن يقاس عليه وأن الفرق بين مهانه محمد محمود باشا فى انتظاره رحمة خصومه وبين عزة مصطفى النحاس باشا فى جميع مواقفه لمن أعظم الفوارق بين النقيضين ،وأن الفرق بين من توليه الأمة ومن يوليه غاصب الأمة لهدم دستور الأمة واستغلال الأمة لهو البون الذى لا يسبر غوره ولا يدرك مداه »

محمد محمود والأحرار الدستوريين(١)

بقلم عباس العقاد

«هل يذكر هذا المتل لنفسه أو يذكر له غيره موقفا واحداً يدل على نخوة أو تضحيه بمصلحة . لا موقف له ولا شبه موقف . وكل حياته أن هى الا مداورة حيث تدور المصلحه من اليمين إلى الشمال ومن الشمال إلى اليمين . فلما كان كرومر يحميه كان يسىء الأدب فى حق أمير البلاد . ولما خرج كرومر من مصر أسرع فاستقال من حزب الأمة ولما طرده الانجليز من وظائف الاداره وقع مكرها فى أحضان الوفد المصرى .

(١) المؤيد الجديد — أول أكتوبر ١٩٣٠

ولما شجر الخلاف فى الوفد ، ولاحت بوادر الوظيفة فى جانب آخر أسرع إلى ذلك الجانب وادعى على زعيمه ورئيسه وما ادعاه فى ذلك الحين .

ولما نبذه حزبه ويئس من الوظيفة عاد مرة أخرى ليترامى فى أحضان الائتلاف ولما أومأ إليه جورج لويد بالمنصب خرج على الائتلاف ونقض الدستور وقوض البرلمان .

ولما انصرف جورج لويد رجع مره أخرى يحمل غصن الزيتون ويطمع فى الائتلاف وسيعيش هكذا طول عمره ، هو هو ، مثل حزبهم الذى يذكرون جلافته كلما أرادوا أن يذكروا الصلابه والاباء .

إنما هؤلاء عصابة يطلبون الحكم لأنهم يطلبون المصالح لا أكثر ولا أقل . إن الاحرار الدستوريون لاعمل لهم إلا هدم الحرية والدستور .»

الوفد والحكم

× الحكم حق للوفد[1] . بل الحكم واجب على الوفد لأن تخلى الوفد عن الحكم معناه التخلى عن تكاليف الدستور . معناه الغاء وجود البرلمان . معناه تسليم البلاد إلى نوع من الحكم الناشز الذى تبتلى به كلما تعطلت الحكومة النيابية وصار الأمر إلى دعاة الرجعية والاستبداد وخدام الذفعية والاستعمار .

بضاعة الوفد ردت إليه بل بضاعة الأمة ردت إليها ، فاليوم تنال الأمة حقها لأنها مصدر جميع السلطات وتؤدى الوزاره الدستورية واجبها لأنها وزارة المطالبة بالحقوق والقيام بالواجبات .

× زعامة[2] النحاس باشا هى القضية المصرية كلمة كلمه وحرف بحرف نعم ولا مبالغة ولا ظل من المبالغة فيما نقول ، فإن تأييد الأمة لزعيمها فى وجه

---

(١) كوكب الشرق ٣/١/١٩٣٠ (٢) ٢٢/٢/١٩٣٢

الدسائس الخفية التى تحاك له ، إنما هو تأييد للقضية المصرية . لقد أيدنا رئيسنا الأمين فى مواقفه الصريحة الحكيمة كما أيدته مصر بأسرها لأننا نظرنا إلى دعاوى الانجليز فى زعامته وزعامة سعد من قبله .

مسألة الاستقلال ومسألة الدستور ومسألة الثقة بالنفس والغيرة على الكرامة .

٢ — آراء العقاد فى الوفد بعد تحوله عنه

لبث سعد فى ميدان النهضة الوطنية تسع سنوات ثم انتقل من عالم الحياة إلى عالم الخلود فلولا أن الوفد كان هيئة لابد لها من رئيس لما خطر لاحد من المصريين أن يجعل مصطفى النحاس خليفة لسعد زغلول ولااستحال على زملائه أنفسهم أن يتفقوا على اختياره لذلك المقام .

لو سألت فى السنوات الاخيرات ماذا أبقى الزعامة لمصطفى النحاس لما علمت لذلك من سبب إلا أنه تكفل بتسهيل الوطنية المصرية فجعلها من أهون الواجبات بعد أن كان السر فى اختيار سعد والاجماع على اختياره إن المصريين قد أرادوا أخطر الرجال لاخطر الاعمال[1]

ماذا يكون مصير دستورنا إذا استبد مصطفى النحاس وماذا له لايستبد فقال لا : أما أنا فاستبد ويستبد معى أذنابى وأتباعى وأصهارى ومن أشاء ، وإما أنتم فإن رضيتم فذلك شأنكم ، وإن لم ترضوا فاغضبوا ما بدا لكم وانظروا كيف يدوم الدستور[2]

× اليوم ينفضي عن الوفد جميع أبناء الجيل الجديد بغير استثناء فرد واحد لأن الأفراد القلائل الذين يحومون حول الوفد من أبناء هذا الجيل لايوالونه حبا ولا اعتقادا ولا غيرة على مبدأ من المبادىء ، ولكنهم يوالونه لأنهم أبناء هذا

---

(١) البلاغ : ١٩٣٧/١١/١٣

(٢) البلاغ ١٩٣٧/١١/٦

أو أقرباء ذاك، فإذا قلنا أن الجيل الجديد كله يحارب الوفد بغير استثناء فتلك هى الحقيقة التى لا مبالغة فيها أو هى تلك الحقيقة التى تدل على حقائق كثيرة بعيدة الغور متشعبة الاطراف .

رأيه فى النحاس

وصور العقاد رأيه الجديد عن النحاس (البلاغ ١٩ أغسطس ١٩٣٧) .

أن صاحب المقام الرفيع أعظم رؤساء الوزارات المصريين ربحا وأقلهم خسارة باشتغاله بالسياسه دون إستثناء واحد من أولئك الرؤساء فى القديم أو الحديث أو بين الأحياء والأموات .

فالنحاس باشا كان قاضيا من الدرجة الأولى أو الثانية فى أيام الثورة الوطنية فأصبح وزيرا بعد بضع سنوات وأصبح رئيس وزارة بعد بضع سنوات أخرى ولا نعلم رئيس وزارة وثب هذه الوثبة فى سلم الترقية منذ كانت فى هذا البلد وزارات ومصطفى النحاس تولى الوزارة أربع مرات وليس بين الأحياء من تولاها أكثر من مرة واحدة ماعدا توفيق نسيم ؟ ومصطفى النحاس قد نشأ فى بيت من الطبقة المتوسطة الفقيرة فى بلاد الريف ثم وثب من هذا البيت إلى أعلى المقامات الحكومية . أما رؤساء الوزارات الآخرون فجميعهم بلا إستثناء لم يثبوا هذه الوثبة ولم يصعدوا هذا الصعود لأنهم كانوا أبناء باشوات أو سروات ولدوا فى بيئة الحكم والثراء .

والنحاس باشا قد أنفق فى شئونه الخاصة ما لا يقل عن نفقات الوزراء الآخرين ، وانفق فى الدعاية السياسة مالا يقل عما أنفقوه . وعاش فى دعة لا تقل عن الدعة التى عاشوا فيها وزاد عليهم بالتصفيق والتهليل والتمجيد والتبجيل باسم التضحية واسم البلاد فى ميدان الوطن .

أى خطوة [1] من خطواته لا يولها اشتهاء المنصب والاستماتة فيه . وأى أمر أقدم عليه منذ جرت مفاوضة بين المصريين والانجليز لم تكن الغاية منها حب المنصب او الاتجاه اليه ، نادى بمشروع ملنر وغضب من ناقديه لأنه كان يطمع فى دخول الوزارة التى تتألف على أساس المشروع ، ثم انحى باللائمة على مشروع ملنر وانقلب عليه لانه يأس من دخول الوزارة مع الداخلين .

وبقى مع سعد لأنه موظف فى الوفد يتقاضى مرتبا شهريا أكبر من مرتب الوظيفة .

واستبسل فى رفض المعاهدة بين تشمبرلن و ثروت لأن الرفض طريقة إلى رئاسة الوزارة .

واستبسل فى رفض المعاهدة بين هندرس ومحمد محمود لأن الرفض طريقه مرة أخرى إلى رئاسة الوزارة .

واستبسل فى قبول المعاهدة الأخيرة لأن القبول طريقه إلى رئاسة الوزارة .

* * *

وقال العقاد فى رثاء محمد محمود بعد وفاته فى (١/٢/١٩٤٢) .

جدد العهد بعد عام محمـــد ... تلك ذكرى على المدى تتجدد

خلق لا يزال قدوه جيـــل ... بعد جيل أخلق به أن يخلد

بل طراز من المـــكارم باق ... كلما عـــده الكرام تعدد

ويمكن مقارنة هذا الشعر بما ذكره العقاد من مثالب محمد محمود

(١) البلاغ فى ٣١/١٢/١٩٣٢ .

تناقض توفيق دياب

كان توفيق دياب حراً دستورياً ثم تحول إلى الوفد ٠ وهنا نسجل رأيه فى سعد زغلول فى المرتين ٠

[رأيه فى سعد (١٢ سبتمبر ١٩٢١) و ١٥ سبتمبر ١٩٢١] .

— بلاد تفانت فى محبة رجل فكان جديرا بالرجل أن يتفانى فى محبتها ٠ عاطفة شفافة أحس بها الشعب نحو سعد فكان خليقا به أن يشعر بعاطفة الابوة نحو الشعب . لو حرص سعد باشاعلى وحدتنا ٠ ما أتممنا فلقد كان تحت لواء يوم عودته التاريخية أمه بأسرها .

وكان جديرا بذلك اليوم العظيم المشهود أن يمحو من نفسه كل اعتبار سوى التضامن والوحدة وأن يفهم حب المالى لمصر حبا تصغر معه كل غاية ، سوى غاية القومية الكبرى .

— أحدثت مظاهر الاجلال التى فوجىء بها سعد باشا يوم عودته أثرا فى نفسه غير محمود .

فوجىء بها إذا لم يكن يدور بخلده من قبل ان كان من الأمة ما كان حين مقدمه ، انه بالغ من نفوس قومه تلك المكانة الشماء ، أحدثت فى نفسه أثرا غير محمود إذ كان خليقا بتلك المظاهر أن تلين كل قلب مهما قسا فتفجره عيونا فياضة بنبل العواطف من نسيان الذات وذكرى للوطن .

ولكن فؤاد سعد مالان ولا تفجرت منه تلك العيون على أن ذلك النزوع إلى التفرد بأمر أمه مستسلمة عيب فى النفس الشرقية قديم فكم فى صحف التاريخ عتيقة بل وحديثه من أقاصيص رجال ملكتهم اممهم قيادهم ٠ الخ الخ

رأيه الثانى فى سعد

وهذا رأيه بعد تحوله وفديا (الجهاد ٢٤ أغسطس ١٩٣٤) .

«عاش بيننا عشرات من السنين لكنها لا تبلغ من امتداد الدهر سوى مبلغ النبضة الواحدة من نبضات القلب فى مائة عام .

لكن حياة سعد من تاريخ مصر كانت نبضة شديدة الحرارة شديدة الالتماع كومضة البرق الخاطف بين أطباق السحاب ، وما هى الا كنفثة ساحر وحاشاه، أو كمعجزة رسول حتى استحالت نبضة الحياة العظيمة ، حياة سعد ، استحالت حرارة سارية فى امة كاملة ونوراً وضاء فى وطن بأسره . نعم انطفأ الثقاب فى ظاهر الأمر ولكن بعد ان انتقلت حرارته وانتقل ضوءه إلى الملايين وما زال سر سعد يزداد فى المصريين قوة وشمولا حتى ليتشرف بذكره اليوم من خصومه من كان ينكره بالأمس حيا .

فان يكن سعد كان زعيم مصر فى حياته فهو بعد وفاته ذخرها المقيم وروح قضيتها الكبرى يستلهم خليفته بعد الله سداد الخطى ويستمد منه بعد الله قوة على قوة وثباتا فى ميدان الجهاد على ثبات .

٣ — تناقض طه حسين

كان طه حسين فى أول الأمر دستوريا ثم اتحاديا ثم عاد دستوريا مرة أخرى حتى تحول وفدياً ١٩٣٣ وهذا رأيه فى المرحلة الأولى فى الوفد .

١ — فى جريدة السياسة لسان حال الأحرار الدستوريين .

كل[1] شيء فى حياة سعد باشا العملية أو الكلامية منذ سنتين يدل على أن معاليه يمتاز بالتناقض المنيف الصريح فيما يقول وفيما يعمل ، أقوال متناقضة يهدم بعضها بعضا . وبين أعماله وأقواله تناقض ليس إلى فهمه من سبيل . وسواء أكان هذا خلقاً من أخلاق الزعماء أم لم يكن فهو فى نفسه شر ، شر لأنه تناقض يقع من رجل له أتباع وأنصار يتأثرونه ويتخذونه قدوة فيما يعملون وفيما يقولون وفيما يفكرون فيتناقضون فى القول والعمل والتفكير كما يتناقض .

والدستور ينكره معالى سعد باشا وراء مضيعا لسلطة الأمة وحقوق الأمة ولكنه فى الوقت نفسه يقبل هذا الدستور ويتخذه أساسا لحياته السياسية المقبلة وينسى أو يتناسى الجمعية الوطنية التى ألح فيها وحرص عليها .

٢ — فى جريدة الاتحاد لسان حال الملك فؤاد .

« السعديون طوال الأمل ، لا ينتهون من الرجاء إلى حد ولا يثنيهم عما يريدون حائل مهما يكن . هم طوال الأمل ومن طال أمله طال لسانه ، إذن فهم طوال الألسنة يأملون فيقولون ، ولكنهم قصار الذاكرة ينسون أو يتكلفون النسيان فى سرعة مدهشة . ومن قصرت ذاكرته قصر تفكيره[2] .

---

(١) السياسة — ٢٨ سبتمبر ١٩٢٣

(٢) الاتحاد — ١٠ فبراير ١٩٢٥

× مساكين سعد وأصحاب سعد . مساكين لأنهم يدورون فى دائرة عرفها الناس ، وأصبحوا لا يخفى عليهم من أمرهـا شىء ، مساكين لأنهم لا يعرضون لفن من فنون الحيلة إلا سمعوا الناس يصيحون بهم من كل وجه : لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ؛هم الآن يلجأون إلى القصر ويفزعون إلى صاحبه ويسرفون فى التفزع والتماس القوت ، وهم قد فعلوا ذلك من قبل ، فعلوه حين كان سعد يرسل إلى القصر تلك الرسائل الوقحة يشكوا منها سطوة الوزارة وعسفها .

× يجب أن يكون سعد قد انتهى من الضعف السياسى إلى حد لم يعهده من قبل ، فقد عرفناه خطيباً جريئاً مسرفاً فى الجرأة يبلغ بها التهور فى أكثر الأحايين. أى أن يقول ما يفعل وما لم يفعل .

ويعد وهو يضمر ألا يبر ، ويعاهد وهو يقدر نكث العهد . وقد يكون سعد نكبة على أمته ولقد يكون سعد مصدر شقاء ومحنة لبلده ولقد يكون سعد مفسد على هذه الأمة جهودها وآمالها وأعمالها[1] .

× الزعيم يلعب، نعم يلعب بآرائه وعقائده ، يلعب بأنصاره وسامعيه ، يلعب بنفسه أيضاً[2] .

× أمثال سعد يظهرون فى أول عهد الأمم بالنهوض وفى آخر عهد الأمم بالحياة الحرة ، ونحن حديثو عهد بالحرية فليس غريبا أن يظهر فينا سعد وليس غريبا أن ينتفع سعد بحداثة عهدنا بالحرية فيغوى ويغرى ويفسدويضلل ويستهوى العقول ويخلب الألباب[3] .

---

(١) مارس ١٩٢٥ — الاتحاد

(٢) ٦ مارس ١٩٢٥ — الاتحاد

(٣) ٧ مارس ١٩٢٥ — الاتحاد

* نزلت بمصر النازلة وأقبل سعد وأصحابه إلى الحكم فنامت الجامعة واجترأ سعد على أن يعلن فى مجلس النواب وقد كان رئيس الجامعة حين أنشئت فباعها للانجليز ، وعاد إلى رئاستها أثناء الحرب ، أخيراً على أن يعلن أنه لا يفهم الجامعة ، ولكن الذى أنقذ الجامعة من سعد حين باعها من الانجليز أنقذها أيضاً من سعد حين أراد أن يضحى بها فى سبيل الشهوات السياسية إنما هو صاحب الجلالة الذى أنقذها مرتين . وإذا كان هناك من يزعم بإنشاء هذه الجامعة فإنما هو سعد الذى حاول قتلها مرتين . فليسجل التاريخ إنشاء الجامعة لجلالة الملك فؤاد الأول كما سجل له من قبل إعلان الاستقلال وتشييد الدستور .

* لواء الثورة : هذا هو اللواء الذى رفعه سعد وأصحابه منذ [illegible] يدعون الناس إلى أن يجتمعوا حوله ويستظلوا بظله ، وإذا كان هناك لواء يجب أن يمزق فإنما هو هذا اللواء فتؤمن الحكومة الناس من سعد ، وليشعر كافة الناس أنهم يستطيعون أن يكونوا النظام دون حاجة من سعد(1)

* ليس سعد رجل ثورة وليس هو رجل حدث وإنما هو [illegible] [illegible] مشغوف بقوى أن يضعف خصمه ، ويخشى أن يقوى خصمه وما كانت ثورته وكان استئثاره بالنفوس وتسلطه على جمهور الناس إلا أثراً لهذه الزعامة الخطابية التى وقفها منه خصومه فى أطوار حياته السياسية كلها(2).

* لو أن سعداً آثر الصدق والإخلاص على الشعوذة والتضليل لوصل إلى ما كان يطمع فيه من مجد دون أن يتعرض لهذا السقوط .

---

(1) ١٧ مارس ٢٩٢٥ — الاتحاد
(2) ٢١ مارس ١٩٢٥ — الاتحاد

٣ — آراء طه حسين فى مرحلة الوفد

* رحم الله سعداً ؛ لقد أيقظ مصر ثم عاهدها على أن سيحول بينها وبين النوم عن الحق ، ولقد وفى لها بعهده حياً وهو يوفى لها بعهده ميتاً ، ولقد جعل نفسه وجعل أمته غصة المستعمرين إلا أن يعترفوا بالحق لأصحاب الحق ويؤمنوا بالاستقلال لهؤلاء الذين أقسموا ورأوا إن لن يرضوا إلا بالاستقلال(١) .

* ليس الوفد اسما ولا لفظا ، وإنما الوفد قوة حقيقية قائمة يستطيع كل إنسان أن ينظر إليها وإن يمتحنها وإن يحقق فيها النظر ويلح عليها بالامتحان . وهذه القوة لا تقوم على الخيال ولا تعتمد على الوهم ، وإنما يقوم على الناس الذين يكونونها ويجعلونها حقيقة واقعة ملموسة تراها كل عين وتلمسها كل يد وتقض بها وزارة لا تريد أن تعمل لمصر ولمصر وحدها .

هذه القوة مكونة من هذه الملايين التى تؤلف الكثرة العظمى لهذا الشعب الكريم . هذه هى القوة التى تحيل الوفد وفداً والتى تبيح للوفد أن يسمى نفسه وفدا ، والتى تمكن الوفد من أن يتخذ لنفسه من السياسة خطة ينفذها ومن أن يرى خطة أخرى لا تلائم رأيه ومبدأه فيصد عنها وينفر منها لأنه يعلم أن حق العلم أنه مؤيد بهذه الملايين حين يدع من السياسة ما يدع من الأمر وأنه معرب عن آمال هذه الملايين ومثلها العليا حين يسمى الاستقلال ويجد فى تحقيقه وانه ناطق بلسان هذه الملايين ، حين يقول فى السياسة نعم وحين يقول فى السياسة لا(٢) .

* أما أقصى الصعيد فيقظان شديد اليقظة متحرك عنيف الحركة هائج عظيم الهياج

---

(١) كوكب الشرق — ٢٤ أغسطس ١٩٣٣

(٢) ٢٩ أبريل ١٩٣٣ — كوكب الشرق

يشترك في يقظة وحركة وهياج ضميره وشعوره وقلبه وحواسه الظاهرة جميعا . لأن زعيمين من زعماء الشعب قدسميا إليه يزورانه ويجددان العهد به : هما صاحب الدولة الرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد والأستاذ الكبير مكرم عبيد[1]

*[2] ماذا بعد ثلاثة أعوام لاتشرق الشمس فيها إلا على دولة مسلطة ولا تعرف الشمس فيها إلا عن مكر مدبر وكيد مهيأ تظل الأمة كما كانت يوم نهض رئيس الوزراء ليبدل حياة بحياة ونظاماً بنظام ، فيم كل هذا ما دام الرئيس الجليل لايستطيع أن ينتقل إلا التفت حوله الأمة كلها كأول يوم ألفت فيه الوزارة ولا يستطيع أن يدعو إلا استجابت له الأمة كلها كأول يوم ألفت فيه الوزارة .

---

(١) كوكب الشرق ٢٠ مارس ١٩٣٣ (٢) كوكب الشرق ٢٥/٣/١٩٣٣

٣ـ طه حسين بين حزبي الأحرار والوفد

حافظ عوض وطه حسين

كان حافظ عوض هو أول من شهر أعنف حملة على طه حسين بمناسبة صدور كتابة الشعر الجاهلي عام ١٩٢٦ وأفسح لمقالات ضخمة رنانة كتبها مصطفى صادق الرافعي وفريد وجدى وعشرات من علماء الأزهر .

وقد هاجم طه حسين أكثر من مرة فقال عنه مرة : « ماذا تكون نتيجة الكتاب الجديد بعد أن ثار حوله في البرلمان ما ثار واشتعلت بسببه النار » .

وقال في إفتتاحية الكوكب (١٦ يوليه ١٩٢٦) .

ما هو هذا الشيخ طه حسين الذي يقول أنه يؤمن بالله واليوم الآخر ، وأن الاسلام دينه ، في الثورة التي يحاول إضرام نارها ضد التعليم الديني في بلد نص الدستور على أن دين حكومته الاسلام ، على مجرد إعترافه بالله والرسول واليوم الآخر عاصم من الاشتباه في عقيدته كلما عن لمحاربة دين الله .

إذا شئت أن تعرف إلى أي مدى أسرف الشيخ طه حسين في الحملة على الدين ورجاله فاعلم أنه وصف الشيوخ جميعا بلا إستثناء بالجمود وحث على إستئصال هذا الجمود ووقاية الأجيال الحاضرة والمقبلة من شره .

ثم يريدنا الشيخ طه بعد هذا كله أن نعتقد أنه مسلم ، لو كان الشيخ طه حسين مسلما حقا كما يرى لما سوغ لنفسه أن يقول بأن الدين عقبة كأداء في طريق العلم .

وليس بدعا أن نرى هذا الشيخ يستأنف الحملة على الدين ورجاله بعد أن شن على الدين الغارة في كتابه (في الشعر الجاهلي) ا . هـ

ثم عاد حافظ عوض وقد تحول طه حسين من كاتب لحزب الأحرار الدستوريين إلى كاتب للوفد يقدمه فى جريدة (كوكب الشرق) نفسها فى صفحة كاملة يوم ٨ مارس ١٩٣٣ تحت عنوان :

طه حسين : إلمامه صديق عليم

« حدث سياسى حقا قمين بأن نحفل له إيما حفل ، وخليق بأن نؤبه به لجد خطورته وبليغ أثره فى الصحافة المصرية ، ذلك أن طه حسين يشترك بقلمه الفياض وإيمانه الفياض وعقله الفياض فى الصحافة المصرية ، فى السياسة المصرية ، فى الأزمة المصرية الحالية .

إنى لا أجد تعبيراً أبلغ إنطباقا على طه حسين من قول مكرم « ومن عجب أن يأخذ بعض الناس على توفيق دياب أنه أصبح وفديا مع أن الوفدية كانت مصيرة المحتوم . بل أنه كان وفديا بطبعه فى الوقت الذى كان يتحمس فيه لمحاربة الوفد بقلمه . فالوفدية والحماسة الوطنية صنوان لا يفترقان حتى يجتمعا .

لقد كان طه حسين فى جميع مراحله فى الصحافة لا ينشد من وراء كتاباته كلها إلا ما يراه متفقا والمصلحة الحقيقية بحافز صادق إيمانه الفياض المرسل كاسمه إرسالا والمنطلق بوجدانه المترع حساسية وشعوراً وبعاطفته النبيلة .

وحاشاى أن أحدثكم عن أسلوبه الجاحظى وعن ذهنيته الجبارة وانتقاداته التى تعيد عهد الاسكافى ...

كم أود أن أذكر لكم مبلغ تعلقه بالقرآن الكريم وتذوقه لأسلوب القرآن وإجلاله لكل ما يتصل بالقرآن . »

ورأى طه حسين فى العقاد والوفد

وكان طه حسين قد أبدى رأيه فى العقاد والوفد سنة ١٩٢٤ فى جريدة السياسة فقال :

«أنا أمقت المذهب السياسي للأستاذ عباس العقاد مقتا شديداً وازدريه إزدراء لأحد له . ولا أقرأ للأستاذ العقاد فصلا من الفصول السياسية فى البلاغ ولولا أن هذه الفصول جمت فى كتاب وانفصلت عن هذا السخف السياسى المنكر الذى ينشره فى هذه الصحيفة لما قرأتها ولا نظرت فيها (يقصد كتاب مطالعات فى الأدب والحياة للعقاد وكان نشره فصولا مفرقة فى البلاغ) .

ثم عاد طه حسين سنة ١٩٣٣ فكتب فى كوكب الشرق يقول عن الوفد :

« ليس الوفد إسما ولا لفظا ، وإنما الوفد قوة حقيقية قائمة يستطيع كل إنسان أن ينظر إليها وأن يمتحنها ، هذه القوة لا تقوم على الخيال ولا تعتمد على الوهم ، هذه القوة مكونة من هذه الملايين التى تؤلف الكثيرة العظمى لهذا الشعب الكريم .

تحول طه حسين إلى الوفد فى نظر الأحزاب

كان تحول طه حسين المرة الثالثة إلى الوفد حدثا أثار الصحف الحزبية جميعا نظراً لماضيه فى خدمة الأحرار الدستوريين وحزب الاتحاد[1] .

رأى جريدة الشعب

نحن يسرنا أن يرزق الكوكب التوفيق وأن يتاح لها الحياة دون الاعتماد على أية معونه من أية جهة من الجهات .

الكوكب تعلق الأمال الكبار على إشتراك الدكتور طه فى تحريرها ويعد ذلك فتحا عظيما .

سؤال لابد منه : أنه كان بين الدكتور طه وصاحب الكوكب خلف فى الرأى وخلف فى المذهب وكان كل يهزأ بصاحبه ويسخر منه حتى كان صاحب الكوكب

---

(١) الشعب ٨ مارس ١٩٣٣ .

إممانا فى هذا وذاك لا يدعو الدكتور طه الذى يشدو الآن عقاقبه إلا بالشيخ بقدونس والشيخ سلاطه .

وكان هذا لا يجد فى السخر منه أبلغ من إهماله وإغفاله لأنه يرى نفسه أكبر من أن يتدلى إلى مجاراته .

فهل هوى الدكتور طه إلى تيارات الكوكب وصاحبه وطاب له ذلك الهوى ولذ له الانحدار أو ترى الكوكب صعد إلى حيث كان يرى الدكتور لنفسه ولرأيه ولمذهبه .

× لقد كان لجريدة كوكب الشرق قبل أن يشرف على تحريرها الدكتور طه حسين شخصية وكانت شخصية الكوكب أن لا شخصية لها فهى وإن كانت كأخواتها الوفديات جريدة تهويش وتضليل إلا أنها كانت تشذ أحيانا فتخرج على الناس بعبارات تغضب الوفد .

ولكن الدكتور طه رجل يريد أن يظهر فى مظهر الجاد حينما يقول :

وإن كان قد اختار لنفسه أسلوبا تهكميا لايدرى متى يحس صاحبه رأى الناس فيه .

لهذا تساءل قوم يوم علموا أن الدكتور طه سيتولى تحرير الكوكب : ترى قد ارتفع الكوكب إلى مستوى استاذ الجامعة أم تدلى هذا الاستاذ إلى مستوى الكوكب الآفل .

واليوم مر بخاطر القراء سؤال آخر :

ترى هل تغيرت شخصية كوكب الشرق بانضمام الدكتور طه ، أن شخصية الكوكب لم تتغير ويكفى أن يكون الدكتور طه هو الذى يكتب اليوم بلغة كوكب

الشرق . ويكفى أن يقرأ ما يكتب تحت عنواناته المروفة ليحكم أن شخصية كوكب الشرق لاتزال هى هى « الاشخصية لها »[1].

رأى الاتحاد

«استقبل الدكتور طه عهده الوفدى بمقال فى جريدة كوكب الشرق عاهد فية قراءه أنه سيكون عند ظنهم منه من الصراحة والجهر بالحق ، ونحن نعاهد الدكتور طه على أننا لن نرى فيما يكتبه فى عهده الوفدى إلا أنه رجل موتور يريد أن يشفى غيظه وينفث سموم أحقاده ، وإلا أنه طالب قوت ، يلتمسه فى الجامعة فإن استعصى عليه فليطلع فى مناصرة أصحابه الأحرار الدستوريين فإن المعروف عندهم فلا بأس أن ينضم إلى صفوف خصومهم ولا بأس أن يكون وفديا إسما ولحما ودما . وأن يكون ذنبا للنحاس باشا ومجاهده الكبير .

ولكننا نسأل أنفسنا : كيف يستطيع الدكتور طه حسين أن يحلل اليوم ما حرمه الامس . وكيف يجعل الأبيض أسود .

الحر الدستورى سابقا ، الوفدى الصميم فى الآونة الحاضرة .

ولا يطيل جدال الدكتور طه حسين فى معنى الكرامه وتعريف حدودها وأوضاعها ، ذلك أن الدكتور طه حسين ماضيا يكرهنا على أن نقف فى حديثه موقف الحيطه والحذر ، ويحسبنا من هذا الماضى أن نذكره بأنه كان يتقاضى مرتبه من الجامعة وهو يقول أنه مسلم مؤمن بالله وكتبه ورسله واليوم الاخر ، ولكنه لم ير مما تأباه الكرامه يزعم بين طلبة الجامعة أن قصه إبراهيم وإسماعيل من القصص الموضوعة : تلك صورة عاجلة من صور الكرامه وثمة صورة أخرى ، لاعلاقة لها بالجامعة ولابالتعليم وإنما علاقتها بالصحافة ، فقد كان الدكتور كاتبا من

(١) الشعب — ١٦ مارس ١٩٣٣

غلاة الاحرار الدستوريين، ثم بدأ له وجه النفع فى أن يكون كاتبا اتحاديا وليس إلى هذا تنتهى كرامات الدكتور ، فهو على أنه يزعم التشيع للاحرار الدستوريين قد رضى أن يأجره الوفديون على ما بين الفريقين من خلاف، بل رضى أن يكتم الطعنة التى صوبها إليه النحاس باشا فى خطابه ولم يرغضاضه فى أن يكون كاتبا على مبدأ الوفد

فإن صح أن الكرامه مراتب مختلفة فهل يقول لنا الدكتور طه أين موضع هذا كله من الكرامة[1] .

× أننا إذا وضعنا الدكتور طه موضع التحليل وجدنا أنه شخصيه عاديه لا تستحق كل هذا الضجيج ، إلا أن الكلف بالشذوذ والخروج عما عليه الجماعة قد دعا الناس إلى الاخذ والرد فى مثل هذا الشذوذ ، فكم فى مصر من عالم صحيح تضيق الدنيا دون عمله . فعلام هذه الضجة الكاذبة حول رجل قضى سنوات عديدة لم يخرج على الناس بعدها إلا بكتابة (فى الشعر الجاهلى) يكفى أن يكون نسخة من كتاب (جرجى سال) وشخص آخر فجعل الدكتور طه من هذين المبشرين إماما يقتدى بهما ومن كتابهما زاداً يغذى به روح النشىء وينفث فيه سمومهما .

على أن كتابه الثانى المسمى (حديث الاربعاء) هو أشبه شىء برواية مجونية نسجتها ولحمتها نصوص الكتب القديمه[2]

× إن الدكتور طه كان يجمع إلى خلة الجهر بالالحاد والتشكيك، خلة أخرى هى التطاول على ذوى الاقدار وأهل الفضل من رجالات مصر ، فقد كان محرراً فى جريدة السياسة فما ترك عظيما أو سياسيا أو نابها فى البلاد إلا وانتقص من قدره وجعل فيه لسانه بأقبح الالفاظ وأقذع عبارات الشتائم والسباب، بل ناحية القذف

---

(١) الاتحاد — ١١ مارس ١٩٣٣
(٢) الاتحاد ١٢ مارس ١٩٣٣

النفسي عند الدكتور طه فقد حدث يوم طلب إليه تأدية الحساب عن طعنه في الاسلام في كتابه الشعر الجاهلي أن قال أنه لايؤمن بشيء مما في هذا الكتاب بل هو مؤمن بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر .

وقالت الشعب تعليقا على حفل الوفد لتكريمه :

أي احساسات عميقة ، أهي التي جعلته يمضي الشطر الأكبر من حياته وهو يشنع على الوفد والوفد بين أشنع الصفات وأبشع الصفات ، أم هي الاحساسات التي أملت عليه مقالات : كذابون . منافقون . أفاكون . دجالون .

أم هي الاحساسات العميقة التي حملت سعد باشا على أن يجمل من فصله من الجامعة ووجوب محاكمته مسألة رئيسية لولا حكمة رشدي باشا وتدخله لأودى بائتلاف ١٩٢٧ .

إذا كان الدكتور لم يبصر شفاة سامعية وهي تهتز عن ابتسامة السخرية عندما تكلم عن احساساته العميقة نحو الوفد ورئيسه الجليل فهل لم يدرك أن هؤلاء السامعين سخروا منه وهزءوا به وتساءلوا ماهذه الكرامة المنتحرة وما هذه العزة المهدورة ، وماهذا العلم المبتذل ، وماهذا الوجه المدرع الصفيق[1].

لقد حارب الدكتور طه الوفد لما كان الوفد وفدا واليوم يحارب تحت لوائه بعد أن أصبح عصابة فهنيئا له هذا الموقف وهنيئا للرئيس بدكتوره النابغة .

وهكذا فلتكن مبادىء الزعماء وأخلاق العلماء وليسجل التاريخ .

وقالت جريدة الاتحاد : لقد[2] إشترط الشيخ طه على من استغلوا ظرفه

---

(١) الشعب — ٢٠ مارس ١٩٣٣

(٢) كوكب الشرق — ١٩٣٣/٣/١٠

وطلبوا معونته لهم فى تحرير إحدى صحفهم بأن لايطعن فى الاحرار الدستوريين إذا قضت المشادة بذلك استبقاء لاخوانه من الاحرار الدستوريين وقياما ببعض الوفاء لهم ، ولـكن ماذا يصنع إذا عرضت مسألة سياسية اختلف رأى الفريقين فيها وكان لابد أن يؤيد الوفديين على منافسيهم ، هل يكتب نزولا على إرادة من استخدموه أم يستقيل من التحرير . أم يعدل عن هذا وذاك ويـكتب عن مجون أبى نواس أو الأدب الجاهلى .

على أنه من الذى ألجأ الشيخ طه حسين إلى هذا الاحراج،ولماذا يفرط الاحرار الدستوريين فى صاحبهم الذى خلقوا من مسألته نقلة مسألة سياسيه وحربا للوزاره الصديقيه تأججت جذوتها وطار غبارها . أما كان عليهم أن يستبقوه لهم » .

بين صحافة الرأى وصحافة المنفعة

كان للسوريين المتمصرين دور ضخم فى الصحافة المصرية ، فالأهرام والمقطم وصحف الهلال والمقتطف وغيرها وعشرات من الصحفيين أمثال يوسف الخازن وداود بركات ومكاريوس وصروف وزيدان وتقلا ورشيد رضا وغيرهم كانوا من المهاجرين السوريين إلى مصر وقد كان لهم معسكر ضخم ظل قويا ماسكا لفترة طويلة.

وفى الوقت الذى كانت صحافة الرأى المصرية تصارع الاستعمار والاستبداد والحكومات وتسقط صريعة ، كانت صحافة الصور والحياد والجرى مع الأحداث والوزارات والحكومات والأحزاب تعيش وتنمو وتتضخم ، وقد حمل لواء الحملة على معسكر الصحافة السورية : الصحفى المصرى سلامة موسى فى عدد من مقالات نشرها فى مجلة (المصرى) و (المجلة الجديدة) وذلك فى سبتمبر وأكتوبر ١٩٣٠ وقد ردت دار الهلال على الحملة بمقالات استكتبتها محمود كامل المحامى ونشرت بعض الوثائق بالزنكوغراف عن خيانة سلامة موسى لها كما حرضت ابراهيم عبد القادر المازنى ومصطفى صادق الرافعى على مهاجمته بمقالات تتصل بخلقه وآرائه.

ومما يتصل بهذا مهاجمة صحف الوفد وكتابه كالعقاد وتوفيق دياب لاتجاهات جريدة الأهرام ومحاولة كشف نواياها .

بل لقد رددت الصحف أن العقاد هتف بسقوط الأهرام وأصحابها السوريين فى اجتماع لحزب الوفد عام ١٩٣٠ .

وأشار الدكتور أنيس صايغ فى كتابه الفكرة القومية فى مصر إلى أن المصريين كانوا يفهمون نوايا السلطات البريطانية من افتتاحيات جريدة المقطم . وأن المقطم نظرت إلى الأمور من الزاوية البريطانية حتى عام ١٩٣٦ .

وقد رددت الصحف إن كريم ثابت مستشار فاروق الصحفي وابن جريدة المقطم « البسكر » كما كانوا يسمونه ، كان يهدد أمراء العرب المقيمين في مصر بتشويه سمعتهم إذا لم يعطوه ما يطلبه من مال » .

وهذه نماذج من مقالات سلامة موسى :

١ — فوز الصحافة السورية

أينما [1] سرت الآن من الاسكندرية إلى أسوان فإنك لن تجد سوى الجرائد اليومية السورية والمجلات الأسبوعية السورية يشتريها الجمهور ، وقلما تجد إلى جانب هذه المجلات والجرائد صحيفة مصرية .

الصحيفة هي مرآة الأمة ومن هذا السبب يجب ألا يقوم بها أجنبي غريب عنها في الدم أو المزاج أو الرجاء ولكل أمة مزاجها فنحن نضحك من الفكاهة التي لا يضحك منها السوري أو التركي لأن لنا مزاجاً هو خلاصة آلاف السنين من الثقافة .

هذه الصحف السورية في مصر لا تعبر عن النفس المصرية أو الذوق المصري لأننا كما يختلف السوريون في السلالة والفكاهة كذلك نختلف في الروح الصحفية .

نريد من الصحفي المصري أن يخاطبنا بلغتنا وأن يحرك في نفوسنا الأماني المصرية ولن ننتظر من الصحفي السوري أن يؤدي لنا هذا الواجب بل هو لا يستطيع لو أراده لأن نفسه غير نفسنا .

والخلاصة أن الصحيفة التي يقرأها المصري يجب أن تكون مصرية بالدم والروح والمزاج لأنها مرآة نفسه .

مضى علينا عشرون سنة والجرائد المصرية تعطل بينما الجرائد السورية لا تعطل وانتهت هذه الحال بأن أصبحت الصحافة المصرية صناعة سورية كان يفساها

---

(١) المجلة الجديدة — سبتمبر ١٩٤٠

المصرى ونحن نعرف من الشباب المصرى عشرات هجروا الصحافة لأنهم وجدوا من تعرضها المستمر للتعطيل ما يجلب عليهم الجوع والحرمان .

والصحفى السورى لا يعرض جريدته للتعطيل لأنه يسير مع كل حزب ويمشى وراء الغالب وهو لا يشعر بالعار يلحق بالانسان إذا استبدل بآرائه وخططه السياسية خططاً وآراء أخرى كما يستبدل الإنسان حذاءه .

ذلك لأن مصر ليست وطنه ، وهو إنما هاجر إليها يبغى بها المال ولم يبغ منها وطنا يؤثره على سوريا لهذا السبب لست تجد سوريا ينضم إلى حزب من الأحزاب السياسية المصرية وقد تسمع منه أنه متمصر وانه لا يعرف من الأوطان سوى مصر ولكنه مع ذلك لا يرضى أن يكون وفدياً أو دستورياً لأن مصلحته التجارية تدفعه إلى أن يبقى خارج الأحزاب يستغلها كما يشاء ولأنه يخشى إذا هو تقيد بأحد الأحزاب أن يتعرض للتضحية .

وبينما نرى الصحف المصرية معطلة والأقلام المصرية مقصوفة نرى المجلات السورية تنساب بين العامة كأنها الحيات السامة تشرح لهم كيف أن بطلا من أبطال الأوباش كان يأكل حذاء كاملا . وكيف استطاع شحاذ أن يشترى بالشحاذة عقاراً ضخماً وكيف يدخن الحشيش[1] .

ويكتب هذا فى مجلات أنيقة تستهوى العين بالصور الجميلة وبالطبع الحسن فيقرأها الشاب المصرى فيضعف عقله ويختل نظره للأشياء .

إن اقفال الصحف المصرية ، جعل الصحف السورية تثب إلى الأمام وتأخذ مكانها .

وهذه الخطة فى إقفال الجرائد المصرية قد مضى عليها عشرون سنة بل أكثر وهى تسير نحو هدم الصحافة باعتبارها صناعة مصرية وأحياناً باعتبارها صناعة

(١) يقصد مقالات مجلة الدنيا المصورة التى أصدرتها دار الهلال وكريم ثابت.

سورية حتى بتنا نحن الصحافيين المصريين نرى الهزيمة واضحة فى جانبنا والفوز ظاهر فى جانب السوريين .

نحن نضرب مثلا فى شناعة هذه الخطة بالبلاغ والإهرام : فهذا البلاغ قد اشترى منذ أشهر ماكينة للطبع لا يقل ثمنها عن سبعة آلاف جنيه وقد عطل بعد تجارب مضى عليها أشهر كانت كلها خسارة فى سبيل الربح القادم ، فليس على الأستاذ عبد القادر حمزة الآن سوى أن يبيع هذه الماكينة بأبخس ثمن أو يعلن إفلاسه .

ثم هذا هو الأهرام الجريدة السورية التى تسير مع كل حزب وتجرى مع كل ريح وتضحك منا جميعاً قد اشترى ماكينة للطبع بالألوان أيضا ، وسينجح بها ولن يخشى الخسارة لأنه لن يصطدم بأية قوة غالبة فى البلاد . وعند ما يعود البلاغ إلى الظهور يكون الأهرام قد ربح ونال حظوة القراء فى التوزيع وحظوة التجار فى الإعلانات فلا يستطيع البلاغ أن يزحزحه عن مكانه .

٢ — الصحف السورية والصحف المصرية

يبدو للمتأمل أن الصحافة[1] قد بات فى مصر من الفنون التى لا ينجح فيها سوى السوريين . وقد ننتهى من تأمل الواقع فى انتشار الصحف السورية وانخذال الصحف المصرية وغنى الصحفيين السوريين وامتلاكهم الدور الفخمة والضياع الخصبة وفقر الصحفيين المصريين وتشردهم فى الشوارع لا يملكون كوخاً ولا قيراطا . إلى أن الكاتب السورى أزكى عقلا وأبعد نظراً وأدق تحريراً للصحف والمجلات كانت أو جرائد من الكاتب المصرى .

---

(١) مجلة المصرى : لسلامة موسى ٥ سبتمبر ١٩٣٠

ولكن هذا الاستنتاج سرعان ما ينقلب إلى النقيض عند ما يتعمق القارىء في تأمله وربط النتائج بأسبابها .

فالحقيقة أن الظروف السياسية كانت مدة الاحتلال الانجليزى إلى سنة ١٩٢٠ تعمل لكبت الروح الوطنية الوطنية بمساعدة الجرائد الموالية للانجليز ومماكسة تلك التى تناوئهم .

فنحن نرى عقب الثورة العرابية أن الحكومة تدفع تعويضا ضخما لأصحاب جريدة الأهرام لأن الثائرين المصريين كسروا المطبعة لانضمام هذه الجريدة إلى الخديو .

ثم نجد الانجليز بعد ذلك يسندون بنفوذهم جريدة المقطم التى أصبح أصحابها بهذا السند القوى من أغنياء القطر المعدودين .

وهكذا يرى القارىء أن تفوق الاهرام والمقطم لا يعزى إلا لأسباب لا يرضاها مصرى لنفسه .

ثم جاءت الحركة الوطنية ١٩١٩ وحدثت الانشقاقات بعد ذلك ، وصار لكل حزب جرائد والصحفيون السوريون في مصر يعيشون كالملوك (فوق الأحزاب) يتمصرون ولكن تمصرهم لا يحملهم على الغلو في الوطنية . ولذلك فهم يستفيدون من الوطنية المصرية لأنهم يتحاشون ما فيها من غلو . هذا الغلو الذى جعل عبد القادر حمزة يصدر منذ ١٩٢٠ إلى الآن ١٤ جريدة تقفل كلها ، بعضها اقفالا نهائيا وبعضها لبضعة أشهر .

× إن الطرق التى يعيش بها الصحف السورية من الصحافة طرق لا يرضاها مصرى صميم .

ليس للسورى ميزة علينا سوى أنه لا يغضب عند يجب الغضب ولا يبالى مصلحة مصر تعرض للضياع ما دام هو يربح من هذا الضياع ما يزيد دخله بضع مئات من الجنيهات .

عار علينا أن يوكل تكوين الرأى العام المصرى إلى أقلام سورية غريبة عنا فى المزاج لا يشغل قلوب أصحابها ما يشغل قلوبنا من أمان وآمال ولا يؤلمها مايؤلمنا .

٣ — الصحافة السورية وأماليها لمصر

وقال سلامه موسى: ان اسكندر مكاريوس صاحب (اللطائف المصوره) عندما[1] احتاج إلى محرر ليرأس تحرير مجلته بعث فى طلبه من بيروت وهو (متمصر) . فهو يبيع مجلاته فى مصر ولكنه يقبل أن يرأس تحريرها مصرى .

الأهرام وعلى رأسها الصحفى القارح (داود بركات) توارب وتراوغ فلا تستطيع إلا أن تشمئز منها فهى تدعى أنها مصرية للمصريين وتكتب أحيانا مقالا مستور اللهجة والغاية تخرج منه بأن الحكومة حسنه والوفد حسن ويسلم أحد المسيحيين فتهنئه بأسلامه لأنها مسلمه المسلمين مع أن صاحبها مسيحى وكان أولى أن يسلم هو ويهنئ نفسه .

هذا النفاق الذى يشمئز منه الانسان .

الاهرام على وجه العموم جريدة حكومية هذه الأيام، ولكنه يخشى أن يفلت منه القراء المائلون إلى الوفد فهو يشطر نفسه شطرين ليضمن الباقين فيجعل نفسه حكوميا ويجعل مجلة مصر الحديثه التى تصدر عن داره وفديه .

مجلات دار الهلال ومثل الدنيا المصوره ما فيها من تفصيلات عن الجرائم والسفالات التى ترتكب فى ظى الخفاء والظلام ، تنشرها هذه المجلة على صبياننا

---

(١) مجلة المصرى — ١٢ سبتمبر سنة ١٩٣٠

وشبابنا فتستهوى أذهانهم الفضة حتى يكون للمحاماه الشأن الأكبر فى تكوين الاخلاق وتعيش هذه المجلات والجرائد فى بلادنا ويربح أصحابها الألوف من الجنيهات وتستقر لهم صناعه يثرون منها مع ما فيها من الأذى للامة بينما كتابنا المصريون مثل (عزمى) يبحثون عن عمل غير الصحافة يستطيعون أن يعيشوا منه ،لأن صحفنا المصرية قد مضى عليها عشرون سنه وهى تعطل وتخرب بيوت أصحابها ويشتت محرروها ، أما صحف السوريين فلا تعطل ولا يحس أصحابها باذى وعلينا جميعا أن نقرأ كل يوم صاغرين ما يكتبه لنا داود بركات وخليل ثابت ومكاريوس وزيدان فيما يجب علينا ومالا يجب أن نتبعه فى سياسة بلادنا من الخطط .

أثر الصحافة السورية

وعرض سلامه موسى فى عديد من مقالاته فى مجلة المصرى لأثر الصحافة السوريه فقال : أن داود بركات و خليل ثابت يكتب كل منهما صباح كل يوم مقالا عن فوائد الاحتلال وجهالات الوطنين الذين لايعرفون مايقولون .

وكذلك كان يفعل فى الخرطوم عندما كان يشتم المصريين ويمدح الانجليز وقال أن المقطم عاش طول عمرة يقول : إن الاحتلال الانجليزى لمصر خير من استقلالها . وكان الأهرام فى الصراع بين الخديوى توفيق والحزب الوطنى يمالىء الخديو ويساعده على الأمه التى نكبت به ،وقال أن الصحافه المصريه أصيبت بنكبات توالت عليها فى السنوات العشرين فانزلتها من القوة إلى الضعف ، ومن الغنى إلى الفقر وأخرجتها من أيدى المصريين إلى أيدى السوريين .

وقال : إن الصحفى السورى له ميزة واحدة أنه أجنبى يبيح لنفسه أن يتجر بالخطط والبرامج السياسية فيدافع ساعة عن البرلمان وساعة عن الدكتاتوريه وأخرى عن الحماية وأخرى عن الاستقلال فيقبض المال .

وقال : أن الصحف السورية هزمتنا وجعلتنا فقراء لأنها تساعد كل طاغية على الطغيان بينما نحن نثور ونغضب ونموت .

(اللطائف المصورة)

وقال أن دار اللطائف دار مشمخره تبلغ ست طبقات يملكها رجل سوري لم يكن قد ولد حين كان حافظ عوض محرراً معروفا ، وإنما استطاع أن يثرى لأنه في الحرب الكبرى أنشأمجلة اللطائف على حساب الانجليز لكي يقول أنهم منتصرون على الالمان المتوحشين ، في حين كان حافظ عوض يقيم في الاسكندرية في شبه المنفى وقد منع من كتابة أي شيء أو إصدار أي مجله أوجريدة . يعيش (حافظ عوض) فقيرا في وطنه ، بينما السوريون الذين لا يمكن الابله أن يدعى أنهم يحبون مصر عشر معشار مايحبها حافظ عوض يثرون ويشيدون القصور ويشترون الضياع في غير وطنهم .

وقال : إن حافظ أخفق لأنه متهم بالوطنية ولذلك كسر قلمه في مدة الحرب وبقى عاطلا سنوات ، ولكن جرائد السوريين ومجلاتهم عاشت لأنها مالئت الانجليز ونالت بذلك مكافأتهم ثم عادت فمالأت الرجعية فنالت بذلك مكافأتها أيضا .

وقال إن في مصر جرائد سورية ليس فيها من العمال المصريين سوى صفاف الحروف ويقال أنه ليس في تحرير المقطم كله سوى مصري واحد .

داود بركات

وأشار سلامه موسى إلى أن الحكومة السورية — في عهد الاحتلال الفرنسي أنعمت بوسام على شيخ الصحافة داود بركات محرر جريدة الأهرام جزاء خدماته العديدة التي يقدمها على حساب سوريا ومصر لفرنسا(١) وقال : إننا نهنىء شيخ

---

(١) مما يذكران الاهرام كانت تطلق على أبطال ثورة ١٩٢٥ في سوريا لقب (العصاة)

الصحافة وتهوىء كذلك الذين لم ترفعهم الفوضية الفرنسية ما يستحقون عليه الانعام لأنهم لم يهتفوا لسياستها فى الشرق ، ولم يستمدوا عمالها على أهلهم وعلى أوطانهم ولم يتنكروا القضية بلادهم إرضاء لشهوات الاستعمار والمستعمرين .

وهنيئا لشيخ الصحافة بوسام يزين صدره ويوقر ظهره بأعباء ثقيلة فى خدمة غاصبى حرية أمته .

وقال سلامه موسى أن مجلة اللطائف المصورة نشأت حوالى عام ١٩١٥ ، وهى المجلة الوحيدة المنتشرة فى مصر ، وكانت تستند إلى السلطة الانجليزية ، والدليل على ذلك أن السلطة الانجليزية كانت تأخذ من إدارة تلك المجلة الآف من النسخ المملوءة بصور أنتصارات الانجليز فى الحرب وترميها بواسطة الطيارات على خطوط الأعداء الأتراك فى سينا وفلسطين .

وقال . أن دسائس الصحف السورية ضد الصحف المصرية كانت عاملا على تساقط هذه الصحف واحدة بعد الأخرى .

ذلك أن الصحف المصرية كانت فقيرة نزيهة لا تقبل أن تقوم بدعاية لدولة محتلة مقابل أى جعل من المال ، وكان موت تلك الصحف دليل على أن الكرامة المصرية لا تراق ، وأن المصرى يفضل الموت جوعاً .

وذكر سلامة موسى أن الميجر بولسون نيومان فى كتابه بريطانيا العظمى فى مصر قال : أما السوريون فإنهم مشهورون لسيطرتهم على الصحافة المصرية التى اتخذوها وسيلة لتكديس مقاومة هائلة من النفوذ فهم دائما يعملون على استغلال الخلافات بين الاحزاب .

أن الرأى المصرى تعبث به منذ نصف قرن جماعة من السوريين الذين يبيعون

أعمدة جرائدهم لمن يدفع أغلى ثمن ، وليس هذا النوع الراق من الصحافة ولكنها مع ذلك صحافة رابحة ·

وقال سلامه موسى أن جريدة الأهرام نشرت فصول هذا الكتاب جميعها وحذفت منها هذه العبارة ·

وقال سلامه موسى : نقلا عن مجلة نور الشرق : أن مجلة الأولاد التى أصدرتها دار الهلال تكتب باللغة العامية وهى بذلك تحارب اللغة العربية وتفسد ملكات الأطفال الإنشائية .

وأن مجلة الدنيا المصورة تنشر أخبار اللصوص والفجور واسرار الفرز والأماكن المشبوهة ·

وأورد (محمد فريد) فى مذكراته : أن مستر سكوت المستشار الانجليزى (٣٠ يناير ١٨٩١) كتب بشأن أثارة مسالة زيادة نفوذ الإنجليز بالمحاكم ، وذلك بمناسبة تعيين مفتش عام إنجليزى · وقال أن هذه المسالة اهاجت الرأى العام وقد قامت الصحف الوطنية تندد بتقرير مستر سكوت . أما المقطم الشامى الإنجليزى فكان دائما من المساعدين على ازدياد نفوذ الإنجليز ،أما الأهرام الشامى الفرنسى فهو مذبذب لا يحلو له غير الطعن على الوزارة الوطنية ·

وقال سلامة موسى : أن الأهرام تستكتب الأستاذ أحمد وفيق وهو من الحزب الوطنى كما تستخدم حسنى الشنتناوى وهو من الوفد بينما يسير محررها داود بركات مع الدستوريين وتريد بذلك أن تكون مع كل حزب تشايعه ·

وقال : أن الصحف السورية تسير مع الاحزاب المتقلبة المنفعة فقط وتدأب فى مدحها والتمجيد لزعمائها ما دام لها السلطان على الحكومة فإذا انهزمت فهى تنقلب عليها وتنضوى إلى الحزب الجديد .

وقال سلامه موسى : أن النقاد ممن عرفوا مكمن النفاق والغدر فى الصحفه السورية فهم يلطمونها لطمات عنيفة كلما نضنضت بلسانها الثعبانى تريد اللدغ .

وهاجم الكتاب الذين يلذلهم الكتابة فى الصحف السورية أمثال فكرى أباظه.

رد دار الهلال

وقد واجهت دار الهلال هذه الحملة على نحو بارع فقد بدأ محمود كامل المحامى يكتب مقالات فى مجلة الدنيا المصوره (٢ إبريل ١٩٣١) يحاول أن يصور أصحاب دار الهلال بأنهم مصريين وأن مؤسستهم يعمل فيها المصريون فى مختلف فروعها وحاول فى مقالات متعددة الدفاع عنها ، ثم نشرت دار الهلال عديدا من الوثائق الزنكوغرافية عبارة عن رسائل كتبها سلامه موسى وهو يحرر فى دار الهلال إلى بعض المسئولين فى وزارة محمد محمود — التى كانت تحكم البلاد إذ ذاك — يستعديها على دار الهلال . وتاريخ هذه الرسائل ٢٢ أغسطس ١٩٢٩ . وقد فصل سلامه موسى من دار الهلال فى أ كتوبر ١٩٢٩ وهذا نص الرسالتين :

× تعرفون سعادتكم أن عدداً كبيرا من الاقباط يلتف حول الوفد ، ولهذا العدد تأثير كبير فى الانتخابات وقبول المعاهدة أو رفضها . وقد كنت منذ أشهر طلبت الترخيص لى بأصدار جريدة يوميه باسم الدنيا لكى أخدم الحكومة فى الدعوة بها بين الأقباط ولكنى لم أظفر الان بهذا الترخيص . والآن ومشروع المعاهدة أمام الأمة أظن أنه من مصلحة الوطن أن يكون الأقباط فى صف الداعين لها .

وإنى أعتقد إنى على شىء من القيمة الأدبية بين الأقباط وإنهم يحسنون الظن بى . ثم اعتقد أن مصلحة الأمة كلها تقضى قبول المعاهدة .

ولما كانت البلاد خالية من جريدة قبطية محترفة فأنا مستعد لآن أقوم بتحرير

جريدة يومية أو أسبوعية للدعوة لها ولو عاونتمونى فى ذلك لكسبتم الأقباط .

* وكتب أيضاً يقول :

أنا أكتب لهذا لسعادتكم ودار الهلال تهيىء عدداً خاصا من المصور لسعد زغلول استكتبت فيه عباس العقاد وغيره من كتاب الوفد ومثل هذا العمل يتفق مع التجارة ، ولكن لا يتفق مع الدعوة للحكومة الحاضرة ومشروع المعاهدة لأن الأكبار من ذكرى سعد وتخصيص عدد له هو فى الحقيقة أكبار من شأن الوفد ودعوة إليه ، وأنا أذكر لسيادتكم إنى مستعد للدعوة المعاهدة فهل لى أن أنتظر معاونتكم .

الصحافة إزاء الشخصيات

١ — الصحافة والملك .

٢ — رجال السياسة · فى نظر الصحف

٣ — الصحافة ازاء احرار الفكر ·

الصحافة والملك

وقفت الصحف على مختلف ألوانها من الملك موقف النفاق وتناول كتابها شخص الملك على نحو يدل على التبعية الحزبية الذليلة في (البلاغ) ٢٤/١/١٩٣٦ .

طه حسين والملك

« . فالمصريون مجمعون على حب مليكهم لأنهم يرون فيه صورة بارعة لمصرهم الخالدة ورمزاً كريماً لوطنهم العظيم وهم يرون في شخصه العظيم واسمه الكريم أمنية صدقت وأملا تحقق .

وكان والده العظيم رحمه الله قد صور أمنية الشعب وعبر عن آماله حين سماه الفاروق فكانت هذه التسمية دعاء لله أن يمن على مصر بحريتها وعزتها .

والمصريون مجمعون على حب مليكهم لأنهم لا يجدون في شبابه النضر بهجة طالما نازعتهم إليها نفوسهم وزينه طالما هامت بها قلوبهم » .

هذا ما يقوله طه حسين عن «فاروق» – وعن «فؤاد» كتب في جريدة الاتحاد (٢٢ مارس ١٩٢٥) .

صاحب الجلالة يولي الوزارة بحقه الدستوري فينكر عليه سعد ذلك .

ماذا تصنع الوزارة ، أتترك الحكم لتريح سعدا ولكن العرش يعلم أن ذلك يعرض مصر للخطر فهو يأمرها أن تبقى وما كان لها أن تعصى للعرش أمراً .. الحكومة جادة غير لاعبة وهي معتزمة أن تحقق إرادة جلالة الملك التي هي حماية حقوق مصر الخالدة من العبث والفساد . »

وطه حسين رئيس تحرير جريدة الاتحاد يصور الملك فؤاد في ٢٦ مارس ١٩٢٥ فيقول :

نعم أن مثال صاحب الجلالة المطبوع فى كل نفس ، قائم فى كل قلب من قلوب المصريين ، وليس فى ذلك عجب ولا غرابة فالمصريون جميعا مدينون له ولأبيه إسماعيل ولجده العظيم .

أما الذين يريدون أن يفهموا مصر الحديثة حقا فإنهم لن يبلغوا من ذلك ما يريدون ولا بعض ما يريدون إلا إذا مزجوا بمصر الحديثة هذه النفوس الثلاثة الكبيرة . (محمد على وإسماعيل وفؤاد) .

« ولكن ابن اسماعيل أظهر أنه قد ورث من أبيه وجده ما كان لهما من مهارة وفطنة ، من حزم وعزم . من حكمة وأناة .

كان يؤسس مجد مصر الصحيح بإصلاح حياتها الداخلية وإذا الدستور يوضع ويصدر وينفذ ، وإذا التعليم فى جميع فروعه يتناوله الاصلاح ، وإذا البعثات ، وإذا الجامعة .

العقاد والملك

والعقاد يكتب عن الملك فى ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ (البلاغ) تحت عنوان « الملك حقيقة فاعرفوها طائعين أو كارهين » .

يقول : أن الملك ذو حقوق وأنه ليس أكرم منه ولا أرحب صدراً وأوفر حلما وأعظم غيرة على مصالح الأمة فيما استعمل من حقوق ، وأنه حفظه الله وأسعد أيامه لم يطلب شيئا لذاته الكريمة ، ولم يطلب شيئا تعوزه الحجة الناهضة ، أو يخفى فيه وجه المصلحة لهذه الأمة أو وجه الصواب لمن يريدون .

والحق مع الملك والملك حقيقة فمن نصر الملك فقد نصر الحق ، وقد نصر الأمة ، ومن تولى فعليه لعنة الحق ولعنة الأمة . »

هيكل والملك

● ويقول هيكل تحت عنوان حقوق الملك (٢٥ أكتوبر ١٩٣٧) إذا

إذا كانت مصر قد ثارت مرة دفاعا عن حقوق الأمة التى جعلها الدستور وديعة فى يد الوزارة فانا نعتقد أنها تفعل مثل ما فعلت أمس دفاعا عن حقوق الأمة التى جعلها الدستور وديعة فى يد صاحب العرش، فهى قد ثارت فى الماضى للمبادىء لا للأشخاص، ونحن اليوم أحوج ما نكون إلى حالة هدوء واستقرار لتوطيد علاقاتنا مع بريطانيا.»

عبد القادر حمزه والملك

• ويقول (عبد القادر حمزة) البلاغ (١٤ أكتوبر ١٩٣٧) . الملك فوق الأحزاب ، نعم : ولكن على المصريين أن يدافعوا عن حقوقه كما يدافعون عن حقوق الوزارة وعن حقوق البرلمان . الملك فوق الأحزاب ، نعم : ولكن نقول مرة أخرى يجب أن يدافع عن حقوقه المصريون .

جريدة الأهرام والصحف الحزبية

طالما تعرضت جريدة (الأهرام) لحملات الصحف الحزبية وخاصة صحف الوفد — وذلك لموقفها الحيادى ، وميلها إلى جانب الحكومات القائمة ، وقد كان أشد المهاجمين لها كاتبين بدآ حياتهما الصحفية فيها وهما: توفيق دياب وعباس العقاد .

كانت حملة توفيق دياب صاحب الجهاد أبان شهر سبتمبر ١٩٣٥ وجاء فيها قوله تحت عنوان (ثلاثة ألوان لجريدة الأهرام فى ثلاثة أيام) .

هى الأهرام المحترمة جداً بين الصحف الوطنية جداً لبست يوم السبت الماضى ثوبا أحمر قانيا فلما خجلت من حمرته الفاقعة عادت فى الغد فأبدلته بثوب أبيض ناصع ، فلما عز عليها أن تظهر فى ذلك البياض الذى ينم عن الطهر والعفاف عادت أمس فارتدت ثوبا مسخسخاً يضرب إلى الحمرة ولكن الحمرة الباهتة . (٤ سبتمبر سنة ١٩٣٥) .

وعاد توفيق دياب فكتب تحت عنوان (هل تريد الأهرام تسميم الجو بحملاتها المفتراة) قال فيها :

خطة الأهرام أصبحت عبثا صارخا لانستطيع السكوت عليه مخلصين ، دع عنك صحف أخرى ، أما الأهرام فخطتها الوبيلة جديدة ، وقد يلتبس أمرها على كثير من البسطاء الذين تعودوا متابعتها كل صباح فيتناولون من موارد هاجرعات مع طعام الأفطار تسرى فى نفوسهم كما تسرى السموم فى الأبدان .

« نؤمى على صفحات الجهاد إلى خبيثة من أمرها او عرفها المصريون حق معرفتهـــا لأدركوا أنهم مخدوعون فيها مسرفون فى تقريرها وأنهـم حين يبسطون أيديهم يطلبونها إنما يطلبون لأنفسهم سموما يومية . فهى تشوه الحقائق الخطيرة على طريقة يشمئز منها كل قارىء ، وإليك بعض أمثلة الجريدة « الوطنية للوطنيين . المصرية المصريين ، المالية الماليين . التجارية للتجار ، الدستورية بالليل الدكتاتورية بالنهار (١١ سبتمبر ١٩٢٥) .

وهاجم عباس حافظ جريدة الأهرام فى ١٠ يناير ١٩٣١ فوصفها بأنها : « الصحيفة الرفاعية التاجرة بعواطف المصريين وغير المصريين ، هذه الأهرام الضخمة الحلزونيه ، حاوية الثعابين والصافرة المفننة للصل الأكبر والتنين » .

العقاد والأهرام

• وهاجم العقاد جريدة الأهرام فى ٦ يوليو ١٩٣٣ جريدة الجهاد حول موقفها من حملة التبشير :

قال : إذا كانت فى مصر صحيفة تخـدم بعض الـكنائس الـكبرى خدمة لإخفاء بها ولا شك فيها فتلك هى صحيفة الأهرام التى هى أحصف من أن تضيع فرصة كهذه متى تمهدلها سبيلها وتعرضت لها دواعيها ومغرياتها .

ومن الحقائق المعروفة فى الدوائر الدينية والصحفية أن الـكنائس الـكبرى لها أدارة للدعاية فى الصحف والمجامع كالادارة التى تستخدمها السياسة والشركات ومن الصحف ما يخدم هذه الـكنائس ويروج دعايتها لاتفاق العقيدة والشعور

بها ،ومنها مايخدمها لأسباب سياسية أو شخصية ، واليوم تتجه العزائم فى مصر لبناء الملاجىء والمستشفيات عصمة للفقراء والرضى من غواية المبشرين ، فيخشى المبشرون هذه العافية المحموده ،وتصيح الأهرام أن لا تبنوا الملاجى والمستشفيات أيها المصريون .

أما سبب معارضة الأهرام فهو أن بناء الملاجىء والمستشفيات فى حاجة إلى التنظيم قبل أن تحتاج إلى البناء وأن الإنشاء يكفى والبناء لا يكفى ، بل الذى يجب حمله والأخذ به قبل كل شىء هو النظام أو هو التنظيم ، الحاجة إلى خبرة الاخصائيين الذين مرنوا على هذه الأعمال .

فلو استطاعت الأهرامأن تنهى غاية النهى عن بناء الملاجىء والمستشفيات لما استطاعت أن تقول ذلك بأصرح من هذه العبارات ، لأن الأسلوب اللولبى لا يحتمل نصيباً من الصراحة أكبر من هذا النصيب .

السبب : هو أرضاء المبشرين وتعطيل المشروع لكى يبقى (اليتامى والطامى) عرضه لاغواء التبشير ولقمة سائغة لمن يفتحون الملاجىء والمستشفيات تغريراً بالضعفاء لا رحمة ببنى الإنسان .

وتريد الأهرام من القائمين أن يستعينوا بالاخصاصين فى إدارة الملاجىء ، ونقرأ هذا القول ونضحك لأننا نتمثل الأهرام صريحة واضحة تعلن ما تبطن فى عبارة مستقيمة وأسلوب بين فلا نفهم من قولها إلا أنها توحى بتسلم الملاجىء والمستشفيات من الآن إلى المبشرين والخبيرين وحدهم بهذه الشئون الخيرية لكثرة ما عالجوا من إدارتها فى مصر وفى البلاد الأخرى .

رجال السياسة فى نظر الصحف

سعد زغلول فى نظر الصحف

انقسمت الآراء فى سعد ، فقد رفعته صحف الوفد إلى قمة البطولة والتقديس وهاجمته صحف الأحرار الدستوريين والاتحاد والحزب الوطنى هجوما عنيفا. وتغير رأى هيكل فيه قبل الائتلاف وبعد الائتلاف وتغير رأى طه حسين فيه أبان عمله مع الأحرار أو الاتحاديين وبعد عمله مع الوفد .

وحفظت الصحف لسعد زغلول تصريحات تركزت حولها نقداتها لها ، منها ما قاله سعد بعد عودته من المفاوضات :

دعونا إلى هنا لكى ننتحر فرفضنا الانتحار (١٧ اكتوبر ١٩٢٤) .

وقال سعد بعد عودته من المفاوضات (٢١ اكتوبر ١٩٢٤)نعم : لم تتحقق أمانى البلاد هذه المرة ، ولكن ما سطرت به من حرارة حماستكم ، وما علمت من تصميمكم على أن تصلوا إلى حقكم يشجعنى على ان اسير معكم إلى النهاية ومن ذا الذى لا يتشجع بهذه العزائم المنعقدة بهذه الأصوات المرتفعة من أعماق القلوب ، بهذه الحماسة المتأججة فى الصدور لما سميتموه سعيا كريما ؛ ذلك السعى الذى لم يتكلل بالنجاح .

نعم ؛ ان النتيجة التى كنا ننشدها من تلك المساعى لم تتحقق ولكن أملا جليلا تحقق ، ذلك ان خصومنا علموا ان الامة المصرية مصرة على طلب الاستقلال التام لا ترضى عنه بديلا ورأوا فوق ذلك ان الرجل الذى ائتمنتموه على حقكم والذى وضعتم فيه ثقتكم رفض الآن ان يقبل بالنيابة عنكم ما عرض عليه ، وكان قد طلبه الآخرون ورفض لهم .

وعند ما عاد قال عن المنفصلين عنه : حيث ان يطلب أحد منا ان نعقد الآن اتفاقا مع أقزام لاوزن لهم ومن الخيانة لهذه الثقة ان اتفق مع خصوم سياسيين قد يمثلون شيئا كما قد لا يمثلون شيئا البتة .

وقال سعد لداود بركات « رئيس تحرير الأهرام » (١٩٢١/٤/٢٣) عند اتجاه الرأى إلى قيام عدلى بالمفاوضة : إذا فاوضت الوزارة على غير شريطه الوفد أى بغير مرسوم سلطانى تعين فيه مهمتها تعيينا دقيقا ، فان الوفد لا يؤيدها ، بل لا يمكن تأييدها أيضا إذا عين المفاوضة من لا يكون حائزا لثقة الأمة حيازة تامة»

ولسعد زغلول عبارته عندما قدم الاستقالة ورفضها الملك (١٧ نوفبر ١٩٢٤) قال : إن سعد استقال من الاستقالة .

وعندما وقع حادث السردار (١٩٢٤/١١/٢٠) قال لمندوبى الصحف : إذا كنتم قادمين لتروا أثر الجناية فى نفسى ، فانى أقول لكم انه أثر سىء جداً ومؤلم جدا — لا أدرى إلى أى غاية يرمى الجناة ولا إلى اى طبقة من طبقات الأمة ينتسبون ولا إلى أية هيأة سياسية أو حزب سياسى ينتمون.»

وذكرت آخر ساعة (٣ مايو ١٩٣٦) ان سعد زغلول هو الذى حمل فكرة الخلافة إلى الملك فؤاد قال : إنى أريد يا مولاى أن أقول لكم بصراحة انه من الحرام ان ندع منصب الخلافة يفلت من يد مصر فى هذه الآونة . وعندى ان جلالتكم أولى المواهل المسلمين به »

وعلقت الصحف على تلغراف جريدة التيمس فى ١٩٢٣/٣/٦ الذى يقول ان زغلول باشا زار الليدى كرومر ١٩٢٠ زيارة طويلة، وكان لزيارته هذه أجل ووقع فى نفسها وقالت التيمس : وكان اللورد كرومر أول من دفع زغلول باشا إلى الأمام ، فلما ذهب إلى رؤية أرملة من صنيع هذا الجميل معه وهى فى عزلتها عدت عمله هذا دليل على أن ذكرى أعمال زوجها لم تذهب تماما فى وادى النيل .

(الهلباوى : جلاد دنشواى)

وكان الهلباوى من أولى الشخصيات التى خرجت على سعد (مارس ١٩٢١) وكان أحد أعضاء لجنة الدستور التى أطلق عليها سعد لقب « لجنة الاشقياء » وقد حملت عليه الصحافة الوفدية أعنف الحملات حتى أطلق عليه لقب جلاد دنشواى.

وكان قد هاجم سعد زغلول (السياسة ٢٠ و ٢١ و ٢٢ سبتمبر عام ١٩٢٣) ورد عليه العقاد فى البلاغ تحت عنوان (محامى دنشواى لا يعرف أن زمانه قد ذهب) قال :

لو أن هلباوى بك كان ممن يحترمون الوقائع لما افتتح سفاهته ولا نقول خطبته بذكرى ١٣ نوفمبر لأنه المصرى الوحيد الذى يجب ان ينزوى من عيون الناس إذا جرت ألسنتهم بتلك الذكرى فقد غمرت الحركة الوطنية كل أفراد مصر.

ان هلباوى بك محام وكلته عصبة عدلى باشا فى قضية خاسرة فكان من تهويشه فى دفاعه الكاذب أن يجحد ١٣ نوفمبر .

ومناوأة الحركة الوطنية فى دم هلباوى بك من زمن يرجع إلى يوم كان شاهد ملك فى الثورة العرابية »

الهلباوى فى نظر الصحف

لم تلق شخصية من الشخصيات من الهجوم العنيف ما لقى ابراهيم الهلباوى ورددت الصحف ماقاله امام المحكمة المخصوصة فى دنشواى (البلاغ ٢١ نوفمبر ١٩٢٣) فقد بين أمام المحكمة إصرار المتهمين على ارتكاب الجريمة واثبت نية القتل قائلا أن: القانون يعتبر القتل ولو بعد الضرب بسبب ما منسوبا إلى الضارب وان الوالد اذا تحرك ولده فى بستان وضربه طائر فأماته يعتبر والده قاتلا .

وطلب الحكم على المتهمين بالاعدام .

وقال مستر لوند احد القضاه : إذا كان القانون المصرى يعاقب على هذه الجريمة أليس لنا أن نحكم به .

قال الهلباوى : انى أقول ان هذه نصوص القوانين، ولكم ان تحكموا بما تشاءون لانكم غير مقيدين بقانون . واسمحوا لى ان اقول اننا فى بلد اسلامى ولنا أن نطالب معاقبة المتهمين طبقا للشريعة الإسلامية فى (تبيين الحقائق) فى شرح الزيلعى أن القتل العمد يعاقب عليه بالقتل عملا بنص القرآن الشريف (كتب عليكم القصاص فى القتلى) حتى ولو كان القاتل بقشرة قصب . فكل القوانين والشرائع تقضى بالعقوبة بالإعدام .

— وذكرت الصحف أنه فى الوقت الذى كان الهلباوى باشا يهاجم الانجليز ارسل تقريرا الى كتشنر باشا نشرته الأهرام فى ١٧ مايو ١٨٩٢ .

وقالت المقطم فى التعليق على هذا : هل من عثرة بأقوال جماعة مغلوبين يتباهون اليوم ويتظاهرون بالغيرة على وطنهم وملتهم وهل تعبأ بأقوالهم فى الجرائد ما دامت تقاريرهم التى ارسلوها إلى الإنجليز تشهد عليهم بأنهم يقولون فى السر غير مايكتبونه فى الجهر وانهم يندددون امام الانجليز بأكابر بلادهم كما يندددون امام أكابر بلادهم بالانجليز .

ان هلباوى بك محام وكالته عصبة عدلى باشا فى قضية خاسرة .

فكان من تهويشه فى دفاعه الكاذب عن ١٣ نوفمبر .

ومناوأة الحركة الوطنية فى دم هلباوى بك من زمن يرجع إلى يوم كان شاهد ملك الثورة العرابية .

× وأطلقت الصحف على الهلباوى (جلاد دنشواى) .

وقد رفع قضية امام محكمة (قصر الدوار) ضد من يدعى أحمد نوح الذى هتف فى الطريق العام : ليسقط جلاد دنشواى (١٨ نوفمبر ١٩٢٤) .

وقد حكمت المحكمة بأن هذا التعبير لا يعتبر قذفا يعاقب عليه وقد دافع كثير من

الكتاب عن ابراهيم الهلباوى وقالوا انه حاول ان يكفر عن ذنبه فى دنشواى بدفاعه عن ابراهيم الوردانى قاتل بطرس غالى وأنه قال فى مرافعته: لقد جئنا إلى هذه القاعة للدفاع عن الوردانى ومن أجل ذلك وجب علينا أن ننكر ذواتنا وان نغفر كل ما وجهه الينا مواطنونا · اللهم إننا نستغفر مواطنينا عما نكون قد وقعنا فيه من اخطاء · ان الذين شاركوا فى هذه المحكمة – يعنى دنشواى – أو تولوا تمثيل النيابة فيها قد اعتبرهم مواطنوهم قواد جيش التسليم للعدو – ويميل الجمهور لاتهامهم بأنهم يخدمون العدو أكثر مما يخدمون مصالح الوطن دون ان يقدر مواطنوهم الظروف التى تصرفوا فيها تصرفاتهم ··» ا . ه

الصحافة إزاء القادة

وكما أختلف موقف الصحف من الأحداث التى شغلت الأذهان فى خلال هذه الفترة كذلك أختلفت فى موقفها من شخصيات القادة .

وأمامى نماذج من جمال الدين الأفغانى وعرابى من ناحية محمد على وإسماعيل وعبد الرحيم الدمرداش ولورنس وغردون من ناحية أخرى .

جمال الدين الأفغانى

كان اتجاه الصحافة يقف من البطولات القائمة فى أبانها موقف الخصومة . وكان موقفها من جمال الدين الأفغانى واضحاً فقد حاولت أن أجد فى مختلف الصحف المصرية الصـــادره فى ٩ مارس ١٨٨٩ ومابعدها[1] أى كلمة فى نعى لهذا العلامة النابه فلم أجد ، ذلك أن الصحف العثمانية كانت تريد أن ترضى السلطان عبد الحميد الذى أمر بأن يخفى خبر وفاته ولا يعلن ، والصحف المواليه للانجليز كان تـكره الأفغانى، حتى لقد سئل أصحاب المقطم والمقتطف لماذا كتبوا عن محمد عبده ولم يكتبوا من جمال الدين فأجاب الدكتور صروف فى المقتطف يقول ما معناه أنهم لا يعرفون أن لجمال الدين الأفغانى من الآثار الفكرية شيئاً يعتد به أو يجهله أهلها لكتابه ترجمه له . وبذلك ينـكرون أثره الضخم الباهر ويكشفون عن حقد الإنجليز الذين أزعجهم جمال الدين وهو يسعى لتنـكيس أعلامهم فى العالم العربى والإسلامى . أما الصحف الموالية للخديو فـكانت تـكره هذا الثائر الذى دعا إلى الشورى والنظم الديمقراطية للحد من سلطان استبداد الأمراء والملوك والولاة .

ولذلك عجزت الصحف عن أن تـكرم جمال الدين الإفغانى لأن كل منها

---

(١) نشر نعى جمال الدين الأفغانى فى المقطم والمؤيد يوم ١٥ مارس ١٨٨٩ .

كانت موالية لحزب أو لجبهة أو معسكر وكلها معسكرات تكره الحرية ودعاتها .

نفى جمال الدين الأفغانى

بمناسبة القبض على جمال الدين الأفغانى وأخراجه من مصر أعطت الصحافة(١) صورة فى هذه الفترة فقد نشرت الوقائع بلاغا رسميا هذا نصه :

« لما كان الأمن والأمان والراحة والاطمئنان يتوقف عليهما تمام العمران ومن أنجح الأبواب وأصلح الأسباب التى بها نجاح الممالك وسلوكها فقطع دابر المفسدين الساعين فيما يضر بالدنيا والدين .

ويكون ذريعة للطائشين المتظاهرين بين الناس بمظهر الحرية على غير شرع وأصل ثابت ، إنما هو مجرد خزعبلات وترهات وأضاليل وأضحوكات نسجوها لاقتناص أفكار السفهاء والجهال الذين بمعزل عن معرفة شىء من مصالح الأعمال وللتوصل إلى أغراضهم الفاسدة ومقاصدهم السيئة الكاسدة وحكومتنا [illegible] متيقظة كل التيقظ فقد تم من التحقيقات بأن هناك جمعية سرية من الشبان ذوى الطيش مجتمعة على فساد الدين والدنيا والضرر بالبرية ورئيسها شخص يدعى جمال الدين الأفغانى مطرود من بلاده ثم من الآستانة العلية لما ارتكبه من أمثال هذه المفسدة فى ديارنا المصرية المحققة بالقبض على أوراق عنده مضمونها شاهد عليه بالتوسل بتلك الجمعية إلى السعى فى جميع القبائح والمفاسد التى لا تخفى على أهل الكياسة ، وهذا من أكبر ما يغير الأفكار ويجب أن يعامل مرتكبه بالتشديد والأنكار فالتزمت هذه الحكومة الحازمة أن تستعمل السداد فى قطع عرق هذا الفساد فأبعدت ذلك الشخص المفسد من الديار المصرية ووجهته فى طريق السويس إلى الأقطار الحجازية لازاله هذا الفساد من هذه البلاد عبرة للمعتبرين » .

---

(١) الوقائع المصرية ٣١ أغسطس ١٨٧٩ — ١٣ رمضان ١٣٩٦ .

وموقف الصحافة من « عرابى » كان بالغ الأسى ، فقد هاجمته الأهرام بعد الاحتلال مباشرة ووصفته بالخيانة والنزق والطيش[1] أما الصحف الثلاثة التى صدرت بعد الاحتلال : المقطم والمؤيد واللواء فقد هاجمت عرابى عند عودته من المنفى هجوماً عنيفاً . وقد لاندهش المقطم ، أما المؤيد واللواء فمن العجب أنهما كانا أشد قسوة من المقطم ، فى الهجوم على عرابى ، ومصدر ذلك : أنهما كانتا تتكلمان بلسان الخديو خصم عرابى : ولعل هذا مما يؤخذ على جريدة اللواء بالذات التى كانت لسان حال الحزب الوطنى الثانى ، والتى شق صاحبها طريقه لتكملة ما دعا إليه عرابى .

عاد عرابى إلى مصر من المنفى عام ١٩٠١ ، وقد استقبله الأهرام فى [illegible] سبتمبر سنة ١٩٠١ بمثل ما استقبلته به جميع الصحف وهذا ما قالته :

يحمل إلينا القطار مساء اليوم (عرابى) وقد أبيضت لحيته [illegible] وهد منه الشلال والانكسار والوهن [illegible] التاريخ [illegible] من الصيت والسمعة والجبروت [illegible] هذا الوطن (مصر [illegible]) الوطنية المصرية فلم يحسن تأسيسه ولم يعرف أن يوثقه لنفسه أو لغيره .

فلم يبق من عرابى إذا غير رجل كل ما فيه الاسم ، وكل ما فى [illegible] ذكرى لحوادث مضت وأصبحت ملك التاريخ بحسنها وسيئها وجيدها من رديئها . ولا يبقى الجيد من مستحسن لأنها تعود جميعاً إلى علة واحدة ، أنتجت لمصر هذا المعلول الذى لا تريده وتبكى كل يوم فى فؤادها وهو الاحتلال، أن رجلا حكم عليه التاريخ بالتمرد على سيده وسلطانه وعلى أميره ومولاه وحكم عليه وطنه بأنه على بلائه

---

(١) أقرأ فصل « الأهرام » ص ٨٥

وشقاته وحكم عليه القانون والعدالة بالإسقاط من ذروة شرفه وعزه وبالإزالة من عالم الأحياء لولا رحمه ولى أمره لجدير بأن يقابل وهو عائد من منفاه الذى بدل به من الموت أن لم يكون بالترحيب فبالأغضاء .

هذا الاسم الذى عدته مصر عنوان الأمانى والآمال فعكس أمانيها وأضاع آمالها يحرك فى القول شجن وفى الأقلام شجنا .

وكان عرابى قد أبى جده الفاكس وحظه السىء إلا أن يثير عليه سخط الساخطين وغضب الغاضبين فوقف يوم ودعه المسلمون فى سيلان يمدح الاحتلال تملقا اليه واستدراراً لكفه وما كفاه حتى ردد ذلك فى السويس .

وهو ينسب اليه الاحسان على مصر بالاحتلال ويقرع الامه بأنها كانت فى سنة ٨٢ عرابى فقط فلما زال وانكسر زالت .

ووالت الأهرام الكتابة عن عرابى : أول اكتوبر / ١٩٠١ (بقلم يوسف الخازن) « ما كادت قدم الرجل تطأ أرض السويس حتى قابلته الجرائد بالمقالات الضافية ناسبة اليه كل ما تم فى هذه الديار فى العهد الأخير فحسب البعض ذلك شراً وشؤماً على مصر . »

ولم يستطع الأهرام أن تخفى كيف استقبل الشعب الرجل من محطة العاصمة إلى منزله بالناصريه قالت : تطاولت الأعناق إلى المركبة التى ركبها وازدحمت الاقدام من حولها حتى صعب المرور . وركب عرابى عربة من عربات (أوتل بريستول) يجرها جوادان أبيضان مزينان بالشرائط الحمراء وقابلة النساء بالهتاف والاناشيد ورششن عليه من النوافذ العطر والزهر .

وتحدثت الصحف عن عرابى فى ٢١ سبتمبر ١٩١١ بمناسبة وفاته :

قالت الأهرام : توفى أحمد عرابى الذى قلب بثورته وجه المسأله الشرقية وغير

توازن القوات الاوروبيه . وجر على مصر الاحتلال وعلى السودان الشركة الانجليزية وجعل شرق أفريقيا ووسطها نهبا بين الدول والأمم بعد أن كان خالصاً لمصر .

أضاعت ثورة عرابي ذلك الملك المترامي الأطراف، وهدمت أوربا هذه السلطة الأفريقية التي لو أتم بنيانها لفاقت مصر اليابان وذهب العرابيون وذهب عرابي تاركين لأمتهم خاصة: الحسرة والغصه ولجميع الامة عامة ولامتهم أيضا العظة والعبرة »

كما كتب الأهرام في (٢٢ سبتمبر ١٩١٢) تحت عنوان : من هم العرابيون: قال : إذا عدنا إلى العرابيه نجد أثرها موجوداً لأن طلب الدستور كان أهم مطالب العرابيين ولأن توليه أبناء البلاد مناصب بلادهم دون سواهم كان من أساس العرابية »

وانصفت « الجريدة » عرابي فكتب لطفي السيد يوم وفاة عرابي (٢١ سبتمبر عام ١٩١١) يقول : لايجوز لنا أن نغمط حق الرجل في انالتنا الدستور بل يجب علينا أن نردد له شكر أبنائنا يوم صدور قانون الانتخاب وقانون مجلس النواب

تلك الحسنة الكبرى هي الدستور . ولولا عرابي لم يكن الدستور ، فالدستور المصري من عمله ومن صنع يده ، ومن أثار جرأته ، طلبه عرابي لا بوصف أنه عسكري ثائر ولكن بوصف أنه وكيل وكلته الأمة في الأمر فان عريضة طلب الدستور كانت ممضاة من الآف من وجهاء الأمه ومشايخها »

* * *

وعادت الأهرام إلى الحديث عن عرابي في أكثر من مناسبة فنشرت في ٢١/٣ عام ١٩٢٢ ما اسمته « أثر تاريخي : ماذا قال أحمد عرابي عن نفسه » وهو ملخص لحياة عرابي كان قد كتبه عن نفسه وسلمه إلى (السير رودلي الافوكاتو الانجليزي) الذي ترافع عنه أمام المحكمة العسكرية في القاهرة .

ثم عادت الاهرام فنشرت مقالا لادوارد أتكن فى ١٣/٢/١٩٢٣ عن عرابى أشار فيه إلى تراجع كرومر عن رأيه فى عرابى حين قال : لقد أسيء فهم حركة العرابيين فقد كانت إلى حد كبير حركة من المصريين ضد الحكم التركى غير أن (ادوارد اتكن) حاول أن يلصق بعرابى بعض الاتهامات ، منها أنه كان تابعا للسلطان العثمانى، وقال أن السلطان عبد الحميد كان ينوى أن يقدم عرابى باشا إلى العرش الخديو ، وان عرابى كان ألعوبة فى يد السلطان ».

ثم عاد الكاتب فانصف عرابى وقال : ليس من الانصاف أن يقال أنه كان دجالا فاننا إذا نظرنا إلى الاوساط الشرقية وإلى الجو الذى نشأ فيه لحكمنا بأنه لم يكن مدلسا ولا جاريا وراء المطامع الشخصية . وإنه كان يكره النظام الذى يخص الاتراك بخير المناصب العسكرية والمدنية فى مصر

وقد رد عبد السميع عرابى فى الأهرام على هذه الدعاوى (١٥/٢/١٩٢٣) وأشار إلى أن ما أورده من صلة عرابى بالخليفة كان [illegible] واستشهد فى ذلك بما [illegible] مستر بلنت فى خطابه إلى غلادستون [illegible] بريطانيا عن عرابى [illegible]

غردون ولورنس

ويقصر اتجاه الصحافة المصرية فى عدم تحررها من وجهة النظر الغربية وتجاهلها للاستعمار البريطانى وفهمها المسائل روح الاقليمية والتجزئة . يتبين ذلك من تكريمها لرجلين كانا من أكبر خصوم الامه العربية : هما لورنس وغردون.

فلورنس الذى وصف العرب فى كتابه (أعمدة الحكم السبعه) بأشد العبارات قسوة والذى كشف عن حقيقته بعد الحرب العالمية الاولى ، وأعلن أنه انما كان يدفع العرب فى هذه الحرب العارمة مع الاتراك لكى يفسح المجال لبريطانيا وفرنسا

وأوربا أن تسيطر على المنطقة والذى تـكشف إنه كان جاسوسا بريطانيا وعميلا للاستعمار تتحدث عنه الصحف المصرية بعد وفاته وتصفه بالبطولة ·

كتبت جريدة البلاغ (٢٠ مايو ١٩٣٥) تحت عنوان :

وفاة الـكولونيل لورنس مثال الجرأة والوطنية

ثم قالت : لو أن لورنس عش أيام القرون الوسطى لألفت عنه الاساطير وتنوقلت نوادره فى الشجاعة وهو مع هذه الشجاعة لم يكن جنديا جاهلا ·

كان لورنس صديقا للعرب وربما يقول بعضهم انه وجد فى هذه الصداقة مصلحة بلاده، ولـكن مما لا يشك فيه يقاناً ان الرجل عاشر العرب وأحبهم وبقى إلى يوم وفاته يدافع عنهم ·

وقالت الاهرام (٢٠ مايو [illegible]) :

زال اليوم من [illegible] ذلك الانسان [illegible] أصعب الظروف [illegible] الأرض شخصية [illegible] عظام [illegible] ·

لا [illegible] العرب [illegible] إلا الذين [illegible] يعرف كل أطوارهم [illegible]

كان متناهيا فى الحذق والشجاعة حكيما فى العظة « رحمه الله » ·

غوردون

أما غردون الحاكم الانجليزى الظالم الذى كان من أكبر رجال الاستعمار والذى حارب الحركة المهدية التى عملت لتحرير السودان فقد احتفلت الصحف بذكرى مرور ٥٠ عاما على مقتله (يناير ١٩٣٥) فـكتب الاهرام عنه أيام ٢٣ و ٢٥ و ٢٦ يناير ١٩٣٥ ·

قالت : ليس فى العالم من يجهل إسم غردون ولا يأسف للظروف القاسية التى

أدت إلى قتله فى حصار الخرطوم . وكان لمصرعه دوى كبير اهتزت له مشارق الارض ومغاربها (عطا الله انفانوس)

وكتب الصحفى العجوز فى بابه (على الهامش) يصف مقتل غردون مستشهداً بما كتبه مستر جا كسون مدير وادى حلفا قال « وقف على أعلى سلم السراى ينصت إلى تهليل وتكبير ألوف الدراويش وهم يقتربون منه شيئاً فشيئاً حتى اقتحموا السراى عليه . وتقدم أربعة رجال وتطلعوا عليه واقفاً فى أعلى السلم تعلوه هيبة وعليه وقار .

وكتبت تحت عنوان (غردون فى السودان) .

فى مثل هذا اليوم منذ خمسين عاماً سقطت مدينة الخرطوم وسار رجال الدراويش إلى السراى . وهناك من أعلى سلم السراى وقف حاكم البلاد (غردون) الممثل للحكومة المصرية وقابلها مقابلة الجندى يؤدى واجبه الاخير فى سبيل العلم والشرف فراشوا إليه سهامهم وصوبوا إليه نصالهم فسقط صريعاً، وهكذا مات الرجل العظيم » .

الدفاع عن محمد على

ودافعت الصحف عن محمد على دفاعاً متصلا ، وكان ذلك من الأمور التى لا سبيل إلى تجاهلها فى ظل حكم أسرته ولم يكن من المعقول أن تهاجم الصحف محمد على فى استبداده ومواقفه الظالمة واخطائه غير أن الصحف كانت حريصة على ان تنسب إليه البطولة فى كل ميدان، وقد فعلت ذلك بالنسبة لاسماعيل وفؤاد وفاروق .

كما نسبت الصحف اليه انه صاحب فكرة الوحدة العربية «وان المصريون دانو له بالطاعة ونقشوا اسمه على رقاق أكبادهم وأخلصوا له الود لأنهم وثقوا من أنه واحد منهم . وأن محمد على كان صاحب فكرة الوحدة العربية (محمد الغنيمى التفتازانى — ١٩/١٢/١٩٣٤ الأهرام)

ومع هذا فان صحفاً كثيرة هاجمت محمد على وأسرته وكان المنفلوطى واحمد فؤاد واحمد حلمى فى مقدمة هولاء الكتاب .

الدفاع عن اسماعيل

أما اسماعيل فقد جردت له حملات ضخمة للدفاع عنه وتصويره فى صورة البطولة

وقد بذل ابنه الملك فؤاد فى سبيل ذلك الكثير فاستحضر كبار المؤرخين وكلفهم بكتابة دراسة عهد والده واشترك فى ذلك القاضى كرابيس وإلياس الأيوبى وغيرهما .

وقد نشرت الأهرام مقالات متعددة لتوفيق اسكاروس عن اسماعيل منها مقالة (١٣ ديسمبر ١٩٣٤) وفى كل مناسبة قد كراه ، كما كتب التفتازانى عن اسماعيل(١٤/١٢/٣٤) واهتمت الأهرام بكتاب القاضى (بيير كرابيس) فكتبت افتتاحيتها يوم ٦/٥/١٩٣٤ تحت عنوان (اسماعيل الخديو الذى ظلمه التاريخ) وأشارت إلى كتابه (اسماعيل الخديو المظلوم) .

وقالت : أن القاضى كرابيس(قدساءه أن يقع الغبن على خديو مصر ولما كانت روح القضاء هى العدل فقد انبرى فى ثوب المحامى يدافع أمام محكمة التاريخ عن الرجل الذى ألغى السخرة وحسن الطرقات وبنى الكبارى وجدد بلاده على نمط أوربى حديث . وهاجم الذين سودوا صفحات اسماعيل أمثال ملنر وكالفين و كرومر » .

عبد الرحيم الدمرداش

وكما تجاهلت الصحف بطولات جمال الدين الأفغانى وعرابى ، فقد اهتمت ببطولات زائفة أمثال : عبدالرحيم الدمرداش عميل الاستعمار وشيخ الطريقة الدمرداشية التى استغله الانجليز فى تثبيت حكمهم فى مصر؛ قالت عنه الأهرام (٦/٢/١٩٣٠) بمناسبة وفاته: «لم ينتسب إلا لحزب الأمة الذى أسس أيام كان اللورد كرومر عميد بريطانيا فى مصر ، غير أنه كان من ناحية عقيدته السياسية مصادقا للجانب الانجليزى دائما وقد ثبت على هذا المبدأ ثباتا تاما ، فكان صديق جميع المتمدين والمندوبين السامين الانجليز إلى مصر . وقد شيد العمارات واقتنى الأطيان حتى أصبح من أصحاب الثروات الواسعة فى مصر

وكان رأيه السياسى ومذهبه فيه أن راحة مصر والمصريين هى فى مصادقة الانجليز الصداقة التامة . وقد وضع نفسه بينهم هذا الموضع الصحيح المحقق لهذا الرأى فكاتبه لورداتهم بما سيبرهن على تبادل تلك الصداقة . »

الصحافة إزاء الأحداث الاجتماعية

لم تقصر الصحافة مهمتها على السياسة وحدها ، بالرغم من أنها شغلت الجانب الكبير من نشاطها ، فقد عنيت بالإقتصاد والإجتماع والفكر ، وكان العمل في هذه الميادين قائماً على أساسين واضحين :

١ — كسب أكبر عدد من القراء المعنيين بهذه الشئون

٢ — توجيه الرأى في هذه الميادين حسب وجهة نظر هذه الصحف أو أحزابها ، وكانت أكثر الصحف اهتماماً بالإقتصاد والإجتماع : هي الأهرام والمقطم ، وكانت صحف الوفد والأحرار معنية بالأدب والفكر وعنيت صحف الوفد بقضايا العالم العربي والإسلامي وأفسحت صدرها للكثير من الكتاب العرب الكبار أمثال شكيب أرسلان وعبد العزيز الثعالبي .

وحملت جريدة السياسة لواء الدعوة إلى التجديد وحرية الفكر ومقاومة الجمود وبلغت في ذلك أقصى غاية ، فقد كان كتابها جميعاً من المفكرين الذين هاجموا قيود الأدب والدين وجروا في ركب التغريب وكانت لها معركتين في هذا الصدد هما : كتاب الإسلام وأصول الحكم لعلى عبد الرازق والشعر الجاهلي لطه حسين .

غير أن هذا الإتجاه قد تحول فيما بعد حوالى عام ١٩٣٢ وفى عهد صدقى عندما تحولت سياسة الأحرار الدستوريين إلى كسب الشعب وتملقه من ناحية الفكر ، فبدأت الكتابات الإسلامية تشق طريقها إلى جريدة السياسة وخف الهجوم على الأزهر وكانت معركة التبشير هي نقطة التحول في اتجاه حزب الأحرار والسياسة لكسب الرأى العام عن طريق الدفاع عن الدين وتبع هذا كتابة الدكتور هيكل لفصوله عن النبي محمد مترجمة من أميل درمنجم ثم متحررة عنه .

كما حملت السياسة لواء الدعوة إلى الاقليمية ومعارضة الاتجاه العربى وتأكيد النزعة المصرية ودعت إلى تمصير مصر وخلق أدب مصرى منفصل عن الأدب العربى له مفاهيم خاصه وتاريخ منفصل عن التاريخ العربى ولغه مصرية منفصله عن اللغة العربية وحمل لواء هذه الدعوة الدكتور هيكل وطه حسين وعنان.

ثم تحولت السياسة عن هذا الاتجاه أيضاً حين حمل محمد على علوبة وكيل حزب الأحرار الدستوريين لواء الدعوه إلى المطالبة بوحدة عربية تامة على اساس تعريب المناهج التربوية وحمل حمد الباسل ومكرم عبيد فى الوفد لواء الدعوة إلى الوحدة العربية .

وحمل أحمد زكى باشا وأحمد شفيق فى الأهرام وعبد الرحمن عزام فى الجهاد وزكى مبارك وعبد القادر المازنى فى البلاغ لواء الدعوة إلى القضايا العربية والسعى لتوحيد مناهج التعليم العربية وحمل « المقطم لواء الدعوة إلى القوميه العربية من الزاوية البريطانية باسم الدين وعلى حساب الحزبية .

هذا بينما كانت صحف الوفد تحمل لواء الإعتدال فى تجديد الفكر والأدب وترعى مشاكل الرأى العام ،وقد أفسحت جريدة كوكب الشرق صدرها للهجوم على على عبد الرازق وطه حسين على أثر كتابيهما .

وكانت جريدة الأهرام أكثر الصحف بعد الحرب العالميـة الأولى افساحاً للابحاث الإجتماعية والإقتصادية والزراعية وشئون القطن والمحاصيل والخيش، ولكنها كانت جميعها من وجهة نظر الرأسماليين وأصحاب المصالح وليس من وجهة نظر الشعب

وقد اختلفت وجهات نظر الصحف فى القضايا الاجتماعية كاختلافها فى القضايا السياسية تماما ، فبينما أفسحت الأهرام صدرها لحملة الشيخ محمود أبو العيون عن البغاء هاجمت السياسة هذا الإتجاه وأيدت بقاء البغاء .

* * *

تناولت أبحاث الصحف فى غير ميدان السياسة عشرات الموضوعات التى يمكن اجمالها فى : التعليم ، والمرأة والعمل ، والمرأة وحقوقها ، واللغة العربية فى المحاكم والغاء الامتيازات الأجنبيـــة والإصلاح الإجتماعى ومشكلة الزواج والطلاق والزواج بالأجنبيات وتنظم الأسرة وتدعيمها واختلاط الجنس والمرأه المصريه فى ميدان السياسة والقطن والزراعه والريف ومشاكله وقضاياه . ومؤتمر الطلبة الشرقيين ومشروع القرش وقناة السويس واصلاح الأزهر والتجديد الدينى.

وقد حملت الصحف وجهات النظر المختلفه فى هـذه الموضوعات ، وجهة نظر المحتل ووجهة نظر الحـكومة ووجهة نظر الحزب المتصل بالشعب والحزب المتصل بالإقطاعيين .

ولم تـكن الـكتابات فى هذه الموضوعات أكثر من ابحاث إنشائية عريضة براقة المظهر ، ذلك أن الصحف لم تـكن من القدرة بحيث تستطيع مهاجمة الاقطاعيين أو النفوذ الاستعمارى الذى كان يفرض سلطانه على جميع هذه المشاكل والقضايا.

والشيخ محمود أبو العيون يعد من الأمثله الفذة فى ميدان الإصلاح فقد كتب فى سنة ١٩٢٢ مقالات تحت عنوان الصحيفه السوداء هاجم فيها سياسة الانجليز فى كل ميادين الثقافة والتعليم والاجتماع والصحة .

ثم نادى بالتعليم الدينى عام ١٩٢٤ وما بعدها ودعا إلى تنظم الأزهر سنة ١٩٢٥ وكتب مقالاته فى مهاجمة البغاء عام ١٩٢٣ وعاودها أعوام ٢٦ و٢٨ و١٩٣٢ ثم كتب مقالاته عن (ضيعة الأخلاق) عام ١٩٣٣ و ١٩٣٤ وكتب معارضا العرى والمصايف فيما بعد ،ولقد لقيت كتاباته عن البغاء معارضة جريدة السياسة وفكرى أباظه فى الأهرام كما أصبح موضع سخرية الصحف الـكاركاتورية التى كانت تتناوله بالنقد والتجريح والسخرية فى صور وكلمات بعيدة كل البعد عن الأنصاف .

واقد كانت الصحف فى خلال مواجهتها لـكل هذه القضايا ترى أنها قضايا متصلة بالقضية الـكبرى وإن الاستعمار كان من ورائها فى سبيل اذلال الشعب وأنه كان يقود معارك التشير والمخدرات والبغاء ، غير أنها لم تـكن تستطيع أن تواجهها مواجهة صريحة على النحو الايجابى الصريح .

كما تناولت الأبحاث كل ما يتصل بشا كل المجتمع فى هذه الفترة:

× الاشتراكية والشيوعية ومخاطرها ومناهضتها عام ١٩٢١ و ١٩٣٣

× حفلات دار المندوب السامى لرجال الدين عام١٩٢٦ و ١٩٣٢

× فوضى الألقاب ١٩٣٢

× حماية الاحداث ومعاملة المجرمين والمشردين ١٩٣٣ و ١٩٣٩

× الغناء القومى والغناء المريض وأناشيد المدارس والنشيد الوطنى ١٩٢٥ و ١٩٣٤ و ١٩٣٩

× الرد على تشويه سمعتنا فى الخارج ١٩٣٣

× حقنا فى قناة السويس ١٩٣٧ و ١٩٣٨

× الواحات والعريش وجزيرة سينا وصحارى مصر ١٩٣٢ و ١٩٣٧

× السجون وإصلاح أنظمتها ١٩٣٩

× مشروع القرش ١٩٣٢

× أزمة الأخلاق وتوجيه جهود الشباب ١٩٣٢ و ١٩٣٣

× التسول والشحاذة ١٩٣٣

× الرد على هجوم المحامى باباكوس على النيل (الاكربولصاف والنيل كدر) ١٩٣٣

التعليم

ونال التعليم الحظ الأكبر من أبحاث الصحف وقد تناولت هذه الأبحاث مهاجمة الاتجاه الاستعماري الرامي إلى قصر التعليم على أبناء الاغنياء، ودعا إلى تعليم أبناء الفقراء وتناولت الصحف تياراً ضخماً من ميادين الصراع بين التعليم الفرنسي والتعليم الانجليزي ونفوذ الثقافتين وصراعهما والبحث في المفاضلة بين النظريتين : نظرية ازالة الأمية فقط أو تعليم الأمة ، وتحدث الكثيرون عن أنظمة التعليم في بريطانيا محبذين اياها ودعا الآخرون إلى المطالبة باستحضار خبراء أجانب كابحث منهج تعليم البنات في مصر والتعلم الديني في المدارس واختلاط الجنسين وحرية التعليم.

كما تناولت الأبحاث الصراع بين الجامعة الأمريكية والمدارس الفرنسية وكلية فيكتوريا الانجليزية وجرى بحث التعليم الالزامي على أثر عقد مؤتمر التعليم الأولى في يوليو ١٩٢٥ وقد حضره من المربين : أمين قنديل والمعجاني وعبد العزيز شاويش والكرداني والسباعي بيومي وشفيق غبريال ونبويه موسى وأحمد شفيق وأمير بقط والعمروسي وسيد كامل وأحمد أمين وفريد أبو حديد .

وتعددت الآراء فيه وقال شاويش « ان الأمة لا تكون أمه إلا إذا بنيناها من الأساس ، فانقص أولا وابن بعد ذلك . أما الذي يبني على العاهات فلا يقوم بنائه» وقالت نبويه موسى : ان المرأة شقيقة الرجل فما يفيد في تهذيب عقله وينفعه ينفع في تربيتها وتوسيع مداركها».

وقد كانت هذه محاولة للقضاء على اثار دنلوب واتجاهاته غير أن التعليم مع الأسف ظل يرسف في قيوده فان الاستعمار البريطاني حينما نفض يده ظاهريا بعد الاستقلال (١٩٢٣) كان قد ترك ورائه انصاره وأعوانه المؤمنين بنظرياته، ولذلك جرت مساجلات ضخمة كانت تهدف إلى منع الطبقات العامة من التعليم كما جرى بحث مشكلة المعلمين العاطلين وتنظيم الجامعة الأزهرية والتعلم الحرفي وجرى بحث طغيان

السياسة على التعليم، واشترك فى هذه الأبحاث عدد كبير من الباحثين أمثال مأمون عبد السلام والعمروسى وعباس عمار ومن الحلبم الياس نصير ومحمود أبو العيون وأحمد عطيه الله وسيد قطب وأحمد عزت عبد الكريم وعطية الابراشى واحسان القوصى واستر فهمى ويصا وعزيزه فوزى ومى وأمير بقطر .

حقوق المرأة

وكانت حقوق المرأة من أهم الموضوعات التى عالجتها الصحف واضطربت فيها بين آراء المحافظين والمجددين وكان ميدان الجدل : التعليم والسفور والاختلاط والعمل . وكانت معركة المرأة قد بدأت منذ ١٨٩٨ عندما أصدر قاسم أمين كتابه الأول تحرير المرأة ، وثارت حوله المعارك فى الأهرام والمؤيد، ثم أصدر كتابه الثانى ١٩٠٠ يرد على كل ما وجه اليه

ثم تجدد البحث والجدل بعد الحرب العالمية ، ففى مايو ١٩٢٠ احتفل بذكرى قاسم أمين ومن يومها بدأت معركة استمرت إلى يوليه ١٩٢٠ بين السفوريين والحجابيين ، وكانت الأهرام أوسع ميدان لها .

غير أن مسألة المرأة لم تلبث أن تطورت بكتابات كثير من المثقفات أمثال هدى شعراوى وسيزانبراوى ومنيرة ثابت ونبويه موسى ولبيبه أحمد وعزيزه فوزى واستر فهمى ويصا ومى زيادة .

وبدأت تحرر حقوقها ومطالبها فلم يلبث البحث أن اتصل بتشغيل المرأة ومستقبلها ومهمتها وعملها ومطالب المرأة وزواج المعلمات واختلاط الجنسين وأزمة الزواج وتصيب المرأة فى السلام العالمى وحقوق المرأة والفتاة فى ميدان العمل

واحتفلت الصحافه باستغال أول ثلاث فتيات بالمحاماه (أغسطس ١٩٣٩)

الاصلاح الاجتماعى

واتصل هذا بالاصلاح الاجتماعى عامة فقد جرى البحث حول انشاء المجلس

الأعلى للاصلاح الاجتماعى وحماية الأسرة وتقييد الطلاق والزواج وحدود التقليد والاقتداء من أوربا ، ونظام الاسرة والزواج المختلط وحاجة المجتمع إلى ثقافة نسوية وتحريم الزواج بالاجنبيات .

وفى هذا الميدان كتبت مى زيادة ومنيره ثابت ونعيمة الايوبى وفريد وجدى ومصطفى فهمى وعبد الله حسين ومنصور فهمى وناهد فهمى .

إصلاح الريف

وتناولت الصحف إصلاح الريف فى عديد من الأبحاث واتصلت هذه الأبحاث بعلاج الفلاح ودراسة مشاكل القرية ونظام الحكم فى القرية وأبحاث القطن والقمح والصحه ومياه الشرب والرى .

وقد اشتغل بهذه الأبحاث: بنت الشاطىء ومحمد عبد الله العربى وعباس عمار وعثمان مرتضى وعبد الحليم الياس نصير .

وقد كانت أغلب هذه الأبحاث نظرية ولم تستطيع الصحافة أن تقدم أى مشروع إيجابى قابل للتنفيذ .

حركة العمال

واستغلت الصحافة بحركة العمال التى بدأت فى مايو ١٩٢٠ واستمرت تتناول جميع قضايا العمال من تخفيض ساعات العمل والصناعة ومعالجة البطالة وإعداد تشريعات لحقوق العمال .

وقد اشتغل بهذه الابحاث محجوب ثابت وعزيز ميرهم وحسن الشنتناوى

اللغة العربية والغاء الامتيازات

كما تناولت الصحف قضية اللغة العربية فى المحاكم المختلطة ، وقد أثار هذه المعركة عبد السلام ذهنى فى اكتوبر عام ١٩٣٤ وامتدت طويلا وجرى البحث حول تدوين الاحكام باللغة العربية وامتـــدت إلى مسأله اللغة العربية فى الشركات والبنوك والمرافعة باللغة العربية فى المحاكم المختلطة .

وكما جرى البحث إلى إستعمال اللغة العربية فى المحافل الرسمية

ثم تناول البحث : الامتيازات الأجنبية والمحاكم المختلطة وأثر الامتيازات الأجنبية فى نظام الضرائب وانتهاء أجل المحاكم المختلطه ، الذى تحقق فى ١٥ اكتوبر ١٩٣٧ . وقد كان الاستعمار حريصا على أن لا تحقق اللغة العربية ماهو مفروض لها من مكانة فى المحاكم المختلطة . ولذلك أثار عاصفة من مهاجمة مصر لتصرف عبد السلام ذهنى وتناولت الصحافة أمر اللغة العربية فى البنوك والشركات

التعاون

وحظى التعاون بعديد من الأبحاث عن وسائل تحقيقه وتشجيعه كما تناولت يوم التعاون والنظم التعاونية ، وقيام جمعيات المستهلكين والتعاون الزراعى وكيفية تنفيذ قانون التعاون وجمعيات التعاون وكيف يفهمها الشعب والتعلم التعاونى واقراض المزارعين واحصائيات التعاون .

وقد كتب فى هذا الموضوع : أحمد الشنتناوى وابراهيم رشـــاد والدكتور الدردرى وفتح الله بركات وصادق عسكر . وبهى الدين بركات وعبدالله حسين

وكانت أول نقابة تعاونية تأسست بفضل جهاد عمر لطفى فى شبرا النملة ١٩١٠ برأس مال قدره ٢٠٩ جنيه وبلغت النقابات حتى الحرب العالمية ١٥ نقابة ثم بلغت عام ١٩٢٧ إلى ١٠٢ نقابة وزادت بعد إلى ١٦١ نقابة .

ومما يذكر أن النفوذ البريطانى قاوم هذه الجمعيات ثم سيطر عليها الاقطاعيون وأداروها لحسابهم وبذلك لم يتحقق ماهدف اليه عمر لطفى من تحقيق الخير للفلاح الصغير .

معارك المخدرات والبغاء والتبشير

المخدرات والبغاء والتبشير من أكبر هذه المعارك التى قادها الاستعمار من طرف خفى فى سبيل تدمير الحياة الاجتماعيه والفكريه للأمه .

المخدرات

× ولقد تناولت جميع الصحف مسألة المخدرات ولكنها لم تتمكن من أن تكشف عن الجانب الخفى منها ، وهو أن النفوذ الأجنبى كان يقود هذه المعركة ويمدها بأسباب القوة والحياة ثم هو فى نفس الوقت عن طريق رسل باشا حكمدار القاهرة كان يتظاهر بأنه يقاومها .

وفى خلال هذه المعركة كان رسل باشا يرسل النداء تلو النداء عن جهوده فى مقاومة المخدرات فى نفس الوقت الذى كان يشرف فيه على عمليات التهريب

وقد وجه حكمدار القاهرة استفتاءاً على صفحات الجرائد إلى الجمعيات والكتاب فى ١٠/٥/١٩٣١ عن رأيهم فى هل إباحة الحشيش ينقص من استعمال المخدرات الأخرى أم لا ، وكان معنى هذا موافقة (رسل باشا) على إباحة الحشيش فى مصر .

وكان يقول إنه بذلك يخفف من استعمال الأفيون والمخدرات الأخرى .

وقد ردت عليه جمعية الشبان المسلمين وعدد من الكتاب يسخرون من هذا الرأى ، ولطالما شوه رسل باشا الذى انتدبته الحكومة المصرية لمحاربة المخدرات — شوه سمعة مصر فى المؤتمرات الدولية وجمعية الأمم فقال « إن الأمة المصرية أمة مدمنة على المخدرات (٧ مارس ١٩٢٧) وقد علقت الأهرام على « نظافة هذا الوصف

الذى توصف به أمة أمام جمعية الأمم وبالتالى أمام الأمم والشعوب المحترمة التى تحكم علينا بالسقوط والضعف والانحلال . »

وقد بدأت معركة المخدرات (الكوكايين والهروين) فى الصحف المصرية بعد الحرب العالمية الأولى، فقد كانت حملة من حملات الاستعمار ظلت تتسع وتنمو حتى قضت على عدد كبير من الأهالى، وجرت الأبحاث حول مكافحة المخدرات وعجز السلطات المصرية عن ذلك نظراً للامتيازات الأجنبية التى كانت تحمى عدداً كبيراً من الأجانب الذين يقومون بهذه التجارة ويكسبون من ورائها آلاف الجنيهات .

وقدمت الاهرام تحقيقات صحفية (أغسطس ١٩٣٠) عن ما أسمته اطلال البشرية ومستعمرات العقول . وجرت أبحاث عن مرض السل واتصاله بالمخدرات واثر الحكومة التركيه فى عمليات التهريب .

وقد ظل رسل باشا ينادى : انقذوا بلادكم .

كما قال إنه من الضرورى إشعال نار الحرب المحرقة على تجارة المخدرات فى داخل البلاد وخارجها، وكانت هذه التصريحات موضع سخريه العالم كله لما هو معروف من دور رسل باشا فى هذه المسألة .

وفى كل عام كانت الصحف تنشر تقارير مفصلة لرسل باشا عن مقاومة المخدرات كان يلقيها فى جنيف . كما نشرت الصحف مقالات متعددة فى البلاغ والجهاد وكوكب الشرق ونشرت الاهرام أبحاثا عن حيل مهربى المخدرات والمدمنين الذين تطوعوا للعلاج وكذلك عن اشتراك مصر فى لجنة الافيون .

وأعلن رسل باشا فى (ابريل ١٩٣٤) إن خطر المخدرات قد زال . ولكن الصحف مازالت تعنى بهذا الموضوع حتى عام ١٩٣٨

ورددت الصحف مانشرته الصحف الاجنبية من انتشار تجارة المخدرات فى مصر ومهمة رسل باشا وأنه منذ عام ١٩٢٩ أصبح القطر المصرى موئلا للمخدرات ومروجيها ومتعاطيها وأنها أهلكت خمسمائة ألف نسمة (من ١٤ مليون) وأن المدمنين من الشباب والنساء والفتيات بلغ ٢٤ ٪ من أهل مصر . وقالت الصحف الاجنبية أن مصر كانت هى السوق التى تباع فيها المخدرات علنا « والسوق الذى لم يجد تجاسوه مكانا أصلح من القطر المصرى فتوافدوا عليه حاملين سمومهم كهدايا لهذا الشعب البرىء » .

ومما نشرته جريدة الأهرام فى هذه المعركة قولها : ٢٢/١٢/١٩٢٤ : أغار على البلاد سيل شديد من هذه الموبقات الواردة من الخارج (الأفيون والكوكاكين والهروين . والمورفين) ووجه فكرى أباظه خطابا فى الأهرام إلى : (صاحب الفضيلة رسل باشا) (الأهرام : ٢٢/١٢/١٩٢٤) قال فيه :

اقسم لك أن تلك الحصون التى بناها ويبنيها الانجليز من النار والحديد . وأن تلك الفرق الاحتلاليه برماحها وسيوفها وقنابلها ومدافعها لاتهدد مصر البائسة بأشد مايهددها الكوكاكين

واتسع البحث فى الغاء البغاء على أثر حملة الشيخ محمود أبو العيون الضخمة البارعة التى بدأها فى نوفبر ١٩٢٣ واستمرت حتى عام ١٩٣٢ وتجددت فى كل مناسبة وقد جرى البحث حول معالجة هذه المشكله ،وكانت الأهرام هى مجال الحملة على البغاء ، بينما هاجمت السياسة والبلاغ وغيرها هذه الحملة وسخرت من الشيخ أبو العيون واتهمته بمختلف الاتهامات واضطرته مراراً إلى إيقاف الحملة ومعاودتها مرة أخرى .

وقد حمل الدكتور هيكل والعقاد وفكرى أباظه وسلامه موسى على الشيخ أبو العيون كما احتفلت الأهرام بأول مدير ألغى البغاء وهو عبد السلام الشاذلى مدير البحيرة .

وقد كان البغاء سلاحا من أسلحة الاستعمار البريطانى ولذلك فقد عجزت الصحافةعن أن تحقق أى نصر فى هذا الميدان وقوبلت الحملةعليه بالسخرية من عملاء الاستعمار .

وتكشف جريدة السياسة عن حقيقة أهدافها وموقفها من القضاياالاجتماعية والاستعمار بمناقشة مسألة البغاء؛قالت جريدة السياسة (١٥ سبتمبر١٩٢٥) : أن الشيخ(نقصد ابو العيون) الذى درس مسألة البغاء على مايقول درسادقيقاًوأحصى أماكنها الرسمية وغير الرسمية احصاءاً شاملا فسجل فى كتاب مطبوع أسماء الشوارع والحارات وأرقام البيوت التى تجرى فيها « مذابح الأعراض »ولم ينقصه إلا تسجيل أسماء الثاويات فى تلك البيوت :

وقالت السياسة: ان كل ما يمكن عمله لمقاومة هذا الشر هو حصر ضرره فى

دائرة معينة والتفكير فى خلق عوامل اجتماعية جديدة تحل محل الوسائل المادية التى وصفها الدين لمقاومة أسباب البغاء .

وقال أبو العيون : ومعنى هذا أن البغاء عندهم يجب أن يبقى ولكن يبقى محصوراً فى دائرة معينة وعلى هذه النظرية المكوسة يتهيأ لمن يقيس الأشياء بأشباهها أن يقرر أن كل الاوضاع السماوية المحظورة إذا أجرى على ارتكابها وطال عليها العهد صارت مرضا اجتماعيا . »

× وعادت جريدة السياسة إلى مناقشة الشيخ أبو العيون مرة أخرى بعد عام كامل ففى ٩ سبتمبر ١٩٢٦ كتبت تحت عنوان (الغاء البغاء الرسمى : مسألة يجب الحذر فى معالجتها) قالت :

الشيخ الذى فتح باب الكلام فيه من أذكياء الشيوخ لا نحب أن تغلب روح الجدل التعصب فى نفسه على عوامل الذكاء فيها ، وايقنا انه متى توغل فى بحثه فهو مصطدم حتما مع عقبات اجتماعية وإدارية ليس يسهل التغلب عليها طفره كما يحسب الأستاذ .

وان الشيخ الذى درس مسألة البغاء وسهر الليالى الطوال باحثا منقبا حتى إهتدى لمكان الداء لم يكن من السهل على نفسه بعد كل هذا الجهد أن تصدمه إدارة الامن العام بعدم التصديق على قرار أحد المجالس المحلية بالغاء نقطة المومسات بها فهو يحتج على تصرف إدارة الامن العام ، ووالله ما ندرى أيريد الأستاذ إصلاحا حقا أم هو يبغى مجرد مظاهر شكلية ليقال ان الشيخ قد هاجم البغاء فأفلح فى الهجوم .

والبغاء موجود منذ وجد الناس ، وقد تبدلت عليه فى العصور المختلفة صور من التحايل شتى ، ولم تدخر الأديان ولا المصلحون جهدا فى سبيل مقاومته .

× وقالت جريدة السياسة فى ٢٧ سبتمبر ١٩٢٦ :

الشيخ أبو العيون يعرف قبل غيره أن صحته الـكبيرة غير منزهة ، وان ليس من حكومة رشيدة تأخذ بما يدعو عليه من رفع الرقابة الصحية على فئة تعسةمن النساء رمى بها الشقاء إلى بؤرة البغاء .

وهو يعلم انه لم يقصد بالاف على مكاتب الوزراء ودور العظماء لأخذ رأيهم فى مسألة البغاء الا شيئا واحداً هو الاعلان عن نفسه · فقد تمود أبو العيون منذ خمس سنين ان يخلق كل سنة موضوعا يثير حوله ضجة على صفحات الجرائد ويتخذه ذريعة ليتقرب إلى الوزراء والعظماء . واهما بأنه بذلك يستطيع أن يرضى الجميع ويداور الجميع . أما الغيرة على الدين والبكاء على الفضيلة والتحسر على الانسان فـكلمات جوفاء لم يقصد بها الشيخ لأكثر من خداع الجمهوروجره وراءه مصفقا مهللا، وعلى الرجل أن يدرك الحقيقة وان يعلم انه يجول فى غير ميدانه ويشتغل بما لا يعلم : ولـكنه لم يوفق لإدراك قدره ·

نسى كل هذه الاعتبارات وتمادى فى دعائه الغيرة على الفضيلة والدين ورمى الذين يخالفون رأيه الاخرق بالدعوة إلى مخالفة الدين والحض على الفسق فى أوامر الله ·

ثم قالت السياسة :

ان الدعوة إلى الغاء البغاء الرسمى مع انتشار البغاء غير الرسمى فلا معنى لها على الاطلاق إلا الغاء الرقابة الصحية وفتح الطريق أمام الامراض الخبيثة ·

أما أن يلبس ثوب الطبيب فتطفل من الشيخ غير معقول ، وان مهمته أن يقول ان البغاء حرام وقد قالها ، ونحن نقولها معه ،ولـكن العالم الدينى ينسى ان من قواعد الدين الاسلامى انه إذا اجتمع الضرران ارتـكب الأخف . وان اقرار البغاء الرسمى أقل ضرراً من الغائه .

وقالت السياسة : ما بنى فى اجيال لا يمكن هدمه فى يوم ، ولست أنت الرجل الذى يستطيع أن يجد من الملاج خيرا مما أوجدت تجارب الزمن عـلى المفـكرين ، فأنت أصغر من ذلك جدا والذين يستطيعون البحث فى هــــذا الموضوع يجب أن يكونوا أكبر منك جدا ، ومن الاجرام أن يتخذ الرجل اسم الدين سلاحا لاثارة موضوع خطر يجر وراءه العامه إلى طريق مضللة ·

× وهاجم العقاد الشيخ أبو العيون فى البلاغ (١٧ سبتمبر ١٩٢٦) بعد أن عارض الغاء البغاء وأ كد استحالة ذلك قال :

... بقى أن أقول للشيخ أبو العيون القائم بهذه الحركة انه كما يعلم هو وكما يعلم عارفوه من المقربين الى حسن نشأت والوزارة الزيورية وجماعة الاتحاديين وانه كان أحد العاملين فى ذلك الشغب الذى أنشأه نشأت فى الأزهر على عهد الوزارة الشعبية ·

وانه أصاب خيرا كثيرا من صاحبه هذا وأذنابه أيام الحـكومة المشئومة ·

فلماذا لم يلحف الشيخ فى طلبه الذى يشتغل به الآن على أصدقائه أصحاب السلطان بالأمس وأولئك السادة الذين كانت له عندهم خطوه حسنة وكان له بينهم سعى مشـكور ·

أهى غيرة دينية لها مواسم ومواعيد ، أم مسألة إحراج وتغرير بالجماهير على حساب اسم الدين واسم الأخلاق ا.هـ.

[ومعنى هذا أن القضايا الاجتماعية لم تكن تعالج مجردة ، فهى دائمـا ترتبط فى نظر الصحف بالانصار والخصوم وترتبط أيضا بالمسائل الشخصية ولا يمكن أن ينظر إليها على أنها مسائل اجتماعية حرة ، وانما يهاجم الشيخ أبو العيون لأنه ليس من أنصار هذا الحرب أو ذاك وتشوه دعوته ·]

× وسخرت مجلة روز اليوسف من الشيخ أبو العيون (أكتوبر ١٩٢٦) فقالت :

لا يزال الشيخ ابو العيون التقى الورع يتابع صراخه وصياحه فى الجرائد والمجتمعات لمكافحة البغاء وحمل الحكومة على الغائه .

ويروى — والعهدة على الراوى — ان امرأة من (اللى بالكم فيهم) ذهبت إلى وزارة الداخلية وطلبت المثول بين يدى وكيل الداخلية أو مدير الامن العام وقالت انها مستعدة أن تتزوج الشيخ ابو العيون لأنه واجب عليه أن يعطى المثل الصالح الذى يدعو اليه ويتزوج واحدة منا .

× ودافع (سلامه موسى) فى جريدة البلاغ عن البغاء (١١ابريل١٩٣٣) فقال ان الذين يطالبون الغاءه هو البغاء الرسمى ، أما البغاء نفسه فلن يلغى والحكومة عندما تقبض على بغى وتطالبها بأن تكون رسمية تحمل رخصة وتقيم فى منزل، إنما حين تفعل ذلك لاتزيد البغايا واحدة بل تحيل بغيا تمارس مهنتها فى الظلام إلى بغى تمارس هذه المهنة جهرة فى النور » ١ هـ

[ولعله مما لايشرف الصحافة أنها أيدت بعد ذلك إلغاء البغاء عندما خفت قبضة بريطانيا على هذا الخطر وقد كتبت بعضها تؤيد شرف العمل الذى قامت به الحكومة إذ ذاك دون أن تبحث هذه القيود التى وضعتها ضد الغائه فى هذه الفترة التى نؤرخها]

معركة التبشير

تعد معركة التبشير أخطر هذه المعارك وأشدها عنفا ، وقد بدأت في خلال حكم إسماعيل صدقي ، وهو العهد الذى استطاع الاستعمار البريطاني فيه أن يركز على تحقيق بعض أهدافه في تمزيق وحدة الأمة وتحطيم قواها الروحية والمعنوية

وقد اشتركت جميع الصحف في هذه الحملات ماعدا صحيفتي الشعب والاتحاد .
وكانت أشد الصحف عنفا في مقاومة هذه الحملة جريدة السياسة والدكتور هيكل بالذات وأهل الصحف المعارضة لصدقي باشا قد استغلت هذه المعركة لمقاومة حكمه وليس كعمل مجرد في سبيل مقاومة التبشير نفسه . أما جريدة الأهرام فقد عنيت بأن تصور موقف المسيحيين من التبشير وكراهيتهم ومعارضتهم له وعدم اشتراكهم فيه

وكان التبشير حديث الصحف خلال شهور مايو ويونيه ويوليه ١٩٣٣ وجرى اتهام الجامعة الأمريكية التي كانت حصن الحركة .

وكانت هذه المعركة قد بدأت بحادث التبشير الذى وقع ليوسف عز الدين عبد الصمد ، الذى كان طالبا بالجامعة الأمريكية في القاهرة فلما أحيل إلى النيابة تبين من شهادة أحد الطلبة ان الجامعة الأمريكية تدرس الانجيل للطلبة مسلمين ومسيحيين .

ولم تجدى الحمله على الجامعة الأمريكية التي كانت في حصانة الاستعمار والامتيازات ، بل إن هذه الجامعة لم تلبث ان فتحت برنامج محاضراتها بأجرأ كاتب في مصر يستطيع أن يواجه هذه العاصفة وهو الدكتور طه حسين .

كما ألقى على عبد الرازق محاضرة عن الدين تعرض فيه للتبشير في جرأة بالغة وسخر مما قيل عنه وقال ان الاسلام قوى ولا يؤثر فيه التبشير .

وتوالت حوادث التبشير واختفى طالبين آخرين .

وجرى بحث دور الهيئات الأهلية فى هذه المعركة وضرورة انشاء مدارس ومستشفيات المسلمين حتى لا يتعرضوا لاخطار مدارس ومستشفيات المبشرين ، والاكتتاب لها ودور مشيخة الأزهر فى مقاومة التبشير . وعلاقة الكنيسة بالنسبة للتبشير ولم تلبث حكومة اسماعيل صدقى أن أحالت صحف السياسة وكوكب الشرق إلى محكمة الجنايات بشأن مقالات التبشير .

× ومما نشرته جريدة البلاغ عن حوادث المبشرين (١٩٣٢/١/٢٥)

لقد كثرت حوادث المبشرين ولم ينس الناس بعد حادث صمويل زويمر فى الأزهر ولا حادث خطف الفتاة من شبين القناطر ، ولا نظن حكومة مهما ضعفت ترضى لنفسها ولشعبها هذا الهوان بدعوى الامتيازات الأجنبية .

ولكن كيف يطمع أحد فى أن تقف الوزارة الحاضرة موقفا جاداً إزاء هذه الحوادث وهؤلاء المبشرون يلقون — باعتراف صحف الوزارة — فى دور الحكومة كل مجاملة وكل مساعدة .

× وقالت جريدة الجهاد : ١٩٣٢/٦/٢٣ .

الواقع ان التبشير حركة استعمارية وليست بحركة هداية الى دين المسى أيا كان الذى تدعو اليه فاننا لا نعرف دينا من الأديان يوصى بالغدر والخيانة . انها أحابيل للعيش ينصبها المستعمرون لخدمة المطامع السياسية ويتوسلون إليها بأناس يرتزقون من هذه المواد .

× وكتبت جريدة السياسة وكانت أنفذ الصحف فى بحث عوامل حملة التبشير الحقيقية فقال الدكتور هيكل : تغريب الشرق إنما يقصد به الى قطع صلة الشرق بماضيه جهد

المستطاع من كل ناحية من النواحى ، وإذا أمكن قطع صلة التفكير والعقيدة بين الماضى والحاضر ، وأمكن صبغ ماضى الشرق بلون قاتم مظلم يرغب عنه أهله ويرون فيه عاراً لهم، نجح هذا التغريب وفقدت شعوب الشرق صلتها بماضيها ففقدت بذلك أعظم جانب من حيويتها وبقيت عيالا على الغرب يتطلع إليه تطلع أعجاب وتقديس وعباده وترى فى خضوعها له شرفاً كبيرا .

وقد نجح كتاب الغرب فى تصوير تاريخ الشرق فى لون قاتم جعل أبناء الشرق أنفسهم يحسون أن بينهم وبين أيام مجدهم الوفا من السنين تقضت وكانوا أثناءها خاضعين لألوان من المذلة لا يستطيعون دفعها .

لذلك أريد قطع صلة حاضرنا بماضينا فى التاريخ وفى العلم وفى التفكير كذلك أريد قطع هذه الصلة فى أمر العقيدة ووكل إلى المبشرين أن يقوموا بهذه المهمة الخطيرة هى تزييف العقيدة الإسلامية وأن يحملوا المسلمين على الاعتقاد بأنها سبب تأخرهم وعدم بلوغهم مبلغ الغرب فى حضارته .

وقد اعتمدت عدة ملايين للتبشير فى الشرق عندما أبرمت معاهدة «لاتران» مع أيطاليا وردت إلى الفاتيكان الأموال التى كانت الحكومة الايطالية قد حجزتها منذ ١٨٧٠ .

× وقد نشرت جريدة السياسة عشرات المقالات فى هذه الحملة على هذا النحو: ١٢ / ٦ / ١٩٣٣ — التبشير والسياسة التى توازرة ١٣ / ٦ حديث المراغى عن التبشير ١٤ / ٦ التبشير بالتعذيب ١٥ / ٦ حديث عن التبشير ١٦ / ٦ حول التبشير . تصريح الحكومة عن التبشير ١٨ / ٦ انتشار مآسى التبشير ١٩ / ٦ رجال الدين والأزهر وموقفهم من التبشير ١٩ / ٦ تغريب الشرق والتبشير ٢٠ / ٦ حوادث التبشير فى مصر حلقة من سلسلة الغارة على العالم الإسلامى

٢١ / ٦ حركة التبشير ، حملة على المبشرين ومؤيديهم ٢٢ / ٦ غزو العقيدة الإسلامية غاية التبشير ٢٣ / ٦ العذاب فى سبيل العقيدة : حديث الأستاذ الأكبر عن التبشير ٢٥ / ٦ خطر الحركة التبشيرية وعقد مؤتمر إسلامى ٢٦ / ٦ تبعاتنا كمصريين مما يقع من التبشير ٢٧ / ٦ حديث عن التبشير مع إبراهيم الهلباوى ٢٧ /٦ مسئولية الوزارة الحاضرة عن حوادث التبشير ٢٩ /٦ ملايين الجنيهات للهيئات التبشيرية ٣٠ /٦ التبشير والاقليات . الخ الخ

وقد أشار الدكتور هيكل فى مذكراته إلى موقفه من معركة التبشير فقال :

كنت قد قمت بحملة على التبشير والمبشرين بالغة فى العنف ولما كانت الأنباء ترد الينا عن نشاط الحركة التبشيرية فى مصر وفى المعادى وفى المطرية وفى بورسعيد لم أجد فى التحقيق معى مايمنعنى من أن أتابع حملتى الصحفية العنيفة على هذه الحملة التبشيرية الاثيمة ، وأن ألقى على أدارة الأمن العام الأوربى فى وزارة الداخلية المصرية تبعتها . واستمرت الحال شهوراً دعيت أثنائها إلى النيابة غير مره ورفعت الدعوى علينا أمام محكمة الجنايات بتهمة أننا نحرض أهل الأديان المختلفة بعضهم على بعض .

× ووصفت مجلة النهضة جذور حركة التبشير وربطتها بالدعوة إلى الالحاد (٢٤ أكتوبر ١٩٣٢) فقالت : كانت الحركة الالحادية فى عام ١٩٢٦ والنصف والأول من عام ١٩٢٧ على أشد ما تكون قوة ونشاطا . وكانت مبادىء روسيا وجمعيات أمريكا اللادينية تردد على صفحات السياسة الأسبوعية ومجلة المصور بأساليب مختلفة ، وتحدث المطلعون على مقدار الصلة بين المصريين المشتغلين بالصحافة وبين زعماء تلك الجمعيات فى الخارج .

وقالت مجلة النهضة الفكرية : أنه وقعت فى النصف الأخير من ١٩٢٧ مشادة بين محمد محمود

رئيس حزب الأحرار وبين هيكل رئيس تحرير جريدة السياسة سببها تألم أنصار الحزب من الخطة الالحادية التى تسلكها جريدة السياسة . فقد نشرت حملات وتصريحات لطه حسين ومصطفى عبدالرازق وسلامه موسى فى مهاجمة الإسلام والتشكيك فى الأديان وأن التبشير شيء هين أمام حركات والالحاد والملحدين .

وقالت النهضة : أن جمعيات الالحاد تعنى أكبر عناية بمصر وتعتقد أنها قلب الشرق ومعقل الإسلام ، وإذا كان للحاد وطريق والتبشير طريق يختلف عنها فإن هناك أتفاق على هدم الإسلام .

× وهاجمت جريدة الشعب حملات الصحف ودافعت عن الوزارة قالت فى ١٩ / ٦ / ١٩٣٢ : ماذا أستطاعت واحدة من الوزارات الوفدية أن تقف من المبشرين موقفاً يشعر بأن هناك غيرة على دين الدولة أو تقدير لعواطف المسلمين أو شعورهم بنعمة تلك الوسائل التى هى أدنى إلى الجريمة والاجرام منها إلى التبشير بدين من الأديان أو مذهب من المذاهب ، وقالت جريدة الاتحاد (١٩ / ٦ /١٩٣٢) :

هذا النحاس باشا الذى تحدث صحفه دويا وتثيرها حملات كلامية ضد أعمال المبشرين السيئة ، وأنه لا يعدو أنه فرد من الأمة .

ماذا فعل هذا الزعيم لخدمة الإسلام من خطر الزيغ وتضعضع العقيدة . أنه يغشى المساجد للصلاة فى أيام الجمعة ولكنه لم يفعل هذا إلا بعد أن سقط عن الوزاره وأفلت زمام الحكم من يده .

× وكشف عبد القادر الحسينى من دور الجامعة الأمريكية فى التبشير والالحاد وهدم الاسلام، وذلك عندما أعلن ذلك فى حفل توزيع الشهادات فاحدث ذلك ضجة كبرى . وقد أحتضنت جريدة البلاغ هذا الموضوع (البلاغ ٢٦ يوليو ١٩٣٢)

وأشـــار عبد القادر الحسيني أنه يدرّس في الجامعـة الأمريكيه كتاب [Problems of Religon] (مسائل الدين) .

ويقول هذا الـكتاب عن النبي (ص) أنه في السنوات الأخيرة من حياته صار مداورا ٠ كان يخترع الرؤى والأحلام الموافقة لحاجاته وقد سور تاريخه ببعض الأعمال المنطوية على الغدر والخسة ٠

ويقول هذا الكتاب في الإسلام : أنه دين حربي وينص على الجهاد على الـكفار وتنقصه الصفات الرقيقة العذبه التي للمسيحية . ولم يثبت حتى الآن أنه دين رقى وتقدم ، وهو يجيز الرق وتعدد الزوجات ويعد بالطيبات الشهوانية في فردوس مادى جداً،وأن الاسلام وهو أحدث الاديان الثلاثة فأنه دون الاثنين الاخيرين من حيث روح الخلاص العالمية ، وقد احتفظ بصبغته السامية الاولى بل حتى بالعربية وليس له قدره على الامتداد والتوسع ولا على التـكيف تبعاً للثقافات ٠ ٠ »

وقد طرد عبد القادر الحسيني وسحبت شهادته ، بل أن الحـكومة طاردته من مصر لانه قال كلمة الحق وأرشد الدولة إلى وكر من أوكار الفساد يعلم أبناء الامة ٠

وكان لنفوذ الاستعمار البريطاني على الحـكومة القائم أثره في حماية الجامعة الامريكية وفي حماية عمليات التدمير والهدم في المدارس الاجنبيه وفي حماية التبشير وعمليات الالحاد ٠

× وقد أشار كتاب (التبشير والاستعمار) للدكتورين فروخ وخالدي : إلى دور الصحافة في التبشير فقال : « أنه منذ انتهاء الحرب العالمية الاولى والمبشرون يسعون إلى استغلال الصحافة استغلالا واسعاً في مادة التبشير، أنهم يرون أن المسلمين يكثرون من

قراءة الصحف ولكنهم يرون أيضاً أن (المادة المسيحية) قل أن يقبل عليها القراء وقل أن يفسح لها الصحفيون مكاناً فى صدر صحفهم إلا إذ عدت من باب الأعلانات ودفع المبشرون عنها أجراً بعدد سطورها .

وقال الكتاب : أن المبشرين أعلنوا بأنهم أستغلوا الصحافة المصرية على الاخص للتعبير عن الآراء المسيحية أكثر مما أستطاعوا فى أى بلد إسلامى آخر، وقد ظهرت مقالات كثيرة فى عدد من الصحف المصرية أما مأجورة فى أكثر الأحيان أو بلا أجرة فى أحوال نادرة[1] .

* * *

وقال عبدالقادر حمزة (البلاغ) أنه بالرغم من أعلان هذا الذى حدث فى الجامعة الأمريكية فأن أحداً من مشيخة الأزهر أو الحكومة لم يتحرك مع أن الطعن موجه إلى الدين نفسه ولم يقف الأمر عند هذا الحد فقد أتضح أن وزارة المعارف أعطت الجامعة الأمريكية ٤٠٠ جنيه أعانة سنوية .

× وسخر الدكتور طه حسين من الحملة على التبشير التى تقوم بها جريدة السياسة وكتب فى جريدة كوكب الشرق (١٤ يونيو ١٩٣٣) فقال :

الحديث عن المبشرين فرض كفاية إذا قام به المراغى سقط عن الظواهرى وقد تحدث المراغى أول أمس فسكت الظواهرى أمس ، ولكن (السياسة) قليلة العلم بأحكام الفقه فهى تعتقد أن على كل عالم من علماء الدين أن يتحدث عن المبشرين . والحديث عن المبشرين لا يخلو من ضرر ولا سيما حين يكون المتحدث من أهل المناصب الكبرى فهو قد يغلو فيستقيل أو يقال وقد يقصر فتسوء به الظنون .

---

(١) المصدر كتاب Christion Literatnre

قيود الصحافة ومحاكمات الصحف

واجهت الصحافة العربية فى خلال تاريخها الحديث معركة أضخم من كل المعارك التى خاضتها؛ هى معركتها مع السلطات الحاكمة وتعرضها لمخالفة القوانين ودخولها فى نطاق التحقيقات والمحاكمات .

وقد كان طبيعياً أن ترى السلطات الحاكمة فى الصحافة قوة لها خطورتها وسلاحاً يجب مواجهته بالقوانين التى تحدد وتنظم كل ما يتعلق بأعمالها .

وقد صدرت الصحف تحت إشراف الحكام والولاة والسلاطين أو لحسابهم أو لحساب الحكومات المحتلة المسيطرة على بعض أقطار العالم العربى . ولذلك كانت فى خدمة هذه الجهات ، وعندما بدأت الصحافة الوطنية تشق طريقها كما حدث بصدور صحف أديب إسحق وسليم نقاش وعنخورى والصحف المعارضة للحكام كأبو نضارة أصدرت الحكومات قوانين مشددة تجعل لها حق المصادرة والاغلاق للصحف والمحاكمة والسجن لكتابها .

ثم لم يلبث العالم العربى كله أن وقع فى قبضة الاحتلال الأنجلوفرنسى وأصدر الاستعمار صحفا وكون له كتاباً ، وحاول مقاومة الصحف الوطنية والبطش بها وافقارها ومحاكمة كتابها حتى تضاءلت هذه الصحف وهاجر كتابها من الأوطان أو هجروها إلى أعمال أخرى تحت ضغط الإغراء أو الوعيد .

وفى مصر أطلق كرومر حرية الصحافة وسمح للصحف الوطنية والصحف الموالية للخديوى أن تتكلم غير أنه واجهها بصحف أخرى تقاومها وتخدم أهدافه وتدعو له ، فعندما صدر المؤيد لسانا للخديو صدر المقطم ليناوئه ولما صدر اللواء لسانا للوطنيين صدرت الجريدة لتحمل فكرة مضادة لحساب أصحاب المصالح .

وفى إبان الاحتلال البريطانى — وبعد ذهاب كروس اشتدت قبضة الاحتلال على الصحف الوطنية وصودرت وأغلقت واحدة بعد أخرى . ثم كانت الحرب وقد ارتفعت أسعار الورق واشتدت القيود مما قضى على الصحف الوطنية قضاءاً نهائياً فلم يصمد فى السوق إلا الصحف المحايدة المعتدلة التى كانت تساير اتجاهه .

ولقد بلغ العسف حده حتى فضل أمين الرافعى إغلاق جريدة (الشعب) بعد أن ضيق عليه، وكانت مقالاته تحت سيطرة الرقابة تقتطع منهـا أغلب أجزائها ؛ بل لقد كانت أحياناً تمنع بالـكامل وتصدر الشعب ومكانها بيضاء .

وانتهت الحرب العالمية لتبدأ الصحف الوطنية فى الظهور فى ظل الأحكام العرفية فلما صدر تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ وأعلن استقلال مصر وصدر الدستور وتولت الحـكم على أساسه الوزارات المختلفة واجهت الصحافة مرحلة جديدة من مراحل الاضطهاد.

ذلك أن الصحافة أصبحت حزبية تمثل كل جريدة حزباً وقد استن سعد زغلول سنة اضطهاد الصحف المعارضة ومصادرتها وإغلاقها ومحاكمة كتابها بل واغرى أنصاره بالهجوم على هذه الصحف وقذفها بالحجارة .

وتوالت الوزارات فى الحكم وفى كل عهد تجد الصحافة المعارضة الاضطهاد.

ولعل صحيفة واحدة لم تصادر أو تنذر فى هذه الفترة فقد أنذرت الأهرام والمقطم وأغلقت صحف بعد أخرى وسجن عبد العزيز شاويش والمنفلوطى والعقاد وتوفيق دياب .

وقدم المحاكمة عشرات من الـكتاب ورؤساء التحرير وأغلقت عشرات من الصحف .

وكان أقسى هذه الفترات : ابان حكم اليد الحديدية (محمد محمود) سنة ١٩٢٨ —

١٩٢٩ وحكم صدقى (١٩٣٠ – ١٩٣٤) فقد أغلق محمد محمود أكثر من خمسين صحيفة فى يوم واحد وصادر صدقى باشا عدد كبير من الصحف ، وفرض رفع اسم أى رئيس تحرير يصدر عليه حكم فى قضية صحفية مرتين .

محاكمة جريدة الاهرام

وقد وقعت أول محاكمة صحفية فى مصر سنة ١٨٧٩ حينما غضب الخديو على جريدة الأهرام لتعرضها لبعض تصرفاته فأمر بتعطيلها والقبض على صاحبها وتقديمه للمحاكمة . وقد كاد ذلك يقع لولا تدخل الحكومة الفرنسية التى كان صاحب الأهرام يومئذ من رعاياها وانتهى الأمر بالإفراج عنه ، وأطلقت صحيفته وعدل عن محاكمته .

وفى نوفمبر ١٨٨١ صدر أول قانون المطبوعات ، وقد أورد ضمانات كبيرة لمراقبة الصحف ثم عدل عام ١٨٩٤ وفى عام ١٩٠٢ أثير أمر هذا القانون فى الجمعية العمومية وفى ١٩٠٤ فى مجلس شورى القوانين أثير مرة اخرى أمر الصحافة وقيودها .

وتعرضت جريدة الأهرام مرة أخرى للتعطيل عام ١٨٨٤ حيث قرر مجلس النظار تعطيلها شهراً لنشرها مقالات سياسية وصفت بأن من شأنها أن تسىء إلى سمعة الحكومة وسمعة الخديو . فقد نشرت فى عدد (١١ أغسطس) مقالا لمراسلها فى لندن يفيض طعنا فى الخديو وحكومته . وقامت السلطات بتنفيذ قرارات التعطيل وإغلاق مطبعة الجريدة بالأسكندرية . وتدخل قنصل فرنسا فى الأمر ، وطالب بلهجة الأمر بالغاء هذه الإجراءات . وبادر صاحب الأهرام برفع قضية تعويض على الحكومة المصرية أمام القضاء المختلط . واضطر نوبار باشا ناظر النظار — إذ ذاك — ووزير الخارجية أن ينزل فى النهاية عند حكم

الظروف وسحب قرار الحكومة. (١)

محاكمة جريدة المقطم

كما اتهمت (المقطم والوطن والشرق) مأمور مركز كرموز بأنه يقبل الرشوة لقضاء حاجة الناس وحملت عليه فى بضع مقالاتها قالت فيها : إن المصريين لا يصلحون لوظائف المأمورين وأن هذه الوظيفة جديرة بعدالة الانجليز . وقد دمغت النيابة المقطم والوطن والشرق بأن أخبارها غير صحيحة . وتعوزها الأدلة والبراهين وأنكرت عليها أنها لسان من ألسنة الأمة .

قضية المؤيد

ومن أبرز هذه المحاكمات قضية التلغرافات الشهيرة ١٨٩٦ حيث بدأت إذ ذاك الحملة الانجليزية التى سيرتها بريطانيا إلى دنقلة، والتى كانت أخبارها تصل إلى وزير الحربية سراً بالتلغراف . وكان الرأى العام مهتما بأمر هذه الحملة لاعتقاده أن الانجليز دبروا إرسالها إلى السودان لضمه إلى أملاكهم . فاتفق الشيخ على يوسف — صاحب المؤيد — مع شاب موظف فى التلغراف يدعى (توفيق كيرلوس) أن يوافيه بأخبار الحملة نقلا عن التلغرافات التى ترد إلى وزير الحربية وذلك مقابل مكافأة من المال، فكان هذا الشاب يدون هذه التلغرافات ويوافى بها صاحب المؤيد فينشرها (٢٨ يونية ١٨٩٦) فأثار ذلك ضجة فى الوكالة البريطانية وقد قبض على الشيخ على يوسف وتوفيق كيرلس وقدما للمحاكمة .

وقد أسفر التحقيق الذى أجرته النيابة العامة والذى قام به وكيل النيابة (محمد فريد) لم يسفر عن دليل ضد صاحب المؤيد ورفضت الدعوى العمومية عليه وعلى موظف مكتب البريد بتهمة افشاء الأسرار البريدية والتلغرافية .

---

(١) إبرهيم عبده : تطور الصحافة المصرية

ونظرت محكمة جنح عابدين في (١٧ نوفمبر ١٨٩٦) القضية ثلاثة أيام ومن شهودها ناظر الحربية وسير ويلى مدير التلغراف والدكتور فارس نمر صاحب المقطم وتادرس شنودة محرر جريدة مصر . ودافع عن المتهمين إبراهيم الهلباوى وأحمد الحسينى وصدر الحكم ببراءة صاحب المؤيد وقد ارتفع قدر المطبوع من جريدة المؤيد من ٣ آلاف إلى خمسة عشر ألفاً .

وكان من آثار هذا الحكم الذى صدر ببراءة صاحب المؤيد نقل القاضى الذى أصدره و كيل النيابة إلى إحدى بلاد الوجه القبلى ورفض محمد فريد تنفيذ الأمر إذ وجده ماساً باستقلال القضاء وآثر الاستقالة من منصبه واشتغل بالمحاماة واستأنف الحكم بالبراءة .

(بعث قانون المطبوعات القديم)

بعث العميد البريطانى (الدون غورست) ١٩٠٦ قانون المطبوعات القديم مبيحا للادارة حق انذار الصحف وتعطيلها وقاوم به الصحافة الوطنية ، متخذا أسلوبا عكسيا لأسلوب (كرومر) بعد أن آمن بأن الصحافة الوطنيه كانت من أكبر العوامل التى اخرجت سلفه . وقد بدأ بتقديم عبد العزيز شاويش إلى المحاكمة على أثر نشر اللواء مقالا هاجمت فيه حكومة السودان، عندما أصدرت حكم الاعدام على سبعين سودانيا وانقذته فى أربعين منهم فى قضية الكاملين كما عرض (الدن غورست) بكرامة قضاء المحاكم الابتدائية . وقد سجل الدن غورست فى تقريره العوامل التى دعته إلى الضغط على الصحافة الوطنية فقال :

إن قسما من الجرائد العربية فى مصر إزداد قدحا وكلاما قاسيا ازدياداً عظيما فى

---

(١) محمد عبد الله عنان : مجلة الكاتب المصرى (ديسمبر ١٩٤٦) ومجلة كل شىء مجلد ١٩٢٩

السنوات الاخيرة وطفق بنشر الاراجيف والاخبار الكاذبة وبنشىء المقالات المضللة عن أعمال الحكومة ونواياها ويلقى الكلام على عواهنه بغير حساب فيزيد إدارة البلاد صعوبة على صعوبة . وهو يتعمد فى كثير من مقالاته ايغار صدور العامة الذين هم الآن ولايزالون إلى ماشاء الله من الزمان على غاية من السذاجة لاينتشر لهم معها نقد الاكاذيب والمفتريات فى المطاعن التى تلقى على مسامعهم فى بلادهم كل يوم . وترى الشبان المصريين الذين لايزالون يتلقون العلوم يتهافتون على مطالعة هذه المقالات وأمثالها حتى لقد أفسدت ضمائر الأحداث المصريين الذين تعلق عليهم الأمال فى بلوغ مصر الحكم الذاتى بكثرة ماتلقيه على مسامعهم من أقوال الحماقه والجهل يوما فيوما »

كما عهد (الدون غورست) إلى وضع قانون النفى الادارى وقد حمل لواء هذا العمل بطرس غالى الذى أصدر القانونين وأحدث إصدارها دويا هائلا .

× وقد صور هذا الموقف الدكتور هيكل (تراجم ص ١٣٥) فاشار إلى أثر صدور القانونين فقال : أحدث صدورها فى البلاد دويا هائلا ، ووقفت الصحافة ووقف الرأى العام يندبان الحريه المضاعه ، وأمتدت هذه الضجة التى تناول مسألة كانت تتناول الوقت بعد الوقت فى الصحف ولكنها تنوولت هذه المرة بحدة لم يسبق لها نظير . ذلك أن الصحافة القبطية فى مصر كانت تدافع دائما عن بطرس باشا وكان تتهم الصحافة الاسلامية بالتعصب الدينى فى مهاجمتها اياه . وكانت النعره الدينية قوية فى ذلك الحين ، لذلك كانت العصبية الدينيه تدفع الكتاب إلى حدود غير معقوله ، وكان لهذه نظائرها فى أشد الأمم تحضرا وأقربها صحافة الأمم المسيحية خاصا باليهود ، وكانت بعض الصحف الاسلامية من جانبها لاتنى من مجاراة الصحف القبطية فى هذا المضار وسبقها .

× وقال أحمد شفيق باشا (ص ١٩٨ حوليات جـ ١) أن القانون الذى بعث كان شديد الوطأه وتتعارض أحكامه فى كثير من المواضع مع واجب ضمان الحريه للصحف فى إبداء رأيها ، وظلت الصحف تقاسى من هذا القانون الأمرين إلى أن جاء الدستور فضمن حرية الصحف أولا بنصه على هذه الحركة وثانيا بنصه على ألا تعطل الصحف إلا بأمر الحاكم .

× وأشار محمد عبد الله عنان إلى أن عبء المحاكمات الصحفية كانت تقع بالأخص على كاهل الصحف المصرية الصحيحة ، إما الصحف — غير المصريه — فلم يكن نصيبها دسائس القانون قط . ولم تتعرض لأى محاكمة قانونيه ، ويرى أن هذه التشريعات الاستثنائية كانت ترمى إلى كبح جماح الصحافة الوطنية لأنها هى التى تحمل علم الجهاد القومى . أما الصحف الأخرى فقد كانت وماتزال بعيدة عن هذه الاعتبارات القومية الخالصة . وكانت تغلب عليها بواعث المصلحة الخاصة ، أما الصحافة الاجنبية فلم تعرف المحاكمات الصحفية لتمتعها بالامتيازات الأجنبية .

وأشار عنان إلى أن فورة المحاكمات الصحفة كانت تشتد بنوع خاص حينما تشتد مراحل الجهاد الوطنى . فمثلا نرى هذه المحاكمات تكثر عقب حادث دنشواى حينما اشتدت حملات الصحف الوطنية على الاحتلال . » ا . هـ

بعد الحرب العالمية الأولى

ظل قانون المطبوعات قائما فى مصر حتى نشبت الحرب العالمية الأولى فاعلنت الحماية والأحكام العرفية وبدأت الرقابة على الصحف (٤ نوفمبر ١٩١٤) وألغيت فى (٢٧ يونيه ١٩١٩) على أن يراقب الصحفيون صحفهم بأنفسهم فلما استعصى عليهم القيام بهذه المهمة أعيدت الرقابة فى (٥ مارس ١٩٢٠) وظلت قائمة حتى

ألغيت فى ١٥ مايو ١٩٢١ فى هذه الفترة لقيت الصحافة عنتا فقد عطلت المحروسة التى كان يصدرها (عبد القادر حمزه)

وكانت قد صدرت فى ١٣ يناير ١٩٢٢ وإنضم إلى تحريرها عبد القادر حمزه وحافظ عوض وعبدالحميد حمدى مؤيده لسعدباشا وقد عطلت فى ٢٠ فبراير ١٩٢٢ ثم اصدروا الأهالى فعطلت أيضا فى ١٢ مايو ١٩٢٢ بحجة وصفت بأنها : سوء نية القائمين بالتحرير فيها وتضليل الأفهام وإثارة الخواطر ونشر أفكار باطلة ونزعات خطره .

كما قدم أمين الرافعى فى ١٩٢٣/١/٣١ وقبل صدور الدستور — إلى محكمة عسكرية وقد أبدت الأهرام دهشتها لهذا (لأن رصيفنا أول مجاهد بقلمه ولسانه فى سبيل الأمه) وكانت تهمته مخالفة الأحكام العرفية .

(بعد الدستور)

وصدر الدستور سنة ١٩٢٣ ونص على الصحافة وأغلق باب التعطيل الادارى ومع ذلك فقد ظلت الصحافة تتعرض لأشد مما كانت تلقى قبل الدستور وهذه بعض المحاكمات :

(١) يوليه ١٩٢٤ (جريدة السياسة) بتقديم محمد حسين هيكل وحافظ عفيفى وتوفيق دياب إلى المحاكمة لمقالات نشرت بأعداد ٣١ مارس ٢٤ و ١٣ و ٢٨ و ٣٠ إبريل ١٩٢٤ ومقال «شخصى الضعيف» فى ١١ مايو ١٩٢٤ ضد سعد زغلول رئيس الوزراء .

(٢) أكتوبر ١٩٢٤ (جريدة اللواء المصرى) بتقديم رئيس تحريرها أحمد وفيق إلى المحاكمه عن مقالات كتبها (بين ٢١ يونيه و ١٠ يوليه ١٩٢٤) وصفت بأن حشوها الاهانه فى حق موظف عمومى هو سعد باشا زغلول وقذف

للنيل منه بنسبته إلى الديكتاتورية والالوهيه والتعسف وإحلال النكبة بالبلاد والخيانة)

(٣) محاكمة منيره ثابت صاحبة جريدة (الاسبوار) الأمل: عن نقد المسيو موند دى بوش النائب فى المحكمة المختلطة . (١٩٢٦/٣/٢٦)

(٤) مقالات محمود عزمى (١٨ سبتمبر ١٩٢٧) ضد الملك فى جريدة السياسة اليومية .

(٥) قضية العيب فى الملك (٢٧ / ١٢ / ١٩٣٠) عباس محمود العقاد ومحمد فهمى الخضرى لمقالات نشرها العقاد فى جريدة (المؤيد الجديد) قدم من أجلها للمحاكمة وترافع عنهما وهيب دوس ومكرم عبيد وحكم على العقاد بالسجن عاما .

(٦) محاكمة حافظ عوض صاحب جريدة كوكب الشرق ١٩٣١/١/٢٠

(٧) تعطيل جريدة السياسة فى ١٩٣٠/١٢/٣١ ثم إحالتها إلى محكمة الاستئناف والتحقيق مع رئيس تحريرها ابراهيم عبد القادر المازنى وتعطيلها فى ١٠ سبتمبر ١٩٣١

× محاكمة توفيق دياب صاحب جريدة الجهاد وورائه فى ٢ / ١ / ١٩٣٢ ثم محاكمته مرة آخرى فى ٣ مارس ١٩٣٣ وحبسه تسعة شهور مع الشغل وغرامة ٥٠ جنيها (أفرج عنه فى ٢٢ / ١١ / ١٩٣٣) .

وتفتيش جريدة الجهاد فى ١١ / ١١ / ١٩٣٣ وأعتقال محررين من محرريها .

× محاكمة محررى السياسة وكوكب الشرق (هيكل وحفنى محمود وعبده حسن الزيات) بتهمة القذف فى وزير الداخلية فى المقالات التى نشرت عن التبشير فى الجريدتين (١٨ / ٤ / ١٩٣٣) .

× قضية نزاهة الحكم وتقديم الدكتور هيكل وحفنى محمود لمحكمة الجنايات (يونيه ١٩٣٣) .

× محاكمة البلاغ والكشكول والصرخة (عبد القادر حمزه وسليمان فوزى وأحمد حسن) ٢٤ / ٦ / ١٩٣٧ .

× التحقيق مع (البلاغ) عبد القادر حمزه والعقاد عن مقال (أذهبوا وحدكم ولا تأخذوا الدستور معكم) الذى كتبه العقاد فى البلاغ ٥ / ٩ / ١٩٣٧ وأعتقال العقاد ونقله إلى سجن مصر والافراج عنه بكفالة ٢٠ جنيها (٦ / ٩ / ١٩٣٧) .

× التحقيق مع البلاغ (عبد القادر حمزه) ٢٧ / ٩ / ١٩٣٧[1] .

تشريعات الصحافة

وقد جرت خلال فترة ما بين الحربين أبحاث كثيرة من تشريعات الصحافة حمل لواءها عبد القادر حمزه الذى قدم فى ٢٣ يوليو ٢٦ أول أقتراح لقانون لمعاملة الصحفيين ثم أعاد ذلك فى ١٣ / ١ / ٩٢٧ وكانت عهود أحزاب الاقليات كثيرة التهديد بأصدار تشريعات للصحافة لمقاومة صحف الاغلبية وقد ظهر هذا واضحاً أعوام ١٩٢٨ و ١٩٣٤ .

كما عدل قانون العقوبات فى ٩ يوليو ١٩٢٥ فى مواد جرائم الصحافة فصدر رسوم بقانون بتعديل بعض نصوص قانون العقوبات الأهلى (المادة ١٦٢ = من نشر بواسطة أحدى الطرق أخباراً كاذبة ولو كان ذلك على سبيل الأشاعة أو الرواية عن الغير أو أوراقا مصطنعة مزورة أو منسوبة كذبا لأشخاص يعاقب بالحبس

(١) أوردنا محاكمات صحف الكاريكاتير فى الفصل الخاص بها ص ٢٤٢

مدة لا تزيد على ١٨ شهراً وبغرامة لا تتجاوز مائة جنيه .

وحاولت الصحف الموالية لإسماعيل صدقى ٨/ ١١/ ١٩٣٠ تبرير تعديل قانون المطبوعات فقالت الأهرام :

«أجمع فى ذهنك ما كتبته الصحف والمجلات من القذف والتشهير بالأعراض وانتهاك الحرمات فى العشر سنين الأخيرة مما حاولت من أجله الحكومات المتعاقبة أن تضع قوانين الصحافة والقذف وغير ذلك فهل بعد خمسين عاماً تقدمت أخلاقنا وترقمت أقلامنا أم لاتزال تشكو المآل التعس الذى وصلت إليه فوضى الصحافة سنة ١٩٣٠ » .

حكم الأحرار الدستوريين

وقد لقيت صحافة المعارضة لحكم الأحرار الدستوريين العنت والشدة فقد ألغى محمد محمود باشا فى الشهور الأولى لحكم سنة ١٩٢٨ أكثر من ٦٠ جريدة قائمة ورخصة لجريدة عطلت وقد ألغيت هذه جميعها من غير محاكمة قضائية أو تحقيق أدارى .

وقد دافعت جريدة السياسة عن تصرفات حزب الأحرار الدستوريين غير أنها لم تلبث أن واجهت نفس المعاملة حين ولى إسماعيل صدقى الحكم .

سعد زغلول والصحافة

وقد صور أحمد شفيق باشا (ص ١٩٨ حوليات ج ١) ما لقيته صحف الأحرار الدستوريين من حكومة الوفد الأولى قال : رأينا الوزارة تعامل جريدة السياسة وهى لسان حزب الأحرار الدستوريين معاملة استثنائية فقد تعمدت عدم دعوة هذه الجريدة (الكبيرة) لحضور حفلة افتتاح البرلمان . ثم رأينا مكتب مجلس النواب يقرر حرمان مندوبها من حضور جلسات المجلس . وكان أشد ما كتبته الصحيفة بتوجيهها الانتقادات المرة للنواب الذين وافقوا على تقرير مكافأة قدرها ستمائة جنيه مصرى .

وقال شفيق باشا : أن الصحف التى تعارض حكومة سعد هى (١) اللواء : (لسان الحزب الوطنى) وقد عطلت عدة مرات فى عهد الأحكام العرفية وكانت معطلة عند افتتاح البرلمان (٢) جريدة الأخبار : وهى من أشد الصحف معارضة للحكومة وحملة عليها (٣) جريدة الكشكول : وهى جريدة أسبوعية مصورة اشتهرت بصورها الهزلية البديعة وهى ميالة إلى الأحرار الدستوريين .

أما باقى الصحف فكانت تابعة للوفد . وهذه الصحف لا ترى فى أعمال الوزارة إلا الحسنات :

وقال : لسنا نشير إلى المظاهرات التى قام بها أنصار الوزارة ضد الصحف المعارضة ، وكانوا يعتدون فيها أحيانا على هذه الصحف برمى الاحجار أو غير ذلك ، فأن أخبار هذه المظاهرات تجدها طول عهد وزارة سعد باشا .

وقد ضاقت الوزارة ذرعا بجريدة السياسة ، ولو لم يلغ قانون المطبوعات لما ترددت فى أغلاقها ، أما والدستور لم يسمح بتعطيل الصحف إلا بحكم المحكمة فإن الوزارة لما شعرت بشده وطأة الانتقادات التى توجهها جريدة السياسة رأت فى بعض المقالات ما قد تستحق المؤاخذة فطلبت الحكومة من النيابة التحقيق معها . فحققت مع الدكتور هيكل وحافظ عفيفى وطه حسين وتوفيق دياب .

وأمرت النيابة فى ٩ يونيه ١٩٢٤ بمصادرة الجريدة وتعطيل مطبعتها ، واستندت إلى المادة ١٦٧ من قانون العقوبات .

وعرضت القضية الأولى على محكمة الجنايات (جلسة ١١ يونيه ١٩٢٤) وأثارت هذه المحاكمة اهتماماً كبيراً لدى الرأى العام :

وحكم فى ٢٣ يونيه ١٩٢٤ ببراءة توفيق دياب وحافظ عفيفى وحكم على الدكتور هيكل بغرامة ثلاثون جنيها : ثم برىء هيكل فى القضية (٦ نوفبر ١٩٢٤).

كما حققت النيابة مع الكشكول والأخبار واللواء .

السياسة فى عهد صدقى

ولقيت صحف الأحرار الدستوريين فى عهد حكم صدقى ما لقيت صحف الوفد من الاحرار الدستوريين فالموقف الذى أثاره هيكل ورجال السياسة بمصادرة جريدة السياسة ثم جريدة الأحرار الدستوريين وأغلاقها هو نفس مافعله حزب الاحرار بصحف الوفد والمعارضه ، ففى ٣٠ يناير ١٩٢٩ تقول حكومة الأحرار الدستوريين فى بيان لها وزع على الصحف اليومية : « تطورت جرائد المعارضة فصارت تمشى تشهر بالوزارة وتحقرها وتتهمها بخيانة البلاد وحقوقها تلقاء ذلك نعلن أننا نقبل الانتقاد الذى لا يتجاوز حدوده المباحة ، أما التحقير والتشهير والرمى بالباطل والقذف بحوادث يجهلها هؤلاء النقاد كل الجهل . أما ذلك والطعن فى وطنية الوزارة فأنها لا نقبله بحال من الأحوال :

وقالت جريدة السياسة لسان حال الحزب الذى يحكم البلاد ويشكل الوزارة : أن الوزارة لا تقبل أن ترمى فى وطنيتها ولن تسمح بأن تتهم مثل هذه التهمة جزافا وأن تتركها تمر دون حساب .

ويظهر التناقض فى تأييد الدكتور هيكل لالغاء رخصة خمسين جريدة ومجلة وتعطيل عدد من الصحف المعارضة لحزب الأحرار أبان حكمه (١٩٢٩) وبين قوله عن أن تعطيل جريدة السياسة وجريدة الأحرار الدستوريين (٣١ يناير ١٩٣١) أبان حكم صدقى بأنه جبن وفرار من ميدان الخصومة الشريفة : قائلا : لما كانت الصحف فى الأمم كلها هى التى ألقى إليها أن تنير أمام الناس السبيل فى شئونهم العامة ، فقد جملت هذه الوزارة (وزارة صدقى) بعض سياستها وحين كانت خاضعة ماتزال لأحكام الدستور أن تلغى الصحف وأن تكسر أقلام الكتاب وأن تزج بعمر فى جو من الظلام .

وكان هذا القول مما يمكن أن يوجه إلى السياسة وإلى حزب الأحرار الدستوريين قبل ذلك بشهور قليلة .

× وهاجم الدكتور هيكل (١٧ يناير ١٩٣١) موقف حكومة صدقى من من الصحافة (ولم يكن موقف صدقى من الصحافة إلا مثيلا لموقف الأحرار الدستوريين منها) لذلك فان ما ذكره هيكل عن «الباطشين البغاة» ناسبا إياه إلى اسماعيل صدقى يمكن أن ينسب أيضا إلى السياسة والأحرار الدستوريين وحكومة محمد محمود :

قال هيكل : «فى عصور الظلم التى تمر بالأمم آنا بعد آن يعمد الباطشون البغاة إلى تقييد حرية القول والكتابة وفى سبيل هذا يصلون أرباب الأقلام حربا لا رحمة ولا هوادة فيها ، فمن إرهاق إلى سجن إلى نفى إلى تشريد وهم فى حربهم هذا يندفعون ضد الكتاب كاشرة أنيابهم محارة عيونهم مفتحة خياشيمهم لا يهدأ لهم خاطر إلا إذا اطمأنوا إلى أنهم حطموا هاته الأقلام إلى غير عودة لأن تكتب، وأذلوا نفوس حملتها إذلالا لا قومة لهم من بعده »

× وكان اسماعيل صدقى قد عطل صحف البلاغ (حمزة) واليوم (دياب) وكوكب الشرق (عوض) فى ١٥ يوليه ١٩٣٠ وقال فى قرار تعطيلها :

أن سلسلة الحوادث التى جرت أخيراً والتى كانت حوادث الاسكندرية آخر حلقاتها ترتبت على دعوة الغوغاء إلى الخروج على النظام والقيام فى وجه المكلفين بالمحافظة عليه . وقد كان من عقوبات هذه الدعوة ما كفلته لها بعض الصحف من نشر أخبارها وتحبيذ سيرة الذين اشتركوا فى الاعتداء على الأنفس والأموال والاشادة بذكرهم .

ولا شك فى أن تحكيم الغوغاء فى الشؤون العامة مما يهز أركان النظام الاجتماعى ويصدع بنيانه ويعرض البلاد للفوضى بشر النتائج .

وبما أن الدستور قد خول الحكومة لوقاية النظام الاجتماعى أن تتحلل مما قيدها به فى شأن الصحافة، وبما أن مانشرته صحف البلاغ وكوكب الشرق واليوم من شأنه أن يعرض النظام الاجتماعى فى مصر للخطر الشديد مما يحرك فى نفوس الغوغاء ويثير من شهواتهم : لذلك تقرر تعطيل صحيفة .. تعطيلا نهائيا وخول وزير الداخلية سلطة تعطيل كل جريدة أخرى تستتر باسمها الجرائد المذكورة » .

وقد اعترضت جريدة السياسة على هذا التعطيل ١٧ يوليو سنة ١٩٣٠ وقالت أن مادة حرية الصحافة : حددت بعبارة النظام الاجتماعى : وتقصد الوقاية من الدعاية البلشفية ولم يكن إحدى هذه الصحف التى عطلها صدقى تدعو إلى البلشفية بحال .

وعطلت السياسة فى (٢١ ديسمبر ١٩٣٠) وصدرت جريدة الأحرار الدستوريين فى ٢ يناير ١٩٣١ وعطلت فى ٢٥ يناير ١٩٢١ وعطلت جريدة السياسة الأسبوعية إذ ذاك

سجن توفيق دياب

وقد واجهت الصحف محاكمات الصحفيين على طريقتها ، لكل منها اتجاهه . وفى سجن توفيق دياب إقرأ صحف (١ و ١٩٣٣/٣/٢) .

× قالت كوكب الشرق (جريدة الوفد) الواقع أنه حين قام الخلاف بين الوفد وخصومه منذ سنوات اتخذت بعض الصحف التى تؤيد الحكومة الخصيمة للوفد والتى يخاصمها الوفد فى الله وفى حق الوطن لغة فى الهجاء وأسلوبا مقذعا هبطت به لغة الصحف إلى الحضيض وما تزال تذكر كيف كانت الصحف الحكومية سابقا ولاحقا تصف زعيم الأمة سعد زغلول ثم خليفته دولة الرئيس الجليل بما لا نود أن

تردده وتعرض للسيدات الوفديات بأفحش القول ولا تتحرج أن تحاول النيل من كرامتهن وهن المصونات .

وقالت الشعب (جريدة صدقى) :

« لقد قضوا حينا من الدهر يفخرون بالتضحية ويدعون الشعب إليها ويغرونه بها ويحرضونه عليها ويطلبون إلى الأمة أن تضرب أكبر الأمثال فى الاستهانة بالروح والمال . فما بالهم اليوم وقد أصابتهم صدمة هى أهون الصدمات فزعون جزعون يبكون تارة ويفرحون أخرى . أن البطولة الصادقة والتضحيات الحقيقية تمد ذلك صغاراً وهوانا لا ينبغى أن يعلق بها أو تنحدر إليه ونحسب الشاكين أو الباكين أطفالا لم يبلغوا مقام الرجولة ولم يعرفوا معنى التضحية ، ولم تؤهلهم الفطرة لأن يكونوا يوما من الأيام من حملة ذلك اللقب الذى لا يحمله الأكل من يأنس لما يصيبه فى سبيل الرأى الذى يعتقد .

× وقالت المقطم (صحيفة الإنجليز) أن الصحافيين رغما من الاختبارات والتجارب التى مرت بهم ورغما من المحاولات التى حاولوها غير مرة لم يوفقوا بعد إلى الفصل بين آرائهم الشخصية وصناعتهم الصحفية ولم يرفعوا هـذه الصناعة إلى ما فوق التناطح الحزبى . فهم فى صحفهم متنافسون ويرومون أن لا ينزعوا عنهم رداء التنافس فى نقابتهم وفى أجتماعاتهم وحتى فى تنافسهم الصناعى وإذا أتفق مرة أن أجمعوا على رأى كان أجماعهم رخوا تظهر عليه أمارات الضعف والتقلقل ومتى كان هذا شأنهم فقلما يجدون من الحكومة وهى واقفه على دخيله أمرهم ما يحفزها إلى أحترام أرادتهم وأجابتهم إلى مرادهم . »

هذا وكانت الصحف تطالب لعبد الحميد حمدى صاحب جريدة المنبر المعتقل تحت المحاكمة معاملة غير معاملة المجرمين السياسيين على نحو ما عومل عبد العزيز شاويش وأحمد وفيق .

الصحافة السياسية فى مصر

بين التجربة والخطأ

عنينا ببحث الصحافة السياسية فى مصر رسم صورة قطاع واضح المعالم فى الأدب العربى المعاصر ، هو قطاع الصحيفة اليومية ذات الطابع السياسى ، هذا القطاع القائم على إطلاع الرأى العام على اتجاهات القوى الحاكمة ، وإطلاع هذه القوى على وجهات نظر الرأى العام ممثله فى أحزابها وهيئاتها فى مختلف مسائل : الحرية والحكم والعلاقات الخارجية ومختلف المسائل الاجتماعية والاقتصادية .

(الصحافة فى ظل الاحتلال)

ولذلك كانت الصحافة فى واقع الأمر — فى هذه المرحله — إنما تبدو أشبه بقوة معارضه تواجه سلطات الاستعمار الحاكمه — قبل الحرب العالمية — أو السلطات الوطنية التى حكمت بعد الحرب ، ولا شك أن ظهور الصحافة الوطنية قوية ذات خطر إنما يرجع إلى أنها برزت فى ظرف دقيق هو أواخر عهد اسماعيل والبلاد محمله بأثقال الديوان ، وقد بدأت القوى الوطنية تعارض استبداد الخديو وقوة النفوذ الاجنبى الزاحف فى مجلس النواب وفى الصحف .

وقد كان لجمال الدين الافغانى دوره الواضح فى نشوء هذه الصحافة الوطنية الحريصة الصادقة الهدف ، المعارضة للنفوذين الاستبدادى ممثلا فى الخديو والاستعمارى ممثلا فى القوى المتسلطة : قوى المتنافسين فرنسا وبريطانيا .

أما الصحافة التى ظهرت قبل هذه الفترة فهى صحافة الحاكم ، سواء كانت رسمية كالوقائع أو شخصية كوادى النيل (عبد الله أبو السعود)

ولم يطل عهد هذه الصحافة التى لمع فيها أديب إسحق وسليم عنحورى وسليم

النقاش وإبراهيم اللقانى وعبد الله نديم ومحمد عبده وصدرت فيها جريدة مصر ومرآة الشرق . والتجارة .

فقد سقطت مصر تحت الاحتلال البريطانى ، فى ظل جريدة الأهرام التى خاصمت الخديو وأيدت الاحتلال ثم تحولت بعد إلى مقاومته وبعض الصحف الطائفية التى كانت مؤيدة للاحتلال بالضرورة .

أما صحافة « مرحلة الاحتلال » حتى صدور تصريح ٢٨ فبراير ، فقد كانت تتمثل فيها القوى ذات النفوذ بصوره واضحة : كان للقوى الوطنية جريدة (اللواء) وللنفوذ البريطانى (المقطم) وللنفوذ الفرنسى (الاهرام) ولنفوذ طبقة السراة وأبناء البيوتات والأقطاعين وهم الطبقة التى خلقها الأستعمار الانجليزى ليضرب بها الطبقة الشركيه القديمه (الجريدة) وصحافة الخديو التى تدافع عن رأيه (المؤيد)

وقد مرت الصحافة الوطنية فى هذه الفترة بمرحلتين : مرحلة حكم كرومر الذى أفسح لها حرية القول على قاعدة إطلاق البخار وتبديد القوى، مع مظاهرة صحافة تعارض وتبلبل الرأى وتخلق الفتن وتحطم القوى وتفت فى عضد الأحرار .

ومرحلة إحياء قانون المطبوعات وتحكيم هذه الصحف وحدها ومصادرتها وإغلاقها ومحاكمة كتابها وسجنهم ، وهى المرحله التى امتدت حتى الحرب العالمية الأولى، وفى نهاية هذه الفترة ماتت الصحف الوطنية وبقيت الصحافة ذات الطابع المحايد التى توآزر القوى الأجنبية وهى (الأهرام والمقطم)

أما اللون اللون الوطنى فقد اختفى نهائيا — وأن ظهر بعد الحرب فترة قليلة حيث حل محله تيار الوفد بزعامة سعد فاكتسح وطغى ، إما الجريدة فقد ظل تيارها قويا وتمثل فى « السياسة » ، بعد أن تحول حزب الأمة إلى حزب الأحرار الدستوريين

ولا شك أن كتابات مصطفى كامل[1] كانت «علامة طريق» فى أسلوب الصحافة ومضمون رسالتها ، فقد اشرق أسلوب جديد خال من الركاكة والسجع والعامية ، يحمل نداءاعاطفيايبعث الأمل،ويحى العاطفة ، ويرد الثقة إلى النفس المصرية التى سيطر عليها اليأس ومرت بها فترة عشر سنوات من الاحتلال البغيض . كان أسلوبا واضح الصراحة والقوة والحماسة . ظهر ذلك عام ١٨٩٢ وتألق سنة ١٩٠٠ فى اللواء ؛ ثم ظهر بعد ذلك بسنوات سبع (١٩٠٧) صوت آخر له طابع آخر هو صوت لطفى السيد (الجريدة) صوت التعقيل والهدوء والإتقاء بالاحتلال وتقبل مايرضى بأن يقدمه .

كان مفهوم مصطفى كامل (اللواء) هو الجلاء الشامل الكامل وكان مفهوم لطفى السيد (الجريدة) هو المحاسنه ، وفى ظل فلسفة تؤمن بأن الأمة لاتتكون من الأفراد ، وإنما تتكون من العائلات ؛ والأعيان هم « رؤساءالأمة الطبيعيون لأنهم رؤساء العائلات وإن السبيل إلى تحقيق مطالب الأمة

---

(١) فى تقرير عن الصحف المصرية (نشرته مجلة كل شىء) سنة ١٩٣٠

إن الصحف فى أوائل ١٩٠٠ بلغت (١٦٧) صحيفة مابين أسبوعية ويومية وشهرية وأن هجرة السوريين واللبنانيين إلى مصر كان لها أثرها . وإن بعض هذه الصحف كانت تناصر السلطان عبد الحميد وصحف أخرى كانت تناصر المحتلين الانجليز وتكشف عن مساوى السلطان عبد الحميد . وإنه لم يكن يمضى شهر حتى يصدر صحيفة ، فقد ظهرت فى عام ١٩٠٠ وحده سبعه وثلاثون صحيفة . وإنه لايزيد عما كانت تطبعه أى صحيفة عن ثلاثة ألاف أو أربعة وكان التوزيع بطريق الاشتراكات وكان لكل جريدة وكلاء ومحصلون يقومون بتوزيعها

كان ثمن كيلو الورق ٨ مليمات وإن الرزمة المؤلفة من (٥٠٠ فرخ) عشرة قروش وكانت آلات الطباعة تدار باليد ، ولم تزد رواتب أكبر المحررين عن ٢٠ جنيها وكان أجر صفاف الحروف ٣٥ قرشا فى الأسبوع وأجر رئيس الصفافين عشرة قروش فى اليوم

هى الطرق السلمية المشروعة التى لاتمس مصالح الأجانب ولاتجمل للانجليز ذريعة جديدة لتثبيت مركزهم فى مصر

ويرى أن التطرف من جانب الجمهور — أى مذهب مصطفى كامل — يؤدى إلى العناد والقسوة من جانب الاحتلال القوى .

وقد كانت صحافة ما قبل الحرب الأولى : صحافة رأى ومقالات ، وكان المقال هو العنصر الرئيسى فى الصحيفة ،التى لها طابع شخصى ، فأبرز مافى صحف الحزب الوطنى مقال مصطفى كامل أو محمد فريد أو عبد العزيز شاويش ، وفى الجريدة : لطفى السيد وفى المؤيد : على يوسف .

ولا شك كان دور الصحافة[1] فى هذه المرحلة له أثر ضخم فى تكوين الرأى العام وخلق ثقافة سياسية وفلسفة وطنية واضحة . وكان لقوة الكلمة العاطفية الثائرة المؤمنة بحق الوطن أثرها البعيد المدى الذى أرث الثورة المصرية ١٩١٩ .

---

(١) وكانت الصحف المصرية تطبع على ما كينات مسطحه وكانت صفحاتها لاتزيد عن أربعة ، حتى أدخل (على يوسف) الطباعة بواسطة الروتاتيف (الآلات الرحويه) ثم تبعه الأهرام واللواء والمقطم ، وكانت الصحف اليوميةخالية من الصور ، فان صناعة الحفر لم تكن موجودة فى مصر وكانت مواد الجريدة هى : المقاله الافتتاحية ورسائل الاقاليم وبريد أوربا الذى كان يشغل فراغا كبيرا كل يوم من الصفحة الأولى أو الثانية ثم رسالة الاستانه أما الأخبار المحلية والتلغرافات فقد كانت مختصرة،وأنشأ صاحب اللواء بابا جديدا للتعليق على أهم الحوادث اليومية ورفعت جريدة (الجريده) ١٩٠٧ أجور المحررين والمترجمين ، وبدأت دفع أجور عن مايكتبه بعض الكتاب من الخارج

وقال جرجى زيدان أن أرباح الجرائدالسياسية كان أكثرهامن أجورالاعلانات والرسائل والمقالات المأجورة أو من المساعدات التى تدفع إليها من بعض الاحزاب وقال : إن بعض الصحف كانت تنشر رسائل تذكر أنها لمكاتبها فى بلد كذا (أمريكا أو إنجلترا أو السودان أو الهند) لا يكون لها مكاتب،ولكنها تصطنع الرسائه فى إدارتها نقلا عما يرد إليها فى بريد اليوم من الجرائد الأجنبية »

ويعدّ جمال الدين الأفغاني باجماع الآراء «أبو الصحافة الشعبية الوطنية الحرة : حامله لواء التحرر من استبداد الخديويين والحاكمين ومقاومة النفوذ الأجنبي .

فقد دعا جمال الدين وتلاميذه إلى الشورى وأن يكون للناس حق مناقشة أمورهم ، بعد أن كانوا يرون من قبل أن شئونهم ملكا لحاكمهم الأعلى[1] ، ويقول محمد عبده أن جمال الدين أخذ في حمل من حضر مجلسه من أهل العلم وأرباب الأقلام على التحرير وإنشاء المقول فتسابق إلى ذلك الكتاب ، وأخذت الحرية الفكرية تظهر في الجرائد إلى درجة يظن الناظر أنه في عالم الخيال »

ومما قاله جمال الدين: أن الصحافة الشعبية في مصر أثبتت بعد جهد أنها صحافة رأى تناضل عنه وذلك يفسر لنا كثرة ما تعرضت له هــذه الصحافة من أذى الحكومات على إختلافها وبطش الحكام الذين رأوا فيها أداة خطرة في الذود عن حقوق الشعب .

× ومما يذكر أن السوريين الوافدين كان لهم دورهم في تطور الصحافة غير أنهم كانوا في الأغلب ممن إستعان بهم الولاة وآزروا النفوذ الأجنبي ولذلك عاشت الصحف السورية وأثرت لأنها مالئت المستعمر وصانعت الحكام والولاة ولم تؤيد الأهداف الوطنية في عنف ، بينما عاشت الصحف المصرية الوطنية حياة قصيرة فقيرة كلها اضطهاد ومحاكمات .

وقد سحق الاستعمار البريطاني هذه الصحف ولم تبق إلا جريدة الأهرام التى كانت قد تحولت إلى جانب الشعب عام ١٨٨٤ وظلت على ولاء للنفوذ الفرنسي الذى كان يقاوم النفوذ الانجليزي — وفي حمايته وحصانته استطاعت أن تعيش .

وكانت (الأهرام) قد هاجمت إستبداد إسماعيل وإسرافه وأتهمته بسرقة أموال

---

(١) عبارة الشيخ محمد عبده .

الدولة (ابريل ١٨٧٩) وقالت : أن الخديو احتجر لنفسه بغير حق من أموال الفلاحين مائة ألف جنيه أسترليني .

ولذلك أنذرت وأغلقت واعتقل صاحبيها ففر أحدهما وسجن الآخر وعذب .

ومن أبرز مواقفها : أنها أبدت موقف شريف في معارضة إخلاء السودان . واعتبرت حل الجيش المصري خيانة وطنية .وهاجمت فظائع المحتلين في دنشواى وعارضت مد إمتياز قناة السويس وأنذرت العرب بخطر الصهيونية منذ عام ١٩٠٦ (١)

× كان مصطفى كامل قد أعلن كلمته في ظل تأييد الخديو ، وفي مؤازرة فرنسا ، ثم سقط النصيرين ، وهناك لم يتراجع مصطفى كامل ولكنه وقف وحده ومضى في قوة — وذلك أمر من البطولة يذكر — وكان له موقفه من الخديو ، ومن الاستعمار فقد قال موجها كلامه للخديو « أن قال كلمة في صالح الحركة الوطنية خدم نفسه وعرشه وإستمال إليه أمته وأن عمل ضدها أضر بنفسه وعرشه ونفر منه أمته ، ولكنه في كلتا الحالتين لا يستطيع بالحياة والوجود ومثل هذه النهضة لا يضرها إنسان مهما كان قويا عظيما . »

وذلك وجه في المقاومة يذكر ، وفي مواجهة الاستعمار هاجم مصطفى كامل بريطانيا بأعنف ما هوجمت به ، وفي مأساة دنشواى كتب أروع فصوله .

وليس مصطفى كامل في الصحافة هو الذي هاجم الاستبداد والنفوذ البريطاني والاحتلال . فهناك كتاب كثيرون منهم : مصطفى لطفي المنفلوطي وأحمد حلمي وأحمد فؤاد وعبد العزيز شاويش وأمين الرافعي ومحمد فريد ويعقوب صنوع وأديب إسحق ومحمد عبده .

---

(١) الدكتور ابراهيم عبده مقال : جريدة الأهرام ١٧/٦/١٩٠٦ .

فقد هوجمت أسرة محمد على بقسوة وهوجم أفرادها ، وهوجم كرومر والاستعمار البريطاني بأعنف ما يمكن أن يهاجم به ، وكانت الصحافة هى الأداة الكبرى في هذا العمل الضخم .

وهذا هو الجانب الايجابى فى الصحافة ، الذى ظل قويا بالرغم من قوة ونفوذ الجانب العميل والتابع والمحايد .

ولذلك كان ما ذكره كرومر فى تقريره ١٩٠٣ من أن الصحافة المصرية بعد عشرين عاما من الاحتلال البريطاني لم يكن لها تاريخ أو أنها عاشت منذ الاحتلال البريطاني بدون تاريخ هو مغالطة واضحة تكذبها الأدلة والوثائق والأسانيد .

ويمكن القول بالجملة بأن الصحافة لم تتوقف من الصراع والجدل السياسى وأن غلب فى هذه الفترة الإيمان بالفكرة على الجدل الشخصى .

وأن الصحافة الوطنية كانت إسلامية محافظة وأن الجريدة والمقطم والأهرام كانت جريئة متحررة متأثرة بالغرب لامانع لديها من أن تأخذ كل شيء .

وأن الصحف فى هذه الفترة هى التى خلقت التيارات السياسية الحزبية وبجانب فضلها فى إيقاظ وتربية الرأى العام ، تحمل تبعة الألفاظ الخداعة والعبارات التى تحمل أكثر من معنى وظهور تيار قوى بعد الحرب واستأسد هو تيار الرياء السياسى .

الصحافة بعد الحرب الأولى

أما الصحافة بعد الحرب العالمية الأولى فقد تطورت فى فنها وتحولت فى مفاهيمها وتبعيتها ، ذلك أن كفاح الكلمة الحرة الذى استهل فجره على أيدى تلاميذ جمال الدين الأفغانى ، وامتد على أيدى الأحرار بعد الاحتلال البريطانى قد خلق حضانة ثورية انفجرت على أثر إعلان الهدنة فى ثورة ١٩١٩ وقد خلقت تياراً جديدا موحداً فى هيئة الوفد التى كانت توكيلات الأمة لها تحمل أمانة السعى

ماوجدت السعى سبيلا لتحقيق (الاستقلال) وعلى رأس هذه الهيئة «سعد زغلول»؟ رجل من أصدقاء الاحتلال ووزيرا من وزرائهم قبل الثورة وصديقا لحزب الأمة وصهراً لمصطفى فهمى ومن أبرز رجال صالون نازلى فاضل؟ ومن هذا يظهر أن الصورة التى جاءت بعد الحرب تحمل لواء السعى فى سبيل (الاستقلال) تختلف إختلافا واضحا عن مفاهيم الشعب الممثلة فى دعوة الحزب الوطنى وقريبة من الطريق الذى دعا إليه كرومر وهو الالتقاء بالانجليز فى منتصف الطريق . فكلمة (الجلاء) المدوية الرنانة تحولت إلى كلمة (الاستقلال) وعبارة المطالبة بالحق الواضح تطورت إلى (السعى ماوجدت السعى سبيلا) .

وهكذا تحولت (الوطنية) إلى (السياسة) وأن حملت لواء العاطفة الخطابية الجاهيرية فى (سعد زغلول) على نحو يختلف إختلافا واضحا عن النحو الذى حمل لواء العاطفة الخطابية الجاهيرية فى (مصطفى كامل) وهى هنا — وبعد ثورة ١٩١٩ التى تمثل خطوة جريئة فى سبيل الحريه ، هى عاطفية الاستسلام وقبول الواقع والتفاهم مع « الأصدقاء الشرفاء المعقولون » كما أطلق سعد زغلول على الانجليز .

ولذلك فان صحافة الحزب الوطنى لم تجد إمتدادها بعد الحرب العالمية لأن أعضاء هذا الحزب كانوا خارج مصر ، ولأن التيار السعدى القوى قد غلب وسيطر واضطر معه الوطنيون إلى الاندماج فى الهيئة الكبرى بنية توحيد الصف ومواجهة الإحتلال بوسائل جديدة .

غير أن هذه القوة الموحدة لم تبق على تماسكها إلا عاما واحداً بعد ثورة ١٩١٩ وهو العام الذى قضاه الزعماء بين المنفى وباريس ولندن لحضور مؤتمر الصلح، إذ سرعان ما وقع الخلاف بين تيارين واضحين كانت تلفهما فى أول الأمر الكليات العامة الظاهرة فى الأفكار ، فلما أن وصلت المسائل إلى الفرعيات والتفاصيل ظهر الخلاف :

هذان التياران هما: التيار الشعبي العام ممثلا في الطبقة الوسطى التي بدأت تظهر بصورة واضحة : وتيار الاقطاعيين وأبناء البيوتات وأصحاب المصالح الحقيقية وهي الطبقة التي كونها كرومر وغذاها الاستعمار وقواها والتي برزت عام ١٩٠٧ في حزب الأمة وصحيفة الجريدة .

لذلك برز الخلاف حول مشروع ملنر بين سعد وعدلي ؛ وكلاهما على درجة واحدة من الإيمان بالارتباط بالانجليز ، وكل الخلاف بينهما في درجة هذا الارتباط ومداه ، فسعد يتشدد باعتباره صاحب التوكيل وموضع ثقة الجماهير ، والتطلع إلى مستقبل الزعامة والموقف الدقيق بين مذهب حزب الأمة ومفهومة وتطلعه إلى استبقاء سلطانه في ظل حماية الانجليز وبين مذهب البقايا التركية العثمانية الفرنسية الثقافة، ذات الدم الأزرق ومفهومها أن هذه البلاد ضيعة موروثة لهم من محمد علي ، وأن أهلها خدم وفلاحون .

وبذلك برز سعد كصاحب فكرة لها طابع على رأس تيار يختلف عن القوتين الموجودتين فعلا ، وهو تيار يرتبط فيه سعد بجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وحزب الأمة ويمتزج بآراء مصطفى كامل إلى حد ما .

ومن هنا ظهر الأحرار الدستوريين كقوة من خصوم سعد زغلول الذين اختلفوا معه.

وبذلك كان الوفد هو القوة الشعبية الكبرى التي تؤمن بزعامة سعد زغلول إيمانا قويا لا حد له .

وتعد جريدة « الأخبار » التي أصدرها أمين الرافعي بعد الحرب مباشرة مثلا للقوة الموحدة في « التوكيل » فهو من جناح الحزب الوطني الذي أنضم للوفد ، ولكنه لم يجاري سعد في موقفه من أسس المفاوضات . وتمسك بتصريحات سعد الأولى في قواعد الارتباط مع بريطانيا . ومن هنا بدأت صحافة جديدة تدافع

عن الوفد وعن سعد ، وكانت :الأهالى والبلاغ وكوكب الشرق ثم الجهاد وروز اليوسف اليومية والمصرى .

× ومن الناحية الآخرى ظهر حزب الأحرار الدستوريين بصحافته : جريدة السياسة . ثم ظهر حزب الاتحاد الذى أنشأه الملك فؤاد بصحيفة « الاتحاد » وفى عام ١٩٣١ ظهر حزب جديد للملك هو حزب الشعب وأصدر جريدة الشعب .

وقد كان الصراع الأقوى بين صحف الوفد : البلاغ وكوكب الشرق ، وبين السياسة وقد أمتد هذا الصراع عشر سنين ١٩٢٢ — ١٩٣٢ ، ولم تكن هذه الفترة صراعا كلها ، فقد إئتلف الوفد والأحرار على أثر ظهور حزب الاتحاد ١٩٢٦ وسيطرته على الحكم وأمتد هذا الأئتلاف عامين تقريباً .

ثم نقض الائتلاف ليقوم حكم عنيف عرف بحكم اليد الحديدية للاحرار الدستوريين عطل فيه الدستور والبرلمان وزادفيه الصراع بين الوفد والأحرار وصحفهما إلى أن قام حكم عنيف آخر هو حكم صدقى الذى أمتد ثلاث سنوات ، وقد بدأ بأتفاق بينه وبين الأحرار الدستوريين ثم بخلاف استدعى الائتلاف مرة آخرى بين الوفد والأحرار .

ثم بدأت فى الجو عام ١٩٣٥ ظاهرة جديدة هى حكم وزارة نسيم التى كانت الخطوة الأولى لتمزق الوفد وتحطم قوته الشعبية . هذه الوزارة التى كانت لحساب الإنجليز والقصر . وكان يؤيدها الوفد والتى كانت تعمل على عقد معاهدة بين مصر وبريطانيا فى ظل نذر الحرب العالميه بحرب الحبشه مع أيطاليا دون أعادة دستور ١٩٢٣ ، ثم ما كان من تمزق الوفد ومعارضه جريدة روز اليوسف اليوميه الوفدية للوفد وحملات العقاد ثم عودة دستور ١٩٢٣ تحت ضغط القوى الشعبيه ، وانضمام

الأحزب والزعماء فى أئتلاف موجه أملاه النفوذ البريطانى وكانت ثمرته عقد معاهدة ١٩٣٦ التى أعلن جناح الوفد التقليدى أنها معاهدة الشرف والاستقلال وهاجمها الجناح الشاب (أحمد ماهر والنقراشى) كما هاجمها محمد محمود (حزب الأحرار الدستورين) وهاجمها الحزب الوطنى ، وقد حكم الوفد على أساسها وفى ظل الحكم كان التصدع يمضى إلى مداه .

أما بالنسبة للصحافة فقد تحولت جريدة البلاغ أقوى السنة الوفد عنه عام ١٩٣٢ بعد أخراج الثمانية من أعضاءه ، وكان أن أصدر الوفد صحيفه (الجهاد) ثم تحولت جريدة (روز اليوسف) ١٩٣٥ وظهرت عام ١٩٣٦ جريدة (المصرى) غير أن التصدع وخروج جبهة (ماهر — النقراشى) وسوء سمعه الحكم بعد المعاهدة وظهور القمصان الخضر وتحول الحكم الوفدى إلى زعامة مقدسة كل هذا كان من شأنه أن قضى على كبرى صحيفتين للوفدهما: الجهاد ١٦٣٨ وكوكب الشرق ١٩٣٩ فقد انخفض توزيعهما إلى الحد الذى حال بينهما وبين موالاة الصدور .

أما صحيفة (المصرى) فقد كانت لساناً للوفد ، ولكنها غلبت الخبر على الرأى ، وعاشت على معونات من خزانة الوفد ، فكانت أشبه بصحيفة رسمية للوفد الذى لم يصدر صحيفة واحدة طوال الفترة الماضية ، بل كانت الصحف إذا حملت أسمه أكتسحت فى التوزيع :

وفى هذه الفترة ظهر حزب جديد هو (السعديين) ١٩٣٨ وصدرت جريدة (الدستور) لسانا له ..

وجاءت الحرب العالميه الثانية وقد تحول الموقف تحولا شاملا عما كان عليه بعد ثورة ١٩١٩ : أحزاب الوفد والأحرار السعديين والاتحاد والشعب وصحف كل منهما تتصارع على الحكم فى أسلوب تبرز فيه الغاية الذاتية وتغلب على الاهداف

الوطنية وقد اتسمت جبهة الصراع على الحكم واتسعت ، ووقعت فى خلاله معارك وخلافات ، وحملت الاقلام عبارات الهجاء والسباب بأقصى صورة وأفجر ألوانه .

ذلك أن الصحافة فى فترة ما بين الحربين كانت بحق تعمل عند الاحزاب وكانت أقلامها غير حرة لتقول كلمة الحق وإنما كانت تابعة لاهواء زعماء الاحزاب، حتى الصحف المحايدة والمستقلة كانت توالى الحكومات القائمة وتنافقها ، وتوالى الاحزاب المسيطرة مع مجاملة للاحزاب الآخرى ، وذلك حتى تواصل الصدور .

أما صحف الاحزاب ذات الطابع الواضح ، فقد كانت تسعد إذا جاءت أحزابها إلى الحكم وتشقى فى خلال حكومات خصومها . وقد كان سلاح المصادرة والمحاكمة سيفاً بتاراً تشهره كل حكومة على خصومها ، لتكمم أفواههم وتحول بينهم وبين اتهامها ، ومع كل هذا الاضطراب والجرى وراء الاهواء ، وعدم تحرر الاقلام لقول كلمه الحق ، فقد استطاعت الصحافة من خلال الثقوب الصغيرة والفترات التى ترفع فيها الرقابه أن تقول كلمه حق ، وأن تؤدى بعض الأمانة .

* * *

ويرى الباحثون أن أهم تطور حدث فى الصحافة بعد ثورة ١٩١٩ هو : العناية بالشئون الخارجية والعناية بشئون مصر فى الصحف الأفرنجية ، والتحول من صحافة الرأى إلى صحافة الخبر . ومع ذلك لم تهمل الصحافة « المقال » بل ظل وله قيمته الأساسيه مع العناية بالعناصر الأخرى إلى جوارها كالصورة والخبر .

وبدأت الصحف ترضى رغبات القارىء لتكسب أقباله ، وعند البعض أن الصفحات الأدبية كانت وسيلة لاغراء القارىء وكذلك القصص ذات الطابع

المثير من المترجم وغيره ، وإبحاث المرأة والاقتصاد ومع أجماع الصحف على هذه الصورة العامة فقد كان هناك اختلاف بالنسبة لشكل صحيفة يقتضيه طابعها واتجاهها فالصحافة المحايدة غير الصحافة الحزبية .

الصحافة المحايدة

عرفت الصحافة المحايدة بالمرونة فى العبارة التى تحمل أكثر من معنى ، وكان من أكبر دعاة التعبير : داود بركات فى الأهرام وفارس نمر فى المقطم ، وكانت هذه الآراء ولا شك مطابقة لوجهات نظار الاستعمار والراسمالية والنفوذ التى تخضع له ولم يكن الخلاف بين الأهرام والمقطم إلا أختلافا فى تأييد نفوذ فرنسا أو بريطانيا ، وقدفتحت هذه الصحف الأبواب لكل الأفكار مستهدفةأحداث بلبلة فكريه شاملة بين التيارات المختلفة وفى أشد الاوقات عنفا ، فى أبان الحرب العالمية وفى أبان الازمات وسيطرة أحزاب الاقليات حيث كانت تصادر الصحف الوطنية أو تتوقف، كانت الصحف المحايدة ذات النفوذ الاجنبى تفرض أرائها .

وقد نشرت أراء زعماء الصهيونيه والاستعمار وكرمت فردون ولورنس وولكوكس وفيلبى وغيرهم من دهاقين النفوذ الاجنبى .

ولم تكن كتابات هذه الصحف تحمل حرارة الإيمان بحق الوطن فى الحرية، أو تدافع عنه دفاعا صادقا ، ذلك لأن أصحاب هذه الصحف ومحرريها لم يكونوا مصريين ، ولذلك لم تكن عواطفهم وطنية ، ولم يكن كتاب الصحافة من غير المصريين فى الاغلب إلاأعوانا للحاكم والمستعمر .

ومما يذكر أن فارس نمر رفض قبول الباشوية من الخديو إسماعيل حتى لا يقع تحت سلطان مجاملة الجبهة المضادة للنفوذ البريطانى الذى يؤيده ويخدمه .

الصحف الحزبية

أما الصحف الحزبية فقد كانت عنيفة الهجاء ، وقد اشتغل كتابها بالخلاف الداخلي والصراع على كراسي الحكم وانصرفوا عن القضية الوطنية، وكان أبرز أهدافهم تأليه الزعماء والرؤساء وخلق هالات كاذبة من البطولات والأمجاد وإضفائها على هذه الزعامات .

وكانت الصحف الحزبية تهاجم كل حكومة من غير حزبها وتتهمها بالخيانة والمروق ولا تتورع عن الصاق أسوأ التهم بها ، ومن هنا جاء التناقض ، فقد يصبح خصم الأمس ، مواليا ، وهو في الأولى مذموم وفي الثانية ممدوح .

وكان الزعماء أنفسهم على هذا التناقض ولا ينسى رأى سعد في اللجنة التي وضعت الدستور حيث أطلق عليها إسم (لجنة الاشقياء) .

ثم كيف مدح الدستور بعد ذلك وكيف اشترك عبد العزيز فهمي في لجنة الدستور وفاخر بعمله فيه ثم كيف هاجمه وقال أنه ثوب فضفاض .

ولقد كانت مهمة الصحافة الحزبية — نقل آراء الزعماء وأوامرهم وأهوائهم وخلع الحكومة المعارضة واتهامها .

وبذلك دارت معركة الصحف الحزبية في دائرة مفرغة وانتهت بفقدان الناس للثقة بها جميعا وتشبثها بالصحف المحايدة على الرغم من اتجاهها غير الوطني .

وقد هاجمت صحف الوفد كل الأحزاب واتهمتها بالخيانة : الحزب الوطني والأحرار الدستوريين والاتحاد والشعب والسعديين .

وابتدع سعد زغلول في أول وزارة دستورية بالنسبة للصحف المعارضة ضربها بالطوب ومحاكمة محرريها والإعلان بأنه يقرأها نيابة عن الشعب ليسقط توزيعها

وذلك باسم (تأديب المعارضة) وفى عهد محمد محمود ١٩٢٨ وإسماعيل صدقى ١٩٣٠ الغى كل منهما خمسون رخصة صحيفة وعطل وأنذر عشرات الصحف .

وفى هذه الفترة اختفت تماما الصحافة الوطنية الحرة غير المرتبطة بأحزاب أو نفوذ أجنبي ولم تكن للصحف ولا للاحزاب التابعة لها مبادىء واضحة تميز كل حزب أو كل صحيفة وكان من السهل إنتقال الكتاب من صحيفة إلى صحيفة ومن حزب إلى حزب آخر معارض يختلف فيه الرأى وبتناقض تماما، فطه حسين الذى طالما هال السخط على الوفد وسعد زغلول وأعدائه وحكوماته ومشروعاته ، أصبح بعد نصيرا للوفد ليناقض نفسه فى كل ما كتب وليتهم أنصار الأمس ويمجد خصوم الأمس .

* * *

وقد وصفها الدكتور زكى مبارك بأنها : صحافة مؤذية كريهة المذاق تستر شرها بالبحث فى العلوم والفنون . وهى تزود أهل الفضول بما يكفى لأزجاء الفراغ .

وقال عنها مصطفى صادق الرافعى : لو عرفت الصحف وأهلها لرأيت أن العمل فيها من أشق الأعمال على النفوس الكريمة فهذه ليست صحفا وانما هى حوانيت تجارة .

وقد وصفتها جريدة المانشستر جارديان (١٩٢٩/٢/١٣) بقولها : من الغريب فى مصر أن الجريدة التى لا تراعى كرامة الصحافة تباع كالكعك الساخن بسبب مقالات ينشرها بعض مشاهير الكتاب يستعمل فيها كل مافى حافظته من عبارات القذف والسباب .

صحف الأقليات

كانت صحف الأقليات تحاول أن تجعل لها فى نظر الشعب هدفا فتتمسك

بالدستور ، وتنحو باللائمة على الجماهير والطبقات الشعبية وتطلق عليها لقب الرعاع، وتعلن أن أنصارها هم الثراة والمثقفون .

وفي صحف الأحرار تجمع ألمع الكتاب ، أما صحف الاتحاد والشعب فلم يبرز فيها قلم لامع ، وهما حزبان أنشأهما الملك أحدهما سنة ١٩٢٦ والآخر عام ١٩٣٠ .

وفي كل مرة تولت أحزاب الأقليات الحكم ، قاست البلاد الطغيان والاستبداد والحكم الديكتاتوري ، وعطل الدستور والبرلمان .

وبالرغم من أن الأحرار الدستوريون هم الذين وضعوا الدستور فقد كانوا خصوما له ، فقد عطلوه ، وقال عنه عبد العزيز فهمي أحد أقطابهم عام ١٩٢٥ :

«لقد اشتغلت بلجنة الدستور وكنت اعتقد أنه مناسب لبلدنا ولكن العمل أظهر أنه ثوب فضفاض »

وأيدت صحافة الأقليات حكم هذه الأحزاب ، ودافعت عن خطواتها غير الدستورية . وكتبت السياسة في الدفاع عن زيور باشا الذي جمع البرلمان في الظهر وحله في المساء ، ودافعت عن تعطيل محمد محمود البرلمان والدستور ثلاث سنوات . ودافعت عن علي عبد الرازق باسم حرية الفكر ، بينما لم يكن ذلك إلا دفاعا عن أسرة عبد الرازق إحدى دعائم حزب الأحرار وتأييداً لرأى بريطانيا في أسقاط الدعوة للخلافة .

وبالجملة فان الصحف الحزبية :

ه ظلت مفتقرة إلى معونة حزبها ، ولم تكن عملا تجاريا ولا رسالة خالصة لوجه الوطن .

ه كانت تستعين بالكتاب اللامعين ووسائل أغراء القارىء لتتمكن من الوصول إلى أيدى قراء خصومها .

× عجزت عن حل المشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وكانت مقالاتها تمثل وجهات نظر معينة محدودة ، هى وجهات نظر الاقطاعيين والرأسماليين والقصر والاستعمار .

× جندت الأحزاب الصحافة لتضليل الجماهير وخداعها .

× انحطت فى نقدها ، وجعلت الهوى الشخصى أساساً لها وبعدت عن النقد النزيه : نقد المبادىء والخطط ، وحرصت على نقد الأشخاص وتجريحهم .

× حولت عواطف القراء ومشاعرهم من الثقافة إلى التسلية ومن الجد إلى السخرية .

المثقفون والصحافة

وقد استطاعت صحف أحزاب الأقليات أن تستكتب عدداً من المثقفين الذين كانوا لا يترددون يوميا عن الإشارة إلى حرية الرأى وحرية الفكر . ومن العجب أن هؤلاء كانوا متجمعين فى معسكر الأقلية والمعسكر المعادى للدستور . وكان التناقض يبدو واضحا فى دعوتهم لحرية الرأى بينما يؤيدون وزارة تعطل الدستور .

فالدكتور هيكل أيد عدلى فى تحطيم وحدة الأمة بقيادة سعد وابراهيم المازنى واشترك مع طه حسين فى جريدة يومية لحزب أنشأه الملك فؤاد لخاصمة الشعب . وكان طه والمازنى القلمين القويين فى الدعوة إلى تحطيم الحياة النيابية . وهكذا كون المثقفون طبقة لها طابع متميز له وارتباطات وثيقة بالطبقة الحاكمة مما أبعدهم عن الجمهور وأدى بهم إلى طريق مضاد . ولذلك كان عملهم تدعيم الأمر الواقع وتثبيت قوائمه، ولذلك لم يحملوا الدعوة إلى الثورة والتحرر من الأوضاع الاقطاعية والرجعية بل حملوا دعوة التعقيل ، ولذلك قاوموا كل حركة إلى الثورة على الدستور والبرلمان والنظام التقليدى القائم إذ ذاك والذى كان واضح الفساد لاستمداده من النظام الديمقراطى إستمداداً صورياً غير مناسب للظروف ولا للزمن ولا للحاجة .

ولذلك أيضا لم يكن للصحافة وكتابها دور فى قيادة الجماهير ، وكان المثقفون فى الصف المعادى للجماهير . معزولا عن نضال الشعب ، ولم يكن تحمسهم للحرية إلا لونا من الدعوة لحصول أحزابهم على الحكم ،أما حرية خصومهم فلم يكونوا يؤمنوا بها .

الصحافه الهازلة

وكان من سيئات الاحزاب أن خلقت الصحافة الهازلة : صحافة الكاريكاتير والسخرية وقدأصبحت هذه الصحافة تياراً واضحاً يهدف إلى تمويع السياسة والثقافة وينقل مناهجها من الجد إلى السخرية والتهريج والميوعة .

كان أقواها فى خصومه الوفد الكشكول : وأقواها فى صحف الوفد روز اليوسف ثم آخر ساعة، وقد كانت طلائع هذه الصحافة فى حماره منيتى، والخلاعة والسيف والناس تهدف إلى الطعن فى الأشخاص ونهش الأعراض حتى أن (إبراهيم الغربى) أصدر جريدة أسماها (الهلال العثمانى) للطعن فى منافساته من النسوة الساقطات .

وكان هدف هذه الصحف الحصول على أموال الاغنياء ولذلك خرجت عن الآداب العامة وأثارت الغرائز ونزلت إلى أحط درجات المهانة .

ثم أستخدمت السياسة هذا اللون من الصحافة فى الحملة على خصومها ، ومن هذا الباب دخل الصحافة عديد من الانتهازيين ، فاتخذوا الصحافة وسيلة لقضاء أغراضهم، وقد هاجم القضاء هذه الصحافة ودمغها ، وتأكد أن الذين حكم عليها بالسجن من كتابها لم يكونوا يعملون فى سبيل غاية عليا أو خصومة شريفة .

المصاريف السرية

وقد حرصت الحكومات أبان توليها الحكم أن تدفع من المصاريف السرية أعانات ومرتبات لصحفها وكتابها . وأن عشرات من الكتاب اشتريت ذممهم

وأنلامهم ، وكانت السفارات البريطانية والفرنسية تشترى الكتاب وتخطب ود كل صحفى لين العريكة ، وأن عدداً من الصحفيين المرموقين كانوا يحصلون منها على مبالغ ضخمة ، كما كانوا حائزين على نياشين فرنسية وإنجليزية وكانت المصاريف السرية فى كثير من العهود من أخطار الاسلحة .

وقد أيد هذا فى تصريحات متعددة محمود عزمى ولطفى جمعه وزكى مبارك وجلال الحمامصى — قال محمود عزمى (رسالة الصحافة ٧ / ٤ / ١٩٣٦) أن بعض الصحف لها اتصالات بسفارات وأنظمه تعمل بواسطتها على تأييد وجهات نظرها الخاصة وتقديمها للجمهور على نحو قد ينفذ قليلا أو كثيراً مما تريده السياسات القومية للرأى العام من توجيه . وأن هناك صحف وراءها هيئات .

الرقابة

وقد لقيت الصحافة المعارضة للحكومة عنتا شديداً ، كان كل الحكام فى الفترة التى نورخها حتى عام ١٩٤٠ يخافون الصحافة المعارضة ولذلك أعدوا لها قيوداً لاحد لها : المراقبة والمصادرة والانذار والسجن والمحاكمة والتعطيل الإدارى والمظاهرات .

وسعد زغلول وزير الحقانية عام ١٩٠٩ هو الذى أعاد قانون المطبوعات القديم ليحطم معارضة الحزب الوطنى .

وقد أبتدعت أول وزارة له فى مستهل الحياة النيابية الدستورية أساليب غاية فى الدكتاتورية لمواجهة الصحافة المعارضة فسارت المظاهرات لتحطيم كل صحيفة غير وفدية .

وأغلق محمد محمود باشا فى أبان حكمه سنة ١٩١٩ أكثر من خمسين صحيفة وابتدع إسماعيل صدقى سنة ١٩٣٠ القوانين الشاذة لتحطيم المعارضة واتكأ على الآداب العامة فقال أنها المسئولة عن كثير من فساد الآداب العامة ومن تسميم

العقول وحشو الأذهان بمختلف الأوهام والمفتريات . ولذلك كفل قانون العقوبات (الذى جدده) أسباب الزجر بما حدد من جرائم ، ورتب من عقوبات .

× وقد صور عبد القادر حمزه موقف الصحافة من الرقابة[1] فقال : أنها لم تعرف طوال السنين عاماً التى مضت غير التعطيل الإدارى وغير قوانين قيدتها ومازالت تقيدها بأثقل القيود ، وقد كانت رغبة الحاكم هى التى أوجدت هذه القيود لتضعف بها صوت الصحافة من جهة ولينتقم لنفسه من جهة أخرى ، فهو هنا يظهر قويا عليها قادراً على أن يتصرف فى مصيرها وهى تظهر ضعيفة أمامه خاضعة لمنته عاجزه عن أن يكون لها سلطاناً أقوى من سلطانه .

× وصور زكى عبد القادر فى مذكراته اضطهاد إسماعيل صدقى للصحافة فيما بين أعوام (١٩٣٠ — ١٩٣٤) فقال : أضطهد صدقى باشا الصحافة كما لم يضطهدها أحد ، وشدد العقوبات على جرائم النشر وضيق من حرية الرأى جهد ما أستطاع ، وعدل قانون المطبوعات واشترط فى رئيس التحرير إلا يكون عضوا فى البرلمان ، وإلا يكون قد حكم عليه فى جريمتين من جرائم النشر وأن تكون للجريدة مطبعة خاصة وأن تقدم تامينا نقديا ، وكان القصد من هذا التعديل إقصاء العقاد وهيكل وعبد القادر حمزه وحافظ عوض وغيرهم من كتاب المعارضة عن رئاسة تحرير الصحف .

وحدث أن رفعت الأسماء التى لا تنطبق عليها الشروط ووضعت إسماء آخرى وابتدع فى الصحافة المصرية لقب « مدير الجريدة » إلى جانب رئيس التحرير وأمكن بذلك الاحتفاظ بالأسماء التى كان مقصوداً إبعادها .

---

(١) الهلال — نوفبر ١٩٣٣ .

ومع هذه القيود فقد استطاعت الصحافة أن تحتال على أن تقول رأيها فكانت تلجأ إلى رسائل مختلفة وإلى أساليب من الرمز في عرض الخبر . أما بجمعه بحروف سوداء أو وضعه فى برواز واضح فى مكان ظاهر أو وضعه تحت خبر آخر لربطة به .

وقد ظلت الصحافة منذ ١٩٢٣ إلى ١٩٤٠ . وهى فترة تزيد سبعة عشر عاما تحت الرقابة ولم تتحرر منها أكثر من خمس سنوات متفرقة .

عيوب الصحافة

كانت المعركة بين الصحف صورة من الصراع فى الأمة بين أحزاب مختلفة وأفكار متباينة ونزعات هدم وبناء . وقد غلبت عليها (١) الدوافع الذاتية (٢) أسلوب الهجاء العنيف (٣) التناقض والتحول من الرأى إلى نقيضه .

وقد كانت هناك مواقف غامضة محيرة : كموقف الصحف جميعاً من عرابى ومهاجمتها له . وموقف المؤيد من دنشواى ووقوفها فى صف الاستعمار وفى التناقض ناصرت البلاغ الوفد ثم هاجمته .

وتحولت الصحف من مالك إلى مالك وتحولت معها جميع الاقلام مثل جريدة الشعب على حد تعبير زكى عبد القادر « تحولت جريدة الشعب من صدقى باشا إلى عبد الفتاح يحى باشا وتحولنا نحن كالعبيد أزاء الاسياد » وكان للصحف مواقفها فى خدمة الاستعمار والاشادة بالمستعمرين أمثال غردون وكرومر ولورنس والاشادة بعملاء الاستعمار كالملك عبد الله ونورى السعيد ومصطفى فهمى .

وكانت هناك مواقف دقيقة غاية الدقة فقد خدمت المقطم الصيهونية منذ اليوم الأول ونشرت جميع بياناتها، وكذلك نشرت الأهرام أحاديث متعددة عن هرتسل وجولدمان وغيرهم من زعماء اليهود وكذلك نشرت المقتطف والهلال .

ولعل أقصى صور السيطرة اليهودية الفكرية هو احتفال الحكومة المصرية في إبريل ١٩٣٥ بعيد فيلسوف يهودي هو «ابن ميمون» في الأوبرا تحت رئاسة الحاخام اليهودي ، حشد له الدكتور علي إبراهيم والشيخ مصطفى عبد الرازق والدكتور أحمد عيسى وتحدث فيه جورجي صبحي والدكتور ماكس مايرهوف وكيل جمعية المباحث التاريخية الاسرائيلية والدكتور إسرائيل ولفنسون أستاذ اللغات السامية في دار العلوم .

فاذا بحثنا موقع هذا اليوم في أحداث غزو فلسطين وجدنا ما يأتي :

في عدد أول إبريل ١٩٣٥ — وهو اليوم السابق لمهرجان ابن ميمون نجد أن هناك مؤتمرا منعقدا في هذا اليوم لليهود في فلسطين وقد كتب الخبر تحت عنوان : المملكة اليهودية في فلسطين : في جلسات مؤتمر اللجنة التنفيذية الصهيونية المنعقد الآن في القدس تكلم (الادون تسكولوف الزعيم الصهيوني)فقال يدل عقد المؤتمر الصهيوني في القدس على أن جذور الحركة الصهيونية قد توطدت في البلاد ونحن لن نتحرك من هذه البلاد قبل أن نؤسس فيها المملكة اليهودية .

ثم نجد في صحف ١٠ إبريل برقية تحت عنوان (من فلسطين إلى شرق الأردن) تدابير في الخفاء جاء فيها عن فلسطين « كل قضية قد تحل أما قضية فلسطين فأعقد من ذنب الضب . »

وبالجملة فان الصحافة :

× خضعت للنفوذ الاستعماري فاشاعت ثقافة اليأس والخضوع وتحولت من الثقافة والتوجيه إلى التسليه والميوعة .

× صنعت بطولات مزيفة وحمت مناورات الزعماء السياسيين من اجل الحكم لا من اجل الوطن ودافعت عنهم .

× أغرقت في الهجاء ودعت إلى محاسنه الاستعمار

× انصرفت إلى المهاترات السياسية ، بكل ماتحمل من أقذاع .

× نزلت إلى الجماهير ولم تحاول رفع الجمهور إليها.

× لم تكن أبحاثها ولا آراؤها ناضجة بل كانت عبر اللحظة والهوى .

× خدعت الناس عن حقيقة عدد كبير من الاسماء اللامعة .

× تقدمت من ناحية المادة تقدما كبيرا ولكنها ظلت من ناحية المضمون أقل مستوى وأبعد عن المنهج والتوجيه والتسامي بالشعب .

الصحافة الصهيونية

خضعت الصحافة المصرية للصهيونية ، التى كانت تسيطر خلال تلك الفترة على الاعلانات بسيطرتها على الشركات الكبرى والبنوك والمؤسسات .

وكان هذا النفوذ يفرض نشر أخبار ومقالات وأحاديث معينه وتصريحات لخدمة الصهيونية ، كما كان يرفع من الصحف أخباراً وبرقيات أو يمنعها من مكان الصدارة أو يحرف مضمونها بما يتفق مع المصالح الصهيونيه .

الصحف واللغة العربية

خدمت الصحافة اللغة العربية وطورتها ونقلتها من الزخرف والسجع والعامية التركية القديمه وصقلتها بحيث أصبحت متوسطة تلغرافية ، سهلة التناول والفهم بما يتناسب مع القراء الشعبيين .

وبذلك مرنت اللغة على مواجهه القضايا والمشاكل المختلفة ، غير أن الصحف الهازله والكاريكاتيريه قد هبطت بمستوى اللغة واستعملت الالفاظ العامية .

ولقد كانت الصحافة فى مصر فى أوائل القرن تكتب بلغة أشبه بالعامة ، وكانت هناك لغة الادب المسجوعة البليغة ، وقد أمكن فى خلال هذه الفترة أن تتقارب اللغتان وأن تندمجا فى لغة واحدة تقريبا ترتفع فوق الزخرف والعامية جميعا وتقترب من الشعب وتبقى محتفظه بقوتها على عرض القضايا والمشكلات فى وضوح وقوة

إيجابية الصحافة

وبعد : فقد كان للصحافة جانبها الايجابى وعملها الكبير فى خدمة أهداف الوطنية، فقد حملت لواء الدعوة إلى مقاومة مشروع مدامتياز قناة السويس وهاجمت لجنة ملنر وهاجمت دنلوب وكما هاجمت حملات التبشير والبغاء والمخدرات

ونقدت الصحافة : الاسرة المالكة والاستعمار ؛ وما زال مقالات: أحمد حلمى وأحمد فؤاد وقصيده لطفى المنفلوطى وهجوم محمد عبده على أسرة محمد على، آيات فى هذا الميدان كما طالبت بالجلاء والدستور والبرلمان.

وقاومت حملات هانوتو وفرح أنطون والمحامى بابا كوس الذى قال أن الاكربول صاف والنيل قذر وكل من هاجم مصر وشاركت فى إنشاء الجامعة .

وعملت على إيقاظ الفكر والتوعية والاصلاح الاجتماعى .

وخلقت أساليب جديدة للسجال والهجاء والجدل .

وكافحت لاصلاح اللغة العربية حتى صقلتها ، وقاومت الاستبداد العثمانى والاستعمار والتقاليد والعادات القديمة .

ودافعت عن القيم والمقدرات والمقدسات العربية والاسلامية ووقفت وراء دعوات المصلحين كجمال الدين ومحمد عبده وقاسم أمين ومصطفى كامل وطلعت حرب .

وكان أغلب زعماء الوطنية كتاب وصحفيون : محمد فريد وسعد زغلول ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبى وعبد الرحمن الثعالبى وشكيب أرسلان وصالح ابن يوسف وعلال الفاسى والبشير الابراهيمى .

وقد هاجم عبد الله نديم الخديو إسماعيل (٦ مايو ١٨٨٢ — اللطائف) تحت عنوان «سلب الأملاك من الملاك» وقال انه هو الذى حرم الناس أملاكهم واستأثر

بأرزاقهم ، وهاجم مصطفى كامل شخص الخديو بعد أن انحرف عن الحركة الوطنية.

وهاجم يعقوب صنوع أعمال الخديو وكان يطلق عليه «شيخ الحارة» ويطلق على الفلاح (أبو الغلب) .

وهاجم ابراهيم اللقانى فى جريدة (مرآة الشرق) أسرة محمد على؛ وقال.أن رجالها تعدو الحدود وانتهكوا المحارم وثلموا الأعراض .

وقالت جريدة الأهرام أن الخديو اشتغل ١٠٠ ألف جنيه من دم الفلاح .

وهاجمت الأهرام المحامى باباكوس الذى قال فى دفاعه عن أحد اليونانيين فى محكمة قضية اليونان فى الأسكندرية عام ١٩٣٣ .

« أظهروا أيها السادة أنكم قضاة تتنشقون هواء الأكربول الصافى وأنكم لا تخوضون فى مياه النيل العكرة .

فقالت : حقا : أن بعض الذين يفدون على هذه البلاد يتمثلون أنفسهم عندما تطأ أرجلهم أرض مصر ، أسياداً لمصر وأنهم فوقها رقيا وتقدما وعلما ، فيبيحون لأنفسهم إحتقارها وإحتقار أهلها ، كأنما لطف أهلها ولين عريكتهم وطيب عنصرهم ورجابة ضيافتهم وميلهم إلى الأخاء والولاء وهى فضائلهم تعد عليهم عيوبا وتدعو إلى الامتهان والاحتقار .

ونذكر هنا حملات مصطفى كامل على كرومر ، وحملته الكبرى فى صحف أوربا ومقاله عن دنشواى الذى نشرته (الفيجارو) أكبر صحف فرنسا فاهتز له العالم واضطر الانجليز إلى سحب كرومر .

وأمين الرافعى الذى كافح كفاح الأبطال ورفض نشر إعلان الحماية الانجليزية لمصر وثرن يغلق أبواب جريدته حتى لا يكتب حرفا .

وعبد القادر حمزة الذين شن الحرب على حكم محمد محمود ١٩٢٨ .

وحمزة والعقاد وعبد الرحمن الرافعى الذين هاجموا معاهدة ١٩٣٦ .

كما هاجمت جريدة السياسة موقف وزارة المعارف من رفض شراء كتاب (عصر اسماعيل) لعبدالرحمن الرافعى . بحجة أن الكتاب شوه الأعراض التى من أجلها إستدان اسماعيل قروضه تشويها كاملا ونظر إلى جميع أعماله فى هذا الصدد بمنظار اسود .

وقالت السياسة : أنه من الغريب أن تقف وزارة المعارف هذا الموقف بالنسبة لكتاب عصر اسماعيل ، مع أن فى مكتبات المدارس كثيراً من الكتب الانجليزية التى تبحث هذا العصر وتذهب فى مسألة قروض إسماعيل وبذخه وما لقيت مصر من الخراب فى عصره إلى أبعد من الحدود التى ذهب إليها الرافعى ومن ذلك مؤلفات كرومر وملنر » وهناك عشرات المواقف المشرفة التى وقفتها الصحافة بالنسبة للأحداث وأدت فيه دورها بأمانة .

أثر الصحافة المصرية فى العالم العربى

ولا شك كانت الصحافة المصرية أقوى صحافة فى العالم العربى ولذلك كان لها نفوذها الفكرى فقد نافست صحف البلاد العربية ودرست شئون العالم العربى والاسلامى وكتب فيها أعلام هذه البلاد .

وقد عرف الاستعمار مدى قوة الصحافة المصرية وأثرها فى العالم العربى، ولذلك ركز عليها لتحمل لواء دعوات التجزئة والتغريب والشعوبية ، والتعالى بالمصرية وزعامتها وذلك حتى يعزلها عن الأمة العربية ،ولذلك ظلت الصحافة المصرية بعيدة عن محيط الدعوة إلى القومية العربية والوحدة العربية ، تذكر الأجزاء العربية من الوطن العربى بقولها الأقطار الشقيقة أو الأقطار الشرقية وتدعو إلى التجزئة وتذكر مصر بالبطولة التاريخية الفرعونية .

وقد كان لكثير من المفكرين الذين سافروا إلى أجزاء العالم العربى أثر فى تصحيح المفاهيم ودعوة الصحافة المصرية إلى حمل لواء الوحدة ، وقد دعا كثيرون إلى تصحيح عبارات التجزئة ومن ذلك الهجوم الذى شنه الاستاذ عمر الدسوقى على عبارة (الدول الشقيقة) وطالب أن تحل محلها عبارة الأمة العربية . وقد لفت نظره الى هذا المعنى عمله فى كلية المقاصد الإسلامية بلبنان وكذلك فعل الزيات وزكى مبارك وعزام ومحمود عزمى :

الصحافة والقومية العربية

كان موقف الصحف المصرية من الوحدة العربية موقف الانعزال والتناقض وكانت الأصوات التى ترتفع بهذه الدعوة أنها تهدف إلى إنتصارات محلية ، وقد حمل لواء هذه الدعوة مكرم عبيد فى حزب الوفد الذى ظل طوال حياته يؤمن بالأقليمية ، وحملها محمد على علوبة فى حزب الأحرار الدستوريين ويبدو ان ذلك كان من رسائل الكسب السياسى

وهاجمت الصحف المحايدة ثورات الوطن العربى : ثورة سوريا وثورة الريف فى المغرب وكان الطابع العثمانى بها أغلب من الطابع العربى .

وبينما كان العالم العربى يعرف عن مصر كل شىء ويترقبها وينظر إليها نظرة الزعامة ، كانت مصر بعيدة عن هذا التيار ، وفى هذا الصدد طالب قنصل مصر فى العراق ١٩٣٠ الصحف المصرية بأن تبعد عن الأساليب العامية وأن تتجاوب مع روح العروبة .

ولم يكن الصحفيون الذين يتصدرون الصحف ذات الشهرة والرواج يعنون بشئون الأمة العربية لأنهم كانوا يعملون وفق منهج الاستعمار فى التغريب والتجزئة والانفصالية ، وإذا كان المقطم يدعو الى القومية العربية فانما كان يدعو إليها فى تيار بريطانيا ومن الزاوية البريطانية غير أن أحمد زكى باشا وزكى مبارك ومحمود عزمى

وعبد الرحمن عزام وأحمد حسن الزيات حملوا لواء الدعوة فى مصر إلى الوحدة العربية . وكانت مسألة فلسطين من أقوى عوامل الربط بين إجزاء الأمة العربية.

الصحافة والتاريخ

وبعد فما هو موقف الكتابة التاريخيه من الصحافة :

هذه الصحف لم تكن منها صحيفه واحدة حرة حرية كاملة لتقول كل شيء، دون أن تكون تابعة لجهة أو خاضعة لجهة أو خاضعة لحزب أو واقعة تحت سيطرة رقابة أو حكومة .

ولذلك فان الاعتماد على صحافة بعينها فى حادث من حوادث التاريخ ، أو موقف من مواقف السياسة أو مسألة من مسائل الاجتماع أو الفكر لايعطى الحقيقة كاملة ، وإنما يمثل جانبا أو زاوية أو وجهة نظر مرتبطة باتجاه الجريدة وهويتها . ولم تظهر صحيفه من الصحافه يومية حرة فى العالم العربى

ولابد للحصول على وجهه نظر كاملة بالنسبة لأى حدث أوموقف من مراجعة وجهات النظر المختلفه فى الصحف المختلفه ومعرفة منازع هذه الصحف ومذاهب كتابها ومدى انتمائهم إلى هذا الجانب أو ذاك ، وخاصه التيارات الفكرية الخارجية ومدارس الثقافه الفرنسية والانجليزية ، ولا شك أن الاعتماد على جريدة واحدة سيكون إعتماداً على وجهة نظر واحدة ، مما يؤدى إلى الخطأ فى الاستدلال .

وبعد . فهل كانت الصحافة فى هذه الرحلة قائدة أم تابعة ، وجواب هذا السؤال يبدو فى الاجابة على سؤال آخر ، هل كانت الصحافة رسالة ذات أهداف أم كانت تابعة للأحزاب والزعماء ، وهل كانت تستطيع أن تصدر أو تعيش بدون إعانات الأحزاب والحكومات

والواقع أن الصحف السياسية فى مصر فيما بين الحربين لم تستطع أن تحقق رسالة القيادة والتوجيه للشعب .

كما تكشف المراجعات الواسعة فى الصحافة السياسية فى هذه الفترة أنه لم تكن هناك وجهات نظر متحررة منطلقة أو قائمة على أساس مجرد ، كانت كل صحيفة وكان كل كاتب ينظر إلى المسائل والأمور والقضايا من وجهة نظره الخاصة .

فالعقاد لأنه التقى بالشيخ عبده ومدحه فى أسوان ولقى مصطفى كامل ولم ترضيه عباراته حدد موقفه فى المستقبل من محمد عبده واتجاهه ومدرسته ومن مصطفى كامل واتجاهه ومدرسته وكل من يتصل به فهو سيء الرأى فى الشيخ شاويش وأمين الرافعى وهكذا .

وهيكل لأنه التقى بلطفى السيد فى مطالع حياته ، لم تفتنه حماسة مصطفى كامل وإنما دفعته المعرفة فى طريق الجريدة وحزب الأمة ثم كان بعد ذلك حامل لواء خلفاء حزب الأمة والجريدة .

والشيخ رشيد رضا صاحب المنار وتلميذ الشيخ محمد عبده يسير على خط واضح، فهو يؤيد كل من يتصل بالشيخ : سعد زغلول والوفد وهو لذلك سيء الرأى فى مصطفى كامل والشيخ شاويش وأمين الرافعى ، وفى طه حسين وهيكل .

* * *

وجملة القول أن الصحافة السياسية فى مصر صناعة لم يكن فى الإمكان قيامها واستمرارها دون أن تعتمد على معونات من جهات تؤيدها أو تتحدث بلسانها، ويرجع هذا إلى ضعف التوزيع نظراً لانخفاض نسبة القراء، ولذلك كان لابد لحياة الصحف من سناد، غير أن هذا السناد كان بعيد المدى فى انحراف الصحافة عن رسالة التوجيه وفى مجاراتها للرغبات والأهواء مما جعلها تابعة غير موجهة .

(موضوعات البحث)

صفحة

صفحة

صفحة

● وضعنا علامة × أمام كل صحيفة .

أهم مراجع البحث

الصحافة العربية : أديب مروه

(ك) مذكراتى فى السياسة المصرية (الدكتور هيكل) جـ١ صدر١٩٥١

مذكرات لطفى السيد (للصور) سبتمبر ١٩٥٠

مذكرات زكى عبد القادر (نوفمبر ١٩٥٩) الجيل الجديد

(ك) ذكرياتى (روز اليوسف)

حياة قلم (مجلة آخر ساعة) مذكرات عباس محمود العقاد ــ مايو ١٩٥٥

تاريخ الصحافة العربية : فيليب طرازى (١٩١٣)

تطور الصحافة المصرية : إبراهيم عبده

أعلام الصحافة المصريه : إبراهيم عبده

أدب المقالة الصحفيه (٦ أجزاء) : الدكتور عبد اللطيف حمزه